سهيل الخالــدي

الإشعاع المغربي في المشرق

دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام



هذا الكاتب وهذا الكتاب

ولد الكاتب الجزائري سهيل الخالدي في فلسطين لأسرة جزائرية هجرت في القرن التاسع عشر مع آلاف العائلات الجزائرية بسبب السلوك الوحشي والجرائم التي ارتكبها المستعمرون الاستيطانيون الفرنسيون.

واستطاع الخالدي أن يقدم لنا قصة كفاح هؤلاء الذين أرادت ثقافة النسيان نزع صفحتهم من سفر التاريخ الوطني الجزائري والقومي العربي، فكتب قصة كفاحهم على قمم جرجرة الجزائر ونضالهم الكبير في بلاد الشام التي فتحت لهم قلبها، كما هو حال العربي مع العربي؛ فأبدعوا في النضال الثقافي والسياسي والعسكري والديني، وصنعوا مع أهلهم في الشام تاريخا لا يقل أهمية عن تاريخهم في وطنهم الأم الذي لم ينسوه أبدا.

وسهيل الخالدي قلم يعرفه القراء الجزائريون كما يعرفه القراء العرب في الشام والخليج والعراق معرفة جيدة، فقد قضى سنوات عمره صحفيا في مختلف صحفها ومجلاتها، متناولا العديد من الملفات الأدبية والاقتصادية والسياسية واللغوية والفنية، ومن منجزاته في الملف التاريخي هذا الكتاب "الإشعاع المغربي في المشرق العربي" الذي نقدمه اليوم للقراء في طبعة ثانية، وكانت طبعته الأولى التي نشرتها دار الأمة سنة 1997 وقدمها الدكتور أبو القاسم سعد الله رحمه الله قد أثارت اهتماما واسعا في الجزائر وفي كل البلدان العربية مشرقا ومغربا، ففيه من التفصيلات والحقائق التي طمسها المستعمرون الفرنسيون والبريطانيون والصهاينة عن تاريخ هؤلاء الجزائريين ما يهم كل القراء.

الناشر



طبع هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة
في اطار الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب


9 789961 673577

سهيل الخالدي

الإشعاع المغربي في المشرق

دور الجالية الجزائية
في بــلاد الشــام

طبعة مزيدة ومنقحة



دار الأمـــة©
للطباعــة والنشــر والتوزيــع

ص. ب. 109 برج الكيفان 16120 الجزائر
الهاتف / فاكس : 213.23.31.36.57+ / 213.23.31.33.06+
email : oummabooks@gmail.com

إيداع قانوني: 2317 - 2015
ردمك: 978-9961-67-357-7

طبعـة 2016

صورة الغلاف : الأمير عبد القادر يدافع عن المسيحيين في دمشق سنة 1860
لوحة لـ (جون باتيست هايسمان)

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــداء

إلى أمي الـمرحومة

«عايشة بنت الشيخ محمد الخالدي»

التي ألّفَت هذا الكتاب شفويا

وأهدتنيه فاتحة على قداسة روحها

سهيـــل

مقدمة الطبعة الأولى

بقلم : الدكتور أبو القاسم سعد الله

لو سألت أحد المهاجرين الجزائريين خلال النصف الأول من القرن الماضي، لم تتوجه إلى المشرق بينما غيرك يتوجه إلى أمريكا بحثا عن الرزق والأمن والفرص، لربما قال بأنه يكفيه أن يعيش في أرض الإسلام ويساكن أهل العروبة، إذ معهم هم الرزق والأمن والفرص.

تبادر إلى ذهني هذا التساؤل وأنا أتصفح تاريخ الهجرة الجزائرية منذ الاحتلال الفرنسي 1830 إلى الحرب العالمية الأولى. ذلك أن معظم الهجرة كانت نحو الشرق العربي والإسلامي، أما منذ الحرب العالمية الأولى فقد اصبحت نحو فرنسا بالخصوص، وهي الهجرة التي ما تزال الجزائر تعاني نتائجها غربة واخلاقا ودينا وتبعية أيضا.

نعم، كان الأوروبيون يتوجهون إلى الولايات المتحدة (العالم الجديد) هروبا من الاضطهاد الديني والصليبي السياسي وضيق العيش. وقد لحق بهم أيضا عدد من المهاجرين العرب المسيحين من بلاد الشام وما حولها، ونشأ بينهم التجار والساسة وأصحاب المال، كما نشأ الأدباء والشعراء والفنانون، وأصبح لدينا في المهاجر الأمريكية ادب عربي له طعمه وأسلوبه الخاص، ولكن المسلمين ظلوا متحفظين فلم يهاجروا من أوطانهم رغم تخلفها سياسيا واقتصاديا وثقافيا.

وقد عمل الفرنسيون بعد احتلالهم للجزائر على جلب الهجرة الأوروبية إليها، فنادوا في العواصم الاوروبية إلى الهجرة إلى الجزائر، بلاد الفرص والمغامرات والعيش الرغد، وأرض الشرق الذي أنجب شهرزاد

وأبدع ألف ليلة وليلة، وعرف بلاط هارون الرشيد وملوك الطوائف. فتدفقت الهجرة الأوروبية نحو الجزائر من مدن البحر الأبيض ومن ألمانيا وسويسرا وبلجيكا وحتى من هولندة والبلاد الأسكندفانية، وأقام المغامرون الاوروبيون في الجزائر الخصبة وطوروا زراعتها وعمروها واستصلحوها ومدوا فيها الطرق البرية والحديدية وأنشأوا القرى على الطراز الأوروبي المتميز بالكنيسة والساحة والمدرسة والثكنة والمقبرة، وهكذا أصبحت الجزائر مستعمرة (استيطانية) قطعة من أوروبا في رقعة من الشرق، كما كانوا يقولون.

أما أهل الجزائر فقد هاجروا وهجروا معا. هاجر منهم عدد كبير من المدن والأرياف يوم استولى العدو على البلاد، وأيقنوا أن البقاء تحت «حكم الكافر» لا يجيزه الشرع. وتذكر المصادر أن مدينة الجزائر وحدها قد نقص عدد سكانها بأكثر من النصف سنة 1836. وخلت مدن عنابة ووهران وبجاية والمدية وتلمسان ومستغانم من سكانها، كذلك قبل أو أثناء احتلال العدو لها. وبالطبع فأنه ليس كل من خرج من مدينة قد هاجر منها إلى المشرق. فقد تفرق السكان في البداية خارج المدن انتظارا لما ستسفر عنه الحرب، ولجأ آخرون إلى المدن والمراكز التي سيطر عليها الأمير عبد القادر، ولم يهاجر فعلا إلى خارج الحدود إلا عدد محدود، وهم اولئك الذين لهم المال أو لهم العلم أو لهم امكانات الاستقبال، وبذلك هاجر عدد من المثقفين والبرجوازيين الجزائرين إلى المشرق وهاجر بعضهم أيضا إلى المغرب وتونس. ومن الأكيد أنه لم يهاجر منهم أحد إلى أمريكا أو حتى فرنسا عندئذ.

أما التهجير، أي حمل الأعيان والقادة والسياسين على مغادرة بلادهم فذلك هو المقصود هنا. وهذه العملية قد بدأ تنفيذها منذ الوهلة الأولى للاحتلال. لقد بدأت باتهام العناصر الفاعلة في الساحة الدينية والسياسية بالتآمر ضد الفرنسين أو بالارتباط بالاتراك أو بالانضمام إلى مقاومة الأمير عبد القادر، ونحو ذلك من الاتهامات. ومن هؤلاء رجال عثمانيون كانوا متقلدين لسلطات قضائية أو سياسية أو إدارية، مثل البايات وأعوانهم، ومثل القضاة والمفتيين، وهكذا، فان الإسكندرية وأزمير والحجاز قد استقبلت الباي مصطفى بومزراق، والباي حسن بن موسى، والمفتي محمد بن العنابي، والمفتي مصطفى الكبابطي، كما استقبلت باريس حمدان خوجة، ومصطفى بن عمر وحمدان بن أمين السكة، وغيرهم. وهم اولئك الذين شكلوا (لجنة الحضر) لمعارضة الاحتلال ثم طردهم الحاكم الفرنسي الجديد كلوزيل ثم خلفه رفيڤو.

وقد امتاز عهد بوجو(1841 - 1847) بتهجير من نوع آخر لأعيان الجزائر، وهو النفي والطرد خارج الوطن. فقد حكم على كل مشبوه وكل زعيم سياسي أو إداري من الجزائريين لم يتعاون صراحة مع العدو، وأجبره على مغادرة وطنه وعاثلته، ثم نقله قسرا إلى سجون نائية في جزر بعيدة مثل كاليدونيا الجديدة وكايان والمارتنيك وسانت مرغريت وغيرها، بالإضافة إلى سجون فرنسا نفسها، مثل سجن (الهام). إنّ هؤلاء الجزائريين لم يخيروا في منفاهم ولكنهم أجبروا إجبارا على الهجرة من جهة وعلى الإقامة بعيدا عن أرض الشرق والإسلام والعروبة من جهة أخرى.

وأثناء عهد بوجو بالذات فكر الجزائريون وعلى راسهم الأمير عبد القادر في الهجرة الجماعية نحو الشرق. لعل ذلك كان مجرد خاطر، ثم أصبح هما سياسيا. انهم استحضروا تاريخ المسلمين الأوائل وهجرتهم

بدينهم إلى الحبشة ثم إلى المدينة المنورة. وقاسوا على ذلك ضرورة الهجرة بالدين من الأرض التي تغلب عليها الكفار. وجاء بعضهم بفتاوي العلماء بالهجرة أو عدمها من الأندلس عند تقدم الإسبان ضد المسلمين. وتدخل علماء الجزائر الذين دخلوا في خدمة الإدارة الفرنسية يقولون أن ذلك قياسا مح الفارق وأفتوا بضرورة البقاء في الوطن ولو تغلب عليه الكفار مادام هؤلاء قد سمحوا للمسلمين باداء شعائرهم.

واحتدم النزاع الديني والسياسي في الموضوع، وخافت السلطات الفرنسية من الفضيحة الدولية ومن اضطراب الجزائر وخلوها من السكان، فسارعت إلى تدبير مؤامرة تجعل المسلمين يعدلون عن التفكير في موضوع الهجرة أصلا، فأرسلت الجاسوس الشهير (ليون روش) متنكرا في الزي العربي الإسلامي إلى أهل القيروان والأزهر ومكة، وجاء من علماء هذه الأماكن المقدسة عند المسلمين (بفتوى) اعدتها مسبقا مصالح الاستخبارات الفرنسية وختمت عليها ايدي علماء الإسلام (الأعلام) في الأماكن المذكورة، ورجع بها ليون روش إلى الجزائر، فعلقت على جدران المساجد وقرئت في الخطب ونشرت في جريدة (المبشر) وسارت بها الركبان إلى الأرياف والآفاق، ونادى بها البراحون في الأسواق، وكلهم يقولون : لا للهجرة الجماعية للمسلمين ولا لحمل السلاح في وجه الكفار ما داموا لم يتعرضوا للدين بالأذى وما دام المسلمون عاجزين عن اخراجهم من الجزائر بالقوة.

ولكن الهجرة والتهجير لم يتوقفا. ففي نهاية عهد بوجو (1847) وقعت الهزيمة بالأمير عبد القادر. والواقع، أنه منذ حادثة الزمالة (1843) وسقوط المدن في ايدي العدو، وضياع عاصمة الأمير بالذات، والهجرة مستمرة، ولاسيما من الأعيان والقواد والعلماء. فبين التاريخين المذكورين

هاجر قدور بن رويلة واحمد بوضربة، والكبابطي، وأحمد الطيب بن سالم، والمهدي السكلاوي، ومحمد الخروبي، وصالح السمعوني، كما أرغم على الهجرة بومعزة وحسين بن عزوز وإبراهيم بن أبي فارس (شريف ورقلة مستقبلا)، وأخيرا خرج الأمير نفسه من الجزائر ورفقته عشرات من اتباعه وقواده. وتوجه بعضهم مباشرة إلى المشرق، وأجبر الباقي على البقاء معه في سجون فرنسا إلى أن أطلق سراحهم سنة 1852 فواصلوا رحلتهم إلى المشرق ولاسيما بلاد الشام.

وكلما نشبت معركة أو انتفاضة أو تغيرت السياسة الدولية أو الداخلية حدث تنشيط الهجرة إلى المشرق، (ولانتحدث الآن عن تونس والمغرب). وهكذا، كان الحاج عمر زعيم الطريقة الرحمانية الثائرة في بلاد القبائل إذ هاجر بأهله وبولد الشريف وببنت الشريف مولاي إبراهيم إلى المشرق، بعد ثورة 1857 وهاجر أيضا من جرجرة سي الجودي الزعيم الشهير الذي عاصر بوجو وعهد راندون في الجزائر. أما ثورة 1871 فقد أدت إلى تهجيرزعمائها وخصوصا الشيخ سي عزيز الحداد الذي حمل إلى كاليدونا وبعد سنوات طويلة هناك هرب إلى الحجاز والشيح الونوغي.

وكانت سياسة الدولة العثمانية الإسلامية وخوف فرنسا على الوضع الداخلي بالجزائر اجبرت الحاكم العام جول كامبون على تزوير فتوى جديدة تثبط المسلمين الجزائرين ضد الهجرة وتقاوم تأثير السياسة الإسلامية أو الدعاية العثمانية في الجزائر، وجول كامبون هذا (1891-1897) هو الذي أمر بدراسة نفوذ الطرق الصوفية ولمعرفه ما كان منها (وطنيا) أي نابعا من الجزائر وليس له فروع أو أصول في المشرق، وما كان منها(عالميا) أو مشرقيا له فروع وأصول أخرى.

ولكن هذه المحاولات كلها لم تمنع من الهجرة الجماعية القوية التي حدثت سنة 1911، حقا أنه قد سبق لعائلات وأفراد أن هاجروا إلى الحجاز أو الشام منذ أواخر القرن الماضي، مثل عائلة الشيخ الطيب العقبي، أو منذ.. أوائل هذا القرن، مثل عائلة الشيخ البشير الإبراهيمي وعائلة الشيخ حمدان الونيسي (شيخ ابن باديس)، ولكن الهجرة التي هزت وجدان الجزائر واثارت مخاوف الفرنسين هي هجرة تلمسان (1911) وما صاحبها من تداعيات أخرى في شرق البلاد ووسطها أيضا. ومن أشهر المهاجرين عندئذ الشيخ محمد بن يلس زعيم الطريقة الدرقاوية.

إن السبب الظاهري لهذه الهجرة هو قانون التجنيد الإجباري الذي فرضته الإدارة الفرنسية على الشباب الجزائري استعدادا للحرب العالمية التي كانت على الأبواب، كما حدث فعلا. لقد جاء ذلك القانون اثناء الحرب العثمانية - الإيطالية على ليبيا (1911-1912) وقيام فرنسا باحتلال المغرب الأقصى (1912)، بل أنه جاء على اثر سقوط نظام السلطان عبد الحميد الثاني وانتصاب (لجنة الاتحاد والترقي) التي كانت مدعومة وموجهة من الحركة الصهيونية.

وهكذا، لم تحن الحرب العالمية الأولى حتى كانت حركة الهجرة مع الجزائر نحو المشرق قد بلغت أوجها وبدأت تأتي أكلها في شكل حركات سياسية ونواد ثقافية وأدوار قيادية وصلات وتواصل من الوطن. ونحن نعرف أن طريق الحج كان أيضا طريقا للتواصل والتوصيل، كما نعرف من الوثائق أن علماء جزائرين آخرين قد زاروا الشام ثم رجعوا منه بأفكار ظلت محفوظة إلى حينها، ومن هؤلاء الشيخ سعيد بن زكري وعبد الحليم بن سماية ومحمد سعيد الرواون، والأمير خالد.وعبد الحميد بن باديس

وأحمد بن عليوة. ولكل من هؤلاء دوره في الحياة الفكرية والسياسية في الجزائر بعد ذلك.

ماذا فعل الجزائريون في الشام عبر رحلتهم الطويلة؟ واين سكنوا وتوظفوا؟ وما علاقاتهم السياسية والاجتماعية؟ وما الدور الذي قاموا به من أجل وطنهم الأصلي ووطنهم القومي؟ إن هناك عدة دراسات حاولت أن تجيب على هذه الاسئلة وغيرها، ومنها في العهود الأخيرة دراسة الاستاذ عمار هلال[1]، والاستاذة نادية طرشون[2]. ولاشك أن هناك دراسات أخرى. وقد تعرضنا نحن إلى نفس الموضوع في كتابنا الحركة الوطنية الجزء الثاني.

ولكن الاستاذ سهيل الخالدي فاجأنا بعمل شامل حول الموضوع سماه: «دور المهجرين الجزائرين إلى بلاد الشام في حركة التحرر القومي العربي، 1847-1987». ومما يلفت النظر فيه هو أنه لا يتناول المهاجرين من تلقاء انفسهم وأنه لا يتحدث عنهم في جميع المشرق العربي وانما في بلاد الشام فقط، وبالاضافة إلى ذلك هناك قيد آخر للموضوع وهو دورهم في حركة التحرير القومي العربي. أما التاريخ فهو ممتد ليشمل دورهم حتى اللحظة التي انتهى فيها من التأليف تقريبا.

إن تغطية موضوع بهذا الحجم الزمني من جميع جوانبه امر يكاد يكون مستحيلا. فالهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام سارت سيرا متعرجا وحصلت لظروف داخلية وعربية وإسلامية ودولية. وقد تعددت أطرافها ومصادرها وأدوارها ولذلك احتاج الأمر إلى استعداد قوى وإلى اطلاع واسع، وإلى وثائق عديدة، وأخيرا إلى قدرة كبيرة على التحليل والاستيعاب والاستنتاج والتفسير. والأستاذ الخالدي، الذي هونفسه

(1) «الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام، 1847-1918»، الجزائر 1986.

(2) رسالة ماجستير بعنوان «الهجرة الجزائرية إلى المشرق العربي»، كلية الآداب، دمشق، 1985.

سليل اسرة جزائرية مهاجرة استوطنت عمق بلاد الشام، يعتبر افضل من يتناول الموضوع من جوانبه المذكورة، خلافا للذين تناولوه حتى الآن. فبينما عالج الآخرون الموضوع بشكل ربما محايد أو بطريقة خارجية هادئة، وجدنا الأستاذ الخالدي قد عالجه كطرف فيه، فهو يختار المادة التي تؤيد وجهة نظره، وهو يتبنى الموضوع ويتمثله داخليا، ثم يقوم بعرضه على القارئ في صورة مشوقة ومباشرة.

لقد سلك الأستاذ الخالدي في كتابه الضخم طرق التبويب المعروفة اليوم في الأبحاث الجادة. فقسمه إلى أبواب وفصول وفقرات. ورجع إلى مصادر عربية عديدة، منها المخطوط والشفوي، بالاضافة إلى الصحافة والتقارير، وجاء بالنصوص التي تؤيد وجهة نظره في شيء من الطول أحيانا، محيلا على العديد من التعاليق. ومن أهم ما انجزه أيضا هو وضع بطاقات شخصية لعديد من الشخصيات، كما وضع قوائم للمؤلفات التي ألفها المهاجرون (المهجرون) وأحفادهم. وقد تتبع المهجرين في استقرارهم بالأرض وحصولهم على الوظيف واختلاطهم بالناس وصراعهم مع الحياة والمجتمع الجديد، وتفاعلاتهم السياسية والفنية والثقافية، وتلاطم زعمائهم في خضم السياسة الدولية والأحداث الكبرى التي عرفتها المنطقة.

وكان من الطبيعي أن يبرز هنا دور الأمير عبد القادر وأبنائه وأحفاده. فقد جعلت منهم الأقدار ممثلين بارزين على مسرح الجزائر وسورية وفلسطين ومصر واليمن وطرابلس والمغرب الأقصى واستطانبول. وسواء أكانوا مع الدولة العثمانية أو مع القومية العربية فانهم كانوا هم المحركين للاحداث ابتداء من حادثة سنة (1860) في سورية. وهكذا وجدناهم وراء مشروع المملكة العربية في سورية والجزائر، وقناة السويس، وبحر قابس، وحرب

طرابلس، والثورة العربية والجمعيات السرية القومية، والحكم العربي في سورية، وثورة المغرب الأقصى، وثورة فلسطين منذ الثلاثينات. أن الناس اليوم يعرفون الكثير عن الأمير عبد القادر في الشام، ولكنهم لا يكادون يعرفون شيئا عن دور أبنائه : علي ومحي الدين وعمر وعبد المالك، ودور حفدائه: خالد وعبد القادر. ولكن الاستاذ الخالدي قد أبرز دور هؤلاء جميعا بما يستحقون من العناية، رغم أن الضوء الذي سلطه عليهم لم يكن في نظرنا، متوازنا، إذ نجد معلومات غزيرة عن الأمير سعيد مثلا وحضورا يكاد يكون دائما له في الكتاب وهو أمر لم يحظ به غيره.

ولم تكن أسرة الأمير وحدها في الميدان. فقد ظهرت إلى جانبها اسماء لامعة من المهاجرين، ساهم أصحابها في عدة ميادين تهم القضية العربية. ومن أبرزهم، بدون منازع، الشيخ طاهر بن صالح الجزائري المعروف بالطاهر السمعوني. فقد كان لهذا الشيخ فضل عظيم في بعث الثقافة العربية وتكوين جيل من الأدباء والمفكرين والسياسيين، بالاضافة إلى دوره في حزب اللامركزية وإنشائه وإدارته لعدة مؤسسات، مثل المكتبة الظاهرية. وكان والده صالح السمعوني قد هاجر من قرى سمعون من نواحي بجاية، فولد له الشيخ طاهر في دمشق التي فيها نشأ وعاش واعطى لها من جهده وعلمه الشيء الكثير.

ومن أسرة السمعوني أيضا يبرز الضابط الشجاع سليم السبموني (ابن أخ الشيخ الطاهر). وكان سليم من أنبل وأهم قادة الحركة العربية التي كانت تعارض الحكم العثماني، فكان جزاؤه الشنق على يد جمال باشا المشهور بالسفاح سنة 1916 ضمن قائمة من شهداء القومية العربية.

أما عائلة المبارك التي هاجرت من دلس، فقد اقتصر نشاطها على علوم الدين واللغة. فكان منها ثلاثة أو أربعة على الأقل من نوابغ الأدباء

واللغوين في هذا العصر، اشتهروا ببحوثهم ومؤلفاتهم وعضويتهم في المجامع اللغوية.

وبقدر ما أفاض الأستاذ الخالدي في الحديث عن هذه الشخصيات بقدر ما كان شحيحا حول بعضها الآخر. ذلك أننا لا نكاد نجد ذكرا لمصطفى بن التهامي صهر الأمير وخليفته على معسكر ورفيقه في امبواز ومؤدب أولاده في المهجر. وكان ابن التهامي من الأدباء أيضا، وله شعر مخطوط، وكان من مدرسي الجامع الاموي. كما أننا لا نكاد نجد ذكرا لدور أحمد الطيب بن سالم خليفة الأمير عبد القادر على حمزة (البويرة) وكان ابن سالم قد هاجر إلى المشرق قبل هزيمة الأمير بعدة شهور. وقد ظلل دور البشير الإبراهيمي في سورية غير واضح، رغم قصر المدة التي قضاها هناك قبل رجوعه إلى الجزائر (1920)، وتذهب بعض الروايات الشفوية إلى أنه كان قد دخل في أحد المحافل الماسونية، وهو ما فعله أيضا الشيخ طاهر الجزائري في فترة سابقة.

وهناك نقاط مر عليها الأستاذ الخالدي مرور الكرام، تاركا الذهن ينتظر المزيد، ومن ذلك الاشارة إلى أن الأمير شكيب أرسلان قد ضمن للأمير سعيد بن الأمير علي بن الأمير عبد القادر، بأن عمه عمر لن يعدمه جمال باشا، أن الأمير أرسلان كان يضمر الحقد للأمير عمر وأنه كان على اتفاق مع جمال باشا في التخلص منه (الأمير عمر)، إن الأمير أرسلان قد رافق الشرطة التي جاءت للقبض عليه وقيادته إلى حبل المشنقة. إن هذه دعوة كبيرة تحتاج إلى دليل أكبر، فالمعروف بعد ذلك أن الأمير أرسلان كان من أبرز دعاة الفكرة القومية العربية وحركة الجامعة الإسلامية، وأنه لم يكن على وفاق مع قادة الدولة العثمانية لاسيما بعد أن أضاعوا ليبيا وقمعوا الحركة العربية وألغوا الخلافة ووقعوا تحت تأثير الصهيونية. وكان للأمير

شكيب أرسلان علاقات هامة بقادة الحركة الوطنية الجزائرية، خاصة زعماء المغرب العربي عموما خلال الثلاثينيات والأربيعنيات.

وبهذا الصدد نذكر اننا تطلعنا في شغف إلى معرفة نقطتين ولو معرفة قليلة، الأولى علاقة الأمير عبد القادر بالحركة الإسلامية، والثانية : علاقته بالحركة العربية. ونقصد الحركة الإسلامية تلك الهزة التي أحدثها جمال الدين الافغاني في السبعينيات والثمانينيات تحت اسم الجامعة الإسلامية. وإذا كان الأمير عبد القادر قد توفي سنة 1883 فإن نشاط الأفغاني خلال عقد السبعينيات لم يكن ليخفى عليه. فقد تنقل الأفغاني بين مصر والهند وفارس وأوروبا وكانت بلاد الشام أقرب فكريا إلى مصر منها إلى فارس. وكان الأمير قد حضر شخصيا افتتاح قناة السويس (1869)، وكان الأفغاني عندئذ لاجئا لا يستقر به مكان. أما تلميذه محمد عبده فقد كان ينتقل بين مصر والشام (بيروت) واوروبا، وقد التقى بالأمير عبد القادر عدة مرات، كما التقى بولديه محمد ومحي الدين. ويبدو أن الشيخ طاهر الجزائري وابن أخيه سليم السمعوني كانا من تلاميذ الشيخ عبده. أن البحث عن هذه العلاقات الحميمة والشخصية بين قادة الرأي عندئذ هو الذي كان سيعطي لبحث الأستاذ الخالدي قيمة خاصة وسبقا علميا لو أنه استطاع أن يرضي تطلعنا وشغفنا.

أما عن الحركة العربية فقد أشار الأستاذ الخالدي إلى الضجة التي انطلقت تدعو إلى إقامة كيان عربي في بلاد الشام تحت زعامة الأمير عبد القادر. وكان منطلق الضجة في نظره هو دور الأمير في إنقاذ آلاف الضحايا أثناء فتنة الشام سنة 1860 . فقد استقطب الأمير بفعله الإنساني المنسجم مع روح الحضارة الأوروبية أيضا، انظار ورؤساء أوروبا بالإضافة إلى زعماء الكنائس والمفكرين والديبلوماسيين. وكان التجاذب حول شخصية الأمير

قويا جدا على المستوى الدولي. فكل دولة كانت تريد أن تظفر منه (بلفتة) لتتخذ منه وسيلة لترسيخ نفوذها في المنطقة. وكان الثالوث الظاهر لهذا التجاذب يتمثل في الدولة العثمانية وفرنسا وبريطانيا. وقد تعرض الاستاذ الخالدي إلى ظهور فكرة الكيان العربي عندئذ (الستينيات من القرن الماضي) ومعاداة التسلط العثماني، ولكنه لم يشر إلى المشروع الفرنسي أيضا، وهو المشروع الذي يرى في الأمير عبد القادر وسيلة ناجحة لاقناع القوميين العرب بحماية فرنسا لهم ضد الدولة العثمانية. وكان لذلك ثمن آخر أيضا، وهو شراء الهدوء في الجزائر وذلك بجعل الأمير منشغلا عنها بقضايا الشرق. ولعل ذلك هو بالضبط الذي جعل الأمير يتريث في الاستجابة، ثم يرفض الدخول أصلا في تلك المغامرة الخطرة.

إن عمل الاستاذ الخالدي من التأليف الجمعي لا التحليلي. فقد جمع فيه الكثير من المعلومات من المصادر العربية المتوفرة حول أوضاع المهجرين. وفي سبيل ذلك كان يلجأ أحيانا إلى النقل الطويل من بعض المصادر، دون ضرورة، وتارة كان يقحم فصلا أو أكثر كالذي عالج فيه الثقافة في العهد المملوكي أو الحديث عن الثقافة في الجزائر قبل العهد الفرنسي. ولعله من الأفضل لبطاقات التراجم وقوائم المخطوطات أن تأتي في شكل ملاحق للكتاب. ومن علامات الجمع في الكتاب أيضا اتساع جوانبه ومحاولة الإحاطة بكل نشاط المهجرين. وإذا كان هذا يصح في نوع التذكرات والكشاكيل، فإنه لا يصح في الأعمال العلمية التي تتطلب الضبط وحسن الاختيار وطرح الغث وتناسق المادة وتغليب روح النقد. كما نلاحظ أن «الدور القومي» كان، رغم إبرازه في العنوان، مضببا في الواقع. فلا يكفي لإبرازه ذكر شهداء الثورة العربية من الجزائريين

وأعضاء الجمعيات السرية العربية منهم، والصراع بين الأمير فيصل من جهة والأميرين عبد القادر وأخيه سعيد حفيدي الأمير عبد القادر من جهة اخرى، ولا المقاومة الفلسطينية الباسلة منذ الثلاثينيات. إن الدور القومي للمهجرين يتمثل أيضا في الأفكار والتوجيهات والكتابات والتنظيم.

ولعل من فضائل هذا الكتاب أنك تقرأه وكأنك تقرأ قصة أو مقالا أدبيا عذبا. ولا غرو في ذلك فمؤلفه أديب ماهر وصحفي لامع في ميدان الصحافة الأدبية، التي نفتقر إليها نحن في بلادنا. إننا نقرأ في هذا الكتاب رحلة المهاجر الجزائري عبر الزمن والأرض وداخل الايديولوجيات والعقائد، إنها ملحمة إنسانية شاملة. اين منها رحلة التيه التي عاشها العبرانيون؟ وأين منها رحلة الأوديسه وأسفار كولومبس؟ لقد جاب الإنسان الجزائري الأقطار قسرا بينما الآخرون قد جابوها بمحض إرادتهم. وحيثما حل كان يعمر الأرض ويألف الناس ويبني الحضارة.

وما علينا إلا أن نجزل الشكر للاستاذ سهيل الخالدي على هذا الجهد الضخم الذي سيكون بدون شك، مرجعا لكل من يتحدث عن هجرة الجزائريين أو تهجيرهم نحر المشرق في الوقت الذي كان فيه الأوروبيون يتوجهون إلى أمريكا، أو إلى الجزائر بحثا عن الرزق والحرية، ليغتصبوا أرضا ليست أرضهم ووطنا محتلا بالحديد والنار. ليغتصبوا الحياة أن يظل الإنسان الجزائري ينسج خطواته من المشرق إلى المغرب ثم من المغرب إلى المشرق، متتبعا آثار أجداده الكنعانيين والفنيقين والعرب. وقد آن لهذا الجزائري أن يعرف ما بني الأجداد وان يربط حاضره بماضيه ليدخل معركة المستقبل وهو شامخ الرأس ثابت الخطى.

أبو القاسم سعد الله

الجزائر في 9/ 7/ 1991

- إلى القارئ أولا -

رغم ماهو مؤكد لدى قرائي منذ سنين، إلا أننى أعتقد بأن عليّ - هنا - واجب التوضيح: بأني لست مؤرخا، ولا باحثا في التاريخ، فهذا شرف لا أدعيه. وسأشعر حقا بالابتهاج إذا ما رأى القراء أو المؤرخون أو الباحثون شيئا من ذلك في كتاب يكتبه صحافي متواضع مثلي.

وأود أن أقرر بسرعة وجلاء أن علاقتي الشخصية بالموضوع لعبت دورا في دفعي لخوض غمار هذه التجربة، فأنا من عائلة زرقين قبيلة أولاد سيدي خالد التي هجرت أوائلها عام 1860 من وادي البردي / دائرة عين بسام/ ولاية البويرة إلى المشرق العربي وسكنت فسطين، وتصادف أن يكون جدي لوالدتي، الذي هاجر مع مجموعة أحمد الطيب بن سالم، هو قاضي الجزائريين في الشام المسؤول عن أحوالهم المدنية، وقد عني ذلك لي ضرورة البحث في مجموعة من الأوراق التي احتفظت بها الوالدة طويلا، وكذلك التأكد من معلومات هذه المرأة التي تمتلك ذاكرة تفصيلية خارقة للعادة.

وأما الدافع العام فهو استيائي من المعاملة غير المناسبة التي كان يلقاها العرب المشارقة من طرف الإدارة الفرانكو - شيوعية الشديدة التخلف في الجزائر خلال الستينيات والسبعينات فأردت أن أبين أن الجزائريين في الشام ما كانوا ضيوفا غرباء بل إنهم انتقلوا من شق التمرة العربية إلى شقها الثاني، وأن كل ماتدعيه كتب الغرب وماتختلقه من اقليميات وأثنيات وقطريات، ماهو إلا كيد وتضليل له علاقة بالاستعمار وخططه، أكثر مما له علاقة بالتاريخ والحقيقة، أو بمستقبل الشعوب والأمم.

كذلك أردت أن أبين للقارئ الجزائري خصوصا أن إقامة الدولة العربية الواحدة المستقلة، وفكرة التحرر القومي العربي والتضحية من أجلها، هي الحلم الذي جاهد الجزائريون من أجله، بل هم الذين وضعوا أسس هذا الحلم قبل أن يتبناه أي حزب سياسي، وبالتالي فإن دعايات وأفكار الإدارة الفرا نكو - شيوعية الاقليمية الانفصالية في الجزائر وأساليبها لاتنبع من شخصية وطننا الجزائري ولاتخدمه.

وفي عام 1987 حط بي طائر الأقدار في دمشق فبدأت على الفور التنقيب في أوراقي واستعين بذاكرة والدتي التي تعرف العائلات الجزائرية في دمشق معرفة موثوقة، وبدأت بزيارة بعض هذه العائلات التي عرضت عليها مشروعي فرحبت أيما ترحيب.

وهكذا يلاحظ القارئ أني في هذا الكتاب تخففت من الصرامة الأكاديمية وإن لم أبتعد عن الانضباط، وذلك حتى أتمكن من وضع إطار عام للموضوع، قد يرجع إلى تفاصيله الباحثون والمؤرخون المهتمون ويدققون فيها بما شاء لهم من صرامة الأكاديميين.

وفي عام 1991 عدت إلى وطني الجزائر، بهدف عرض أبحاثي هذه على الرأي العام الجزائري والالتقاء بالمؤرخ الدكتور أبو القاسم سعد الله الذي كان قد وافق بأريحية على تقديم ماكتبه هذا الصحفي متطفلا على علم التاريخ وبالفعل كتب الأستاذ الدكتور التقديم المنشور في الصفحات الأولى من هذا الكتاب، وقد لفت هذا التقديم نظري لعدد من النواقص. ولما تعثر طبع الكتاب في الجزائر خلال تلك الفترة رغم الجهود التي بذلها الدكتور الباحث أحمد بن نعمان، ولما أتيحت لي فرصة العودة إلى دمشق منتصف عام 1995 ولما كان الدكتور عبد الله ركيبي قد عين سفيرا في دمشق وبدأ يحل مشكلة إعادة الجنسية الجزائرية لهؤلاء المهجرين

وجدتها فرصة سانحة، ليس فقط بالتقليل قدر الإمكان من النواقص التي أشار إليها مشكورا الدكتور سعد الله بل أيضا لمعايشة وتسجيل وقائع الفصل الختامي الذي يضعه على أرض الواقع الدكتور ركيبي، ولا يكفي القول أني مدين بالكثير لهؤلاء الأساتذة الأصدقاء، لأنهم في الأصل قدموا جهدا علميا وعمليا من أجل قضية الجزائر وشخصيتها الوطنية والقومية.

وإني مدين أيضا لوالدتى المرحومة عائشة بنت محمد الخالدي التي كانت تتمنى أن ترى هذا الكتاب الذي أسهمت فيه بكثافة، مطبوعا، لكنها تركتني وحيدا معه في 24/ 8/ 1995 في ليلة تظل محفورة في الذاكرة.

ومدين أيضا لعائلة المبارك، الأستاذ الدكتور مازن وأشقاؤه ممدوح وهاني وعدنان وإلى الأستاذ أحمد سهيل الفضيل والأستاذ الشيخ محمد إبراهيم اليعقوبى ومختار حي السويقة السيد رابح مزيان وأحفاد الأمير عبد القادر كالسيدة بديعة والسيد طاهر، فقد أعطوني جميعا ساعات ثمينة من أوقاتهم.

كما أني مدين أيضا للعائلات الجزائرية في السويقة وجمعيتهم الخيرية، ومخيم اليرموك للفلسطينيين، وفي حوران، فقد زودوني بمعلومات وصححوا لي أخرى.

كما أني مدين للباحث القومي المعروف الصديق الأستاذ ناجي علوش الذي فتح لي مكتبته الضخمة على مصراعيها وزاد على ذلك بأن زودني بوثائق هامة ولفت نظري إلى قضايا تستحق العناية.

وأما في البويرة ووادي البردي فإني مدين لابن عمي مدرس التاريخ الأستاذ محمد زرقين والقاضي محمد سحنون والقاضي حسين شلوش والقاضى السعيد بوحلاس والمحامي دإلى شارف ساعد والمحامي لمين

العجايليه وإلى كبار السن في وادي البردي ومدير وأساتذة وطلبة معهد المعلمين في البويرة.

وكذلك فإني مدين للأستاذين الصديقين كمال عياش وعز الدين ميهوبى فقد فتحا لي صفحات يومية الشعب لنشر أبحاث هذا الكتاب، مما كان له أثر كبير ليس فقط في طرح موضوع المهجرين الجزائريين على الرأي العام، بل بورود رسائل من القراء من مختلف جهات الوطن كان لبعضها فائدة مهمة في تدقيق المعلومات.

إذن فإن كل فضل في هذا الكتاب هو نتيجة جهد بذله هؤلاء في المغرب والمشرق من جزائريين وغير جزائريين، كدليل إضافي على وحدة التاريخ والوجدان والأمل، وإن كل نقص فيه هو نتيجة تقصيري فقط ومسؤوليتي عنه لا جدال فيها.

سهيل زرقين الخالدي

دمشق 15/ 5/ 1996

الفصل الأول

هجرة الجزائريين السياسية إلى بلادالشام

أولا : الأسباب و المواقف

مدخل :

حتى الآن لانكاد نعثر على بحث شامل متخصص وموضوعي دقيق عن الهجرة الجزائرية إلى المشرق العربى التي بدأت مع إستئمان – وليس استسلام– الأمير عبد القادر الجزائري إلى فرنسا عام 1847 م، بحث يجيب على مجموعة الأسئلة: لماذا، كيف، متى، أين، من، وكم. فمعظم ما هو موجود من أبحاث كتبها فرنسيون، ولاتخرج عن إطار «العقدة الجزائرية» إلتي يعانى منها كل فرنسى تقريبا، وتناولوها كما هي عادتهم في تناول التاريخ الجزائري، بطريقة لاتبعث على الاحترام، وإن كانت هناك كتابات فرنسية نادرة جدا خرجت عن إطار العنصرية الفرنسية وما فيها من عنجهية وأكاذيب، لذلك فإن هذا البحث لايهتم كثيرا بتلك الدراسات.

ولعل من أهم الدراسات، في نظري، التي أجريت باللغة العربية الوطنية حتى تاريخ الشروع في هذه الدراسة، وبأيدي باحثين جزائريين، وخصصت كامل جهدها لهذا الموضوع، الدراسة الموسومة **«الهجرة الجزائرية إلى المشرق العربي»** وهي أطروحة ماجستير مقدمة إلى جامعة دمشق من الطالبة الجزائرية نادية طرشون عام 1985 نشرت مقاطع منها في مجلة دراسات تاريخية. وفي عام 1986 نشر الدكتور عمار هلال كتابه

الموسوم «**الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847 – 1918**» ويعتمد فيه على الوثائق الفرنسية الكثيرة جدا، ولكن هذه الوثائق مثلها مثل معظم الوثائق الفرنسية تفتقر إلى كثير من فضيلة الصدق، الأمر الذي يفسر لماذا لم يبرز حتى اليوم مؤرخون فرنسيون ذوي وزن عالمي!

وقد أهملت الدراسات الفرنسية ومعظم الدراسات الأوروبية الأخرى وجهة نظر الطرف الأساسي في الموضوع وهو الجزائري المهاجر نفسه الذي تنظر إليه هذه الدراسة «كمهجّر» رغما عنه. وتسعى إلى سد هذه الثغرة الخطيرة بالرجوع إلى وجهة النظر هذه.

ومن كتابات المهجرين الجزائريين إلى الشام حول هجرتهم:

1- تحفة الزائر في تاريخ الجزائر ومآثر الأمير عبد القادر، الذي نشره الأمير محمد بن الأمير عبد القادر عام 1903م في الإسكندرية وحقق ثانية في دمشق عام 1964م.

2- تاريخ الزواوه، لأبي يعلى الزواوي الشيخ الذي عاش فترة في دمشق وطبع كتابه فيها حوالي عام 1340 هجرية.

3- مذكرات الشيخ محمد الهاشمي عن هجرته مع شيخه محمد بن يلس من تلمسان.

4- ملاحظات سريعة وردت في كناشين مخطوطين للشيخ طاهر الجزائري.

ويبدو أن هناك كتابات أخرى حول الهجرة من طرف المهجرين أنفسهم وردت هنا وهناك، كما في بعض شجرات نسب بعض العائلات التي اطلعت عليها. وقد قيل لي أن الشيخ المرحوم إبراهيم يعقوبي كتب رسالة في الموضوع، لكني لم أطلع عليها.

تذكير:

وفي كل الأحوال يجب النظر إلى الهجرة الجزائرية إلى الشام على أنها جزء من الهجرات الداخلية في الوطن العربى، هذه الهجرات التي لم تتوقف تقريبا منذ عصور قديمة، وتحديدا منذ انهيار سد مأرب في اليمن، وكان العربي المهاجر من جهة عربية إلى أخرى عربية يلقى دائما الترحيب ويحتل مركزا يمكنه من الابداع والإضافة إلى مجتمع الجهة التي هاجر إليها، فالهجرات العربية «السامية» إلى المغرب العربي، هي التي أدخلت هذه المنطقة التاريخ ولذلك فإن دمشق وبيروت وغيرهما شهدت قبل عام 1847 العديد من العائلات الجزائرية والمغربية عموما التي انتقلت داخل الوطن الذي كان تحت الحكم العثماني مثل عائلة البيطار الجزائرية في دمشق وعائلة العريسي الليبية في بيروت وأعطت الكثير لهذا الجزء من الوطن، لكنها خارج إطار بحثنا.

وفي حدود فترة هجرة الجزائريين السياسية إلى الشام «منتصف القرن التاسع عشر الميلادي» موضوع بحثنا نجد هجرة أخرى من الشام إلى مصر، وقد أضاف الشوام إلى الحياة الثقافية والسياسية في مصر، إذ يقول د. أحمد طاهر حسنين:

«خدم الشاميون المهاجرون إلى مصر نهضتها الأدبية الحديثة في أكثر من ميدان، وقد رأينا كيف كانوا جادين في كل ماقاموا به من ترجمة أو صحافة أو تأليف، ولاشك أن كل هذا أو بعضه يصلح لأن يكون «بداية» أصيلة وعميقة لفهم التاريخ الأدبي الحديث»[1].

---

(1) حسنين، د. أحمد طاهر: «دور الشاميين المهاجرين إلى مصر في النهضة الأدبية الحديثة»، ط1، دمشق 1983، ص258.

فماذا أضاف الجزائريون إلى الشام؟ هذا هو السؤال الذي شغلت نفسي في الإجابة عليه لأن الدراسات الأجنبية أهملته بخبث واضح، فقد تجاوز الجزائريون في الشام الدور الأدبي والثقافي إلى الأدوار السياسية والعسكرية وهي أدوار درسناها في أبحاث أخرى، إذ خصصنا هذا البحث لأسباب الهجرة وموجاتها وأماكن استقرار الجزائريين في الشام، والموقف العثماني الرسمي والموقف العربي الشعبى منهم.

أسباب الهجرة :

منذ بدء جهاده ضد الاحتلال الفرنسي، لم يكن الأمير عبد القادر جاهلا بميزان القوى العسكرية والسياسية والعلمية والاقتصادية، لذلك لم يكن لديه وهم بالنصر، بل كان يقوم بواجبه الديني والوطني كما يليق بأي رجل سوي العقل شريف.

وقد عبرت رسالته من سجنه إلى الأسقف دوبيش عن أن الأمير لم يكن صاحب أوهام إذ قال:

«منذ ثلاث سنين كنت أحارب الفرسيين وليس لي أن أرى نهاية حميدة لي في هذه الحرب مع أني كنت معتقدا أني لم أقم إلا بالواجب الديني وحفظ بلادي وأخشى أن ألقى شبه الملامة من قومي الذين وثقوا بي وحلفوا ألا يتركوني»[1].

ومع ذلك فإن قوة شكيمة ومعنوية الأمير والشعب الجزائري كادت على مدى 17 سنة أن تهز ميزان القوى وتسخر منه، فالرجل انتصر في معظم معاركه التي خاضها مع العدو الفرنسى الذي يزداد ميل الميزان لصالحه على مدار الساعة عسكريا وعلميا واقتصاديا وسياسيا، مما منع

(1) مجاهد، مسعود : «تاريخ الجزائر»، ج1، د ت ط ص 370.

الأمير والشعب من تتويج تلك الانتصارات اليومية والمرحلية بانتصار نهائي وحاسم. مما عزز قناعة الأمير بأن مواصلة القيام بالواجب الديني والوطني في ظل تزايد الاختلال في ميزان القوى داخليا وإقليميا ودوليا، سيتحول إلى انتحار ديني ووطني. فآثر لهذه الأسباب الداخلية والاقليمية والدولية الاستئمان لفرنسا، مقرونا بالسماح له بالهجرة إلى المشرق العربي، ويمكن رصد هذه الأسباب كالتالي:

1- الداخلية :

أ- حرب الإبادة والاستئصال :

لم يكن الجيش الفرنسي يملك أية صفة من أخلاقيات الحروب التي كانت معروفة آنذاك، ولا يملك ضباطه وجنوده شيئا من أخلاق الفرسان أو الأخلاق المسيحية إذ يقول حمدان عثمان خوجه، الذي عاصر الاحتلال الفرنسي، في كتابه الهام «المرآة» :

«وفيما يخص فضائل القائد كلوزيل نكتفى بنقل بعض أعمال إدارته المشهورة بافريقية الجزائر: ففى عهده أخرجت جثث الأموات من قبورها وسمح بالاتجار بعظام البشر، وبيعت أحجار القبور ونقلت إلى باب الوادي، لتفكك هناك بالحرارة وتجعل جيرا أو كلسا، واستولى على آجر المقابر، وهلم جرا...»[1].

ويضيف خوجة:

«ولم يتردد بعض مشاهير القواد في أن يقترحوا استئصال أمة بكاملها، وقد بنوا اقتراحهم على عدد قليل من السكان، لكونهم قد افترضوا أن هذا العدد القليل لايتجاوز مليونين نسمة ...»[2].

---

(1) خوجة، حمدان : المرآة.

(2) المصدر نفسه.

وكتب المارشال أرنو إلى زوجته:

«أكتب اليكم ويحيط بي أفق من النيران والدخان، لقد ذهبت إلى أفراد قبيلة البراز فأحرقتهم جميعا ونشرت حولهم الخراب وأنا الآن عند السنجاد أعيد فيهم الشيء نفسه ولكن على نطاق واسع»[1].

ولعل الأجيال الفرنسية اليوم تشعر بكثير من المهانة والاحتقار للذات وهم يتذكرون ضابطهم كا فينياك الذي فشل في مواجهة الأمير.

«فأغار على قبيلة أولاد سيدي يحيى فاضطرهم إلى التشتت والتشرد في البلاد، وكان من سوء الحظ أن لجأ بعضهم إلى كهف غائر هناك يعرف باسم غار العقبة البيضاء وهو قريب منهم فتجمع فيه نحو السبعمائة نسمة أكثرهم من النساء والصبيان والشيوخ ولم يكن عمل الفرنسيين تجاه أصحاب الغار إلا أن أخذوا في جمع الحطب والتبن فصدوا به مدخل الغار ثم أضرموا فيه النيران حتى احترق واختنق كل من في الغار وقد ظلت النار مستمرة من الظهر حتى صباح اليوم التالي»[2].

ولم تكن هذه المجزرة التي وقعت عام 1845 هي الأكثر بشاعة أو حادثة منفردة، بل سبقتها وتلتها طوال 132 سنة من الاحتلال مجازر أكثر بشاعة، واحتفل الجيش الفرنسي بانتصار الحلفاء على المحور، فنظم عام 1945 مجازر أكثر بشاعة في قالمة وسطيف وخراطهة وسعيدة وغيرهما من مدن وبلدات وطننا، بقصد استئصال شعبنا برمته.

ومن المؤكد أنه لم يكن للأمير أية مصلحة في مواصلة حرب فقد فيها الخصم «المتفوق أساسا» أية معايير وأية قيم أخلاقية.

(1) مجاهد، مسعود : المصدر السابق، ص 340.

(2) الجلالي، عبد الرحمن محمد : «تاريخ الجزائر العام»، بيروت، 1983، ط6، ج4، ص 211.

ب- تفكك الوحدة الوطنية :

لم تمر هذه الوحشية الفرنسية دون أن تؤثر على الوحدة الوطنية للشعب الجزائري، فهذا البطش والارهاب والاستئصال لعروش بكاملها، ليس له أن يمر دون أن يؤثر في النفس البشرية، كما أنه أردف بإغراءات ورشوات واسعة لبعض البايات وشيوخ العروش، فخافت زعامات وطمعت أخرى، وترددت قبائل، وارتدت عشائر وكان الأمير يستعمل كل مواهبه لتمتين الوحدة الوطنية للشعب.

«لقد ألقى أفضل خطبة له في جامع معسكر فمكنته هذه الخطبة من أن يضم قبيلة بني عامر إلى صفه بعد أن كان شيوخها قد قرروا الخروج عليه فأصبحوا منذ ذلك الحين من أخلص أتباعه»[1].

وكان الأمير يضطر في بعض الحالات إلى تأديب بعض القبائل التي تخرج عن الصف الوطني ومنها مرة ما

«.. بلغه أن أولاد شعيب وهم قبائل عظيمة كثيرة البطون والعشائر، عازمة على الاتحاد مع الفرنسيين فعدل في طريقه عن التوجه إلى وجهته التي كان قاصدا إليها، وسار إليهم. ثم هجم عليهم وكانوا في خمسة آلاف فارس، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وألقى القبض على رؤسائهم ومشايخهم»[2].

وقد بلغ تفكك الوحدة الوطنية للشعب الجزائري أن بعض العروش دلت الغزاة الفرنسيين الذين أغروهم بالأموال على عاصمة الأمير المتنقلة «الزمالة».

---

(1) دودو، د. أبو العيد : «الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان»، 1830-1855م، ط1، الجزائر 1989، 104.

(2) عبد القادر، الأمير محمد : «تحفة الزائر في تاريخ الجزائر ومآثر الأمير عبد القادر» تحقيق ممدوح حقي، ص2، دمشق 1964.

«وكان من جملة من تعهدهم بترصدها ودلالتهم على موقعها المتنصر عمر العيادي فجعل يتتبع مراحل الزمالة من موضع إلى موضع حتى احتلت في كوجيله من نواحي الجنوب الشرقي من تاهرت فطير الخبر إلى ابن الملك»[1].

وقد قامت بعض القبائل فعلا بمحاربة الأمير عبد القادر لحساب المحتل الفرنسي سواء مباشرة أو بالنتيجة وقد وصل هذا الخلل إلى ذروته حين أخذ بعض رؤساء العروش يظهرون الصداقة للأمير بينما هم قد وقعوا في الفخ الفرنسي. إذ أن الأمير:

«.. لما وصل إلى بني خالد نزل على أستاذهم الشيخ (مختار بودشنيش) في بلدة (تفجيرت) وكان قبل ذلك من أصدقاء الأمير فظن فيه أنه يقوم بشأنه، فإذا به رأى منه ما أنكره. وبلغه عن قومه، ما أنذره وحذره، وتبين له أنهم داخلون في الجمله المنحرفة والفئة المتطلعة إلى الغالب..»[2].

وحين يصل تأثير الاستئصال والذهب الرنان إلى إحداث مثل هذا الشرخ في الوحدة الوطنية، فليس من مصلحة أي قائد حصيف أن يواصل المقاومة لأنها ستتحول إلى حرب أهلية، فلا يطرد المحتل ولا يحافظ على أرواح الناس.. وكان الأمير عبد القادر كما أثبتت الوقائع فيما بعد يملك الكثير من الحصافة، والرجل لم بكن عسكريا أو سياسيا محترفا.. وهو لم يؤهل نفسه أو يؤهله أبوه لغير العمل الديني.. لذلك ظل ملتزما قواعد الجهاد الذي أبدع فيه كما أبدع في إدارة الدولة إبداعا لم يسبقه إليه المحترفون العسكريون والسياسيون.

---

(1) المصدر نفسه.

(2) المصدر نفسه، ص 497.

2 - الإقليمية:

لم يكن - كما أثبت التاريخ فيما بعد - العقل السياسي لكل من سلطان مراكش «عبد الرحمن» وباي تونس وحتى باشا مصر المملوكي محمد علي بمستوى وعي وألمعية العقل السياسي للأمير عبد القادر وقدراته على استشراف المستقبل، لذلك فإن أي واحد من هؤلاء، لم يستطع أن يرى أن الأمير يحارب - جوهريا - بالنيابة عنه، واتخذوا منه مواقف متباينة»، أدت في النتيجة إلى سقوط القلعة التي تدافع عنهم، فاجتاحهم الغزو الأوروبي، بما فيه الفرنسي، ولعل أخطر هذه المواقف جاءت من الجار المراكشي والجار التونسي.

أ- موقف سلطان مراكش.

أمام التهديدات والاغراءات الفرنسية تخاذل عبد الرحمن سلطان مراكش وتراجع شيئا فشيئا عن مساندة الأمير وصولا إلى محاربته نيابة عن فرنسا ولصحالها، بل أنه قتل «البوحميدي» الذي بعثه إليه عبد القادر رسول سلام ووقعت بين الأمير والسلطان عدة معارك. وكان الأمير في أول عهده يكن احتراما وتقديرا للسلطان المراكشي، لذلك لم يلقب نفسه بسلطان، وإن كان قد أظهر هذا اللقب في وقت لاحق خاصة حين انضمت إليه قبائل مراكشية.

ويقول عبد الرحمن الجيلالي عن أسباب تراجع موقف السلطان المراكشي وانضمامه إلى معسكر الغزاة:

«.. لعله كان يرى في عبد القادر مزاحما تجب مقاومته ودفعه عن تراب المغرب، اعتمادا منه على معاهدة أبرمت سلفا بين الأتراك العثمانيين بالجزائر وحكومة المغرب حول ولاية وهران التي كان ينظر إليها السلطان كجزء من أرض المغرب، لاسيما وقد أشيع أن بريطانيا كانت ترى في

الأمير خلفا صالحا للسلطان عبد الرحمن على عرش المغرب الأقصى في حالة ما إذا أدى الأمر إلى خلعه»[1].

ب- موقف باي تونس:

أما بايات تونس، فقد تطور موقفهم من الحياد بين الأمير وفرنسا إلى الدخول في المعسكر الفرنسي:

«وبلغ بعضهم إلى حد التعاون مع الغزاة الفرنسيين، وفعلا نجد الباي يتغاضى عن إمداد التونسيين لجيش الحملة الفرنسية بتبايع المؤن، كما استخدمت تونس طريقا لإرسال المنشورات المكتوبة بالعربية في حث الجزائريين على الاستسلام»[2].

وهكذا لم يتفهم الجيران تحذيرات الأمير عبد القادر من أنهم لن يأمنوا على بلادهم إذا ما احتلت الجزائر، فقد كانت حساباتهم ضيقة ولم يصدقوا حكمة الثيران الثلاثة، فما أن وضع الأمير حدا لحربه الشريفة حتى التهمت فرنسا تونس ثم أتبعتها بالمغرب. وكان لابد للأمير أن يتجنب القتال المفروض عليه من طرف سلطان مراكش، والمحتمل مع باي تونس، فهذه لعبة لايستفيد منها سوى الخصم المشترك ولا يجر إليها إلا رجل كثير الطمع ضعيف العقل، مشبوه في دينه، ناقص في وطنيته وقوميته، وهي صفات مناقضة تماما لصفات الأمير عبد القادر.

أما موقف باشا مصر محمد علي، فقد كان واضحا منذ موقفه مع الداي حسين، إذ كان متأكداًا من أن فرنسا لن تخرج من الجزائر، فهو مع الصلح، لأن محمد علي كان يميل دائما إلى مهادنة الغرب بعكس الأمير المتحدي وقد استعمله الأمير عبر أحمد بن سالم ليجس نبض فرنسا في موضوع الاستئمان.

---

(1) الجلالي، عبد الرحمن: مصدر سابق، ص 223.

(2) المصدر نفسه، ص 224.

3 - الدولية :

ما أن بايع شعبنا الأمير تحت شجرة الدردار لقيادته في مقاومة الغزو الفرنسي، حتى تصرف هذا الشاب بحنكة وكفاءة واضحتين على عدة جبهات ومنها الجبهة الديبلوماسية حيث حرص على أن يظهر كل ود للسلطان العثماني.

وحرص من خلال معتمد سري له في المغرب أن يفتح قنوات مع اسبانيا وبريطانيا وأمريكا، فاتخذت هذه الأطراف مواقف براجماتية ضيقة تظهر في التحليل الأخير، واعتمادا على مجريات أحداث المائة سنة التي تلت، إن العقل السياسي للأمير وقدراته على الاستشراف كانت أوسع من عقول وقدرات أصحاب تلك المواقف.

أ- الموقف العثماني :

لم يكن الشعب الجزائري على وفاق مع الحكم التركي سواء في الجزائر العاصمة أو في قسنطينة أو في وهران. فمنذ مطلع القرن التاسع عشر بدأت حركة القومية العربية في الجزائر تعلن عن نفسها على شكل هبّات ريفية ضد الحكم التركي، كما هو الحال في المشرق أيضا، فاندلعت ثورة ابن الأحرش 1218هـ في الشرق الجزائري، وكان ابن الأحرش قد حارب في مصر ضد نابليون الأول وأبلى في الدفاع عن مصر بلاءا حسنا واكتسب شهرة.

وفي الغرب الجزائري كان ابن الشريف قد أعلن الثورة بعام واحد قبل ابن الأحرش، وإذا كان ابن الأحرش قد سيطر ردحا من الزمن على الشرق الجزائرى، فان الغرب الجزائري من المدية حتى تلمسان قد دخل في طاعة ابن الشريف.

وحين استعاد الحكم التركي سيطرته على المنطقة قال باي وهران لجلسائه بحضور محى الدين والد الأمير عبد القادر ومشيرا إليه، نحن لانخشى ابن الشريف وأمثاله، وإنما نخشى من صولة هذا. فقد بدأت بوادر الصراع العربى - التركي تظهر في المغرب العربى، وبدأث القومية العربية تعبر عن نفسها على شكل هبات فلاحية مشرقا ومغربا.. وكانت في الجزائر أسبق من المشرق الغربي.. وكان الحكم التركي يتخوف أن يقود محي الدين هذا الحرب وهو أمر حدث لكن ضد الغزو الفرنسى. وقد كتب د. أبو القاسم سعد الله ملمحا إلى ذلك:

«.. وأن هناك علامات قوية لظهور تيار عربى إسلامي في الجزائر بين 1830-1837 تيار كان أسبق بعدة عقود من ظهوره في المشرق على يد أنصار الجمعيات السرية العربية المضادة في أساسها لسياسة التتريك العثمانية..»[1].

إننى لا أستطيع إلا أن أعتبر ثورة ابن الأحرش وابن الشريف بداية تاريخية لهذا التيار، فإذا كان ولاء ابن الأحرش لمحمد علي، فهذا كان يعلن رغبته في توحيد البلاد العربية، وإذا كان ولاء ابن الشريف لسلاطين مراكش، فهولاء كانوا منافسين لسلاطين الآستانة. ثم أن الجمعيات السرية العربية المناهضة للأتراك في المشرق العربى كانت بشكل أو بآخر من صنع الجزائريين الذين هجروا مع الأمير عبد القادر والذي بايعه أهل الشام عام 1877 ملكا عليهم لينفصل بهم عن تركيا.

وبلغة أخرى فإن الريادة الجزائرية لحركة القومية العربيبة المعاصرة لم تكن لتخفى عن الأتراك بل كانوا يتوجسون خيفة منها، وصح توقعهم وتأشيرهم لرجلها محي الدين ابن المصطفى، خاصة وأن مسألة وجود

(1) سعد الله، أبو القاسم : «الحركة الوطنية الجزائية»، ج1، ط 1، بيروت 1992.

الخلافة الإسلامية في العنصر التركي قد بدأت تجد من يهمس بعدم صحتها، سواء من بين رجال الدين أو بين المثقفين الجدد، لذلك كانت الاستانة تخشى من ظهور شخصية عربية يتجمع حولها التيار القومي العربي المواجه للتيار الطوراني.

وحين ظهر عبد القادر كشخصية عربية جزائرية تنتمي إلى السلالة النبوية التي ينتمي إليها أيضا سلطان مراكش في المغرب وشريف مكة في المشرق، لم يكن بوسع الباب العالي أن يرحب بظهورها، لكنها ظهرت دون أن تبدي عداء للباب العالي بل بالعكس تعلن له كل الود، وظهرت في كفاح قوي ضد الغزاة الفرنسيين الذين غزوا مصر لفصلها نهائيا عن الباب العالي.. لذلك اضطرب الموقف العثماني من الأمير عبد القادر وكفاحه، وكانت الظروف الموضوعية التي يمر بها الرجل المريض- الدولة العثمانية- لاتسمح بأن يقدم العثمانيون - إن رغبوا - أية مساعدة حقيقة للكفاح الجزائري، إذ يقول صاحب كتاب تاريخ الجزائر العام:

«فأما الدولة التركية فإنها كانت يؤمئذ في شغل شاغل بقضاياها المتعددة المشاكل الملتوية الطرق مع دول أوروبا الغربية والشرقية»[1].

لكن المؤرخ عبد الرزاق البيطار الذي يمكن اعتباره ووالده الشيخ حسن من جملة حاشية الأمير عبد القادر في دمشق، يشير بفقرة غفل عنها الباحثون حتى الآن إلى أن ثمة مؤامرة عثمانية - فرنسية حيكت ضد الجزائر لأن الداي حسين رفض تحديث نظام الجيش.

«فقيل أن السلطان محمود هو الذي سلط عليه الفرنسيين لتأديبه، فجاؤوا بجيوش كثيرة وحاصروا الجزائر إلى أن قبضوا على الباشا المتولي عليها، وذهبوا به إلى بلادهم، وتملكوا الجزائر، وخصوصا بالعساكر، فلما

(1) الجلالي، عبد الرحمن : مصدر سابق، ص 230.

تملكها الفرنسي لم يرجع تلك الجزائر لحكم الدولة بل استولى عليها وبقي فيها إلى عصرنا هذا»[1].

إن هذه الفقرة تجعلنا نسأل هل فضل الباب العالي بعد تآمره مع فرنسا، تسليم الجزائر على أن يساعد رجلا من التيار العروبي قد يزاحمه فيما بعد ؟!

وفي كل الحالات فإن الدولة التركية العثمانية التي كانت تتآمر عليها أوروبا في موضوع «المسألة الشرقية» التي تؤرقها وتصف هذه الدولة «بالرجل المريض» وتتريث لتصفية واقتسام تركته، هذه الدولة «المسلمة ظاهراً، الطورانية باطنا» كانت تشترك في هذه المؤامرة مع الدول الأوروبية على العرب أنفسهم، لأن العرب هم مركز المسألة الشرقية، وهم مادة الاسلام الأساسية الذي تحاربه أوروبا.. وإلا لن نجد تفسيرا لما أثبته التاريخ في مابعد من تسليم ليبيا إلى ايطاليا والغدر بالأمير علي بن الأمير عبد القادر الذي قاد المقاومة الليبية، كما لن نجد تفسيرا لموقف الطورانية من فلسطين، لن نجد تفسيرا عن عدم احتلال الحلفاء العاصمة العثمانية التي انهارت مقاومتها تماما عام 1918، بينما احتلوا كل العواصم العربية، ونجدهم في وقت لاحق يحتلون عاصمة أوروبية، ففي عام 1945 احتلوا برلين عاصمة ألمانيا.

ب- الموقف البريطاني:

في اتصالاته الديبلوماسية البارعة حاول الأمير عبد القادر أن يسبق زمانه ويخترق جدار التفاهم الأوروبي حول المسألة الشرقية من خلال أية كوة تلوح بالأفق، ويبدو أنه كان عارفا بصراع الدول الأوروبية حول مناطق النفوذ فحاول الاتصال ببريطانيا عبر قائد قاعدتها في جبل طارق.

---

(1) البيطار، الشيخ عبد الرزاق : «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر»، بيروت 1993، ط2، ج3، ص 1464.

«وكان السير روبرت ويلسن قائد قاعدة جبل طارق من أشد أنصار عبد القادر بمحاولة مساعدة الأمير وإنما بصورة سرية وغير متصلة، بغية تجنب كل صراع مكشوف مع فرنسا وفي إطار هذا الحرص رفضت الملكة فكتوريا استقبال سكوت الذي كلفه الأمير بمهمة لدى الملكة»[1] .

فقد عرض الأمير مقابل مساعدته تقديم تسهيلات لبريطانيا في أحد الموانئ الجزائرية، لكن لندن التي زارها الأمير في وقت لاحق، من الشام، لم تحسن قراءة مصالحها مع الأمير الذي أتاح لها فرصة نفوذ في جنوب المتوسط، وعانت ولاتزال تعاني من ضياع هذه الفرصة.

ج- الموقف الأمريكي:

وشاركت أمريكا في هذه المعاناة البريطانية، واتخذت نفس الموقف المجامل لفرنسا، رغم أن القنصل الأمريكي في الجزائر «شاليمار» كان دائب البحث عن الثغرة التي يمكن أن تحتل منها الجزائر، ورغم التحرشات الأمريكية بالداي وهي تبحث لها عن موقع في جنوب المتوسط إلا أن واشنطن رفضت العرض الذي قدمه لها الأمير عبد القادر بتمليكها ميناءً (لاحظ تمليك وليس تسهيلات وحسب) على طريقة هونج كونج في الصين، وقد قدم الأمير عرضه أثناء وقوع خلاف بين فرنسا وأمريكا، لكن العرض جاء متأخرا من جهة ولم تدرسه البراجماتية الأمريكية استراتيجيا من جهة أخرى فقد كتب رفائيل وانزيجر ماترجمه د. سعد الله :

«ومن سوء حظ عبد القادر أن المسألة قد انتهت ودياً في نفس الوقت الذي كان فيه يكتب رسالته إلى الأمريكيين»[2].

---

(1) تشرشل، شارل هنري: حياة عبد القادر السلطان السابق لعرب الجزائر، عربه عن الفرنسية اللواء جبرائيل بيطار

(2) سعد الله، أبو القاسم : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ق1، الجزائر 1981، ط2، ص 146.

وها هي كل من أمريكا وبريطانيا في نهاية القرن العشرين تحاول إفساد الاستراتيجية الفرنسية المعروفة «بالمتوسطية» والتي تهدف إلى تحويل المتوسط عبر النفوذ في المغرب العربي إنطلاقا من الجزائر إلى بحيرة فرنسية وإغلاقه في وجه الانجلوساكسون.

لم ترغب الدول الأوروبية رغم خلافاتها الجزئية من التخلي عن تفاهماتها حول المسألة الشرقية، ومساعدة أمير عربي كان بإمكانه لو تمكن من اختراق هذا الجدار العنصري الاستعماري تغيير تاريخ العلاقة بين العرب، وربما المسلمين جميعا، والغرب من علاقة استعمارية وما فيها من جشع واستغلال ودم ودوس على القيم البشرية النبيلة، إلى علاقة تعاون وفائدة مشتركة للطرفين الغربي والعربي، وهي العلاقة التي يحاول الغرب جاهدا – في نهاية هذا القرن العشريني – إقناع العرب بالعودة إليها، لكن هؤلاء العرب لديهم الآن الكيثر من الدروس التي تجعلهم يفقدون الأمل بحصافة الغرب، كما فقده من قبل الأمير عبد..القادر أول أمير عربي امتشق الحسام لمقاومة جنون إحدى دول الغرب، والذي لم يجد بعد خذلان العالم لقضيته الجوهرية، قضية الحرية الإنسانية والوطنية، التي يقر هذا العالم اليوم بصحتها، بدا من الاستئمان لعدوه وينقل كفاحه إلى موقع الداء ويواصل هذا الكفاح بطريقة أخرى.

استئمان الأمير لفرنسا :

من الواضح جدا أن أسباب وقف القتال مع فرنسا في ذهن الأمير عبد القادر هي نفسها أسباب الهجرة، ولعل هذا الربط الذكي يدل على أن الرجل كان يدير عملية الاستئمان، الذي يحلو للبعض أن يسميه استسلاما، كواحدة من أعقد وأطول العمليات العسكرية والسياسية التي أدارها.

فعبد القادر كان جادا في القيام بواجبه الديني والوطني واستطاع أن يقيم دولة مقاومة فريدة من نوعها في التاريخ البشري، وإن لم يدرس، بعد، الباحثون الجزائريون وغيرهم بالجدية اللازمة هذه الدولة التي امتدت من التخوم المغربية إلى الحدود التونسية، وحصرت الاحتلال في أضيق مساحة ممكنة، وكادت أكثر من مرة أن تنجح في قلب موازين القوى وتغيير شروط التاريخ. بفضل حنكة الأمير السياسية والعسكرية التي يجب أن تدرس بعد مرور كل هذا الوقت بكثير من الجدية والشرف أن يستبعد الباحثون الكثير من الدراسات الفرنسية التي تخلو عادة من الشرف.

وقد تجلت حنكة الأمير السياسية والعسكرية هذه في إدارة معركته الأخيرة، معركة الاستئمان لفرنسا وهي معركة كان يدرك أنها اشتباك مباشر ليس بين سيفين بل بين شرفين، شرفه الشرقي العربي وشرف فرنسا.. وكان على وعي تام بأن الجنرالات الذين أمامه في الميدان يفتقدون إلى كثير من معاني الشرف، فأدار معركته بطريقة فذة، ولتكون جزءا لايتجزأ من حربه الوطنية الدينية.. لذلك حرص أن يحقق هذا الاستئمان النقاط التالية :

أ- مطابقة هذا الاستئمان لحكم الدين الإسلامي.

ب - موافقة أهل الحل والعقد في دولته.

ج- حفظ حقوق الشعب الجزائري الأساسية.

د - الحفاظ على رجال دولته.

هـ - أن لايكون بعد هزيمة واضحة في معركة مع الجيش الفرنسي.

و- أن لايكون استسلاما مهينا.

ومن المؤكد أنه أحسن التوقيت، فالملكية الفرنسية كانت في معاناة، تجعلها ترحب باقتراح كهذا يقويها، وتجعل الأمير يفاوض عدوا ماثلا أمامه ويعرفه.

أ- الا ستئمان وحكم الدين الإسلامي :

لم يكن الأمير ليجهر بنية دون أن يوضح أسبابها أولا، لذلك تجنب الاشارة لها من بعيد أو قريب، لكنه راح يستفتي رجال الدين الإسلامي من المذهب المالكي في المغرب والمشرق في فاس والقاهرة حول تصرفات سلطان مراكش، وكان من قبل يستفتيهم في موضوع القبائل التي يستميلها العدو، فقد كان الأمير يطلع رجال الدين في المغرب والمشرق على الأحوال في دولته ويستفتيهم في بعض الأمور مثل رسائله إلى قاضي فاس عبد الهادي بن عبد الله الحسني[1] ورسالته إلى شيخ الأزهر محمد عليش وكان يومئذ مفتي المالكية، حول تصرفات سلطان المغرب، فيها إشارات ذكية عن شروط الصلح مع العدو وترك الجهاد[2].

ويبدو أن الأمير عبد القادر قد حصل على فتاوى بالهحرة من رجال الدين الجزائريين وفي طليعتهم الشيخ محمد المهدي السكلاوي شيخ الطريقة الرحمانية الكثيرة الأتباع في الجزائر والذي هاجر إلى دمشق فعلا إذ يقول د. هلال عمار :

«.. إن الشيخ المهدي، أحد الطرقيين ببلاد الزواوة، قد استطاع بمفرده أن يبعث عشرات العائلات الجزائرية إلى الهجرة إلى سوريا، وذلك عندما أبدت فرنسا نواياها واضحة في احتلال بلاد القبائل سنة 1847.

ويضيف :

في أواخر سنة 1847 هرع سكان وادي سبدو إلى الشيخ المهدي مقدم الطريقة الرحمانية، مستنجدين به، طالبين منه أن ينصحهم ويرشدهم إلى طريقة تخلصهم من مصيبة الاستعمار الفرنسي الذي سيداهمهم عن

---

(1) عبد القادر، الأمير محمد : مصدر سابق، ص 384.
(2) المصدر نفسه، ص 471.

قريب، فما كان من الشيخ المهدي إلا أن نصح الأهالي بكل بساطة، أن يغادروا هذه الأراضي المضطهدة، أن يهاجروا إلى الأراضي الإسلامية ليحافظوا على دينهم ودنياهم.

وفي رواية أخرى يدعي صاحبها أن الشيخ المهدي، قد نصح الأهالي بمغادرة هذه الأرض «الملعونة» التي مات فيها الإسلام، على أيدي الكفار - للتقرب من ديار الإسلام الأصلية التي لم يدنسها الكفار بأقدامهم القذرة.

وهكذا غادر الشيخ المهدي نفسه الجزائر في أواخر سنة 1847، واستقر بسوريا متبوعا بعشرات العائلات الجزائرية وببعض تلامذته..»[1]. ولاتزال عائلة السكلاوي تقيم في حي السويقة بمدينة دمشق.

وكان الأمير قد حصل على الفتوى التي أوردها محمد بن عبد الكريم في كتابه[2]. وقد هاجر في وقت لاحق (1911) الشيخ محمد بن يلس ونفر من أتباعه[3] إلى الشام ذاتها بعد فتوى أصدرها.

وقد أورد الهاشمي بن بكار[4] - مفتي معسكر في كتابه مجموع النسب والحسب[5] شيئا عن حكم الهجرة متطرقا إلى الأمير عبد القادر وهجرته وهو نص يتضح منه أن الهجرة مقرونة بالجهاد الأمر الذي فعله المهاجرون المسلمون دائما.

وهكذا يكون الأمير قد حصل على السند الشرعي الإسلامي لاستئمانه وهجرته.

---

(1) هلال، د. عمار : «الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847-1918»، الجزائر 1986، ط1، ص

(2) بن عبد الكريم، د. محمد : «حكم الهجرة في ثلاث رسائل».

(3) ترجمنا للشيخ محمد بن يلس في مكان آخر.

(4) ترجمنا للشيخ محمد الهاشمي في مكان آخر.

(5) بكار، الهاشمي : «مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب»، تلمسان 1661.

ب- موافقة أهل الحل والعقد في دولته وزعماء مصر واستانبول :

يبدو أن الأمير قد أخذ موافقة أهل الحل والعقد في دولته على الشروع في الاستئمان لفرنسا، حيث نجد أن خليفته في منطقة القبائل، أحمد بن سالم قد شرع في هذا الاستئمان قبل حوالي عشرة أشهر من الأمير، ثم أن الأمير بعد الذي رأى من «مختار بودشنين»، في «تفجيرت» وخيانته جمع خاصته:

«ثم أخذوا يتداولون الرأي بينهم. إلى أن قر القرار على أن يكون التسليم إلى الفرنسيس»[1]. ويبدو أن كان هناك رأي بالتسليم إلى سلطان المغرب تم استبعاده. ويؤكد لنا إجماع أهل الحل والعقد على هذا الاستئمان أن ليس فيهم من بقى في الجزائر، حيث أن «معظمهم» قد هاجر إلى المشرق، وقلة منهم ذهبت إلى المغرب، إذ يترجم صاحب حلية البشر لمجموعة من هؤلاء الرجال الذين كانوا حول الأمير مثل الطيب بن محمد المبارك وصالح بن أحمد السمعوني ومحمد بن عبد الله الخالدي وغيرهم كما يترجم صاحب المنتخب في تواريخ دمشق لطائفة أخرى من هؤلاء. ومما يؤيد هذا الإجماع أن المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي، لم تتواصل على يد أي من رجالات الأمير البارزين، بل ظهرت قيادات أخرى في خمسينات القرن التاسع عشر.

ثم إن الذي بدأ بالتحرك في هذا الاتجاه وبتكليف من الأمير هو أحد أهم خلفاءه ذلك أن أحمد بن سالم هو الذي كتب إلى محمد علي يستنصحه حول الصلح، فكتب إليه محمد علي بالصلح، وأحال رسالة

(1) عبد القادر، الأمير محمد : مصدر سابق، ص 499.

أحمد بن سالم إلى الحكومة الفرنسية[1]. فقام هذا بالاستئمان إلى حاكم سور الغزلان فأمنه على شروط[2] سنرى فيما بعد أنها نفس شروط الأمير عبد القادر.

ويظل السؤال القائم حتى الآن حول موقف استانبول، وهل فعلا وافقت للأمير على القدوم إلى الشام.. إننا نشك في أن استانبول وحبت بقدوم الأمير إلى الشام، إذ لابد أنها تساءت لماذا لم يختر الاستانة نفسها.. ليكون تحت أنظارها ورقابتها.. وهل كان موقف استانبول واضحا أمام الأمير عبد القادر كما كان موقف القاهرة ؟

ج - حفظ حقوق الشعب الجزائري :

إن المدقق لاتفاق الأمير مع فرنسا يلاحظ أنه يدور حول نقاط ثلاث هي سفره إلى عكا أو الاسكندرية، وعدم التعرض لمن يريد السفر معه من جيشه، وأن الذي يبقى منهم يكون آمنا على نفسه وماله. ومن المعروف أن جيش الأمير الذي دوخ به فرنسا لم يكن قد تجاوز في أكثر الحالات 12 ألف رجل، عشرة آلاف منهم مشاة، بينما بلغ تعداد جيش فرنسا 106 آلاف رجل.

وبلغة أخرى أن الأمير وقع اتفاقية الاستئمان بصفته العسكرية والشخصية ودون أن يقدم أي تنازل سياسي، فليس هناك أي اعتراف بالاحتلال الفرنسي، من بعيد أو قريب أو أي حق لفرنسا في الجزائر.. ولا حتى عن تنازل الأمير عن إمارته.

---

(1) طرشون، نادية : «الهجرة الجزائرية إلى المشرق العربي من منتصف القرن التاسع عشر إلى مطلع القرن العشرين»، نموذج سورية، أطروحة ماجستير/ في مكتبة الأسد بدمشق تحت الرقم ط 8، ص 18.

(2) عبد القادر، الأمير محمد : مصدر سابق، ص 482.

إن حصر اتفاقية الاستثمان بالأمير وجيشه وجعله موقفا شخصيا هو الذي حفظ حق الشعب الجزائري في استمرار المقاومة فقد ظل الاحتلال غير معترف به..

وحتى الآن لم تعرف تفاصيل المفاوضات في تلك الأيام الثلاثة والرسل المتبادلة بين الأمير والجيش الفرنسي. فلم ترد في الاتفاق مثلا كلمة وقف القتال، فتسليم الأمير لسيفه جاء مفاجأة لابن الملك.

وهذه البراعة من الأمير هي التي جعلته يشير إلى أن الشعب الجزائري سيواصل القتال والمقاومة حين قال وهو على ظهر السفينة لأحد جنرالات فرنسا إنكم لن تعمروا في هذه البلاد فأنتم كطيور هذا البحر تلمسون الموج بأجنحتكم ثم ترحلون.. لقد. كان الأمير واثقا من قدرة شعبه أن موازين القوى ليست ثابتة.. وقد كان ذلك فعلا.

د- الحفاظ على رجال دولته :

تمكن الأمير عبد القادر من الحفاظ على رجال دولته في عملية شديدة الدهاء، فهو حين استأمن فرنسا كان معظم رجال دولته قد وصلوا دمشق مع أحمد بن سالم وحتى قبله وذهب بعضهم إلى الحجاز وتدلنا الوثيقة التي رفعها بن سالم إلى السلطات العثمانية في دمشق بعيد وصوله على كثير من الأسماء.

لماذا فعل الأمير ذلك ؟

من المؤكد أنه فعل واجبه بالحفاظ على أطر دولته، لكن طبيعة تحرك هؤلاء السياسية والعلمية في دمشق وقيادته لهذا التحرك تشير في نظري إلى أن الأمير أرسلهم لأنه كان ينوي التحرك قريبا من بيت الداء، فالاستقبال الذي حظى به هؤلاء في دمشق، ثم الاستقبال الأسطوري الذي

حظى به هو يوحي بأن كان للرجل أتباع كثر في المشرق العربي. وهو الأمر الذي سنلاحظه جيدا حين يصل به الأمر إلى قيادة حركة سرية عام 1877 للانفصال عن تركيا وحوله من بقي من هؤلاء الرجال أنفسهم.

هـ - استئمان بلا هزيمة أو إهانة :

لعل الأمير عبد القادر لم يكن ليستطيع إملاء شروطه والابتعاد عن توقيع اتفاقية سياسية مع فرنسا لو أن استئمانه هذا جاء بعد هزيمة واضحة أمام الجيش الفرنسي. فساعتئذ سيملي الجنرال الفرنسى كل شروطه العنجهية بما عرف عن فرنسا وجنرالاتها في مثل هذه الحالات، بل إن معركته الأخيرة مع سلطان مراكش لم تكن معركة حاسمة ونهائية توجب على الأمير الاستسلام فقد كان بإمكانه خوض معركة أخرى نهائية سواء مع السلطان المراكشي أو مع الجنرال الفرنسي لكن الرجل كان يحتفظ بطلقته الأخيرة ليتمكن من المساومة، وقد نجح في ذلك فعلا وظل سيفه معه، وحتى الآن لايتحدث المؤرخون الفرنسيون عن يوم انتصار لهم على الأمير بينما أقامت فرنسا أقواس نصر حين انتصرت على ملوك وأمراء آخرين في أوروبا.

وهكذا فإن استئمان الأمير لفرنسا لم يحقق لها من وجهة نظري مكسبا استراتيجيا، فلا الجزائر انهزمت واستسلمت ولا فرنسا انتصرت وأمنت. لقد كان الرجل فذا وصاحب عقل سياسي أوسع من معاصريه فعلا.

تجنب الأمير عبد القادر في طريقته بإدارة الاستئمان عدة نقاط فهو :

1 - لم يوقع أية اتفاقية سياسية أو بالتعبير الآخر اتفاقية صلح باسم الشعب وبالتالي تجنب إهانة الشعب الجزائري وإهانة نفسه.

2- ربط استئمانه بشرف فرنسا إذ تدرج في الاتفاق والتوثيق من جنرالاتها إلى ابن الملك شخصيا.

3- قدم سيفه ومسدسه على سبيل الهدية، واستلم هدية مقابلها في نفس الجلسة من ابن الملك «مسدس وساعة هذا الأمير دومال».

وحين أرادت فرنسا أن تحول هذا الاستئمان إلى إهانة بإختطاف الأمير وتحويل باخرته ثم سجنه «وهو الأمر الذي كررته فرنسا عام 1956 بإختطاف طائرة قادة الثورة الجزائرية» كان إهانة لشرف فرنسا نفسها. ولانعتقد أن الأجيال الفرنسية الآن تشعر بالفخر أمام هاتين الحادثتين. ولكنها بالتأكيد تشعر بالرضا عن سلوك نابوليون الذي حاول أن يستدرك الأمر ليس بإطلاق سراح الأمير فحسب بل وبالسعي لكسب مودته، ليكون صديقا لفرنسا في الشرق، فقد اقترب موعد اقتسام تركة الرجل المريض، وأهدى نابوليون سيفا للأمير لكن الأمير لم يقع في هذا الفخ أبدأا !

لماذا الشام ؟

اختار الأمير الإسكندرية أو عكا مكانا لمنفاه، ولم يقف الباحثون مليا عند هذين الخيارين وأيهما الهدف، بل لماذا لم يختر الأمير الاستانة (استانبول) عاصمة العثمانية ؟

في تقديري أن الأمير عبد القادر كان خياره الأول يتمثل في عكا وليس الإسكندرية بدليل أن خليفته أحمد بن سالم اختار الشام وحين وصل دمشق كان أول ما فعله هو الحصول على أراض في سنجق عكا، وبالذات في مدينة صفد وسنرى أن هذا السنجق والذي سيعرف بلواء الجليل هو المنطقة التي ولدت فيها قوى الجزائريين في الشام.

وعكا منطقة استراتيجية، في منطق الحروب حتى القرن التاسع عشر، والذي ييسيطر عليها يسيطر على بلاد الشام، ومنها أقام وإليها الدموي أحمد باشا الجزار دولته التي كادت أن تمتد إلى الشام كله وعلى أسوارها اندحر نابوليون.. وفي ذات المنطقة التي سكنها الجزائريون -صفد- حاول الصهاينة إقامة أول مستوطنة لهم في فلسطين، وحدث أول صدام مسلح في تاريخ القضية الفلسطينية بين الجزائريين واليهود. وقد أفسد الجزائريون بالقوة - كما سنبين في موقع آخر - هذه الخطة، فاختار اليهود منطقة أخرى لإقامة أول مستعمرة لهم في فلسطين لكنها فشلت في تلك المرحلة.

«وفشلت المستوطنات التي حاول مونتغيوري إقامتها قرب يافا وبجوار صفد»[1]. ومن المعروف أيضا أن من بين الأسباب الداعية لإقامة كيان صهيوني في فلسطين:

1- إقامة كومنولث يهودي في فلسطين بحماية انجلترا يشكل جدارا فاصلا بين السكان العرب في آسيا والعرب في شمال افريقية.

2- أن تصبح فلسطين حصنا للدفاع البريطاني عن قناة السويس المنتظر افتتاحها قريبا في ذلك الوقت.

فهل أراد الأمير عبد القادر أن يكون في موقع قريب من محمد علي في مصر الذي يكن له الإعجاب أن يكون حاجزا بينه وبين الدولة العثمانية؟ ومامعنى عدم اختياره لاستانبول، بل ولماذا سعت فرنسا (بعد سنوات من سجنه) لدى استانبول لأن يكون منفى الأمير بعيداجدا عن اختياراته. وبعد زلزال بروسه، لايسمح له بالإقامة في عكا، بل في دمشق، وبعد أن

(1) قهوجي، حبيب : «استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة»، دمشق 1978، ط1، ص 155.

تزداد أهمية الرجل وتعتقد فرنسا أنه أصبح صديقها، ولظهور خلافاتها مع بريطانيا حول مصر، يقوم فردناند ديلسبس الفرنسي بإهدائه قطعة أرض على ضفاف قناة السويس لكن الأمير لايكترث بالهدية وأبعادها السياسية، وهو الذي كان قد جعل الإسكندرية خيارا معلنا له؟

ثم ها هو هذا الدور السياسي السري والعلني الذي لعبه الأمير في الشام، لدرجة أن الشوام اعتبروه ملكهم غير المتوج، بل وطلبوا إليه عام 1877 الانفصال بهم عن تركيا وتأسيس مملكة عربية مستقلة.

هل كل ذلك لايمكن بناؤه على علاقات الأمير بأهل الشام وعموم المشرق ومعرفته بالحالة السياسية والاجتماعية معرفة دقيقة أثناء رحلته إلى الحج مع والده قبل الاحتلال الفرنسى ولقاءاته مع العديد من شخصيات المشرق العربي الهامة سياسيا وثقافيا في مصر والشام والعراق.؟

ثم لماذا عدلت الحركة الصهيونية بعد وجود الجزائريين في فلسطين عن خطتها في أن يكون يهود البربر رأس الحربة في الاستيطان الصهيوني بفلسطين، كما قال بذلك هرتزل في كتابه الدولة اليهودية؟

من وجهة نظري أن الأسباب الدينية لاتكفي وحدها لأن تكون دافعا نهائيا لاختيار الأمير منطقة شامية[1] ومدينة فلسطينية بالذات لتكون منفاه فقد كان بإمكانه اختيار الحجاز مثلا أو حتى القدس؟! وعليّ أيضا أن ألاحظ هنا متسائلا : هل هي الصدفة التي جعلت شيخ الطريقة الشاذلية التي يتبعها الأمير يهاجر في خمسينات القرن التاسع عشر من تونس إلى عكا بالذات؟ وتبدأ هذه المدينة تضيف إلى صفاتها الحربية والتجارية صفة دينية تصوفية..

(1) هناك عدة كتب تناولت فضائل الشام في الأحاديث النبوية الشريفة.

إن السؤال لم يزل مطروحا لماذا اختار الأمير عبد القادر الشام في الوقت الذي بدأت تغلي فيه بحركة القومية العربية المعاصرة ؟ فالأسباب الاقتصادية منعدمة لأن الشام كان في أسوإ أحواله الاقتصادية خلال تلك الحقبة، والأمن مفقود فيه، وحكومة الاستانة تشدد قبضتها عليه بعد أن أيد أهله انضمامهم إلى محمد علي في مصر الذي لم ينسحب جيشه عام 1840 إلا بتدخل وضغط شديد من الدول الأوروبية وخاصة بريطانيا.

ويقول بحث متخصص في الحالة الاقتصادية لمدينة دمشق حاضرة الشام في تلك الفترة :

«وكما تأثر اقتصاد دمشق بمنافسة البضائع الأجنبية، فقد تأثرت الزراعة أيضا وتناقص عدد السكان، والأغذية حول المدينة بسبب التجارة الخارجية، وكانت سابقا لاتتأثر بالاضطرابات»[1].

ويقول في موضع آخر:

«كانت المحاصيل تزرع للغذاء العادي لدى الفلاحين، وكان غذاء الفلاح من محاصيله الزراعية، كالقمع والعدس، والشعير، والبرغل مع اللبن. أما اللحوم والحلوى فلا تؤكل إلا في المناسبات والأعياد. أما الملابس فكانت من الصوف والشعر والجلد»[2].

وفي الواقع فإن سياسة التتجير، وتحويل اقتصاد الشام من تصنيع منتجاته الأولية إلى تصديرها على يد العثمانيين أنفسهم والدول الغربية قد حطم البساتين وخاصة بساتين التوت التي ضربت صناعة الحرير لصالح الحرير الليوني، ومن ثم زراعة وصناعة القطن لصالح مصانع مانشستر

---

(1) ياغة نايف : «الحياة الاقتصادية في مدينة دمشق في منتصف القرن التاسع عشر»، دمشق 1995، ط1، ص 128.

(2) نفسه، ص 35.

وزراعة القمح وغيرها من المحاصيل، وتشديد القبضة التركية، وضرب اقتصاد البوادي وإفناء المواشي وتحطيم الغابات، والتجنيد الإجباري العشوائي الذي أفرغ البلاد من شبابها المنتج، كل ذلك جعل الحياة الاقتصادية - فضلا عن السياسية - جحيما لايطاق، إذ يقول باحث آخر عن حياة الناس في حوران وفلسطين :

«أجمع الرحالة على ذكر شظف العيش عند هؤلاء الناس وقناعتهم في شؤون المأكل والمشرب وقالوا : أن أغنياءهم يعيشون عيش فقرائهم، فلا يتجلى ثراؤهم إلا عند استقبالهم الضيوف ولاريب أن مستوى العيش بالنسبة للشيخ متميز على مستوى سائر الفلاحين بسبب مايرده من خيرات ومستلزمات حياته، بينما كان الفلاحون في مرتبة أدنى إلى جانب من التواضع والتبعية، والحق أن Burchardr قد وصف هؤلاء الفلاحين قبل Delbt بنصف قرن، فكانوا أتعس حظا واقتصروا على وجبتين من الطعام في كل يوم، وتناولوا خبز الشعير أكثر من خبر القمح، ولم يكن نصيبهم من اللحوم إلا مرة واحدة أو مرتين في العام».

ولاشك أن الأمير عبد القادر كان مطلعا على هذه الأوضاع على الأقل منذ أن زار المنطقة للحج ومكث فيها مدة عامين قبل الاحتلال الفرنسي لذلك فإن السبب الاقتصادي لاختيار الأمير هذه المنطقة غير وارد إطلاقا.

ثانيا: الموجات، المواقف الرسمية والشبعبية، الأعداد والسكن

توطئة :

نعتقد أن من المهم لتاريخنا السياسي والثقافي والاجتماعي رصد وتتبع موجات المهجرين الجزائريين إلى بلاد الشام التي بدأت منذ عام 1847 وذلك للإجابة على مجموعة من الأسئلة التي يثيرها تتابع هذه الموجات، بعد أن أجبنا على أسئلة الأسباب والمواقف التي أثارها قرار الهجرة قبل أن يغادروا أرض الوطن.

وهنا محاولة منا لتتبع هذه الموجات ودفعاتها، فمن أي مناطق الوطن جاءوا وكيف، ومتى وصلوا وكم كان عددهم، كيف استقبلوا وأين سكنوا. ثم ما هي مستجدات المواقف بعد أن صارت الهجرة أمرا واقعا، ما الذي تبدل في المواقف وما الذي لم يتبدل؟ وغير ذلك من أسئلة لا أزعم أني أجبت عليها تفصيلا، ولكني واثق أنها إجابة أحاطت بالموضوع بقدر لايخلو من فائدة للقارئ. ومن الموجة الأولى نبدأ :

أ- الموجات :

1- موجة التهجير الأولى 186-1847:

بعد استئمانه للحاكم العسكري الفرنسي في سور الغزلان، رحل أحمد بن سالم خليفة الأمير عبد القادر، بحرا إلى بيروت ووجهته دمشق، ومعه حوالي خمسمائة نفر من أتباعه وعياله من بينهم شيخ الزاوية الرحمانية «المهدي السكلاوي» والمبارك الطيب، وتشهد الباخرة قبل أن تلقي مرساتها في ميناء بيروت حدثا بسيطا لكنه بالغ الدلالة للأجيال الجزائرية

القادمة، فقد ولد على ظهر تلك الباخرة الفرنسية، في ميناء بيروت العربية الفينيقية طفل جزائري للشيخ المبارك نفسه.

وتصل المجموعة دمشق، فلا نملك غير ضبط عواطفنا التي تتأجج ونحن نرى دمشق كلها تستقبلهم كأخوة أبطال وليس «كلاجئين يستحقون الشفقة »، وندهش من معرفة الدمشقيين بالشيخ المبارك إذ يقول البيطار الذي عايش الحدث: «وخرج لملاقاته جملة من أشراف البلدة وعلمائها وتجارها وعظمائها»[1].

والسؤال الذي يطرحه هذا الاستقبال، وليس بين أيدينا إجابة موثقة عنه، هو: هل كان هناك ثمة تنسيق مسبق بين الأمير أو بن سالم والقيادات الشعبية في دمشق؟! وفي كل الأحوال فإن هذا الاستقبال الرائع لايكاد يذكر أمام الاستقبال الأسطوري الذي حظي به الأمير بعد ذلك عام 1856، مما يؤكد أن اختيار الشام لم يكن عملا غير مدروس ومع أهل حاضرته دمشق بالذات.

ولم تلبث هذه المجموعة إلا أياما حتى قدمت عريضة إلى الوالي العثماني في دمشق، وبدراسة هذه العريضة يتبين لنا الآتي :

1- أن بن سالم لم يصطحب معه أفراد عائلته وحاشيته فقط حيث ظهرت تواقيع على هذه العريضة ينتمي أصحابها لعائلات في شرقي الجزائر وغربها، مثل عماره، اعراب، الوغليسى، العيساوي، الصغير، الطيب، بل أقرباء الأمير «فريحة»، وقد عرضت هذه الوثيقة على بعض جزائريي دمشق فعرف بعضهم اسم جد أبيه، أو لايدل هذا على أن الأمير رتب اتصال ابن سالم مع محمد علي أصلا.. سؤال يحتاج إلى توثيق إجابته.

(1) البيطار، الشيخ عبد الرزاق : «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر»، بيروت 1949، ط2، ج3، ص1372.

2- إن الضرورة ألجأتهم إلى الهجرة بسبب دخول فرنسا للجزائر أي أنهم يعلنون هجرة سياسية إجبارية إذ تقول الوثيقة [فبهذه الدخلة ألجأتنا الضرورة إلى المهاجرة من بلادنا][1].

3- إنهم على خصام مع فرسا إلى الأبد، هم وذراريهم ولايقبلون أية حماية أجنبية، ومن ادعى ذلك من ذراريهم أو منهم فلا يقبل منه ذلك الادعاء، وإن ولاءهم للدولة العثمانية، إذ تقول الوثيقة:

«نحن وأولادنا وذرياتنا الذين يتولدون من الآن وصاعد (...) فهم من تبعية ورعية الدولة العلية الأبدية الدوام ولانبرح من تحت ظلها إلى المنتهى وقد اتفقنا واتحدنا جميعا من صميم القلب على هذه الكيفية المشروحة حتى إذا حصل أو من أحد مأمورين (...) الدول الأجنبية مما ذكر منه فلا اعتبار له قطعا وأصلا مطلقا وبمقتضى حقوق الملل فالشخص الذي يحصل عليه أو منه ادعاء بالحماية لمعاير الدول الأجنبية فلا يقبل منه قط بل يبقى تحت تبوعية السلطة السنية».

4- إنهم يريدون مبادرة معاشهم بأنفسهم دون الاعتماد على أحد فيطلبون منحهم محلات وأراض لزراعتها إذ تقول الوثيقة :

[فيرجوا ويتضرعوا (...) عبيدكم من مراحم وألطاف دولتكم تترحموا (...) بأحوالنا وتكرموا (...) علينا بترتيب واحالة بعض محلات لايقة ومناسبة لاقامتنا في حوالي الشام لأجل مبادرة وتعاطي إدارة معاشنا بالفلاحة والزراعة كما هو مألوفنا القديم : مثلما هو حصل معامله ومساعدة بحق أمثالنا المهاجرين].

وخلال ذلك سكن الجزائريون في منطقة الخيضرية والحيواطية والسويقة من منطقة الميدان في دمشق، إلى أن استجابت الدولة العثمانية

(1) انظر صورة الوثيقة.

ومنحتهم «بسرعة مثالية» أراض زراعية في مناطق حوران جنوب دمشق وفي غوطتها واللاذقية وحلب والجليل الفلسطيني.

لكن السؤال الذي يحتاج إلى إجابة دقيقة هو: لماذا يصر أحمد بن سالم أن تكون ممتلكاته في صفد / الباب البري لعكا/ ؟

ومنذ وصولها بدأت هذه المجموعة بقيادة بن سالم، السكلاوي، المبارك تبشر بقرب وصول الامير عبد القادر إلى الشام، وتشن حربا اعلامية قوية ضد فرنسا، وتتقرب بقوة من جمهور الشام وقياداته، حتى تحوّل والي دمشق «أحمد عزة» إلى مريد من مريدي السكلاوي الذي تنبأ له بالشهادة. وكذلك يسافر على الفور الشيخ محمد بن عبد الله الخالدي (خليفة الأمير في مجانه) إلى الحجاز وعسير حيث قبائل حرب ورجال الطريقة السنوسية، ولايغادر الحجاز إلا عام 1852 حين وصل الأمير إلى بروسة، وفي عام 1864 يحج الأمير فتقدم له قبيلة حرب المعادية للأتراك ما يكفي من علامات الولاء.!!

وفي نفس عام 1852 يصل إلى عكا من تونس شيخ الطريقة الشاذلية لتظهر في فلسطين طريقة صوفية ذات محتوى عربي عميق ومستتر بجانب الطريقة البكرية- الخلوتية التي ينشرها المهدي السكلاوي في دمشق، وهما طريقتان لاتحظيان بدعم السلطات التركية العثمانية كما تحظى به الطريقة النقشبندية مثلا. إن أحدا حتى الآن. لم يكتب بحثا جديا عن الصراع العربي - الطوراني داخل الطرق الصوفية، في المشرق العربي خلال القرن التاسع عشر»، وعن موقع الصوفيين الجزائريين والمغاربة في هذا الصراع، ولماذا كانت طرقهم تستقطب عامة الجمهور إلى زواياهم كزاوية المغاربة في القدس وفي الخليل وفي غزة.. ومن المؤكد أن البحث العلمي في تفاصيل تاريخنا مشرقا ومغربا يحتاج إلى دراسة هذا الصراع

الخفي والقوي في آن واحد، فحتى الآن مثلا لم تكشف الأسباب الحقيقية لمقتل الصوفي الشهير محي الدين العربي في دمشق، ذلك الصوفي الذي يكنّ له الأمير عبد القادر واسع الاحترام.

وفي نفس العام 1852 يصل الأمير إلى تركيا قادما من سجنه في أمبواز فيلتحق به على الفور في زيارة لم يذكر عنها الكثير كل من أحمد بن سالم، ومحمد الخروبي القلعي، ومحمد بن عبد الله الخالدي، ويعودون إلى دمشق لايكادون يغادرونها، وما أن يصل الأمير دمشق عام 1856 (حسب تشرشل) حتى يعين قاضيا للمهجرين الجزائريين[1]. كإشارة تكفي لنوايا الابتعاد عن الإدارة العثمانية بل إننا نرى نشاطا لهذه المجموعة في الاتصال بالجزائر والطلب إلى رجالاتهم هناك الالتحاق بهم في الشام.

إذ يقول د. عمار هلال أن أحمد بن سالم وجه من دمشق نداء:

[إلى سكان مدينة دلس وضواحيها ليلتحقوا به في منفاه فاستجاب له حوالي 80شخصا ونزلوا في بيروت سنة 1853][2]. فهل كان هذا النداء بعيدا عن رأي الأمير الموجود في بروسه منذ 1852. بل نجد في وقت لاحق أن الأمير عبد القادر نفسه يكتب - خاصة بعد ثورة المقراني -1871 لحكام تونس بأن يهتموا بالمهاجرين الجزائريين أو أن يلحقوهم به في الشام.

وفي مطلع عام 1860 يذهب «سرا» محمد بن عبد الله الخالدي خليفة الأمير في مجانة (ولاية برج بوعريريج قرب سطيف الآن) الذي ولد في جبل هلال[3]. من سلسلة جبال متنّان إلى عرشه وادي البردي التابع في

(1) وصل الشيخ نور الدين اليشرطي إلى عكا سنة 1852 وتوفي فيها سنة 1898 م / 1316هـ حسب الموسوعة الفلسطينية ج 2 ص 384 القسم الأول.

(2) تولى المنصب مصطفي التهامى ثم محمد بن عبد الله الخالدي ثم ولده محمد الخالدي.

(3) هلال، د. عمار : الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847-1918. الجزائر 1969،ط1، ص 37.

ذلك الوقت لسور الغزلان وليقنع عددا من قبائل هذا العرش المحيطين بقبة سيدي خالد بالالتحاق بالشام، فتغادر الجزائر في شهر ماي أيار 1860 باخرة تحمل أعدادا من قبيلته «أولاد سيدي خالد» و «العميرات» و«سيدي عيسى» وقبل أن يغادروا دمشق إلى سنجق عكا، كانت سيوفهم وبنادقهم مع الأمير عبد القادر تحمي المسيحيين من الفتنة التي دبرتها تركيا والدول الأوروبية في جويليه تموز 1860 ولتبدأ المحاولة الأولى لتكوين جيش جزائري في المشرق كما سنتحدث في بحث آخر.

وكانت الجزائر قد شهدت عدة انتفاضات شعبية بعد استئمان الأمير لفرنسا، كثورة لالا فاطمة، وبو بغلة، والأغواطي وغيرها[1] من الانتفاضات التي شهدتها في الفترة 1847 - 1860، وقمعتها فرنسا بوحشية بالغة، فكانت سببا في تدفق هجرات إلى تونس فالمشرق التحاقا بالأمير عبد القادر..

2- موجة التهجير الثانية 1860-1883:

مع وصول قبائل عرش وادي البردي عام 1860 إلى الشام ومشاركتهم مع غيرهم من الجزائريين الذين سبقوهم، في حماية النصارى وتوجه السلطات العثمانية المحلية لتشكيل قوة عسكرية منهم يقودها الأمير، بدأت قضية المهجرين الجزائريين تطرح نفسها على كل من تركيا وفرنسا كقضية سياسية لابد من التعامل معها على عدة مستويات ومن مختلف الزوايا، وهكذا رفضت سلطات استانبول المركزية بدسيسة من قنصل فرنسا اقتراح السلطة المحلية بتكوين قوة عسكرية بقيادة الأمير، الذي طلب إليه وإلى دمشق الجديد تسليم سلاحه فرفض معتمدا على نقطتين أولاها عدم إساءته استخدام هذا السلاح وثانيتهما نفوذه ونفوذ رجاله المتزايد.

(1) انظر ترجمته في أعلام الجزائر وفي حلية البشر.

ويقول د. عمار هلال:

«بتكاثر المهاجرين الجزائريين في سورية قوي نفوذهم وأصبح لهم تأثير هام في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، خاصة منذ سنة 1860، فهو الشيء الذي أقلق كثيرا الحكومة الفرنسية من جهة وجعل الحكومة العثمانية تتساءل عن مصير الهجرة والهجرة الجزائرية مبدية في كثير من الأحيان عدم ارتياحها أمام تزايد أعداد المغاربة في سورية من جهة أخرى[1].

لقد تدخل الأمير لحماية المسيحيين عام 1860 بألف رجل، وكان بقاؤهم في دمشق يعني لكل من تركيا وفرنسا أن الرجل مسيطر لا محالة على بلاد الشام، فقد أصبح ملكها غير المتوج إذ التف حوله رجالها وعوامها بكل أديانهم وطوائفهم وفئاتهم.. في حالة من وحدة القومية العربية النموذجية، التي لم تكن أي من هاتين الدولتين ترغب في وجودها. ويبدو أن تركيا اختارت أهون الشرين وسمحت بتواجد مكثف للجزائريين في ريف عكا، دون المدينة نفسها، فأبعدتهم بذلك عن دمشق فمنذ عام 1860 بدأ يظهر مايسمى بقرى المغاربة وهي : في لواء الجليل الأعلى / صفد - أكراد الخيط. قرى: ديشوم، عموقه، الحسينية، التليل، ماروس. ويلاحظ أن سكانها من مجموعة أحمد بن سالم من دلس والبليدة وتقزيرت. وتكاد تكون هذه القرى مغلقة على الجزائريين وإن سكن بعضهم قرى أخرى في المنطقة مثل علما، الجاعونة، دلاتا، وفي لواء الجليل الأدنى / طبريا - الشفا، قرى : عولم، معذر، كفرسبت، شعاره، ويلاحظ أن الغالبية العظمى من سكانها هم قبائل عرش وادي البردي الذين أشرنا إليهم وأولاد سيدي عيسى وأولاد يونس من منطقة حمزة التي تمتد بين سور الغزلان والبويرة

(1) هلال، د. عمار : مصدر سابق، ص 113.

شاملة عين بسام وبئر غبالو. وفي وقت لاحق سكن الجزائريون سمخ وطبرية نفسها فضلا عن صفد، كما ظهرت في حيفا قرية هوشه، وسكنوا مدنا وقرى أخرى في القدس والناصرة.

وأي دارس للفكر العسكري للأمير عبد القادر يمكنه أن يدرك أن الأمير سيطر على وسط بلاد الشام من دمشق حتى ميناء عكا وبما تحويه من مصادر المياه في بحيرتي الحولة وطبريا ونهري الأردن واليرموك.

وكان ثمة امتداد آخر ما بين حلب واللاذقية، فلا تزال بعض العائلات الجزائرية تسكن منذ ذلك الوقت مناطق حمص وحماه وحلب واللاذقية.

وفي هذه الفترة بالذات 1860-1882 تشهد المنطقة 3 أحداث أخرى نجد للأمير عبد القادر فيها صلة:

1- في 1863 يجري تصادم بين رجال الأمير في التليل / صفد وبين الصندوق البريطاني الصهيوني لاكتشاف فلسطين الذي حاول بناء أول مستوطنة، وتكون نتيجة هذا التصادم استشهاد ثلاثة جزائريين، ويتدخل الأمير ويفشل الصهاينة في بناء مستوطنتهم الأولى في فسطين/ منطقة عكا.. إلى أن يعاودوا الكرة في منطقة يافا فينجحون. ولعل هذا يثير شهية الباحثين لمعرفة مدى وعي الأمير بأبعاد الخطط الصهيونية آنذاك، والتي لم تكن قررت رسميا استيطان فلسطين.

2- في نفس الفترة ينجح الجزائريون في هذه القرى في وقف حال الاقتتال الداخلي بين الأرياف والبدو في شمال فلسطين هذه الحالة التي تعرف بالغزو، وتقدر الدولة العثمانية ظاهريا للأمير صنيعه هذاء، لكنها تكيد له باطنيا، ويعزو باحث أمريكي نجاح رجال الأمير في إنهاء عادة الغزو إلى أن قراهم كانت كالقلاع.

3- قام عرب الشام عام 1877 بمبايعة سرية للأمير عبد القادر ليكون ملكا عليهم وينفصل بهم عن تركيا ويؤسس مملكة مستقلة فيبدأ برحلة إلى لبنان وفلسطين تحت ستار زيارة قرى الجزائريين[1] ويبني مقرا له في قرية عولم القريبة من طبرية والناصرة، ظل يعرفه سكان قرية عولم حتى 1948 باسم قصر الأمير.

وفي هذه الفترة نشهد تحركات واسعة للأمير عبد القادر سواء لجهة استقبال دفعات من المهجرين الجزائريين أو لجهة رحلات إلى الحجاز ومصر وبريطانيا وفرنسا. وتنتهي هذه الموجة من المهجرين الجزائريين بوفاة الأمير عبد القادر 1882م.

ولعل الحدث الأبرز الذي شهدته الجزائر في هذه الفترة وزاد عدد المهجرين الجزائريين وميز نوعيتهم هو ثورة المقراني 1871 حيث دمرت فرنسا تدميرا واسعا البلدات والقرى والمداشر والدواوير في جبال جرجرة والصحراء ومنها مافعله الجنرال لالماند من «تدمير وحرق جميع القرى التي يمر بها ومنها أولاد اينتان تيزي أولاد بوعلي، وتالاميمون»[2]، وقد دمر جنرالات وضباط آخرون: جمعه ساريح، فراوسن، اسياخن، مقله، ايراثن، عيسي، تاكسفت، دلس، وبني جعد، وبني سليمان، صدوق، بني خلفون، بني معاند، أولاد مقران»، أولاد العزيز، بني يعلا، الأصنام، العجيبة، مشداله، ايت يحلف، الشرفا، أولاد زيان، تيغيرلت، تاوريت، وسيدي رحمون، والأخضرية، وفورناسيونال، وغيرها كثير.. لذلك فإن نوعية المهجرين في هذه المرحلة تختلف عن نوعيتهم في الموجة الأولى التي كانت تتصف بأنها هجرة مثقفين علماء، فهذه هجرة فلاحين وجنود

---

(1) الصلح، عادل: سطور من الرسالة، تاريخ حركة استقلالية قامت في المشرق العربي سنة 1877، بيروت 1966 ؛ ط 1 ، ص 102.

(2) أوصديق، الطاهر: ثورة 1871 - ترجمة جباح مسعود/ الجزائر 1989 ص 105.

مقاتلين لذلك نجد اليوم في الشام عائلات جزائرية من هذه المناطق، مثل عائلة ساريح، خليفاوي، شرفاوي، يعقوبي، إلخ.

كما شهدت جزيرة كاليدونيا قدوم عدد من العائلات الجزائرية التي نفتها فرنسا لمشاركتها في ثورة المقراني 1871، وأهملتها الإدارة الفرانكوفونية في الجزائر بعد الاستقلال إهمالا يثير الشبهة.

3- موجة التهجير الثالثة 1883-1900 :

كانت فرنسا تواصل في الجزائر حملتها لإبادة الدواوير والعروش وتهجير السكان ودفعهم إلى الجبال، وكانت القرى السياسية والعسكرية الفرنسية مختلفة حول تهجيرهم إلى المشرق العربي، نظرا لنشاط الموجات السابقة المعادي لفرنسا في المشرق، وقد طرح في هذه الفترة الخلاف بين فرنسا وتركيا حول جنسية الجزائريين. فوجدنا أن هؤلاء المهجرين يحمل بعضهم أوراق سفر رسمية وبعضهم لا يحمل.

ويقول د. عمار هلال :

«ويلاحظ هنا أن هؤلاء الجزائريين الذين نزلوا في ميناء بيروت في سنتي 1882-1884، والذين سينزلون في السنوات الآتية كانوا كلهم يسافرون بطريقة قانونية ولدى كل واحد منهم جواز سفر أو رخصة خروج تسلمها من الإدارة الفرنسية في الجزائر»[1].

كان هدف فرنسا من تسليم هذه الجوازات هو استعمال هولاء الجزائريين كحصان طروادة داخل الدولة العثمانية وبسط حمايتها عليهم حسب قانون الحماية الذي كان معمولا به، فهي في الجزائر تعاملهم كأجانب وفي الشام تعتبرهم من رعاياها.

---

(1) هلال، د. عمار: مصدر سابق، ص50.

لكن هؤلاء فوتوا الفرصة على فرنسا، إذ ما أن تطأ أقدامهم أراضي الشام حتى يعلنوا أنهم رعايا الدولة العثمانية ولا علاقة لهم بفرنسا.

وقد التحق عام 1886 بقريتي الحسينية والتليل 169 جزائريا وعام 1892 التحق بقرية هوشه 150 شخصا معظمهم من أولاد سيدي أرغيس (أم البواقي) وأما عائلات عريب وادريس وساسي وحميده التي هجرت سرا إلى تونس، فقد التحق منها عام 1894 حوالي 150 شخصا سكنوا قرية عولم.

وفي هذه الفترة بدأت تلوح في الأفق نوايا الإدارة الاستعمارية «التي كان بعضها ضد تهجير الجزائريين بغية استخدامهم كأيدي رخيصة وبعضها مع التهجير للتمكن من الأراضي»، نواياها في إدخال النظام البلدي إلى الجزائر، مما يترتب عنه تسجيل الجزائريين وأراضيهم وممتلكاتهم، فلمسنا ضغطا باتجاه ترحيل الفلاحين الذين تضرروا من حالة الجفاف والمجاعات المتعددة التي ألمت بالجزائر منذ عام 1848، فقد وصل إلى دمشق مطلع 1888 حوالي 116 شخصا، وتزايدت على مدى شهور ذلك العام أعداد المهجرين الجزائريين ويعرف هذا العام في الأوساط الشعبية الجزائرية خاصة في منطقة القبائل والشرق الجزائري بـ «عام الشام»، ويقول د. عمار هلال :

«ومهما يكن من أمر هجرة سنة 1888 لم تشمل فقط الأهالي الذين أذنت لهم الإدارة الفرنسية بالهجرة وإنما اتسعت لتشتمل كثيرا من الفلاحين الصغار الذين تضرروا كثيرا من القحط والجفاف وخاصة شرق البلاد»[1].

(1) نفسه، ص 53.

وهكذا ظهرت في الشام عائلات من منطقة المديه وجبل عمور وسطيف وعنابه وقسنطينة وخنشله والأوراس وسكيكدة ولازالت بعض العائلات تحمل اسم القسنطينى والأوراسي.. الخ.

وقد التقيت في حي السويقة بالحاج المعمر عمر سايغي الذي هاجر من تبسه وعمره 5 سنوات في عام 1895 وسألني كيف يمكنه أن يحصل على أوراق أبيه ليتمكن من ربط الصلة بين أولاده وأحفاده في دمشق وعائلتهم في تبسه، فنصحته بالكتابة إلى البلدية، وبعد حوالي شهر أخبرني أحد أحفاده أن البلدية أرسلت لهم نسخة من السجل المطلوب.

كما سلمني بعض الجزائريين في السويقة وغيرها صورا عن جوازات سفر أجدادهم تعود إلى هذه الفترة.

في هذه المرحلة وصلت عدة عائلات من عرش سلاوه في منطقة عين الزيتون/ أم البواقي إلى قرية هوشه/ حيفا عام 1890 ولايزالون يحتفظون بصور عن جوازات سفرهم الفرنسية.

وقد طرح موضوع الجنسية في هذه الفترة بالذات محاولة من فرنسا مد نفوذها، فقامت بعرض إغراءات واسعة بعد وفاة الأمير على أولاده، وفعلت تركيا الشيء نفسه، وقد انقسم أولاد الأمير وأولاد إخوانه وأقاربه بين فرنسي وعثماني..

4- موجة التهجير الرابعة 1900-1920 :

كانت فرنسا قد صادرت من الجزائريين خلال الفترة 1880-1900 ما مساحته 242000 هكتار من أجود أراضيهم وتركتهم دون مورد رزق غير الهجرة، ثم بدأت مع الدول الأوروبية من مطلع القرن العشرين تتهيأ جديا لخوض غمار الحرب ضد الرجل المريض وتصفيته واقتسام ممتلكاته، وكانت هذه الدول تخطط لخوض الحرب بأبناء الشعوب التي استعمرتها

تدفع بهم إلى اتون تلك الحرب الاستعمارية، وهكذا رتبت بريطانيا جيوشها في الهند وغير الهند، بل إن تركيا نفسها بدأت تجند العرب في المشرق العربي.

وأما فرنسا فبعد أن كانت قد أوجدت فرقة «الزواف» و «الصبايحية»، وأدخلت الجزائريين في قتال ضد بعضهم لتشق الوحدة الوطنية لهذا الشعب العريق فقد رأت أنه آن الأوان لفرض التجنيد الإجباري على الجزائريين لخدمة العلم الفرنسي والزج بهم في حرب ليس لهم فيها ناقة ولا جمل، ولم يمر هذا القانون دون اعتراض، بل ومقاومة خاصة بقيادة الشيخ محمد بن يلس في منطقة تلمسان وأخذ الجزائريون يلتحقون من جديد بالشام الحنون، وبالجزائريين والتونسيين الذين سبقوهم.

فقالت جريدة المقتبس في عددها رقم 11 ليوم الاثنين 28 كانون الأول / ديسمبر/ 1908 مانصه:

«بلغ عدد العائلات التي هاجرت إلى ولاية سورية بعد اعلان القانون الأساسي 145 عائلة منها 28 من المغاربة عدد نفوسها 130 وسترسل إلى حوران بعد عدة أيام».

ويعتقد البعض أن الجزائريين جبنوا عن الخدمة العسكرية لكن الحقيقة أنهم أرادوا القتال ضد أوروبا وليس معها وسرعان ما أعلنوا موقفهم هذا إذ تقول المقتبس:

«إن جماعة كبيرة من مهاجري تونس والجزائر أتوا إلى الولاية للاحتجاج على عصاة كريت يحملون محضرا كبيرا بأختام المهاجرين في هذه الحاضرة يقسمون الإيمانات المغلظة بأنهم على استعداد للزحف على العدو الذي يريد غصب حقوق دولتنا العثمانية، بمجرد صدور الأمر، ولا غرو، فهم عضو متين من أعضاء هذه الجامعة بارك الله فيهم»[1].

(1) المقتبس 28/ 12/ 1908.

وعلى أثر الزلزال الذي ضرب سور الغزلان عام 1910 وعدم إسعاف فرنسا المتضررين إسعافًا جديا، حدثت هجرة أخرى، وكانت تركيا قد غيرت موقفها من المهجرين الجزائريين نتيجة لنشاطهم القومي العربي، وتقول المقتبس في العدد 440 تاريخ 16 آب (أوت) 1910 :

«اتصل بنا أن اثني عشر ألف جزائري خرجوا من بلادهم قاصدين دمشق، فيا ليت شعري كيف تستقبلهم الحكومة وهي نراها قد ضاقت ذرعا بإعالة من لديها بإخوانهم الذين سبقوهم بالهجرة. وأخبرنا بعضهم أن عشرات من أصحاب الخانات طردوا المهاجرين من خاناتهم لأن الحكومة لم تدفع لهم الأجرة منذ شهرين فعساها تتدارك الأمر».

وأمام ذلك نجد أن الجزائريين في دمشق كما في استانبول أمسوا جميعة لاستقبال المهجرين من الجزائريين وبلدان المغرب العربى باسم «جمعية مهاجري شمال افريقيا»، برئاسة الأمير علي بن عبد القادر، وأصدرت صحيفة باسم «المهاجر» وهو ماستتحدث عنه في بحث خاص لكن يجب أن نذكر أن حركة القومية العربية وصحفها في ذلك الوقت - ومنها المقتبس - اقترحت إسكانهم في منطقة الدلي بحوران، إذ قالت المقتبس يوم 25 آب - أوت - 1910 بتوقيع أبو تمام :

«رأيت مهاجري الجزائر في دمشق يشكون ماحل بهم من الجوع وطول مدة إقامتهم بلا إسكان.. فلو أرسلت الحكومة المهاجرين من نزلاء دمشق إلى قرية يقال لها الدلي في تلك الأراضى المحلولة يعني في متن أرض «إزرع» وعلى ضفاف نهر الهرير الوحيد في لواء حوران الجاري على الأرض وخصصت لهم ما يواليها من تلك الأرض لا يمضي عليهم مدة قليلة حتى يستفيدوا ويفيدوا الدولة والوطن فوائد شتى».

وقد كانت الصحف القومية تتابع حركة التهجير من الجزائر وتونس في هذه الفترة متابعة تكاد تكون دقيقة[1].

وقد توقف بعض الكتاب الفرنسيين عند هجرة 1911 بقيادة الشيخ محمد بن يلس ليقولوا أنها نتاج هلع حقيقي أو وباء حقيقيي وكأن فرنسا لم يعتريها الهلع ويكتسح الوباء أخلاقها قبل ذلك وقد رد الدكتور أبو القاسم سعد الله على ذلك بقوله :

«ولكن المؤرخ الذي يتبع التاريخ الجزائري منذ سنة 1830 سوف لاتصدمه هذه الحوادث، كما صدمت ديمونتي، والحق أن موجات هجرة متواصلة، أو هلع، أو وباء أخلاقي قد حدث منذ سنة 1830.

ويضيف د. سعد الله :

والسبب الرئيس لهذا الهلع هو ملامح الحكم الفرنسي: إذ لم يكن تعاونيا ولا متقبلا للوضع الجزائري، بل كان قاسيا واضطهاديا، وهناك أسباب مختلفة للهجرة الجزائرية، قبل كل شيء كان هناك عدم الحرية، فمادام القانون كان يعتبر الجزائريين رعايا، فإن الفرنسيين لم يعترفوا بحقهم في التمتع بكامل الحرية المدنية والسياسية كمواطنين، وبالإضافة إلى ذلك فإن الملامح الاضطهادية للحكم الفرسي «قانون الأهالي» كان أسوأها، مع فقدان وسائل التعبير، قد جعلت الجزائريين يكتشفون بأنه لايمكنهم البقاء في وطنهم بأية حال»[2].

وقالت المقتبس بتاريخ 2 تشرين أول - اكتوبر - 1910 :

«أحسنت الحكومة بإعطاء 17 رأس بقر للمهاجرين الجزائريين ليستعينوا بها على فلاحة الأراضي التي خصصت لهم في قرية كفر ناسج في

(1) يمكن القول أن نتائج النشاط الثقافي للجزائريين قد بدأت تظهر فكان كتاب بعض الصحف من تلاميذهم.
(2) سعد الله، «الحركة الوطنية الجزائرية» بيروت 1969، ط 1، ص141.

لواء حوران، وقد رفعوا للحكومة عريضة يشكرونها على ذلك الاحسان».
ولأن أهل حوران حافظوا على عادات العرب قبل الاسلام الذين لم يختلطوا بالأجانب، حيث لم يمنعوا الاختلاط، دون أن يعتدوا على تعاليم الدين الاسلامي، فلم يعجب هذا الاختلاط المهجرين الجزائريين المتشددين عادة بخصوص المرأة، فما لبث أن غادر كثير منهم كفر ناسج واشتروا أراض في غوطة دمشق، لازالوا فيها حتى الآن وتعرف باسم نوله كما أخبرني بذلك الحاج أبو عمر.

وقد غادر الشيخ بن يلس.تلمسان على متن باخرة إذ يقول تلميذه الشيخ محمد الهاشمي في مذكرات له :

«الحمد لله في يوم الخميس 20 رمضان1329 الموافق 19 سبتمبر ايلول 1911 خرجنا من تلمسان مهاجرين، وأقمنا بطنجة شهر شوال بتمامه ننتظر البابور، ومنها بلغنا خبر هجوم إيطاليا على طرابلس الغرب خيب الله سعيها ونصر الاسلام عليها.. ويضيف : وفي 5 ديسمبر كانون أول وصولنا إلى مرسين، وكان إذ ذاك مضت 27 يوما من ذي الحجة، فحصل من هذا أننا مكثنا في السفر والاقامات شهرين وواحدا وعشرين يوما والسلام »[1].

ومنح الوالي العثماني الشيخ محمد بن يلس «زاوية الصمادية» المهملة منذ قرون وصارت مخزنا للتبن، لإعادتها إلى سابق عهدها كمدرسة دينية، وقد فعل بن يلس ذلك وبدأ هو وتلميذه يكتسبان مكانة اجتماعية ودينية، حتى اعتقدهما الناس، وشارك بن يلس في مقاومة فرنسا حين احتلت سورية عام 1920 ويقول تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري:

(1) الحافظ، محمد مطيع وزميله: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، تقديم د. شكري فيصل دمشق 1986، ط 1 الجزء الثاني ص 427 .

«هاجر إلى دمشق سنة1329هـ/ 1911م بعد مضايقات الفرنسيين.. ولما دخل الفرنسيون دمشق قارعهم وكان مرا عليهم رغم كبر سنه، فكان يقارعهم وهو فوق الثمانين، فألقوا القبض عليه وحبسوه في سجن القلعة.. توفي بدمشق سنة 1346هـ ودفن في مقبرة الباب الصغير»[1].

وقد توقفت الموجات الجزائرية المهجرة إلى المشرق العربي مع اندلاع الحرب العالمية الأولى.. لكن يجب أن نذكر أنه منذ وصول الجيش الفرنسي إلى دمشق واحتلالها عام 1920 وفي صفوفه أعداد من المجندين الجزائريين شهد هذا الجيش حالة واسعة من فرار هؤلاء الجزائريين والتحاقهم بالعائلات والقرى الجزائرية رافضين قتال إخوانهم العرب والمسلمين، وقد شارك هؤلاء في الثورة السورية الكبرى 1925-1927 ضد فرنساء وقدم الذين بقوا منهم في صفوف الجيش - ومن بينهم الضابط عطاف-[2] مساعدات هامة لهذه الثورة كما سنتحدث في بحث خاص.

ويجب علي القول هنا أن الشام استقبلت في هذه الفترة بحفاوة وترحيب أيضا مهجرين آخرين من المغرب العربي خصوصا من مراكش بعد الاحتلال الفرنسي وليبيا بعد الاحتلال الايطالي. وقد تعاون هؤلاء مع الجزائريين الذين سبقوهم، تعاونا وثيقا -كما ورد في كتاب الليبيون في سورية - وكان جميع هؤلاء المغاربة يقرون بقيادة أبناء الأمير عبد القادر لهم.. وإن كان بعض هؤلاء الأبناء والأحفاد لم يحسنوا القيادة في بعض الحالات.

ب- المواقف الرسمية والشعبية :

مع تزايد أعداد وموجات المهجرين الجزائريين إلى الشام، شاهدنا - وخاصة بعد وفاة الأمير عبد القادر- ما يمكن تسميته بإضطراب مواقف

(1) نفسه، الجزء الثاني ص 747.

(2) الجندي، أدهم : الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، دمشق 1960 ، ط 1 أورده في عدة صفحات.

كل من فرنسا والدولة العثمانية من هذه الموجات، تبعا لتكتيكات ومصالح هذه الدول، وحسب نشاط هؤلاء المهجرين وموقفهم السياسي. والموقف الوحيد الذي لم يتغير هو الموقف القومي العربي كما عبرت عنه الجماهير العريضة أو فئات المثقفين والصحفيين.

1- الموقف العثماني :

كان الموقف العثمانى من الجزائر منذ 1827 لايتسم ببعد النظر، سواء بموقفها من الداي حسين أو من الأمير عبد القادر، فبالإضافة إلى خشية الأستانة من بروز شخصية عربية قوية قد يتجمع العرب حولها (فإنه من الواضح أن ضعف الدولة العثمانية جعلها لاتستطيع أن تحقق أهدافها، فحروب محمد علي، وخضوعها للدول الأوروبية الكبرى، وضعف ساستها، وتفككها الداخلى، كل ذلك جعل موقفها من قضية الجزائر موقف المتردد الخائف»[1].

ويمكن القول أن هذا الموقف التركي المتردد الخائف قد استمر تجاه الأمير في المشرق العربي، فمن جهة كان السلطان عبد المجيد يغدق على الأمير ويظهر له كل الود، بينما كانت الحكومة تحصي عليه أنفاسه. ولعل هذه النقطة، نقطة اختلاف موقف السلطان عن حكومته من الأمير، أثرت في سلوك الأمير تجاه الطرفين، بل في مواقفه السياسية في المشرق العربي كقائد لحركة القومية العربية. وأعتقد أنها نقطة بحاجة إلى دراسة أكثر دقة من المختصين.

وما أن توفي الأمير حتى ظهرت قضية جنسية الجزائريين والموقف من المهجرين الجزائريين، وقدمت الدولة العثمانية إغراءات لأولاد الأمير، ولعائلته ليظلوا على جنسيتهم العثمانية. ويرفضوا عروض فرنسا ومن

(1) سعد الله، د. أبو القاسم: «أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر»، ص 339.

الذين رفضوا العرض الفرنسي وقبلوا العثماني ولده الأمير محي الدين إذ يقول عنه الفرفور:

«ولما توفي أبوه سنة 1300هـ أرادت فرنسا منحه ما كانت تعطي أباه على أن يكون هو وأخوته من رعيتها فامتنع، وجعل له السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد راتبا شهريا جيدا»[1].

أما أحمد شقيق الأمير فيقول عنه تاريخ علماء دمشق :

«انقسمت الأسرة إلى قسين: قسم بقي على أنه من تابعية فرنسا، وقسم أصبح في تابعية الدولة العثمانية، ورتبت كلتا الدولتين لمن كان على تابعيتهما الرواتب الكافية وكان المترجم - يقصد أحمد- ممن بقي على تابعية فرنسا التي عينت له ألف قرش أيضا مشاهرة ومنحتين في كل عام في عيدين تبلغ كل منحة نحوا من خمس وعشرين ليرة فرنسية »[2].

وهكذا أصرت الدولة العثمانية على المهجرين الجزائريين أن يعلنوا عن عثمانيتهم حتى لايشملهم نظام الحماية وبالتالي يكونون كحصان طروادة فرنسي في الجسم العثماني ويقول الدكتور عمار هلال :

«بوفاة الأمير فسح المجال واسعا أمام العثمانيين لبسط سلطانهم على المهاجرين الجزائريين في ولاياتهم»، خاصة أن الدولة العثمانية قد قررت أن تمنحهم نفس الامتيازات التي تمنحها للمهاجرين الآخرين غير المسلمين»[3].

وقد ظلت العثمانية على خلاف مع فرنسا في هذا الموضوع حتى القرن العشرين، رغم مسودة الاتفاق بينهما عام 1889 هذا الاتفاق،

(1) الفرفــور، د. محمد عبد اللطيف صالح : «أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري»، دمشق 1987 ط 1 ، ص 335.

(2) الحافظ، محمد مطيع وزميله: مصدر سابق 180 ص 194.

(3) هلال، د. عمار : مصدر سابق.

«الذي اشترط اعتبار جماعات اللاجئين التي غادرت الجزائر للإقامة في سورية مواطنين عثمانيين ماعدا أولئك الذين اختاروا الاحتفاظ بالجنسية الفرنسية، وعلى هؤلاء مغادرة الأراضي العثمانية في غضون فترة معينة، أما الذين قدموا بموجب جوازات سفر فرنسية يعتبرون فرنسيين إذا كانت جوازاتهم موقعة من السفارة الفرنسية، ولكن يحق لهم اكتساب الجنسية العثمانية والذين اختاروا الاحتفاظ بالجنسية الفرنسية فلا يحق لهم الزواج بنساء عثمانيات الجنسية والذي يخالف هذا الحظر يبعد خارج الأراضي العثمانية ويسمح له باصطحاب زوجته. وكل حامل للجنسية الفرنسية يطلب إليه مغادرة البلاد إذا ما أخل بالنظام العام»[1].

وفي الواقع أن كل الجزائريين الذين كانوا يصلون إلى الشام كانوا يعلنون - باستثناءات نادرة - عن عثمانيتهم، لذلك فإن الدولة العثمانية لم تكن تعترف بجوازات سفرهم الموقعة من الإدارة الفرنسية في الجزائر.. غير أن إبطاء الإدارة العثمانية بمنحهم أوراقا جديدة كان يشجع قناصل فرنسا على إعادتهم لفرنسا، كما فعل قنصلها في حيفا مما جعل السلطة العثمانية تتدخل بقوة.

«وفي الوقت الذي كانت فيه الترتيبات الأخيرة تتم لنقل أكثر من 198 مهاجرا جزائريا إلى وطنهم من ميناء حيفا بفلسطين، وذلك في سنة 1881، تدخلت السلطات العثمانية المحلية بأمر من نظيف باشا والي سورية ومنعتهم من الركوب على السفينة التي كانت تنتظرهم، مدعية أن هؤلاء المهاجرين الجزائريين، قد قبلوا شهادات جنسية عثمانية مقابل تنازل الحكومة لهم عن قطع أراض، التي لم يتحصلوا عليها

---

(1) دوغرامشي، د. أمل: الهجرة إلى سورية في أواخر القرن التاسع عشر، في كتاب المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلا الشام 1516-1939، دمشق 1978، ج1، ص287.

حتى الآن بسبب الاجراءات الإدارية المعقدة وبعضهم سيتحصلون عليها في المستقبل»[1].

ومن الواضح أن الإدارة العثمانية كانت تسوء مواقفها من الجزائريين بنفس المقدار الذي يسيطر الطورانيون على هذه الإدارة، وقد خفت استفادة هؤلاء المهجرين من معونات لجنة المهاجرين، هذه اللجنة التي ثبت في وقت لاحق أن فيها اختلاسات واسعة.

كما أن هذه الإدارة كانت تغير موقفها ليس فقط في طريقة استقبالها لهؤلاء المهجرين بل وفي طريقة التعامل معهم على أرضها، فمرة تستدعيهم إلى الخدمة العسكرية ومرة تعفيهم، ولعل آخر إعفاء كان في عام 1910 حيث كتبت المقتبس في عددها يوم 21 آب/ أوت 1910 ما نصه:

«تقرر أن يستثنى هذه المرة مهاجرو الجزائر من معاملة الزجريين في العسكرية». ولعل موقف الإدارة العثمانية من الأمير علي بن الأمير عبد القادر الذي منح لقب باشا «الذي لم يمنح لوالده» كان نائبا لرئيس البرلمان العثماني (مجلس المبعوثان) يلخص موقف هذه الدولة من المهجرين الجزائريين فحين كان يقاتل ضد الاحتلال الايطالي لليبيا عام 1911، وحين كان يخمد الفتن بين الدروز والحوارنة كانت تشكره «علنا» وتسلم ليبيا لايطاليا وتشعل الفتن «سرا» إلى أن اعتقلته ونفته عام 1915 وشنقت شقيقه الأمير عمر بن عبد القادر مع من شنقت من رجال حركة القومية العربية وكذلك موقفها من الشيخ طاهر الجزائري مؤسس الحركة العلمية الحديثة في الشام ومطاردتها له.

وبتاريخ الأول من كانون الأول / ديسمبر/ 1910 نشرت المقتبس الخبر التالي: «تم الوفاق بين الدولة وفرنسا على الرعاية العثمانية

(1) هلال، د. عمار: مصدر سابق.

للجزائريين المقيمين في بلاد الدولة بأن هذه الرعاية تشملهم». ويبدو أن هذا كان مقابل أن تتنازل الآستانة عن عثمانية الجزائر والجزائريين وتعترف بسيادة فرنسا على الجزائر وأهلها إذ كتبت نفس الجريدة في الخامس من نفس الشهر والعام:

«قالت الفيغارو أن الحكومة العثمانية اعترفت بتبعية أهل الجزائر لفرنسا».

وأمام تراجع موقف وممارسات الإدارة الطورانية في الدولة العثمانية من المهجرين الجزائريين والتونسيين والمراكشيين والليبيين واحتمالات تزايد أعدادها قام الجزائريون بدمشق بتأسيس جمعية برئاسة الأمير علي بن عبد القادر سميت جمعية مهاجري افريقية الشمالية كما أسس المقيمون منهم في استانبول جمعية مختصة بهم إذ قالت المقتبس في عددها 462: «اجتمع الجزائريون والتونسيون المقيمون في الآستانة وقرروا تأسيس جمعية مختصة بهم»[1] وسنفرد بحثا خاصا عن نشاطهم «الجمعوي» هذا وتكوينهم لمختلف أنواع الجمعيات في الشام.

وهكذا يتبين أن العقل السياسي للدولة العثمانية سواء لدى سلطانها «الباب العالي» الذي كان يعتبر نفسه خليفة المسلمين أو لدى رئيس حكومتها «الصدر الأعظم» ودخوله متاهة المناورات التي أصابته بالشلل وعدم القدرة على الرؤيا، لم يتمكن من معرفة حقيقة موقف المهجرين الجزائريين، وبالتالي موقف حركة القومية العربية كما حدده الأمير عبد القادر بأن لاتحالف مع الدولة العثمانية ضد العرب وأن لاتحالف مع الدول الأوروبية ضد العثمانية المسلمة، وكان الشد والجذب بين السلطان العثماني وحكومته الطورانية، ينعكس على هؤلاء المهجرين، فإن كان السلطان هو الأقوى كان الانعكاس ايجابيا، وإلا فسلبا.

---

(1) المقتبس عدد 462.

2- الموقف الفرنسي :

لم يكن الموقف الفونسي تجاه المهجرين الجزائريين أقل اضطرابا وترددا وخوفا من موقف الدولة العثمانية وإن كان لكل دولة أسبابها. فبعض المستوطنين الفرنسيين كان يرى فتح باب التهجير على مصراعيه ليتخلص من الجزائريين ويستولي على أرضهم، وبعضهم كان يرى اغلاقه أو تضييقه لاستخدام الجزائريين كأيدي رخيصة وأجراء في ذات الأرض التي انتزعت منهم وكانت الحكومة الفرنسية ترى خطرا في نشاط هؤلاء المهجرين ضدها في الشام الذي تخطط لاحتلاله» بل ترى خطرا في عودة هؤلاء إلى الجزائر نفسها إذ :

«اعتاد هؤلاء الجزائريون أن يشنوا خلال أحاديثهم واتصالاتهم، حملة مسمومة ضد السياسة الفرنسية في الجزائر، فصحافتهم اعتادت أن تصف فرسا بأنها أسوأ مضطهدة للجزائريين، فكانت هجوماتهم مركزة على القوانين الاستثنائية التي يقولون بأنها قد أحالت الجزائريين إلى عبيد وبؤساء..»[1].

وما أن توفي الأمير حتى فعلت فرنسا مافعلته تركيا من استمالة لأولاد الأمير وعائلته، فإذا كان أبناؤه مثل محي الدين ومحمد وعلي قد مال نحو تركيا فإن عبد المالك والهاشمي وعمر مالوا نحو فرنسا، وانتقل عبد المالك إلى مراكش (طنجة) ليحارب فرنسا في وقت لاحق ويعلن استقلال فاس، ولينتقل الهاشمي إلى الجزائر نفسها «بوسعادة» ليؤسس ولده خالد الحركة الوطنية الجزائرية الفرنسية وتشنق العثمانية عمرا لمشاركته في حركة القومية العربية ضدها، وبلغة أخرى أن اللعبة الفرسية كاللعبة العثمانية لم «تجز» على الجزائريين سواء أولاد الأمير أو غيرهم.

وظلت فرنسا سنوات طويلة تراوح بين التغاضي عن وصول الجزائريين الذي لم تترك لهم خيارا غير ترك بلدهم، إلى المشرق العربي، وبين منع

(1) سعد الله، د. أبو القاسم: مصدر سابق ص 149.

هذا الوصول ومطاردتهم حتى حين يصلوا إلى تونس أو غيرها من الأقطار المغربية وفي نيتهم مواصلة الرحلة. وأحيانا كانت تمنح للراغبين جوازات سفر وتحدد لهم فترة المغادرة. وكانت تسعى دائما للسيطرة على أراضي الجزائريين المهجرين سواء أذنت لهم أم لم تأذن فمثلا حين سمحت (في شهر ماي من عام 1860 بهجرة أولاد سيدي خالد وبني عمر وهم فرع من وادي البردي وهاجر هؤلاء إلى بلاد الشام تاركين وراءهم 2600 هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة[1] استولى عليها المعمرون.

ومع كل ذلك كان المهجرون الجزائريون في الشام يجدون الطرق للاتصال بالوطن سواء عبر المكاتبات التي لاتزال كثير من العائلات الجزائرية في الشام وفي الجزائر تحتفظ بها، وقد لعبت هذه الرسائل دورا هاما في تعريف أحفاد متبادليها على بعضهم البعض، خاصة بعد الاستقلال.

وكذلك عبر السياح وخاصة الحجاج منهم، ويبدو أن موسم الحج كان فرصة مثالية لالتقاء شخصيات مؤثرة، إذ نجد أن فرنسا حاولت أكثر من محاولة لمنع الجزائريين من أداء هذه الفريضة ولمدة طويلة.

والواقع أن اتصال المهجرين بالوطن لم ينقطع، فهم الذين أسسوا في سبعينيات القرن التاسع عشر «جمعية إيالة الجزائر المحمية» هدفها تزويد ثورة المقراني بالسلاح ، وكانوا يجدون الطريقة المناسبة لايصال السلاح والمال للمقراني، الذي أعلن في وقت من الأوقات أن له صلة بالأمير عبد القادر، وسيتكرر هذا الأمر من الجزائريين في الشام مع الثورة الجزائرية 1954-1962 [2].

(1) طرشون، نادية: مصدر سبق ص 26.

(2) أفردنا بحثا خاصا عن جمعيات الجزائريين في المشرق العربي.

ومن المواقف الفرنسية ضد المهجرين الجزائريين، منعهم من زيارة الجزائر ثانية، وقد طال ذلك شخصيات سياسية مثل الأمير علي وشخصيات فكرية مثل الشيخ طاهر الجزائري.

وبعد إلحاح سمحت السلطات الفرنسية الاستعمارية للأمير علي بزيارة سرية وقصيرة جدا للجزائر التقى فيها بابن أخيه الأمير خالد.

أما الشيخ طاهر الجزائري، فإنه على مايبدو زار مدينته بجاية دون علم السلطات الفرنسية التي لم تسمح له بمثل هذه الزيارة.

وطبعا فإن فرنسا التي تسعى في الشام لاعتبار الجزائريين من رعاياها، وتعتبرهم أغرابا في وطنهم، كانت تخشى تأثيرهم خاصة حين دخل الأمير محي الدين الجزائر خلسة ليلتحق بثورة المقراني[1].

ومنذ مطلع القرن العشرين ورغم التواجد الفرنسي الكثيف في لبنان بدأت تنتاب فرنسا مخاوف من أن السلطة العثمانية تسعى لاستقبال المهجرين الجزائريين الذين يصلون إلى ميناء بيروت بقصد الاخلال بالتركيبة السكانية من أغلبية مسيحية إلى إسلامية.

وقد كتب محمد طه الولي يقول :

«وقعت مضاعفات خارجية أدت إلى إلقاء بعض الظلال العارضة على توازن النسبة العادية بين السكان المسلمين وبين النصارى في بيروت، وهذه المضاعفات هي الأحداث العسكرية التي وقعت في شمال افريقيا.

إلى أن يقول:

فلقد اختار هؤلاء المغاربة المسلمون بلاد الشام دارا لهجرتهم واستقروا في دمشق حول زعيمهم الأمير عبد القادر الجزائري الذي اختار

(1) انظر انظر تفاصيل دخوله إلى الجزائر خلسة في كتاب حلية البشر.

هذه المدينة لاقامته في منفاه. غير أن عددا منهم أثر البقاء في بيروت إلى جانب إخوانهم المسلمين. وكما فعل النازحون الجزائريون فعل كذلك التونسيون من بعدهم وما تزال أسماء الجزائري والمغربي تطلق على العديد من العائلات البيروتية حتى اليوم[1].

3- الموقف الشعبي العربي :

ومقابل تقلبات الموقف العثماني الرسمي والموقف الفرنسي من المهجرين الجزائريين نجد الموقف الشعبي العربي هو الموقف الثابت والأصيل، فهو ضد أن يجبر الجزائريون على ترك بلادهم وضد أن لاتقدم لهم الدولة العثمانية أقصى ماتستطيعه من مساعدات حين وصولهم، وضد أن يعاملوا كغرباء في الشام.

وقد عبرت عن ذلك بوضوح كافة القوى الشعبية العربية عبر ما يتاح لها من قنوات للتعبير، وخاصة جريدة المقتبس الدمشقية والمفيد البيروتية وكذلك الحضارة التي تصدر في الآستانة[2].

وقد جاء في تاريخ علماء دمشق حول هؤلاء المهاجرين وموقف دمشق منهم :

«وقد سعدت دمشق بهجرة المغاربة إليها كما سعدت من قبل بهجرة بني قدامة المقادسة. وكان على رأس المغاربة الشيخ الأمير عبد القادر الجزائري الذي اهتم بالعلم والعلماء والتصوف والمتصوفة. وصحبه علماء كانوا معه، ولحق به آخرون في هجرة ثانية، فإذا بالمدينة المباركة

---

(1) الولي، محمد طه : «تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت» 1973، بيروت ط 1، ص 26.

(2) أسس المقتبس محمد كرد علي تلميذ الشيخ طاهر الجزا نري، وأسس المفيد عبد الغني العريسي من رجال الحركة القومية العربية وعلى علاقة بالشيخ طاهر الجزا نري، أما الحضارة فأسمسها عبد الحميد الز هراوي وكان مراسلها في الجزائر عمر بن قدور، وكلها كانت من صحف القومية العربية في الشام.

يسري فيها دم جديد، ويشتد فيها اشتعال جذوة الفكر.. لم يكونوا جسما غريبا يرفضه الجسم، بل صاروا عضوا لايمكن الاستغناء عنه، صاروا دمشقيين لهم ما لأهل دمشق، وعليهم ماعليهم[1].

ويقول صاحب كتاب منتخب التواريخ في ترجمته لـ «محمد السعيد بن محي الدين» شقيق الأمير : «وكان محل اعتقاد وإعزاز علماء دمشق حين هاجر إليها»[2]. ويقول عن أحمد بن محي الدين شقيق الأمير أيضا. «محبوبا عند الخاص والعام ألوفا متواضعا مقصودا لحل المشكلات وقضاء حوائج الناس»[3].

ومن حسن الحظ أننا لسنا بحاجة إلى أن نورد استشهادات عن الموقف الشعبي العربي من المهجرين الجزائريين إذ يكفي القول أن زعامات الشعب العربي في الشام بايعت الأمير عبد القادر عام 1977 ليكون ملكا على العرب وينفصل بهم عن تركيا ويقول عادل الصلح عن ذلك الاختيار :

«وقد اصطفاه أهل الديار الشامية دون أن يخطر لأحدهم أنه ليس من أهل المشرق، أن المشرقي أولى منه بهذه الولاية لأن النزعات الاقليمية لم يكن لها أي اعتبار في ذلك الزمن فكان ابن الجزائر و ابن دمشق وبغداد وبيروت وسائر بلاد العرب مواطنا عربيا قبل أي شيء آخر».[4]

ومن المعروف أن أهالي دمشق انتخبوا الأمير علي بن الأمير عبد القادر ليكون نائبهم في البرلمان العثماني، كما أنهم أطاعوا سعيد بن علي بن عبد القادر حين أعلن الحكومة العربية المستقلة عام1918 بعد انسحاب العثمانيين.

---

(1) الحافظ مع مطيع وزميله، مصدر سابق. ص 5.
(2) الحصني، محمد أديب تقي الدين : «منتخبات التواريخ لدمشق». بيروت 1974، ط1، ص 703.
(3) نفسه، ص 704.
(4) الصلح، عادل: مصدر سابق. ص 126.

وفي عام 1966 خرجت دمشق عن بكرة أبيها لتودع رفات الأمير عبد القادر[1]. كما كانت قد استقبلته عن بكرة أبيها عام 1856 حين قدم إليها، فقد ظل الموقف الشعبي العربى في الشام ثابتا لم يتغير رغم كل الدسائس السياسية للإدارة الطورانية وثم الاحتلال الفرنسي.

وعلى مستوى المعتقدات الشعبية فإن أكثر العائلات الدمشقية حتى منتصف القرن العشرين الميلادي كانت تتخذ لها رجل دين تكون كمريدة من مريديه، وكثيرا ما يكون الشيخ من الجزائريين، فمن الأمير عبد القادر نفسه إلى الشيخ محمد الهاشمي الذى توفي في الستينات مرورًا بالمهدي السكلاوي وبن يلس والطيب المبارك واليعقوبى والينيوي وغيرهم كثير ممن كانت العائلات الدمشقية تعتقدهم.. وكان تأثر الشعب بهم وتأثيرهم في الشعب قويا.

ويجب أن نذكر هنا أن الشعب العربي في سورية أو فسطين لم يعترض إطلاقا حين منحت الدولة العثمانية أراض للجزائريين، بينما اعترض بشدة على فتح أراض لليهود ولو بطريق البيع كما هو معروف، كما أن اللاجئين الأوروبيين من شركس وأرناؤوط لم يتمكنوا من التأثير في المجتمع وأما الأرمن فظلوا على بعد منه، وإن كان هذا المجتمع قد منحهم حق الضيافة بسخاء.

وحين أسس الجزائريون جميعاتهم الخيرية منها أو السياسية لصالح أبناء المغرب العربي كان الشوام من أوائل المتبرعين والمساندين لهذه الجمعيات.

وكذلك يجب أن نذكر هنا أنه إذا كان الشوام قد ارتضوا أن يكون الشيخ «تاج الدين الحسني» المغربى الأصل أول رئيس للجمهورية السورية، فإن الحكومات السورية المتعاقبة لم تكن تخلو من وزير من أصل جزائري

(1) انظر وصف هذا التوديع في الصحف السورية.

مثل محمد المبارك وأسعد العربي الدرقاوي وعبد الرحمن خليفاوي الذي شغل منصب رئاسة الوزراء مرتين كما شغل عدد منهم مناصب المحافظين «ولاة» ومناصب رفيعة أخرى، سفراء، مديرين عامين.

وقد خصص عدد من الباحثين السوريين واللبنانيين كتبا عن الجزائريين مثل:

1- سطور من الرسالة / تاريخ حركة استقلالية قامت في المشرق العربي سنة 1877 / لعادل الصلح.
2- تنوير البصائر في سيرة الشيخ طاهر/ لمحمد سعيد الباني طبع عام 1920.
3- الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلا الشام وأعلام من مدرسته / للدكتور عدنان الخطيب.
4- جهاد نصف قرن لسمو الأمير سعيد الجزائري/ أنور الرفاعي.
5- الأمير عز الدين الجزائري/ الذي أصدره المؤتمر السوري 1928.
6- صفحات مشرقات وظلال وارفات من حياة العلامة الشيخ إبراهيم اليعقوبي/ لمحمد عبد اللطيف الفرفور.

وليس هناك كتاب في التراجم والسير مثل حلية البشر، روض البشر، الاعلام، علماء دمشق، أعلام دمشق، معجم المؤلفين، أعيان دمشق، أو في التاريخ مثل منتخبات التواريخ لدمشق تاريخ سورية، تاريخ الثورات السورية، الحرب العالمية الأولى، تاريخ الثورة العربية الكبرى، أو أي كتاب صدر في سورية منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى الآن ويتناول الحالة السياسية أو الثقافية، إلا ويذكر هذا الجزائري أو ذاك في مجال من

مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والنضالية. ويسجل كل الكتاب كما المواطنين الاعتياديين جزائرية هؤلاء المهجرين، لكن دون أن يقول أحد أنهم غرباء.

وللأسف فإن الإدارة الفرانكوفونية في الجزائر بعد الاستقلال لم تحاول الاستفادة من هذه المكانة المتميزة لهؤلاء، بل وقفت موقفا سلبيا ومشبوها من الأمة العربية جميعا وليس من هولاء فحسب.

ج- الأعداد والسكن:

أسكن الجزائريون وبترتيب من لجنة المهاجرين التابعة للسلطة العثمانية مدينة دمشق في بادئ الأمر، في أحياء مثل السويقة، (حي المغاربة التاريخي) والحيواطية، والخيضرية، وغيرها من المناطق إلى أن تم توزيع الأراضي عليهم في غوطة دمشق نفسها وفي حوران جنوب سورية الحالية والجليل شمال فلسطين، بل في مناطق أخرى مثل القدس ونابلس وحيفا والخليل وحلب وحماه وحمص واللاذقية، ومع وصول الأمير في عام 1856 ظهر حي العمارة الراقي كسكن للأمير وحاشيته، وبدأ الأمير يشتري ضياعا في أنحاء متفرقة من الشام إضافة إلى ما تمنحه إياه الدولة العثمانية فيمنحها بدوره للجزائريين، ولم يكن يتشدد عليهم في تزويده بحصة من الانتاج، كما فعل أولاده وأحفاده من بعده ويمكن رصد المناطق التالية التي سكنها الجزائريون:

1- دمشق والغوطة:

سكن الجزائريون في مدينة دمشق أحياء : السويقة، الحيواطية، باب سريجة، سوق ساروجة، الشاغور، العمارة ولازال بعضهم فيها حتى الآن.

أما قرى الغوطة فكان بعضها أو جزء منها ملكا شخصيا للأمير عبد القادر، إما بالشراء المباشر أو منحتها له الحكومة العثمانية كما منحت المهجرين أتباعه مثل قرى قرحتا وحوش بلاس ودير العصافير وغيرها، وقد بيعت معظم هذه الأملاك من قبل ورثة الأمير عبد القادر ولازال في بعضها عائلات جزائرية حتى الآن.

أما القرى التي سكنها المهاجرون الجزائريون في غوطة دمشق ولم يكن للأمير أو ورثته أملاك فيها فهي قرية «نوله» التي لاتزال قائمة حتى الآن. وأما القرى في وسط وشمال سورية فسرعان ماتركها الجزائريون إلى المدن.

2- منطقة حوران :

هناك عدة قرى سكنها المهجرون الجزائريون في منطقة حوران مثل عالقين وكفرناسج وغباغب، كما أنه كانت للأمير بعض القرى مثل معرية، بيت ارا، كوية، وعابدين وحدث حين باع الأمير سعيد أراضي قرية شعاره في فلسطين أن أعطاهم بديلا لها في عابدين.

وقد أخذ ورثة الأمير عبد القادر يبيعون أراضيهم في حوران شيئا فشيئا كما أخذ المهجرون الجزئريون في القرى ينزحون مع نزوح الأرياف إلى المدن ومن أهم القرى التي يسكنها الجزائريون في حوران الآن قرى عالقين، عابدين وكفرناسج. آما المناطق التي سكنوها في حلب وحمص واللاذقية فسرعان ماتخلوا عنها والتحقوا بالمدن وعملوا بالتجارة حتى الآن ومن أهم عائلاتهم في حلب عائلة درويش، وفي حمص عائلة الهواري.

3- الجليل :

سكن الجزائريون مجموعة من قرى منطقة صفد ذات الأهمية الاستراتيجية، فهي تتصل بمدينة عكا من جهة وبالجنوب اللبناني من

جهة أخرى وبمنطقة القنيطرة الجولان من جهة ثالثة وتتصل بمنطقة طبرية من جهة رابعة، وتسمى هذه المنطقة أكراد الخيط نسبة إلى بعض القبائل الكردية التي تسكن بيوت الشعر وإخوانهم أكراد البقارة الذين يعيشون من تربية الجواميس ورعي البقر حيث اكتسبوا اسمهم.

وهذه القرى القريبة من منابع المياه في شمال فلسطين الجليل الأعلى هي: ديشوم العموقة - التليل - الحسينية - ماروس. وسكن بعضهم قرى أخرى مثل «علما»، الجاعونة، دلاتا، لكن سرعان ماغادروها إلى حيث إخوانهم في هذه القرى.

منطقة طبرية : أما في منطقة طبرية، فقد سكن الجزائريون منطقة الشفا التي تطل على غور الأردن الشمالي من جهة وتتصل بالناصرة من جهة أخرى وبصفد عبر طبرية من جهة ثالثة ومن جهة رابعة تتصل بمنطقة الزوية وحوران في سورية عبر بلدة سمخ الواقعة على بحيرة طبرية وأول بلدة في غور الأردن وتسمى المنطقة الجليل الأدنى وهذه القرى هي :

كفرسبت، معذر، عولم، شعار، والقرية الأخيرة بيعت إلى اليهود في عام 1926 [1] وانتقل سكانها إلى عابدين في حوران كما بيعت أجزاء من القرى الأخرى كما سنذكر في حينه وأما في منطقة الغور فقد سكنوا بلدة سمخ، بالإضافة إلى أن بعض العائلات الجزائرية سكنت مدينة طبريا نفسها ومدنا أخرى.

منطقة حيفا : سكن المهجرون الجزائريون في منطقة حيفا بفلسطين قرية هوشة.

---

(1) افنيري، أريه : «دعاوى نزع الملكية الاستيطان اليهودي والعرب 1878-194»، ترجمة بشير برغوثي، عمان 1986، ط1، ص97.

أما من حيث القبائل والعائلات الجزائرية التي سكنت هذه القرى فمعظمها من الشرق الجزائري ويمكنني أن أحدد الأمر كالتالي :

القبيلة	المنطقة الجزائرية التي هاجرت منها	القرى الشامية التي سكنتها
أولاد سيدي خالد	وادي البردي / البويرة	معذر
أولاد سيدي عمر	وادي البردي / البويرة	معذر، كفر سبت
أولاد سيدي يونس	عين بسام / البويرة	عولم
أولاد سيدي عيسى	سيدي عيسى / المسيلة	كفر سبت، عولم، شعاره، عابدين
عائلة شرفاوي	الشرفا / تيزي وزو	كفر ناسج، عالقين، نولة
عائلة درويش	-	حلب
عائلة الهواري	-	حمص
أولاد سيدي رغيس	أم البواقي	هوشه
أولاد بلوارث	دلس	العموقة، ماروس
عائلة بلكبير	سيدي موسى / البليدة	التليل، الحسينية
آيت يحيى	تقزيرت	ديشوم

هذه هي بعض القبائل والعائلات الجزائرية.. ويبدو أن أكبر هذه القبائل من حيث العدد هي قبائل سيدي عيسى، سيدي خالد، سيدي عمر.

أما المهجرين الجزائريين من الغرب الجزائري مثل وهران وتلمسان فقد سكن معظمهم مدينة دمشق وضواحيها كما يتضح ذلك من السجل العثماني.

لم تكن سكنى هذه القرى مسألة سهلة على المهجرين الجزائريين، فقد كانت الأحوال مضطربة في بلا الشام، وكانت السلطة العثمانية تسلح القبائل البدوية لتشن غزواتها على بعضها بعضا حيث كانت عادة الغزو لم تزل سائدة وتحظى بتشجيع الأتراك. غير العلني.

ففي الجليل كانت قبائل البدو وخاصة بني صخر تشجع من الآستانة نفسها وقناصل أوروبا، أما في منطقة صفد فقد كان الصراع محتدما بين

المتاولة الشيعة جنوب لبنان والدروز والأكراد وبعض المسيحيين، ثم ظهر الصراع الأخطر بين العرب والاستعمار الاستيطاني الصهيوني.

وأما في حوران فقد كان الصراع على أشده بين عرب اللجاة والدروز وبين الدروز والحوارنة خاصة عشيرة المقداد، أما عشيرة الرولة فكان لها غاراتها وصراعاتها مع عشيرة الزعبي والحوارنة والفضل.

وكانت المنطقة الواصلة بين الجليل في فلسطين وحوران في جنوب سورية هي منطقة الجولان، وكانت هذه المنطقة تعيش صراعا دمويا آخر فعشيرة الفضل أقوى قبائل هذه المنطقة تخوض صراعا مع المهاجرين الأوروبيين من الشركس والشيشان، وتخوض صراعا آخر مع الحوارنة والرولة والدروز.

ولعله من طبيعة الأمور أن ينال الجزائريين شرر هذه الصراعات التي وجدوا أنفسهم وسطها، فكيف إذا كانت تغذيها الحكومة التركية!! التي اكتشفت فيما بعد أن هؤلاء المهجرين هم جند الاحتياط للأمير عبد القادر المشكوك في ولائه للحكومة الطورانية، فتعرض الجزائريون لعدد من الغزوات البدوية.. وكانت أوامر الأمير على مايبدو بعدم الانجرار وراء هذه المعارك.. بل وأكثر من ذلك إقامة علاقات أخوية مع هذه القبائل.. وهكذا استخدم الجزائريون البدو والفلاحين المحيطين بهم بالمزارع والحقول ولم يمنعوهم الماء وأعطوهم حق المرور وحق الرعى، ومنعوهم فقط من دخول القرية السكنية ذا تها.. حفاظا على النساء.. ولكن مع تزايد تحريض تركيا والقناصل لهؤلاء البدو أمر الأمير عبد القادر رجاله بقمع حركة الغزو هذه في الشمال الفلسطيني قمعا نهائيا وأعلن أنه يسدي بذلك خدمة للدولة العثمانية التي تظهر استياءها العلني من هذه الغزوات، فوضع الأمير وجماعته الدولة العثمانية أمام الأمر الواقع ويقول باحث أمريكي:

«بعد السيطرة على الجبال التفت العثمانيون إلى المناطق الريفية، فبدأوا أولا بدفع القبائل إلى الضفة الشرقية من نهر الأردن حتى مشارف

الصحراء، وفي الوقت نفسه أقاموا مواقع حصينة على الحدود تسلمها أتباع القائد عبد القادر الجزائري الذي وهب عددا من القرى حول صفد وطبريا خلال الخمسينات، وخلال الستينات بدأت الحملات العسكرية الناجحة ضد هذه القبائل وفي طليعتها قبيلة بني صخر بحيث استقر الأمن نهائيا في سهل مرج ابن عامر، وبالتالي أمكن للمزارعين استغلال أراضيهم بأمان. ومع أن بعض البدو استمروا في العودة لمضايقة السكان خصوصا خلال الحرب بين تركيا وروسيا في العامين 1877 و 1878، حين تضاءل الوجود العسكري في فلسطين»[1].

وبعد ذلك أقام الجزائريون علاقة ممتازة مع البدو والمتاولة والأكراد وبدرجة أقل مع الشركس، لكن صدامهم الأكبر كان مع اليهود.

فقد فطن الجزائريون أن الصهاينة يريدون تهجيرهم مجددا وإخراجهم من سنجق عكا. ومع أول رصاصة خرجت من مستوطن يهودي في منطقة صفد انقض الجزائريون على أولى المستوطنات الصهيونية في صفد وأبادوها حتى تخلى عنها الصهاينة فعلا[2]. وقد كانت النتائج التي حققها الجزائريون في الجليل خلال الفترة 1860-1900 مذهلة حقا، فقد انتهت إلى الأبد عادة الغزو وتراجعت حركة الاستيطان الصهيوني تراجعا كبيرا.

وأما في الفترة 1900-1948 فقد لعبت هذه القرى دورا كبيرا في الثورات الفلسطينية المتعاقبة رغم الاحباط الشديد الذي تعرضوا له حين باع الأمير سعيد وولده الأمير عبد الرزاق ورثة الأمير على أراضي شعارة المسجلة باسمهم ونقلوا سكانها إلى حوران.. لقد تم ذلك في صفقة غامضة سنشير إليها في حينه لكن رغم هذا الاحباط الشديد من جهة والمغريات الموجهة للجزائريين لبيع أراضيهم إلا أنهم هجروا من فلسطين عام 1948 وليس في يد الصهاينة سوى أقل من 10٪ من أراضي الجليل وكان ذلك

---

(1) الموسوعة الفلسطينية: مصدر سابق؟ ص97.

(2) افنيري، أريه، مصدر سابق ص 83.

انجازا رائعا غير أنهم دفعوا ثمنه غاليا من دمائهم وبكيفية انتقامية همجية إذ قامت اسرائيل «على الفور» بتدمير كل القرى الجزائرية في الجليل عن بكرة أبيها !!

وفي ذات الفترة 1900 - 1948 تلعب قرى الجزائريين في الغوطة وحوران دورا هاما في الثورة العربية الكبرى 1916-1918 وفي الثورة السورية 1925-1927 الأمر الذي لابد من ذكره خلال الحديث عن دورهم السياسي.

الفصل الثاني

الدور السياسي للمهجرين الجزائريين في بطلاد الشا م

أولا : حمايتهم الشام من الفتن الطائفية و الجهوية

مدخل:

يحاول المؤرخون الأوروبيون من أصحاب المدرسة الاستعمارية في كتابة التاريخ، ومعهم تلاميذهم وأتباعهم من العرب، القول أن حركة القومية العربية الحديثة بدأت على يد الإرساليات الأجنبية في صفوف المسيحيين اللبنانيين، وكان هذا القول يروق للسلطات التركية العثمانية الطورانية التي كانت تعزف على الوترين العرقي والطائفي لضرب العرب جميعا ويلخص ذلك شعارها «التركى فوق المسلم والمسلم فوق النصراني».

وكانت الدول الأوروبية التي تدير تلك الارساليات الأجنبية ومدارسها الطائفية تتسابق إلى ادعاء أولوية تبنيها أو إبداعها فكرة القومية العربية الحديثة، والفرنسيون هم الأكثر ادعاءا وتبجحا وأوضحهم كذبا، وهذه هي عادتهم في تزوير تاريخ الشعوب، فهم يدعون أن النهضة الحديثة بدأت في مصر حين احتلها نابليون، وكأن الاحتلال وإذلال الشعوب يحقق أي خير لهذه الشعوب!» وهم يقولون أيضا أن تاريخ الجزائر بدأ عام 1830 تاريخ الاحتلال الفرنسي وكأنها احتلت شعبا لم يعرفه العالم من قبل، وليس له حضارة.

إن هذه الأكاذيب الفرنسية وغير الفرنسية لم تقنع مواطنا عربيا واحدا بما في ذلك المسيحي اللبناني سوى أشياع الاستعمار الذين لايحظون بأي احترام في الشارع العربى، فالمواطن العربي رغم مايظهره من التزام ديني

وإيمانه بأن الإسلام هو رسالته إلى البشرية، لكن التجربة علمته أن سلطته السياسية يجب أن تكون بيده هو، وقد تبلور هذا الشعور وتحول إلى فكرة سياسية منذ أواخر العهد العباسي، حين تسلط العجم ثم المماليك على مقاليد السياسة. وقد عبر عن ذلك بوضوح شاعر القومية العربية في ذلك الوقت، أبو الطيب المتنبى في قصيدة يصف فيها بحيرة طبرية في وسط بلاد الشام أرض القومية العربية الحديثة إذ قال :

وإنما الناس بالملوك وما تفلح عرب ملوكها عجم

لا أدب عندهم ولا حسب ولا عهود لهم ولا ذمم[1]

لقد كانت حركة القومية العربية تعبر عن نفسها في أواخر العهد العباسي بثورات هنا وهناك ضد سيطرة العجم والمماليك على القرار السياسي، وفي نفس الوقت تحارب الغزو الصليبي، ولعل أسطع مثال على ذلك هو الدولة الحمدانية في الشام، وعدم استطاعة الدولة الفاطمية التي شابتها العجمة العيش طويلا في المغرب.

ولعل بداية الحركة القومية العربية الحديثة هي في الانتفاضات الفلاحية في المغرب والمشرق ضد الأتراك، وتساؤل المثقفين العرب عن صحة وجود الخلافة الإسلامية في العنصر التركي «العجمي»، بل وفي مجابهة العرب مغربا ومشرقا للغزو الأوروبي. ومهما يكن الرأي في محمد علي، فإنه استقطب الناس في مصر وعموم الوطن العربى، بمقولته أنه سيبنى دولة للعرب ويجمع كل الناس الذين يتفاهم معهم بالعربية. وقد اندفع المغاربة وراءه في ذلك، ومايزال التاريخ يؤكد أن جيش محمد علي كان أهل

(1) علوش، ناجى: أبو الطيب المتنبي، دراسة في هويته وشعره والمختارات. ط1، بيروت 1993، ص284.

المغرب العربى عمدته وقوامه، وبهم حارب محمد علي الفرنسيين، وقد برز من هذا الجيش رجل جزائري نال أرفع درجات الاعتراف بشجاعته. وقدر لهذا الرجل الذي حارب الروم الفرنسيين في مصر أن يقود ثورة ضد العجم الترك في الجزائر! وكأنه بذلك يعبر عن صراع العرب التاريخي ضد التطلعات الاستعمارية العجمية والرومية.

1- الأطراف تتحرك:

لا غرو أن يتحرك الريف في غربى الجزائر بقيادة ابن الشريف[1] ضد السلطة التركية عام 1217هـ/ 1808م تقريبا، ثم يتحرك ابن الأحرش[2] شرقى الجزائر ضد ذات السلطة عام 1218هـ... فقد بدأت القومية العربية الحديثة تتحرك في الأطراف حيث قبضة السلطة العثمانية أضعف منها في المناطق القريبة من المركز، فالمشهد نفسه نراه في الجزيرة العربية حيث تحركت القبائل بقيادة آل سعود بفكرتهم الوهابية ضد السلطة العثمانية أيضا.. ولايمكن القول أن «أنتلجنسيا» الإرساليات الأجنبية هي التي حركت هؤلاء، فبكل بساطة لم تكن هذه الإرساليات قد وجدت، بل أنها حين وجدت قامت بركوب موجة القومية العربية المتجددة آنذاك.

لقد حقق ابن الأحرش وابن الشريف وابن عبد الوهاب، كما محمد علي، الانتصارات الأولية الضرورية، لبداية تاريخية جماهيرية لحركة القومية العربية الحديثة، ولعل الذي كان ينقصهما في تلك المرحلة هو الاجماع الذي يصعب على أية فكرة جديدة تحقيقه في خطوتها الأولى، وخاصة باتجاه قائد بعينه.

(1) الجزائري، الأمير محمد بن عبد القادر: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر. شرح وتعليق الدكتور ممدوح حقي. طرح دمشق 1964 ص 115 ومما يذكر أن محمد بن الشريف تلقى تعليمه الأولي على يد محي الدين بن المصطفى والد الأمير عبد القادر.

(2) نفسه ص 117.

وقد عبر الأتراك عن ذلك بشيء من الصراحة حين هزموا ابن الشريف في غربي الجزائر فقال القائد التركي مشيرا إلى الزعيم الروحي محي الدين بن المصطفى الذي لايخفي عداؤه لهم : نحن لايهمنا ابن الشريف بل يهمنا هذا[1].

2- زيارة دينية - سياسية :

لقد كان ابن المصطفى يحظى بإجماع جزائري، أثبتته الأحداث فعلا عام 1832، لكن الرجل كان على مايبدو يسعى لاجماع عربي آخر.. إذ ليس من الممكن خارج هذا السعي تفسير رحلته الطويلة إلى المشرق العربى تحت ستار الحج واصطحابه ابنه عبد القادر في هذه الرحلة التي كانت سياسية- دينية، ويدلنا على ذلك أن المشرق العربى في الشام والعراق والحجاز ونجد بل حتى في مصر وليبيا كان يستقبل الشيخ وابنه اسقبالا يختلف عن استقباله لآلاف الحجاج إذ نفهم من مذكرات الأمير عبد القادر نفسه أن علية القوم من رجال العلم والدولة والعشائر كانوا يبدون اهتماما بالرجل الذي يعادي تركيا في الجزائر. وكانت هذه البلاد تموج بالعداء الخفي لتركيا.

وقد استمرت هذه الزيارة مدة عامين، وزار محي الدين معظم الحواضر العربية مرتين خلال هذه الفترة، بل نجد في مذكرات الأمير عبد القادر تلك دفاعا عن العرب وتعبيرات مثل «الأمة العربية»،[2] فالأحمق وحده الذي الذي يمكن أن يقتنع أن هذا النشاط الدؤوب للشيخ محي الدين هو نشاط صوفي لم تخالط سياسة.

---

(1) نفسه ص 116

(2) يكثر الأمير عبد القادر في مذكراته وفي أوامره وفي أشعاره ومحاوراته من ذكر العرب، ولايفرق بينهم وبين الأمازيغ، بينما نجده قد فرق بينهم وبين المسلمين الآخرين حتى أمام السلطان العثماني عبد المجيد حين امتدحه بقصيدة قال فيها:

فالمسلمون، بأرض العرب، شاخصة   أبصارهم نحوه يرجون إقبالا

و قد خصص فصلا في مذكراته تحدث فيها عن فضائل العرب/ أنظر مذكرات الأمير عبد القادرالجزائر، ط2، 1995، ص 290.

3- خطان متلاقيان:

وفي اعتقادي أن وعي الأمير عبد القادر بأنه في مقاومته لفرنسا إنما يدافع عن العرب أجمعين مغربا ومشرقا.[1] هو وعي ناجم عن دروس هذه الزيارة، بل إن هذه الزيارة السياسية - الدينية هي التي مهدت للاستقبال والمكانة الممتازة التي حظي بها عام 1847 في الشام خليفته أحمد بن سالم، والاستقبال الأسطوري الذي خصصه الشوام للأمير منذ أن وطأت قدماه بيروت نفسها ونزوله ضيفا على زاوية أبي النصر فيها، ثم التفاف الشوام الشعبيين حوله وتشكيل عليتهم بلاطا مشتركا مغربيا مشرقيا لأول قائد عربي في العصر الحديث واجه الغزو الاستعماري الأوربي، ثم تنفيذهم لتعليماته عام1860لإخماد الفتنة ضد النصارى فلولا الأمير عبد القادر لتمت إبادة النصارى في بلاد الشام ولما وجد مؤرخو المدرسة الاستعمارية مادة للقول بأن فكرة القومية العربية فكرة نصرانية بل أكثر من ذلك فإن النصارى أنفسهم والمسلمين هم الذين بايعوه «سرا» عام 1877 ليكون ملكا على العرب وينفصل بهم عن تركيا.

كل ذلك التسلسل التاريخي الذي يشير إلى خط سير حركة القومية العربية الحديثة من المغرب إلى المشرق جنبا إلى جنب مع خط سيرها من المشرق إلى المغرب هو الذي يتحاشاه مؤرخو المدرسة الاستعمارية وأشياعهم من العرب المغاربة والمشارقة، لا لسبب إلا لأن الغرب الاستعماري - كله - لايزال كتركيا العثمانية والحالية يرتعدون خوفا من أي تحرك عربي مهما كان بسيطا باتجاه نحو أي شكل من أشكال انجاز الأمة العربية لتطورها الحتمي نحو الوحدة الشاملة.

---

(1) . الجيلالي محمد عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام - بيروت، 1980، ط4، ج4 ص 156.

ولعل هذا التسلسل هو الذي حدا بالدكتور عبد العزيز الدوري إلى ابراز حقيقة خط سير القومية العربية من المغرب إلى المشرق[1].

وقد تلاقى هذان الخطان، علنا، عام 1860 حين أصبح الأمير عبد القادر هو المرجعية العربية للجماهير والقوى السياسية المناهضة للأتراك والغزو الأوروبي. وتم ترسيم هذا التلاقي عام 1877 بمبايعة الأمير الجزائري ملكا على العرب.

وليست هذه المرة الأولى أو الأخيرة التي يلتقي فيها المغرب مع المشرق، فالمغاربة الأمازيغ تحديدا، هم الذين بايعوا عبد الرحمن الداخل الأموي العربي وأسسوا الدولة الأموية الشهيرة في الأندلس في مواجهة الانقلاب العباسي الذي نفذه العجمي «أبو مسلم الخرساني» كما ليس سرا أن عشرات القبائل والعشائر في المشرق العربي تعود أصولها إلى قبائل وعشائر أمازيغية في المغرب العربي، كما أن العكس ثابت أيضا، وإذا كانت القاهرة قد بناها المغاربة فإن المشارقة قد بنوا القيروان.. فالمغرب والمشرق كانا دائما كشقي التمرة العربية، والدور الذي لعبه ابن خلدون المغربي في المشرق العربي دور غير مجحود.

لذلك من المهم جدا في نظري إعادة دراسة دور المهجرين الجزائريين وعلى رأسهم الأمير عبد القادر في إخماد الفتنة الطائفية والجهوية في الشام، كجزء من دورهم السياسي في المشرق الذي منه أيضا بثهم الوعي القومي العربي الذي لا يفرق بين العروبة والإسلام ولا يفرق بين المسلمين والنصارى العرب، هذا المفهوم الذي يسمي المسيحيين غير العرب «روم» والعرب «نصارى»، والذي منه أيضا تشكيلهم ومشاركتهم في الجمعيات

(1) اتفق معظم المؤرخين الأجانب و العرب على عروبة البربر الأمازيغ، و ظهرت الكتابات التي تحاول الفصل بينهم بعد عقود من الاحتلال الفرنسي لأسباب استعمارية بحتة لا صلة لها بالتاريخ.

والأحزاب السياسية وصولا إلى خوضهم معارك القتال ضد الأتراك والبريطانيين والصهاينة والفرنسيين والإيطاليين في مشرق الوطن العربي ومغربه على حد سواء.

4- الأمير في قيادة المجتمع الشامي 1856-1860 :

ما أن وصل الأمير عبد القادر إلى دمشق أواخر عام 1856 حتى التف حوله كبراء الشام، وخاصة العلماء من العنصر العربي الذين كانت تهمشهم الدولة العثمانية، فجعلهم في بلاطه وحاشيته وأجرى لهم مرتبات شهرية، كما التف حوله الأشراف ونقابتهم إذ ذاك بيد آل العجلاني، الذين صاهروه في وقت لاحق.

كما أنه خصص يوم الجمعة لإطعام فقراء دمشق حيث كانوا يهرعون في هذا اليوم إلى بيته في زقاق النقيب بحي العمارة ليصيبوا نصيبهم من مائدة الأمير لهم.

ووزع ساعات يومه على دروس يلقيها في المدرسة الجقمقية التي كان من تلاميذه فيها الفتى طاهر الجزائري، وفي المسجد الأموي، حيث يلقي دروسه الشهيرة.

وحين علم بأمر دار الحديث الأشرفية التي اشتراها يهودي اسمه «بانكو» بمساعدة من الحكومة العثمانية وحولها إلى خمارة، وكادت أن تكون سبب فتنة في الشام، خاصة وأن الشيخ يوسف بدر الدين الحسني المغربي قد هاجر من الشام احتجاجا على سلوك الوالي العثماني المتضامن مع اليهودي. استدعى الأمير عبد القادر هذا الرجل واشترى منه تلك الدار

بأضعاف ما تدره عليه تجارة الخمور، وأعادها وقفا إسلاميا ومدرسة دينية[1] وأمر جدي محمد بن عبد الله الخالدي[2] بتدريس الفقه المالكي فيها، كما أمر غيره من العلماء الجزائريين، وقام هو بنفسه بإلقاء درس يومي في هذه المدرسة. وأما درسه الرابع والأخير فكان يلقيه ما بين العشائين في منزله.

وهكذا صار الأمير شخصية مقصودة لقضاء حوائج الناس عامتهم.. فقد تمكن الرجل الفذ من التربع على عرش أفئدة أهل الشام التي تكره عميقا الحكم التركي الذي حسبت أنها تخلصت منه على يد إبراهيم باشا، لكنه عاد بضغط الدول الكبرى.

وفي نفس الوقت فإن لهذا الأمير قوة من المحاربين الأشداء هم أولئك الذين كانوا معه في الجهاد ضد فرنسا سواء الذين سبقوه إلى الشام أو جاءوها بعد وصوله إليها، سواء بإيعاز منه، أو اضطرتهم الوحشية الفرنسية لمغادرة الوطن.. لذلك كان الأمير محبوبا في الشام ومهابا في الوقت عينه وهو موقع نفسه فيه بعض كبراء دمشق المقربين من السلطة العثمانية الذين كانوا يسمون أهل العرض. لكن السلطة العثمانية لم تجد ماتؤاخذ الأمير عليه فقد سلك مع الجزائريين والشوام سلوك الملوك الزهاد، وأشركهم في هذه الثروة التي كانت تأتي إليه كعطايا من السلطان العثماني وغيره من الملوك. ويبدو أن الدكتور عبد الجليل التميمي لم يدقق جيدا في مغزى سلوك الأمير في الشام خلال هذه السنوات[3].

---

(1) قصة المدرسة الأشرفية صارت قصة مشهورة وذكرتها العديد من المصادر ومنها تحفة الزائر المشار إليه ص 609. والطريف أن يوسف بدر الدين هذا أصله من سبتة بالمغرب، قدم إلى الشام من مصر وصار ولده الشيخ بدر الدين الحسني هو محدث الشام الأكبر، وله إسهامات في حركة الثورة العربية، خاصة في اليمن، وأما حفيده تاج الدين الحسني فيعتبر أول رئيس للجمهورية السورية وهو الذي أمضى وثيقة استقلالها عن فرنسا.

(2) راجع ترجمة الخالدي في حلية البشر، وفي روض البشر.

(3) التميمي، د. عبد الجليل: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي.

فالأمير عبد القادر من خلال علاقاته داخل قصور العثمانيين كان على معرفة ماتخبؤ ه الغرف المغلقة للعرب عموما وللشوام خصوصا، لذلك وجدناه حين وقعت الواقعة جاهزا للدفاع عن عروبته ودينه.

5- الأمير يسعى لتطويق الفتنة:

كانت الدولة العثمانية قد انتهجت نهجا طائفيا في بلاد الشام، مقته المسلمون والنصارى على حد سواء، فقد كانت تفرض على المسيحيين لباسا معينا، وتسعى إلى تنفيذ شعارها الذميم: «التركي فوق المسلم، والمسلم فوق النصراني، كما كانت صحفها تكتب حافر فرس التركي أشرف من أي نبي عربي، وحين جاء إبراهيم بن محمد علي واحتل بلاد الشام أيده فقراء الشوام مسلمون ونصارى وسعى إلى إصلاح البلاد وسن مجموعة قوانين جديدة، ألغى بموجبها نظام الضرائب القديم، كما ألغى بعض القوانين المجحفة بحق المسيحيين.

وقد فسر بعض المسيحيين القوانين الجديدة على أنها تعطي المسيحي الحق في التطاول على كبراء المسلمين وقد اشتط بعض المسيحين الموارنة في لبنان الذين تسندهم فرنسا في هذا التفسير خاصة ضد جيرانهم الدروز الذين تسندهم بريطانيا وتعرف الموسوعة السياسية الدروز كالآتي:

«طائفة دينية من سكان سورية ولبنان يدعون أنفسهم بالموحدين وفي الأصل كانوا فرقة إسلامية إسماعيلية فاطمية تؤمن بإقامة الحاكم بأمر الله. حافظوا على عاداتهم وعقائدهم ويختلف مذهبم من الناحية الفقهية عن باقي المذاهب الاسلامية في أمور متعددة وهم محاربون أشداء قاتلوا العثمانيين والفرنسيين في القرن 19، وقعت بينهم وبين الموارنة في لبنان

فتن مهدت الطريق للتدخل الأوروبي يوجد منهم حوإلى 85.000 في لبنان و89.000 في سورية و 18.000 في الأرض المحتلة»[1].

أما الموارنة فتعرفههم الموسوعة السياسية نفسها بقولها :

«طائفة مسيحية شرقية تابعة لكنيسة روما الكاثوليكية أسسها راهب سوري يدعى مارون ومنه أخذوا اسمهم. مركزهم الرئيسي في لبنان حيث يبلغ عددهم حوالي أربعمائة ألف نسمة، ويتفرق الباقون ديار المهجر الأمريكية، وفي سوريا وفلسطين وقبرص»[2].

وقامت بين الفئتين عدة معارك، واستطاعت الدولة. العثمانية أن تشكك بوطنية المسيحيين حين أعفتهم من الخدمة العسكرية، وهو أمر رفضه عقلاؤهم، لكنه لاقى قبولا عاما وشجع الموارنة على الشطط ضد الدروز لدرجة أن بعض رهبانهم طالبوا بطرد هؤلاء من لبنان كله خاصة بعد عودة الدولة العثمانية إذ كان إبراهيم بن محمد علي قد انسحب (1840) من بلا الشام بجيشه الذي كان يضم عددا هائلا من أهل المغرب العربي، إلى مصر. بعد الضغوط القوية التي مارستها ضده الدول الأوروبية، المتطلعة هي إلى السيطرة على الشام. وهكذا عادت السلطة العثمانية إلى الشام بعد انحسار دام عدة عقود وفي نيتها تشديد قبضتها.

وكانت الدول الأوروبية ولاتزال وكذا الدولة العثمانية، ضد الوحدة القومية العربية، فالدول الأوروبية تقول للمصريين في مصر أنكم فراعنة لا علاقة لكم بالعرب، وتقول للمغاربة أنكم برابرة والعرب محتلون، وتقول للشوام أنكم فينيقيون سوريون ليس لكم من العروبة نصيب. وأما الدولة العثمانية فعدا عن سياسة التتريك المشهورة، فإنها أخذت تضرب الطوائف

---

(1) الكيالي: الموسوعة السياسية.

(2) نفسه، ص 523.

الدينية ببعضها وتضرب المذاهب داخل هذه الطوائف، وهو نفس النهج الذي انتهجته الدول الأوروبية فقد ضربت الموارنة بالبروتستانت والمسيحيين بالمسلمين، وقالت للجميع أنكم عرب وعليكم القيام ضد الأتراك.

فإذا كانت الدول الأوروبية تفعل ذلك لتحتل الشام فإن تركيا فعلته لتشديد قبضتها عليه، وضربت الدروز المسلمين بالموارنة النصارى، خاصة أن بعض النصارى كاتبوا حاكم مصر في القاهرة بشأن عودته إلى الشام وهو أمر فعله أيضا مسلمو دمشق.. وهو مالا تريده العثمانينة ولا الدول الأوروبية فالتقت مصلحة الجميع في تفجير الشام من داخله.

لكن الأمير عبد القادر تصرف كما يليق بقائد عربي مسلم مفعم بروح المسؤولية، فأرسل إلى الدروز.. وهم الطرف الأقوى في هذا الصراع الطائفي.. رسالة تحذيرية مؤرخة شهرين قبل وصول الفتنة إلى دمشق، جاء فيها:

«أرجو أن تكونوا جميعا في سعادة ورفاه. لاشك بأنكم تعلمون مودتنا وصداقتنا لكم، ونوايانا الطيبة نحو جميع عباد الله، اصغوا إلى ما أقوله واقبلوا نصائحي، أن الحكومة العثمانية والناس جميعا يعرفون العداء القائم بينكم وبين المسيحيين في جبل لبنان.

إذا كنتم تعتقدون أن الحكومة لاتحملكم مسؤولية نشوب هذه الفتنة كلها، فأنتم على خطإ وإذا وقع منكم اعتداء ما، على أماكن لم يكن أهلها أعداء لكم طيلة حياتهم، فإن سلوككم هذا يكون داعيا للقطيعة بينكم وبين الحكومة. أنتم تعلمون مقدار حرصنا على خيركم وسعادتكم، وعلى سلامةالمواطنين جميعا. إن من شأن الحكماء التبصر في الأمور وعواقبها وذيولها قبل الإقدام عليها.

قيل أن بعض فرسانكم جاءوا إلى ضواحي دمشق لتعكير الأمن والطمأنينة فيها، وأنتم قوم عرفتم بالحكمة والذكاء وحسن التصرف نقول لكم تكرارا إني في تشوق شديد لتحقق ما فيه الخير لكم ويسوؤني كثيرا كل مايمس بشخصكم»[1].

ويبدو أن الأمير كان يدرك أن وصول الفتنة إلى دمشق يعنى إبادة النصارى في المشرق العربي كله، وأن تركيا ستقوم بمذبحة للمسلمين بعد أن تحملهم مذبحة النصارى، وأن الدول الأوروبية ستحتل البلاد فاستأذن والي دمشق وذهب بنفسه إلى مشايخ الدروز في قراهم فاجتمع بهم وحذرهم من العاقبة تحذير الأخ الناصح والمسؤول الحريص على مصلحة الأمة، فانتزع منهم وعدا أن لايحركوا ساكنا في دمشق.

ويقول شاهد عيان عن هذه التحذيرات:

«قنط النصارى من النجاة من مخالب الحكومة وشراسة الأتراك، وحقد المسلمين، وقساوة الدروز، وابتلوا بالفاقة، فقنطوا من الحياة جوعا، وتعددت عليهم المصائب، وكثر ارتباكهم، ولكن قدر لهم أن يكون بين السلمين شهم يرق لحالهم ويرثي لمصابهم، وهذا الشهم الذي نعنيه هو الأمير عبد القادر الجزائري الذي طبق ذكره الخافقين، وعم فضله وكرمه نصارى الشام على السواء، وكان لايترك فرصة تفوته من الدفاع عنهم، واجتمع بالوالى مرات، وبأعيان المدينة ووجوه قراها، وحضهم على السكينة والإخلاد إلى السلام والإقلاع عن الثورة، وترك النصارى وشأنهم، وقد بين لهم وخاصة العواقب التي تسقط على رؤوسهم إذا عملوا على الفتك بهم، وكيف تخرج البلاد من أيديهم -لاحظ هذا-، ولم

(1) الصلح، عادل: سطور من الرسالة، ط1، ص 77، تاريخ حركة استقلالية قامت في المشرق العربي سنة 1877 / بيروت 1966.

يتركهم حتى استوثق منهم بالوعود بإجابة طلبه، وفي السابع والثامن من تموز سنة 1860 راقت الأحوال ومع شيء من الطمأنينة إلى قلوب النصارى، وأصدرت الحكومة أمرا للكتاب بالعودة إلى أشغالهم، وتهللت وجوه النصارى، وتفاءلوا من هذه الهدنة خيرا، وخرج أصحاب الأعمال إلى أشغالهم، وعادت الحركة التجارية والصناعية إلى سابق عهدها»[1].

6- الأمير يتحمل مسؤولياته القومية والدينية :

بعد رجوع الموظفين إلى إداراتهم والصناغ والتجار إلى محترفاتهم وحوانيتهم، ظهر للجميع أن الفتنة ابتعدت عن دمشق، غير أن الأمير كان يعلم أن الفتنة ليست من صنع محلى، بل هي من صنع العواصم الأوروبية، بما فيها الآستانة، وأن المحليين من دروز ونصارى سواء في لبنان أو دمشق ماهم إلا أدوات.

لذلك اجتمع الأمير عبد القادر مع مجلس شورى الولاية إلى الوالي وأقنعوه بأن يتولى الأمير مواجهة الفتنة بالحزم اللازم وذلك يوم 9/ 7/ 1860.

«وفي مساء ذلك النهار اجتمع الأمير عبد القاهر الجزائري بأحمد باشا وأعضاء مجلس الشورى، وسألهم مساعدتهم على إطفاء شرارة الثورة، وبين لهم براهين أدعمها بآيات الشرع، تقضي على الحاكم بمقاتلة الثوار ولو كانوا من أهل الشريعة، وساعده على ثبيت دعواه مفتي الولاية طاهر أفندي، فقر رأيهم علي معاقبة الثائرين، ومقاتلتهم إذا ثاروا على ملاحقة الثورة والفتك بالنصارى، وقفل راجعا إلى بيته يعد رجاله إلى الغد، ولم يمض على رجوعه عن أحمد باشا بضع دقائق حتى ألحقه برسول وعرض

(1) زكار، د. سهيل: بلاد الشام في القرن التاسع عشر، ط1، دمشق 1982، ص 246.

له عدوله عن ضرب الثائرين وإرجاعهم للطاعة، عند ذلك حول اهتمامه لتخليص من يقدر على خلاصه من العيال والرجال بيض الله وجهه»[1].

وهكذا فإن الأمير عبد القادر فهم بوضوح أن العثمانية ضالعة في الخطة، فأحمد عزت والي دمشق، ليس من الذين يرفضون طلبا للأمير، وهو مريد من مريدي الشيخ المهدي السكلاوي، لكن أحمد عزت كانت لديه أوامر بذلك، وقد حاولت السلطنة مسح السكين به، فأعدمته، وشنق وهو صائم، فلقبه الشوام بـ«الشهيد» وكان السكلاوي قد تنبأ له بهذه الشهادة.

لكن الأمير كان قد صمم على الصدع بمسؤوليته القومية والدينية فيقول الكسرواني: «فالمغربي قد جمع إليه كامل المغاربة الموجودين في الشام، وفرق عليهم الأسلحة والمال ولمن يكونوا على حضر متى وجدوا أدنى سبب يحضروا لديه. وكانوا بالعدد نحو مايتين وخمسين راجل، ومثله أهدى إلى بعض أوجه وأعيان البلدة»[2]. وأما مشاقه فيقول :

«ولما قنط الأمير عبد القادر من مساعدة أحمد باشا بالمدافعة عن النصارى أفرز رجاله بالذهاب إلى حيهم، وعزم أن يضحيهم في الذود عن عيالهم وأطفالهم.. وكل من يقدرون على الوصول إلى تخليصه من مخالب الثائرين»[3].

ووقعت الواقعة يوم 10/ 7/ 1860 الموافق 21 ذي الحجة 1276هـ ويقول ولده محمد عن كيفية تدخل الأمير الفوري :

(ولما اتصل الخبر بالأمير، قال: «هذا ماكنا نحاذره. ونحذر الناس منه قد وقع ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾، ثم ركب إلى محلة النصارى، فوجدها:

(1) نفسه، ص 249.
(2) نفسه، ص 381.
(3) نفسه، ص 249.

في هرج ومرج. ورأى ألسنة اللهيب. ممتدة من المنازل. والغوغاء، بين ناهب وقاتل. فجعل ينهي وينصح، فلم تسمع له نصيحة. وتمادى الذعار، على ماهم عليه. ولما يئس من رجوعهم عن غيهم، أخذ ينقذ من النصارى من يصل اليه، ويتمكن من إنقاذه، ثم رجع ببعض قناصل الدول، وجمّ غفير من الأعيان وغيرهم وصار يبعث المغار بة: شرذمة بعد أخرى إلى المحلة وأطرافها، ليأتوا بكل من عثروا عليه من غير استثناء. وكان الأمير، أخبر الباشا: أن المغار بة، ليس عندهم سلاح، كاف للمحافظة. فوعده بأن يعطيهم مايحتاجوا إليه، عند اللزوم فلما كان اليوم الثاني من الواقعة، بعث إليه: فيما وعده به، فأرسل، في الحال. عددا وافرا من البندق والفشك. واستقصى المغاربة- بأمر الأمير- في جمع النصارى من الكنائس والأقبية، وداخل البيوت الملتهبة بالنار. وفي اليوم الثالث، اجتمع السفهاء من البلد والصالحية عند باب الحديد بالعمارة قاصدين الهجوم علينا. فتوجه الأمير إليهم. وألقى الله الرعب في قلوبهم عند رؤيته وراجعوا على أعقابهم. ثم ذهبوا أفواجا أفواجا، إلى بيوت بعض الأعيان، الذين اقتدوا بالأمير، في جمع النصارى عندهم بقصد الهجوم عليهم، وأخذ النصارى منهم قصرا. فبعثوا إلى الأمير يستغيثون به، فأرسل إليهم فرقا من المغاربة، لحمايتهم من الذعار. ولما غصت دور الأمير بالنصارى - مع تعددها واتساعها- أخذ يرسلهم إلى القلعة، بإذن الحكومة. فاجتمع عنده، وفي القلعة: نحو الخمسة عشر ألف نفس. وكان الأمير يقوم بنفقات الجميع. ولما طال الأمر، وضاقت نفوسهم طلبوا من الأمير أن يرسلهم إلى بيروت، فأجابهم إلى ذلك. وصار يبعثهم إليها: فوجا بعد آخر بمحافظة المغاربة. واستمرت الفتنة قائمة ونارها موقدة، أربعة عشر يوما. كل ذلك، والأمير مشتغل بأخذ الوسائل، ليتوصل إلى إطفائها، باذلا جهده، في حسم أسبابها ولم يدخل

إلى بيته»، في أيامها. بل كان يجلس على سجادة، في دهليزه. لايهجع من الليل إلا قليلا. والباعث له على حمل تلك المشاق، تأييد الدولة العلية والدفاع عن حوزتها. إذ لو لم يقف في وجوه الغوغاء، لاستأصلوا النصارى واستلحموهم. وتفاقم الأمر أكثر مما وقع. وبذلك، يحصل للدولة، من الارتباك، ما لايخفى. ولعناية الله - تعالى - بصاحب الخلافة العظمى. ورعايته لسلطنته، لم يقع أدنى خلل يتشبث به الأعداء، لإلحاق الضرر بالدولة العلية. ولم يزل الأمير يعاني المشاق، إلى أن حضر صاحب الدولة، فؤاد باشا وزير الخارجية إلى دمشق)[1].

ويقول صاحب حلية البشر: «إن سعادة الأمير المعظم والكبير المفخم حضرة الأمير عبد القادر الجزائري قد بذل كامل همته في ذلك وبذل أمواله ورجاله في خلاص من قدر عليه من المهالك»[2].

وقد شمل الأمير بحمايته الفورية والقوية الرهبان والراهبات والقناصل «.. أرسل عبد القادر رجاله المغاربة استحضر لعنده قنصل فرنسا وكل مايتبعه وأوقاهم عنده، ومثله استحضر رهبان العازاريه مع الراهبات وماعندهم من الصبيان والبنات، وأرسل كامل المغاربة الموجودين أفواجا إلى حارة النصارى وأمرهم أن يستحضروا النصارى تحت الحفظ من دون أذية أو مضرة ما، فكل من حظي بيد المغاربة حفظ حياته، والذي لايقع يموت، وكانت المغاربة باذلة جهدها باستخلاص النصارى ومثله بيت المهايني في حارة الميدان، أوقوا النصارى في الميدان من دون مضرة، وأوقوا بعضا في البلد بقدر الإمكان»[3].

---

(1) الجزائري، الأمير عبد القادر، مصدر سابق ذكره، ص 633.

(2) البيطار، عبد الرزاق: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ط 2 بيروت 1993، ج1، ص 264.

(3) زكار، د. سهيل: مصدر سابق ص 382.

وامتدت حماية الأمير إلى أديرة دمشق قدر المستطاع:

«وقصدوا دير العازارية الفرنساوي، وصدتهم حاميته القوية عن الدخول إليه بضع ساعات، حتى قدم لنجدتهم الأمير عبد القادر الجزائري برجاله، وأفرج عن الرهبان، وحفظ حياتهم، إنما لم يقو على حفظ الدير من النار، والمال الموجود به من السلب، فنهبوه وأحرقوه، ولم يكن هم الأمير إلا المدافعة عن الحياة»[1].

ويبدو أن الأمير استعد للقتال الفعلي حيث هجم بعض أهل الفتنة على بيته في حي العمارة بزقاق النقيب للفتك بالنصارى الذين يحميهم «وقصدوا بيت الأمير عبد القادر الجزائري، حيث بلغهم أنه محتفظ على عدد كبير من الكفرة، فتجمهروا حول منزله، وراموا الفتك به إذا أبى أن يسلمهم النصارى الموجودين عنده، ولم يكن الجزائري ممن يهولهم التهديد والوعيد، فخرج إليهم برجاله الأمناء وتهددهم بصرامة العقاب. أن تحرشوا بحرمته، وأظهر لهم أنه مستعد تمام الاستعداد مقابلتهم بالقوة، ويمطر عليهم نارا تبيدهم على الإطلاق، ولما شاهد العصاة أنه على أهبة أن يكيل لهم الكيل وأزود، تركوه خوفا من سطوته وشدة بأسه»[2].

وقد خلص الأمير الكثير من أعيان المسيحيين، عدا الرهبان، ومنهم الدكتور ميخائيل مشاقه نفسه حيث بعث إليه برجاله فيقول مشاقه: «فألبسوني هدوم - يقصد ملابس - المغاربة ومشوا جماعة خلفي وأمامي ومعهم ابن شقيق المحافظ، وكنا ندوس فوق جثث القتلى بالأزقة حتى وصلنا لدار الأمير فوجدناها مزدحمة وقد ضاقت على رحبها بالعالم الملتجئين إليها، دفع عنهم الأمير الأذى وأغاثهم، وكان هذا الشهم الباسل

(1) نفسه، ص 248.
(2) نفسه، ص 251.

متقلدا سلاحه، ومعه رجاله البواسل، ودام على هذا المنوال ثمانية أيام وثماني ليالي لم ينزع سلاحه ولا حذاءه، ومثله رجاله، وإن أعياه النعاس كان ينام قليلا على حصير بباب داره»[1].

كان رجال الأمير يبحثون عن النصارى المختبئين-حتى في الآبار- ويأتون بهم إلى منزله وإلى بيوت الجزائريين في حي العمارة والسويقة والحيواطية، ولما ضاق بيته وبيوت الجزائريين عن استيعابهم طلب الأمير من الوالي أن ينقلهم إلى قلعة دمشق، وتم ذلك فعلا.. لكن الأمير فطن إلى أن العثمانية تدبر لابادتهم داخل القلعة تلك، فأخذ يرحلهم على وجه السرعة إلى لبنان.

وفي نفس الوقت كان أصدقاء الأمير من أعيان وعلماء دمشق ينقذون النصارى من القتل، ويحضرونهم إلى بيوتهم، ويطوفون الشوارع ويلقون الخطب في المساجد لمنع الفتنة، بل إن مجموعة الشيخ البيطار في حي الميدان استعدت لقتال الدروز فعلا.

وكان الأمير قد أحاط دمشق برجاله وخاصة من جهة الجنوب، «أشرفية صحنايا» والتي له فيها ضيعة، وهي على الطريق الواصل بين دمشق وجبل الدروز، ومن جهة الباب الشرقي.. وذلك لمنع قدوم إلدروز أو دخول المدينة. ويبدو أن نقطة ضعف دفاع الأمير كانت في منطقة الصالحية، حيث يتواجد الأكراد وهم الذين شكلوا عصابات القتل والنهب ضد النصارى، فحدثت حوادث في تلك المنطقة ذهب ضحيتها علماء مسلمون عربا وقفوا ضد الفتنة، ويبدو أن الأمير لم يهتم كثيرا بالصالحية لقلة وجود النصارى بها.

---

(1) نفسه، ص 259.

وفي كل الأحول فإن الأمير استطاع إنقاذ عدد كبير من النصازى، تقدر مصادر متحفظة عددهم بخمسة عشر ألف، وتقدر مصادر أخرى العدد بثلاثين ألف.

لكنه في نفس الوقت أنقذ بلاد الشام من الاحتلال الأوروبي، فقد حركت جميع الدول الأوروبية أساطيلها البحرية ورابطت أمام بيروت، أما فرنسا فقد أنزلت قواتها في لبنان بقيادة الجنرال بوفور الذي أرسل إلى الأمير رسولا يطلب منه مغادرة دمشق مع أهله لأنه سيقصفها، فذهب إليه الأمير وتوعده بأن عبد القادر الذي هزم 17 جنرالا فرنسيا سوف يحاربه إن تقدم نحو دمشق فتراجع الجنرال وفسدت خطة فرنسا وفي ذلك يقول ولده محمد:

«سار ليلا إلى البقاع، واجتمع بالجنرال، وأظهر له سوء عاقبة ما اعتمد عليه، فأصر الجنرال على ذلك، فهدده الأمير، وعظم له الأمر حتى عدل عن ذلك،. ورجع كل منهما لمحله. وحفظ الله دمشق»[1].

وهكذا يكون الأمير قدأنقذ العباد والبلاد.

7- رجال حول الأمير:

تدخل الأمير عبد القادر لقمع هذه الفتنة الطائفية التي لم يشهد لها الشام مثيلا من قبل بحوالي ألف مهجر جزائري حسب بعض المصادر، وبأربعمائة حسب مصادر أخرى. ويمكن اعتبار هذا التباين بالأرقام يعود إلى عدد المسلحين منهم وغير المسلحين، فمن الثابت أنه كان لديه أربعمائة تحت السلاح، إذ حين فاتحه الوالي فؤاد بتكوين فرقة عسكرية من رجاله وافقه الأمير «واختار منهم أربعمائة فارس وجعل السيد محمد بن فريحة أحد أقاربه رئيسا عليهم»[2].

---

(1) الجزائري، الأمير عبد القادر: مصدر سابق، ص 635.
(2) نفسه، ص 636.

ويمكن اعتمادا على أبي يعلي الزواوي[1] ومشاقة، وبعض السجلات والمتواتر بين العائلات الجزائرية في الشام، وبعض المصادر الأخرى، يمكن رصد بعض أسماء الرجال الذين كانوا حول الأمير عبد القادر في وقفته الشامخة تلك سواء من أولاده وعائلته أو من المهجرين الجزائريين أو من أعيان دمشق، ومنهم :

1- محمد بن عبد القادر
2 - محي الدين بن عبد القادر.
3- إبراهيم بن عبد القادر
4- أحمد بن عبد القادر
5 - علي بن عبد القادر
6- أحمد بن محي الدين
7- عبد الباقي بن محمد السعيد
8 - محمد المرتضي
9- أبو طالب الحسني
10- علي بن فريحه
11- محمد بن فريحه
12- أحمد بن فريحه
13- محمد المبارك
14- يوسف المرابط
15- محمد بن عبد الله الخالدي
16- الحاج سعيد العربي
17- عبد الرحمن الواثقي
18- أحمد عبد الرحمن الواثقي
19-علي بن محمد
20- محمد الطاهر
21- محمد السعيد بن الطيب
22- أحمد بن الشيخ
23- العربي بن يحيى
24- علي بن زروق
25- محمد مزيان بن يحيى
26- محمد بن الحاج علي
27- السعيد بن الحاج علي
28- محمد بن الحاج الشريف
29- محمد بن الجودي
30- مزيان الونيس

(1) الزواوي، أبو يعلى: تاريخ الزواوة / دمشق 1314هـ 97.

31- علي بن محمد واقنون

32- الأخضر بن محمد واعمر

33- أحمد الدلسي

34- السعيد المقدم

35- محمد واحمد

36- محمد النافع

37- عمران بن محمد

38- محمد الطاهر السكلاوي

39- أحمد واعمر

40- محمد سعيد السكلاوي

41- محمد مزيان ايسغي

42- علي بن سالم

43- بو جمعة عاشور

44- محمد الصالح بن الشريف

45- محفوظ الفضيل

46- الحاج محمد الحداد

47- أحمد قاسم العريفي

48- علي بن الونيس

49- إبراهيم الينوي

50- عمر بن آل شريط

51- أحمد القشطوني

52- محمد الربيع

53- أحمد دريريش

54- سالم بن الهادي

55- علي بن الشريف

56- محمد فرحات

57- الحاج الحسين الكبير

58- علي فرحات

59- سالم بن الهادي

60- سالم بن الهادي

61- الطاهر آمراو

62- طاهر بن أحمد السكلاوي

وأما من أعيان دمشق فيمكن رصد الأسماء التالية :

1- عبد الغني الميداني الغنيمي

2- محمد حمزة

3- أسعد حمزة

4- سليم العطار

5- سليم الترك

6- سعيد القوتلي

7- عبد الرزاق البيطار

8- حسن البيطار

9- سعيد آغا النوري

10- عمر آغا العابد

11- صالح المهايني

12- عمر بيهم

13- محمود السوطري

8- الأمير شخصية عالمية:

تمكن الأمير بحكمته وحنكته من إفساد خطط الدولة العثمانية، والدول الأوروبية معا، تلك الخطط البالغة التعقيد البشعة التنفيذ، والتي كان الدروز والموارنة أدوات فيها إذ يقول راوية ماروني أن الدروز كانوا يتحركون بمعرفة دولة الإنكليز وتعضيد العثمانية.

«وأما الدروز فكانوا دائما بالاجتماعات والمخابرات مع بعضهم في كل المحلات وخاطبوا دروز حوران وحاصبيا وبلاد الشام وعملوا روابط فيما بينهم سرا، حتى يفنوا النصارى. والدولة العلية كانت تشددهم وتعطيهم القوة سرا، حتى يفنوا النصارى، مع معرفة دولة الانكليز، وصار كل من الفريقين يشدد ذاته ومستعد إلى وقوع الشر»[1].

وأما الراوية الدرزي فيقول:

«وكانت المملكة الفرنسية في ذلك الحين قد بلغت من القوة مبلغا عظيما وحلت من المجد على عهد امبراطورها نابليون الثالث أوجا رفيعا، وقد كان هذا الامبراطور يحدق في جبل لبنان تحديق طامح إلى اقتراع هضبه، طامع في ضمه إلى ملكه ويؤنسه فيه وجود الطائفة المارونية الشديدة الإخلاص والتعلق بالدولة الافرنسية، فكان الفرنسيس لا يفتأون عن بث روح الشتات والنزاع بين سكان الجبل، لعل لهم في نشوب حرب ضروس بين الدروز والنصارى سبيلا إلى احتلال لبنان ووضع سيطرتهم عليه»[2].

وأما كرد علي ابن دمشق فيقول:

«لم يبق شك في أن الدولة هي التي وضعت الخطة العوجاء لذبح النصارى ليتيسر لها أن تمتلكهم وتضعف من غلواء المسلمين أيضا شأنها في معظم أحوالها في كل بلد نزلته.

(1) زكار، د. سهيل: مصدر سابق ص 373.
(2) نفسه 316.

والموارنة كالدروز لا يخلون من المؤاخذة الشديدة، اغترّ كل فريق بمن كان يزين له الشر ويحسن له العاقبة بعد ارتكابه، فاتمر بما أمر به. فكان ذلك وبالا عليه وعلى جاره، ولم يخسر الدافع لهما شيئا. وما كان يخطر بالبال أن هذه الشرارة تسري إلى دمشق مدينة التسامح واللطف»[1].

وهكذا تمكن الأمير من إفساد خطط الجميع بتكتيكه الذكي المكون من النقاط التالية :

1 - وضع ثقله المادي والمعنوي في مواجهة الجميع.
2 - إعلانه أن النصارى في حمايته.
3 - تجنيد عائلات دمشق الكبيرة معه.
4 - عزل الأكراد عن عرب دمشق.
5 - منع الدروز من الوصول إلى دمشق.
6 - حماية مصالح الدول الأوروبية.
7 - إعلانه الاستعداد لقتال المهاجمين.
8 - عدم إساءته استخدام السلاح.
9 - بذله الكثير من الأموال للشخصيات المتنفذة.
10 - إجباره السلطة العثمانية على تغيير موقفها دون أن يظهر ضعفها.

طاش سهم الفتنة الذي راشته الدول الكبرى كل على طريقتها، واكتفت بأن تعلن بعض لبنان الذي كانت تحتله بشكل أو بآخر كمتصرفيه شبه مستقلة.

ولم تجد هذه الدول مادام الأمير لم يسئ استخدام سلاحه، سوى أن تعترف بفضله، فطارت شهرته في الآفاق وانهالت عليه الرسائل والهدايا

---

(1) كرد علي، محمد: خطط الشام، ط 3، دمشق 1983، ج 3 ص 82.

من أباطرة وملوك الدول الغربية: فرنسا، بريطانيا، روسيا، ايطاليا، بروسيا، اليونان والجمعيات المختلفة مثل الجمعية الماسونية، جمعية إعانة المصابين في البر والبحر، الجمعية الأمريكية الشرقية، ومن زعماء العالم العربي والاسلامي. ولعل من أطرف ما قرأته ويدل على أن شخصية الأمير طغت على شخصيات العالم في القرن التاسع عشر هو رغبة البرلمان اليوناني أن يكون عبد القادر ملكا على اليونان[1].

وأما السلطان العثماني عبد العزيز الذي قيل أن صراعه مع أخيه حول العرش كان واحدا من الأسباب الخفية لهذه الفتنة فإنه أغرق الأمير بالهدايا، خوفا من أن يميل إلى الدول الأوروبية التي أخذت بدورها تتقرب من الأمير لئلا يميل إلى الدولة العثمانية فقد صار الأمير عبد القادر الملك الفعلي غير المتوج على العرب وهذا يخيف العثمانيين والأوروبين على حد سواء لأنه يفسد خططهم في البلاد العربية، بل أن فرنسا خافت إذا ماصار للأمير شأن في المشرق أن يفتك منها الجزائر في المغرب.

9- الأمير يرعى الفقراء ويشفع للمنفيين :

بعد أن تمكن الأمير من حماية النصارى، وبالتالي إبطاله تصاعد الفتنة ومنعه الدول الأجنبية من التدخل، رغم أن الوالي خالف رأي مجلس الشورى بأن يقوم الأمير بقمع الفتنة قبل استفحالها، فإن الوالى الجديد فؤاد باشا سار في تنفيذ خطة الأستانة بتصفية كل خصومها النصارى والمسلمين وتدمير اقتصاد الشام كله، تحت ستار معاقبة أصحاب الفتنة. وكان المستفيد الأكبر من هذه الاجراءات اليهود الذين أيدوا إبادة النصارى ثم أيدوا قتل المسلمين وتدمير اقتصاد الشام.

(1) نفسه، ص 373.

وقد أعدم فؤاد باشا أكثر من مائة شخصية قيادية ونفى أكثر من مائة آخرين معظمهم من العرب «السنة».

ومن بين الذين تم إعدامهم: محمد قطنا، حسن البهنسي، صالح الأيوبي، مصطفى نصوح.

ومن بين الذين تم نفيهم إلى قبرص: عبد الله الحلبي، عمر الغزي، محمد العظمة، أحمد الحسيبي.

ومن بين الذين تم نفيهم إلى رودس: أحمد العجلاني، عبد الهادي العمري، علي العظم.

وتم سجن أعداد غفيرة من الناس ومن مختلف الأجناس، بحيث لم تتسع السجون، فاستعملوا بيوت بعض أهالي دمشق كسجون مؤقتة.

وفي سعيها لتدمير اقتصاد الشام فرضت الآستانة عبر الوالى فؤاد غرامات باهظة جدا على المسلمين الذين اشترك منهم في الفتنة ولم يشترك، ولم يتم استثناء أحد سوى المهجرين الجزائريين.

وما كانت المقاصد من هذه الاجراءات لتخفى على الأمير فشمل برعايته حوالي خمسة عشر ألف مسلم من أهالي دمشق الفقراء واعتبرهم من رجاله، ويبدو أن هذا الإجراء لم يعجب فؤاد باشا ولا بعض الضالعين مع الحكومة إذ يقول الحسيبي:

«استثني السيد عبد القادر المغربي، حتى أنه صار كلما ذهب إليه إنسان أعطاه ورقة بأنه مغربي، حتى صار عدد الذين ادعوا أنهم مغاربة خمسة عشر ألفا أتباع السيد المذكور، وقد أغضب هذا الحكومة وصدر أمر من فؤاد باشا بعدم إعفاء إلا من يثبت أنه حقا من المغاربة»[1].

---

(1) زكار، د.سهيل: مصدر سابق ص 313.

هذا مع العلم أن الحسيبي نفسه أقر بأنه حين التجأ إلى والده أحمد في دمشق، بعض وجهاء الدروز من لبنان هربا من الفتنة، أرسل الأمير إليهم نقودا إذ يقول:

«وأرسل لهم في هذا الوقت السيد عبد القادر المغربي دراهم مقدار أربعة آلاف عرش لأجل الخرج -يقصد المصروف- وشراء الحوائج»[1].

وهذا يدل على أن موقف الأمير لم يتغير في مساعدة الذين تدهمهم الفتنة من أي طرف كانوا، لكن الذي تغير هو موقف الحسيبي حيث يبدو أنه كان ضالعا في الفتنة. فسجنته الحكومة ثم وسدت إليه نقابة الأشراف، وهو الأسلوب الذي اتبعته مع أعوانها من الشخصيات في هذه الفتنة إذ كافأتهم بإسناد مناصب رفيعة لهم.

لكن مهما يكن من أمر فقد تمكن الأمير بعد حمايته للنصارى من انقاذ عدد كبير من فقراء دمشق من غرامات ثقيلة لايطيقونها.

ثم و اصل مكرماته وغادر دمشق في 22/ 4/ 1865 وقابل السلطان عبد العزيز وشفع للمنفيين في قبرص ورودس فقبل السلطان شفاعته وأطلق سراحهم وفي ذلك يقول ولده محمد :

«ومن عناية السلطان به، وحسن التفاته إليه ما ترك له حاجة رفعها إلى أعتابه، إلا أمر بقضائها، على أكمل الوجوه. وفي جملتها، شفاعة في أعيان دمشق، الذين حكمت الدولة عليهم بالنفي، في حادثة دمشق، ونفوا إلى قبرص ورودس. وصدرت الارادة السنية بتسريحهم، ورجوعهم إلى أوطانهم»[2].

ويقول صاحب حلية البشر في ترجمته للأمير عن ذلك :

---

(1) نفسه، ص 288

(2) الجزائري، الأمير محمد بن عبد القادر: مصدر سابق ص 719.

«وفي تلك الأيام قدم المترجم - يقصد الأمير عبد القادر - الرجا والشفاعة لحضرة أمير المؤمنين في تسريح الذوات الشاميين المنفيين إلى قبرص وررودس فقبلت شفاعته وخرج الأمر العالي بتسريحهم»[1].

وقد اهتزت دمشق فرحا لهذا الحادث ويبدو أن الناس منذ ذلك الوقت أخذوا يلقبون الأمير عبد القادر باللقب الصوفي الغوث، بل ربما بدأوا يخاطبونه كسطان لهم.

حيث نجد موشحا نظمه بهذه المناسبة مفتى اللاذقية عبد الرزاق فتاحي الحسيني ومما جاء فيه :

مالي، إذا ما جفا الأحباب، أو بعدوا

سوى الأمير، الذي وافى به الرشد

السيد الشهم، عبد القادر، السند

مولى، غدا مدحه، في الكون عطريا

في فتنة الشام، كم ومن من الهم

حتى حكى صنعه، نارا على علم

وقد حبته، ملوك الأرض، بالنعم

وللفخار، نياشينا، زهت زيا

* * *

بدر الجزائر، ذو العلا

من فاق قدرا، في الملا

مجر لو أراد حلا

وفي العطا، مولى القنا

* * *

(1) البيطار، عبد الرزاق: مصدر سابق، ص 819.

في فتنة الشام الشريف
قد سكن الخطب المخيف
بحزمه الوافى المنيف
خف البلا، عن قطرنا

* * *

ثم انتفى العزم الوفى
لرد من منا نفى
فنحا حمى الليث الصغى
بدرالملوك عزنا

* * *

ندعوك رب العالمين
بالمصطفى طه الأمين
أيد أمير المؤمنين
سلطاننا، غوث الدنا
واحفظ له أشباله
وامنحهم اقباله
يسر له. آماله
وافتح له، يا ربنا

وقد أورد كل من البيطار والأمير محمد هذا الموشح، لكن محمدا يقول أن لفتاحي قصائد أخرى إذ يورد هذين البيتين:

لئن أنكر الوغد اللئيم صنائعـا بدت بدمشق، من أمير الجزائر
فتلك لعمري سطرتها يد العلا على جبهة الدنيا، مـدى داهـر

10- التخوف من الأمير والكيد له :

بعد هذا النجاح الفذ، بدأت الدول الأوروبية ترى في الأمير الرجل الذي يمكن أن يقضي على أحلامها في استعمار بلاد الشام بتزعمه حركة القومية العربية، فإما أن تستميله إليها وإما أن تحرض عليه الدولة العثمانية وتحذرها من خطر تزايد قوته، عليها.

لذلك بعد أن أوقف الصدر الأعظم قرار الوالي بتكوين قوة عسكرية جزائرية في دمشق، أمر الوالي بأن يسحب ما لدى الأمير عبد القادر من أسلحة وأثبت الأمير للمرة الألف بأنه أذكى من أن تنطلي عليه ألاعيب الدول فقال بجرأة لا تخلو من التهديد :

«لن أنصاع لهذا الأمر أبدا إلا إذا أعلن فؤاد باشا بصورة واضحة أن رجالي وأنا شخصيا قد أسأنا استخدام أسلحتنا، في هذه الحالة فإني سأترك له الاهتمام بتبرير تصرفه أما السلطات الأوروبية التي أيدت تصرفاتي». ويضيف تشرشل :

«وتمكن عبد القادر بفضل الدعم القوي الذي أتاه من الاوساط النافذة من تجنب الاهانة التي خططها الأتراك بخبث الروح التي حركت فؤاد باشا والسلطات التركية عامة....

وبدأ جمع الأسلحة عام من سكان دمشق، وقد جمع فعلا 600 بندقية عندما وصل الأمر الذي ذكرناه إلى عبد القادر وعندما لم ينجحوا بالحصول على أسلحة عبد القادر جماعته أوقف الأتراك فورا عملية نزع السلاح العام. واتضح أن هذا التدبير لم يكن سوى وسيلة لإذلال من دافع عن المسيحيين»[1].

(1) تشرشل، هنري: حياة الأمير عبد القادر. نسخة عن الآلة الراقنة موجودة في مكتبة الأسد بدمشق، ترجمة جبرائيل البيطار، ص300.

لكن منذ ذلك الوقت أصبح الأمير يعاني معاناة حقيقية فكل الدول تظهر له الود.. وكلها تخفى له الحقد.. إنها جميعا تخشى أن يقود هذه الجماهير التي تحبه وتطيعه في المشرق العربى في ثورة تشبه تلك التي قادها في المغرب العربي، فتحطم أحلام الدول الأوروبية مغربا ومشرقا كما عبر عن ذلك يوسف كرم بدقة»[1].

وهنا لانجد مصدرا يحدثنا عن الجوانب السرية والخفية في علاقة الأمير عبد القادر بالأتراك والدول الأوروبية خلال الفترة 1860-1883. فحتى الآن لم ينشر أحد - في حدود اطلاعي- التقارير السرية التي كان يبعث بها قناصل الدول الأوروبية والولاة الأتراك إلى قياداتهم.

لكنا نعلم أن تخوف هذه الدول كان شديدا ومتابعتها للأمير كانت شديدة، حتى أنه شك في مترجمه الفرنسي، وصرفه بالحسنى، وقد أشار القنصل البريطاني إلى الأمير كزعيم لحركة زعماء الشام عام 1877.. لكن الأمير من ناحيته، وهو الذي علمته الحروب شدة الحيطة والحذر، كان على اطلاع بخفايا قصور بني عثمان.

ووجدنا في هذه الفترة أن الأمير يكثر من السفر، فزار مصر أكثر من مرة وكذا الجزيرة العربية، واستامبول وفرنسا وبريطانيا. وفي اعتقادي أن هذه الزيارات تستحق من الباحث العربي عموما والجزائري خصوصا تنقيبا ودراسة واسعة، فلا أعتقد أنها زيارات فرجة سياحية يقوم بها رجل صوفي.

ورغم أن الأمير كبر في السن (1807-1883) إلا أن هناك اشارة في كتاب ولده محمد تجعلنا نتساءل إذا ماكانت الوفاة طبيعية حقا، إذ يؤكد ولده أن الأمير في فترته الأخيرة لم يعد يثق بالمحيطين به، خاصة في تناول الدواء في فترة مرضه، ولم يعد يتناوله إلا من يد ولده هذا.. ورغم أن محمد

(1) أفردنا حيزا آخر لعلاقه يوسف كرم بالأمير عبد القادر فلينظر.

يعتبر ذلك من رضا والده عليه ولا يعزوه لشيء آخر.. لكننا نعلم أنه كان للعثمانيين جنودهم في العسل، خاصة وأن العلاقة مع حمدي والي دمشق لم تكن ودية منذ سنوات قبل وفاة الأمير.

11- إخماد فتنة حوران :

يسكن قسم من الدروز منذ قرون طويلة في منطقة حوران جنوب سوريا ويمتدون إلى منطقة الأزرق في شمال الأردن، ويتزعمهم في هذه المنطقة آل الأطرش وقاعدتهم بلدة السويداء في جبل يدعى جبل العرب حينا وجبل الدروز حينا آخر، وفي هذه المنطقة كانوا يهاجمون دمشق خاصة خلال فتنة1860 حيث منعهم عساكر الأمير عبد القادر من الوصول إلى حاضرة بلاد الشام، وازدادت منذ تلك الفتنة أهمية هذا الجبل بالنسبة لهم حيث التجأت إليه عائلات درزية من جبل لبنان. وظل الدروز يكنون منذ ذلك الوقت احتراما وتقديرا كبيرين للأمير وللمهجرين الجزائريين مثلهم في ذلك مثل المسيحيين والمسلمين.

وكانت منطقة حوران منطقة اضطرابات فلاحية ضد السلطة العثمانية التي كانت تشجع العشائر والقبائل العربية فيها على غزو بعضهم البعض إضعافا لشوكتهم، ولإحكام قبضتها عليهم في الوقت المناسب. خاصة أن في حوران عشائر عربية نصرانية تسكنه منذ عهد الغساسنة العرب الشوام قبل الإسلام، ولازال الدروز يحملون الشحناء لكل نصراني.

وفي مطلع القرن العشرين بدأت الجمعيات السياسية العربية في دمشق تمتد إلى جزيرة العرب عبر حوران المعادي للدولة العثمانية سواء في سهله الذي يتزعم القبائل فيه عائلة المقداد أو في جبله الذي يتزعم قبائله عائلة الأطرش التي لاتخفي عداءها للأتراك. فرأت تركيا بعد مد خط سكة حديد

الحجاز الواصل بين دمشق والمدينة المنورة أن الوقت قد حان لضرب هاتين العائلتين العربيتين ببعضهما ولضربهم جميعا بالعشائر النصرانية في المنطقة. وكان لديها من الولاة من هو مختص في إثارة الشغب وضرب العناصر ببعضها، وقد فعل ذلك بنجاح كبير في دمشق نفسها وفي مكة أيضا.. فعينت هذا الوالي الخبير مرة ثانية في دمشق ليثير الفتنة في حوران. وقال صاحب منتخبات التواريخ لمدينة دمشق:

«وفي سنة 1311 عين عثمان نوري باشا واليا على دمشق والمرة الثانية وهذا الأعرج هو صاحب الوقائع والاختلافات مع أشراف مكة حين كان واليا بها وفي أيامه انتفضت حركات الدروز العدوانية بين قبائلهم وزعمائهم ضد مأموري الحكومة بأسباب سوء تصرفهم وادارتهم في تلك الأصقاع وامتدت تلك الحركات وتعاظمت فلجأت الحكومة إلى سوق الجيوش لتأديبهم وإرجاعهم إلى الخضوع والطاعة وعينته قائدا لتلك الجيوش وكان لهذا الوالي طرق غريبة في الرشاوى واستخراج أموال الناس واحتيال عجيب على الأغنياء فجمع بتلك الوسائط أموالا طائلة».

وقد أعلن هذا الوالى أن الحكومة تريد إحصاء النفوس وتثبيت الحالة المدنية واجراء إصلاحات في هذه المنطقة، وفي نفس الوقت أشاع رجاله بأن المقصود هو أخذ الشباب إلى الخدمة في الجيوش العثمانية في أوروبا.. وأن الدروز يؤيدون الدولة في ذلك، فما كان من قبيلة المعجل الحورانية إلا أن اعتدت على الدروز فرد الدوز بالمثل واتسع الخرق، فهجمت الدولة بجيشها ونهب قائده وواليه المنطقة فزادت فقرا واضطرابا ويقول محمد كرد علي:

«وفي سنة 1324هـ اعتدى دروز حوران على عرب المعجل فغزا الدروز المعجل في النقرة من حوران فقتل المعجل منهم نحو سبعين رجلا ثم اعتدى المعجل على قافلة درزية وقتلوا رجلا من أكابر بيوتهم بالقرب من براق، فهاجمهم الدروز في ضمير من مرج الغوطة وقتلوا نحو أر بعمائة من العرب، وأبقوا على النساء، وفي سنة 1328 غزا دروز حوران جيرانهم أهل قريتي معربة وغصم وسكانها مسلمون ونصارى على أثر خصام وقع بين نواطير القرية ونواطير بصرى على الكرم فقتلوا 59 رجلا وامرأة عدا الجرحى ونهبوا القسم الأعظم من قرى السهوه وجيزة وسماقية وطيسة، فأرسلت عليهم الدولة حملة مؤلفة من ثلاثين ألف جندي بقيادة سامي باشا الفاروقي فضربهم ضربة خفيفة قتل فيها زهاء ألف رجل منهم ونحو مئة وخمسين من الجند وأحرقت بعض القرى ولاسيما الكفر أهم موقع حربي في الجبل وحواليها دار معظم القتال، وغنم الجند والضباط ما فيها من متاع وحلي وأرزاق مما حشره الدروز فيها من أنحاء الجبل ولم تستفد الدولة من هذه الحملة إلا احصاء نفوس الجبل، واستأمن الدروز فحكم على بعض زعمائهم وأشقيائهم بالصلب فصلبوا في دمشق وجند بعض شبابهم وعفي عن بعض المجرمين وجرم بعض الأبرياء وهكذا جرمت الدولة والأمه حتى امتلأ صندوق القائد فيما يقال ولم تنفذ خطط الإصلاح التي وضعت على العادة في كل مرة، ومنها ما يرضى به الدروز لكن تطبيقه يحتاج إلى إخلاص وحكمة، وقد أبان الدروز في هذه الحرب شأنهم في أكثر حروبهم وغاراته عن مهارة في الفنون الحربية وشجاعة متناهية».

ويبدو أن الحملة التركية هذه وإن دمرت البلاد والعباد على الصعيد الاقتصادي والبشري، إلا أنها على الصعيد السياسي كادت ترتد على

الدوله العثمانية، ولما كانت هذه الدولة تعلم أن الدروز بكنون احتراما لعائلة الأمير عبد القادر منذ عام 1860 فإنها طلبت من ولده الأمير علي نائب دمشق في البرلمان العثماني أن يتدخل لحل هذه القضية، وجاء ذلك الطلب في برقيه بعث بها والي دمشق الجديد ناظم إلى الأمير علي وجهدت الحكومة التركية في إخفاء طلبها هذا من الأمير علي عدة سنوات، وتقول البرقية المؤرخة 30 مارت 1325 حسب التقويم الميلادي الشرقي المتتبع آنذاك والموافق 30 مارس 1911 حسب التقويم الميلادي الغربي المتبع اليوم، ما يلي :

«كنت بينت لسموكم شفاها حادثة بصرى اسكى شام التي قتل فيها أشقياء الدروز اثنين من الجنود ونهبوا بندقيتهما وأصابوا بعض تجار الشام الذين فتحوا حوانيتهم في الضاحية المذكورة بالأذى وسلبوهم أشياء تزيد قيمتها على ستة آلاف ليرة، فالمرجو من الأمير وقد عهدناه بارا بمصالح الأمه أن يبذل همته في استرداد ما نهب وفي السعي باعادة السكون والهدوء - والي الولايه ناظم».

ويبدوا أن الأمير علي كان مترددا في الدخول في هذه الوساطة، وقد بدأت العلاقة بينه ويبن تركيا أقل مودة، بعد مواقفها من أطماع إيطاليا في ليبيا، قبل أن يعرف نوايا الدول خاصة فرنسا وتركيا، ولهذا «... اتصل بالقنصل الفرنسي في دمشق ليبلغ السفير الفرنسي في استانبول للتأكد من الأخبار التي تنوي الدولة أن تقوم بها ضد الدروز..».

ويبدو أن الأمير علي قد فهم بأن الصدر الأعظم«رئيس الوزراء» يخطط لحملة إبادة نهائية لكل من الدروز الذين تؤيدهم بريطانيا والحوارنة الذين يتصلون سرا بالوهابيين منذ احتلا ل ابراهيم بن محمد علي لمنطقتهم وثوراتهم المتعددة ضده.

وفي ليلة الأول من ابريل نيسان سافر الأمير علي إلى جبل الدروز والتقى بزعماء الجبل وشرح لهم الظاهر والمستتر واستعدوا للصلح مع عائلة المقداد بسرعة مدهشة، حيث يبرق الأمير علي للوالي بالنص التالي المؤرخ 1/ 4/ 1325 م ش.

«أمس ليلا عكفت على متابعة السفر حتى وصلت إلى قرية عره وهنا التقيت بالزعيمين الدرزيين يحيى وحمود فأبلغتها النصح وزودتها الإرشاد ثم بعد هنيهة أقبل الرؤساء إلى حوالي القرية وبما بذلته من النصائح المؤثرة تمكنت من إعادة السلام ونشر الهدوء..الخ».

وقد عقد الأمير علي عدة اجتماعات مع رجال المنطقه من دروز وحوارنة مسلمين ونصارى وتمكن من عقد الصلح في نيسان ابريل من ذلك العام ووفي الطرفان بتعهداتهما له، على أن تفي الدولة العثمانية بتعهداتها في اصلاح المنطقة وتمدينها، لكن الدولة العثمانية لم تلتزم بما تعهدت به للأمير علي وأبلغه لهم.. فزاد هذا في عوامل ابتعاده عن الدولة العثمانية وانضمامه مع ولده عبد القادر وشقيقه عمر إلى العربية الفتاة، كما سنذكر في بحث آخر.

12- إخماد فتنة الكرك :

وأما لواء الكرك الواقع جنوب الأردن والقريب من القدس على طريق المدينة المنورة، فكان الصراع حوله شديدا فتركيا تريد تشديد قبضتها عليه للسيطرة على الحجاز وصولا إلى منابع النفط التي بدأت تظهر فى مناطق الخليج العربي، واقترابا من قناة السويس خليج العقبة، وبريطانيا وفرسا تريدان إبعاد العثمانية عن مصر والسويس و البحر الأحمر كله بما فيه

خليج العقبة، وعن الجزيرة العربية فتحالفت بريطانيا مع الوهابيين (آل سعود) ومع أشراف مكة على حدة، وتحالفت فرنسا مع بعض المسيحيين البدو فى الكرك.

ويبدو أن لواء الكرك كان يعاني من الحرمان والاضطهاد مايعانيه لواء حوران وما أوجب ثورة الفلاحين هناك، ر غم استغلال الدول لحالة الفلاحين البائسة هذه، ففد كتبت المقتبس في 4/ 7/ 1909 على الصفحة الثالثة من عددها 168 تحت عنوان حالة الكرك ما يلي :

«لاخفى أن لواء الكرك الواسع الأ طراف المؤلف من أربعة أقضية تمتد من الشمال إلى الجنوب وهي السلط والكرك والطفيلة ومعان فالثلاثة الأخيرة تألفت فيها الحكومة في أواخر سنة ثلاثمائة وتسع مالية وكانت في يد مشايخها منذ قرون عديدة والحكم لمن غلب. ولذا كان أهلها في حرب وقتال متواصل حتى افنى بعضهم بعضا قراه خراب ومزارعه بلاقع وعمرانه قاعا صفصفا وبالجملة فلا يقع نظر الإنسان هناك إلا على أطلال بالية وآثار دائرة على تاريخ زاهر وبهذه الأسباب اجتثت شجرة العلوم والمعارف من أصلها وأصبحت لا عين ولا أثر حتى أنك لتعد الذين يعرفون الكتابة بأضعف صفاتها على الأصابع إلا أنهم حفظوا لأنفسهم الشهامة العربية والحمية الوطنية ولما أراد الله تعالى تأليف اللواء على يد حسين حلمي باشا الغني بشهرته عن كل ثناء وإطراء قابل الأهلون النعمة بالشكر وأدوا للحكومة مقاليد الطاعة حتى أنهم كانوا ولم يزالوا للحكومة أطوع من البنان للإنسان وهذا شاهد لا يحتاج لبيان.

فمن كان هذا حالهم وهذا شأنهم أفلا يجب الاعتناء بهم أن يعين لهم رجال أكفاء صالحون مصلحون غذوا بلبان الآداب واكتحلوا باثمد- كذا

في الأصل - المعارف العصرية فيديرون شؤونهم بالعدل ويوريدونهم مناهل الأخلاق الفاضلة ويدلونهم على كيفية استخراج الكنوز الأرضية من معادنها الطبيعية وينظرون في أسباب ترقي المعارف وليت شعري من يقوم بهذه الأعمال والحكومة اليوم بأيدي رجال بعيدين عن الكفاءة وقد أصبح شغلهم الشاغل معرفة مخابر المقتبس لينتقموا منه فإن قلت أن الأحرى بهم النظر للعمقال إلا إلى من قال فيصلحوا فاسد الأعمال قلت أن العمل نتيجة العلم والمتصرف أمي تقريبا وقد سلم مقاليد الأمور للمحاسب ولا هم له الآن إلا معرفة المكاتب، وتأليف هيئة جركسية - لاحظ جركسية والجركس أو الشركش هم من مهاجري القفقاس بعد الاحتلال الروسي لها - والاستبداد في طبعه فقد حبس أحد المأمورين لأنه قال القانون يقضي بينى وبين غريمي ولما كانت المحكمة لا رئيس لها وحضرة معاون المدعي العمومي مع ما عرف به من الاستقامة يعد نيل رضى المتصرف شرفا ولذلك صرف النظر. وقد ألغى بتشويق المحاسب نادى الحرية لأن أحد أعضاء جمعية الاتحاد والترقي تلا خطابا انتقاديا ولقد سمعت المحاسب مرة يهزأ بمن يشجع الناس لفتح النادي وبقائه والمحاسب المومأ إليه من أساطين الاستبداد مدمن على الشرب ومعرفته بأمور المالية لاتكفي لوظيفته وقد عزل ونصب غير مراع لقانون ولا ملتفت لنظام ولكن لأسباب يعلمها الله حبس رجلا من أعيان الحوايدة يقال له الشيخ علي الونسي نحوا من ثلاثين يوما حتى إذا استقرض المسكين من أحد التجار مائتين وخمسين ريالا بسند مصدق من محرر المقاولات أطلق سبيله ولا يعلم أين ذهبت تلك الدراهم...».

وكما هي عادتها، أثارت تركيا العشائر على بعضها والمسلمين على المسيحيين قبل أن يتحدوا ويثوروا ضدها، أثارتهم بنفس الحجج التي ساقتها في حوران، ويقول الحصني:

«وقام الكركيون باديهم وحاضرهم - لاحظ باديهم وحاضرهم - وأطالوا يد الاعتداء والنهب والسلب على التجار والموظفين والحامية ولو لم يلجأ الموظفون مع عيالهم إلى قلعة الكرك الحصينة التي هي داخل البلد ويبقوا فيها عشرة أيام ريثما وافاهم المدد من الشام - يقصد دمشق- لكانت قضت الثورة عليهم جميعا، وقد اختلفت الأقوال بعدد من هلك في الفتنة المذكورة من التجار والضباط والموظفين والجند ممن كانوا يتجولون في الأرياض لاتمام أعمالهم، وقد حرقت نيران هذه الفتنة الأماكن الأميرية كلها ونهبت دور الموظفين وأحرق قسم منها وخرب قسم عظيم من المدينة باطلاق القنابل وأفواه المدافع عليها من القلعة وقطع العصاة الفجرة السلاسل والأسلاك البرقية وهاموا على وجوههم في البراري والجنود يتأثرونهم في السهل والوعر»[1].

لقد بدأت انتفاضة فلاحية أخرى في الكرك ضد الحكومة العثمانية فعلا، لكن ثمة يد تدخلت لتحولها ضد المسيحيين وخاصة يد المبشرين الأوروبيين.

ويقول محمد كرد علي في خطط الشام ج3، ص110 :

«وأرادت الدولة في تلك السنة أن تحصي نفوس لواء الكرك هذه كما أحصت سكان لواء حوران، فانتفض أهل الكرك على الدولة لأنهم بادية على الأكثر والبادية تخاف الجندية أكثر مما يخاف منها أهل المدن والمزارع لأن عهدهم بالحكومة حديث وصعب التأليف بين طبائعهم ومعاملة

(1) انظر منتخبات التواريخ.

الموظفين الفاسدين وكان لواء الكرك أسس في سنة 1311 هـ على سيف البادية بين الحجاز والشام، وقد ثبت للدولة أن المرسلين يعملون بنشاط لتنصير تلك الأصقاع وكان ذاك من قبل بعيدا عن كل سلطان»[1].

ويعلل كرد علي وقوف القناصل موقف المتفرج بقوله:

«ولم يتدخل قناصل بعض الدول لمآرب لهم، كان يكون في القتلى بعض النصارى أو أن تقضي السياسة بأن يوجدوا مسألة جديدة تحب دولة ذاك القنصل استثمارها في دار الملك»[2].

ويبدو أن أثر الثورة امتد إلى معان التي نصفها يتبع الشام ونصفها الآخر يتبع الحجاز، إذ ينص د. على سلطان عن فتنة الكرك هذه ويسميها ثورة أيضا بما يلي :

«حدث ذلك في ديسمبر/ كانون الأول/ 1910 أي في الشهر التالي لتمرد الدروز وجاء، في تقرير لقنصل فرنسا في القدس وصف أكثر دقة عن هذه الحوادث فقال: جاءت حملة الفاروقي على الدروز متأخرة ولهذا لم يقتنع البدو المنتشرون من المدينة المنورة إلى الكرك شرق البحر الميت بجدية الدولة وكان دافع عصيانهم هو رفضهم للإحصاء الذي كان يعتقدون أنه سيؤدي إلى تجنيدهم مما جعل السلطة تتظاهر بمحاولة إخضاعهم، ولهذا ثاروا وقتلوا الجنود، وقطعوا خطوط البرق، ودمروا السكة الحديدية وقتلوا موظفيها وبعض المسيحيين من الجوار، وكان المسيحيون خائفين يتوقعون المذابح.

إلى أن يقول: «وعندما بلغ خبر الثورة إلى مسامع سامي باشا الفاروقي استعد بتسعة ألوية لمقاتلتهم وأقسم (بعد مقتل الجنود في الكرك)، بأنه

(1) كرد علي محمد، **خطط الشام**، ج3، ص 110.
(2) نفسه المرجع.

سوف يقتل الترك المسلمين والمسيحيين حتى يعلم (هؤلاء) حسب رواية قنصل فرنسا في القدس كيف يكونون مخلصين للدولة والترك فيها ستة آلاف ثلثهم مسيحيون ارثوذكس والحقيقة حسب رأي القنصل أن المسيحيين لم يشتركوا في الثورة وفي تقرير لقنصل بريطانيا في دمشق أن سبب الثورة هو رفض الدولة أن تدفع لهؤلاء البدو حراسة الخط الحديدي والحقيقة أن الثورة لم تكن مقصورة على الكرك لأن قبائل عطية بين معان وتبوك حاصروا معا ودمروا السكة الحديدة لمسافة 300 كيلومتر والسبب في ذلك هو سبب الثورة نفسه في الكرك وهو رفض دفع الضريبة للدولة». ويجب أن نلاحظ هنا أن تدمير الخط في نفس المنطقة كان أهم ما قام به لورنس وفيصل عام 1916 باسم الثورة العربية، مما يثير الكثير من التساؤلات حول هذه الثورة.

ويبدو أن تدخل الأمير علي وشقيقه الأمير عمر لم يكن هذه المرة بطلب من الحكومة التركية، بل بمبادرة من مسيحيي الكرك الذين شعروا أنهم في عزلتهم في تلك الصحراء لابد أن يبادوا سواء على يد الحكومة أو البدو كما يبدو أن عقلاء الكرك من الطرفين شعروا بخطة الحكومة إذ يقول بيتر جوبسر:

«وعندئذ طلب شيوخ الكرك إلى عودة القسوس، وهو مسيحي متعلم ومرموق من الهلسا، أن يذهب إلى دمشق ويعرض قضيتهم على الوالي».

وهنا يقابل القسوس الأخوين الأميرين علي وعمر فيتدخلان وينهيان هذه الفتنة التي كانت ستنتهي بذبح كل المسيحيين في الكرك إذ تقول مارسيل بروفنس عن الأمير عل ي: «كان له ولأخيه الأمير عمر رحمه الله أجمل الأيادي على المسحيين الذين كانوا سنة 1910 مهددين بالذبح في ضاحية الكرك بجانب القدس الشريف وقد وقف الأميران حول هذا الأمر وأوقفا ضرره بفكرة وقادة وذهن مستنير».

ولعلنا نقول هنا من باب الاستطراد أن ثمة عائلة في الكرك تعود أصولها إلى المغرب العربي كانت تدين بالولاء سرا إلى الأمير علي لأنها جاءت مع حملة إبراهيم باشا كعساكر في جيشه.. لكن أهل الكرك أطلقوا عليهم اسم «العبيد» بفتح العين، وظلوا يرفضون هذه التسمية إلى أن رفعوا دعوة ضد أهالي الكرك أمام السلطات الأردنية في الثمانينات وطالبوهم أن يثبتوا أن أيا من أجدادهم كان عبدا لجد أي منهم.. ولما لم يثبت ذلك أعيد لهم اعتبارهم وهم يسمون الآن عشيرة «المغاربة» ويكن لهم أهالي الكرك من مسلمين ومسيحيين كل احترام تقديرا لفضل الأمير علي وعمر في انقاذ المنطقة من تلك المذبحة التي دبرتها تركيا من جهة والقنصل الفرنسي في القدس من جهة ثانية.

ثانيا : إسهامهم في الوعي العروبي والتحرر من الاستعباد التركي

مدخل:

لم يكن الأمير عبد القادر الجزائري ولا رجال دولته سواء ممن سبقوه إلى الشام أو ممن التحقوا به فيما بعد، واهمين في الدولة العثمانية، ومواقفها، سواء من طريقة الحكم التركي للجزائر، أو من قضية احتلال الجزائر، أو من مساندة مقاومة الشعب الجزائري الطويلة للاحتلال، وسواء من مواقفها تجاه محمد علي في مصر أو الشام، أو حتى من قضية تحديث وتطوير البلدان العربية التي كانت سبب إعجاب الأمير عبد القادر بمحمد علي.

لكن الأمير كان يفرق بدقة بين دولة مسلمة كالدولة العثمانية ودولة غير مسلمة كالدولة الفرنسية، وكان الأمير يعلم الفرق داخل الدولة العثمانية بين السلطان عبد المجيد الذي ربطته به صداقة متميزة، ثم عبد العزيز وبين حكومة هذه الدولة التي بدأت تسيطر عليها النزعة الطورانية والاستعمارية. وليس في سيرة الأمير عبد القادر ما يوحي بود كبير لهذه الحكومة، بينما نجد الكثير من الود بينه وبين السلاطين.

وفي نفس الوقت نجد الأمير يعرف الفرق بين العرب والأتراك في هذه الإمبراطورية العثمانية الواسعة الأطراف التي تزداد تخلفا يوما بعد يوم.. لذلك وجدناه في في الشام أكثر التصاقا بالعرب وأكثر ودا مع السلطان، متجاوزا ليس الولاة المتعاقبين على الشام وحسب، بل الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) نفسه.

لقد كانت اعادة الود بين العرب وتركيا بوجود الأمير عبد القادر في الشام تحتاج إلى خطوة واحدة تخطوها الدولة العثمانية، وهي تنصيب

الأمير عبد القادر واليا على الشام، خاصة بعد 1860 .. لكننا لانجد حتى الآن في المصادر التي بين أيدينا أن أحدا في الدولة العثمانيه فكر في ذلك، مع أن مصلحتها الظاهرة فيه بعد أن أثبت الأمير قدرته على الادارة وتطوير إلبلاد كرجل دولة رفيع المستوى، لكن يبدو أن الدولة العثمانية رغم تملقها الشديد للأمير، كانت ترى فيه خطرا على سلطتها في البلاد العربية التي أصبح بفضل صفاته كمجاهد، ورجل دين، وتسامح، وحس عر وبي، زعيم هذه البلاد في المغرب والمشرق.. وربما هذه السمعة المتزايدة هي التي أبعدت هذه الفكرة عن أذهان الحكومة العثمانية، رغم الفشل الشديد الذي أظهره ولاتها على الشام ورغم تزايد الكراهية في صفوف العرب مسلمن ومسيحيين للحكم التركي بمجمله.

لكن العرب في هذه المنطقه فكروا مليا في الأمر وعرفوا أن العلاقة بين الأمير عبد القادر والدولة العثمانية هي احدى تعبيراث التململ والنهوض والمواجهة التي تعيشها القومية العربية الحديثة، فالفتنة الطائفية في لبنان ودمشق لم تذهب بلا دروس وعبر، ودروس الإمير ورجال دولته في مساجد دمشق لم تذهب سدى، وتثمين الدول الأوروبية للأمير لم يكن له أن يمر دون اسثمار..

فبعد فتنة 1860 وما تبعها من إجراءات عثمانية ضد قيادات المجتمع في سورية، أدرك الناس صحة موقف الأمير عبد القادر فقد طال القمع التركي قيادات العنصر العربي من جهة ووافقت الآستانة على سلخ جزء من لبنان من جهة أخرى، تكرارا لما فعلته مع منطقة المحمرة جنوب شرق العراق حين سلمتها إلى ايران في القرن السابق، وبالتالى انكشف أمر الجمعيات والارساليات الأوروبية في لبنان وتغطيها بالفكرة العربية، وانكشفت في دمشق أهداف السلطنة العثمانية وتغطيها بالدين.

وهكذا التفت جميع القوى الأساسية حول الأمير سواء كانت من المسلمين بشتى مذاهبهم أو من المسيحيين خاصة من الموارنة في شمال لبنان، حيث قامت فرنسا بنفي زعيمهم داعية العروبة يوسف كرم إلى الجزائر، وانشق الصف الماروني نفسه بسبب الألاعيب الفرنسية، فموارنة الشمال لهم مواقف تجاه القومية العربية تختلف عن موارنة زحلة والبقاع الذين زادوا التصاقا بفرنسا.

وإلى ذلك كان الأمير ومجموعته يبثون الوعي العروبي في المساجد والمدارس، لكن الأمير بدأ يفقد أفضل رجالاته من المهجرين الجزائريين. إذ شهدت الفترة وفاة العديد منهم، غير أن طبقة ثانية من المريدين الشوام والجزائريين كانت تشربت أفكار الأمير الدينية والقومية وأساليبه في العمل السياسي المنظم. وبدأ الوعي القومي العربي يتجه إلى الأساليب العملية والموجهة ضد الحكومة الطورانية دون محاولة الاساءة إلى السلطان نفسه.

ولعل أولى هذه الأساليب رفض الشوام المشاركة في عام 1872 في الجيش الذاهب لاحتلال اليمن حيث يقول صاحب يقظة العرب:

«كان احتلال الجيوش العثمانية لتلك الولاية مرة ثانية سنة 1872 بداية لعهد من العداء بين الترك والعرب طويل كثير النفقات»[1].

وهكذا بدأ عرب الشام منذ 1856 يعلون شيئا فشيئا من جسارتهم ضد الأتراك الذين عادوا إلى البلاد بتدخل الدول الأوروبية ضد وحدتهم مع مصر محمد علي وفصل هذه الوحدة عام 1840. الأمر الذي تكرر عام 1961 أيضا.

---

(1) انطونيوس، جورج: يقظة العرب - تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة د. ناصر الدين الأسد ود. احسان عباس، ط 8، بيروت 1987 ص160.

أ- الأمير الجزائري ملكا على الشام ورئيسا لحزب مصر الفتاة :

في القرون الخوالي بايع أهل المغرب العربي «الأمازيغ»، الزعيم الأموي الهارب اليهم من دمشق أميرا عليهم فأسس الدولة الأموية في المغرب العربي والأندلس، تلك الدولة التي قدمت للحضارة البشرية ولأوروبا الشيء الذي لم يستطع أحد نكرانه.

وفي عام 1877 للميلاد كادت تتكرر الحكاية بطبعة مشرقية! إذ عقد القوميون العرب مؤتمرين سريين في كل من بيروت وصيدا وتدارسوا أمر انفصالهم عن الدولة العثمانية وتأسيس دولة عربية مستقلة، وكان هؤلاء من الوجهاء الذين ليست لهم أدنى علاقة بالإرساليات الأوروبية أو الجمعيات الثقافية، ومنهم أحمد الصلح، محمد الأمين، علي عسيران، علي الحر، شبيب الأسعد وغيرهم. ولعل عدم وجود علاقة لهم بهذه الإرساليات هو السبب الذي جعل مؤرخي الاستعمار وتلاميذهم العرب يقفزون عن هذه الحركة الاستقلالية العربية ويحاولون طمس معالمها البالغة النقاء والشفافية.

ثم قرر هؤلاء عقد اجتماع موسع في دمشق يضم القيادات الدمشقية لتدارس الأمر وبالفعل عقد المؤتمر على الأرجح في منزل نقيب الأشراف بدمشق الشيخ تقي الدين الحصني وقرروا ترشيح الأمير عبد القادر لقيادة حركتهم ويكون ملكا على البلاد الشامية، وذهبوا إليه في قصره بضاحية دمر فوافق على العرض من حيث المبدأ. يقول قدري قلعجي :

«وقد اتصل أحمد الصلح بعدد كبير من زعماء سورية وتنادى الجميع إلى عقد مؤتمر في بيروت، ثم تلاه مؤتمر ثان في دمشق. وقرر المؤتمرون العمل لتحقيق استقلال البلا الشامية وترشيح الأمير عبد القادر الجزائري ليتولى الملك على هذه البلاد»[1].

---

(1) قلجي، قدري و ينقل عن الصلح و انطونيوس.

ويقول د. عبد العزيز الدوري في كتابه "التكوين التاريخي للأمة العربية" عن هذه الحركة وموقف الأمير منها :

«اتجهت الحركة إلى استقلال سورية في حالة تعرض البلاد لخطر استيلاء دولة أوروبية وبخلاف ذلك يكون الاتجاه نحو الحكم الذاتي في إطار الدولة العثمانية. ورأت الحركة في الأمير عبد القادر رئيسا للدولة الجديدة.

وقد قبل الأمير من حيث المبدأ برنامج الوجهاء ولكنه نصح أن يؤجل الموضوع إلى أن يتيقن كيف ستخرج الدولة من الحرب، كما أن يوسف كرم الذي كان يعيش في أوروبا تبادل رسائل مع الأمير عبد القادر حول مشروع سياسي يبدو وكأنه يتلاءم مع مشروع الوجهاء، وهكذا يبدو أن حركة الوجهاء سارت على أسس وطنية لا طائفية، وأنها تحركها الفكرة العربية[1].

ويقول محسن الأمين في ترجمته لمحمد الأمين في كتابه الشهير أعيان الشيعة : «وحدث خبير أن سبب نفيه إلى طرابلس أنه اجتمع جماعة من عظماء سورية منهم المترجم وأحمد باشا الصلح وغيرهما وقرروا إنشاء دولة عربية واختاروا لها الأمير عبد القادر الجزائري وخابره بذلك واجتمعوا وكانت كتب السيد محمد الأمين ترد إليه في دمشق ويكتب في أعلاها دار الامامة فعلمت بذلك الدولة العلية فكان سبب نفيه إلى طرابلس»[2].

وأما المؤرخ الشيعي الآخر محمد جابر آل صفا فيقول أن ذلك المؤتمر كان «أول مؤتمر اشترك فيه الشيعيون للنظر في استقلال سورية وفصلها عن جسم المملكة العثمانية، عقد سرا في دمشق... وقد أقر المؤتمرون اختيار الأمير عبد القادر الجزائري نزيل دمشق أميرا على سورية ونقل القرار للأمير المغفور له أحمد باشا الصلح الذي كان يمثل مسلمي الساحل»[3].

---

(1) الدوري، د. عبد العزيز: التكوين التاريخي للأمة العربية.

(2) الأمين، محسن: أعيان الشيعة. بيروت 1958، ط 1 432، ص299.

(3) آل صفاء محمد جابر: تاريخ جبل عامل بيروت 1981، ط 2.ص....

أما السني عادل الصلح فيقول في كتابه (سطور من الرسالة):

«لقد اختار أهالي الديار الشامية الأمير عبد القادر الجزائري ليكون رأس حركتهم ورئيسا للدولة التي عزموا على انشائها وذلك لشرف نسبه ولأنه بطل قومي مجاهد وسياسي قدير فذ، ورجل علم وأخلاق ومكارم، ولأنه سبق أن أنشأ دولة عربية قوية في بلاد المغرب الأوسط وناضل في الدفاع عنها ضد الاستعمار نضالا كان أسطورة ذلك الجيل وآيته وأعجوبته، واحتل بذلك في الأمة ألعربية مرتبة عزَّ نظيرها.

ويضيف الصلح:

وقد اصطفاه أهل الديار الشامية دون أن يخطر لأحدهم أنه ليس من أهل المشرق وأن المشرقي أولى منه بهذه الولاية لأن النزعات الإقليمية لم يكن لها اعتبار في ذلك الزمن، فكان ابن الجزائر وابن دمشق وبغداد وبيروت وسائر البلاد العربية مواطنا عربيا»[1].

ويبدو أن وجهاء الدروز قد غابوا عن هذا الاجماع القومي متأثرين بروابطيم القديمة مع الانجليز الذين يتصارعون مع الفرنسيين لالتهام المشرق العربى من تركيا حيث يقول مؤرخهم دون سند يذكر أنه في تلك الفترة «كثر الحديث عن مشاريع تقسيم للدولة وعن مشاريع دول وإمارات عربية مستقلة كالمشروع الفرنسي القاضي بإنشاء امارة سورية برئاسة عبد القادر الجزائري»[2].

كان الأمير عبد القادر يرى أن الحل الأمثل هو عدم الدخول في نزاع مع الدولة العثمانية المسلمة وإضعافها أمام الدول الأوروبية، وفي نفس

(1) الصلح، عادل: سطور من الرسالة. تاريخ حركة استقلالية قامت في المشرق العربى سنة 1966/ 1977، بيروت، ط1. ص 98.

(2) البعينى، حسن أمين/ جبل العرب، صفحات من تاريخ الموحدين الدروز 1685-1927، بيروت 1985 ط1، ص 197.

الوقت انجاز الاستقلال العربي ورفع المظالم عن الأمة العربية لذلك اقترح أن تكون الدولة العثمانية بتاجين عربي وتركي على طريقة الامبراطورية النمساوية في ذلك الوقت[1].

وقد تجلى الاجماع على الأمير عبد القادر في تأييد المسيحيين الموارنة بزعامة يوسف كرم الذي كانت فرنسا قد نفته إلى الجزائر، حيث كتب الرسالة التالي نصها إلى الأمير عبد القادر في دمشق يناقش معه المشروع من مختلف جوانبه:

«سيدي ومولاي الأفخم:

بينما حكومة روسيا منهمكة بالحرب الحاضرة، فإن حكومتي فرنسا وانكلترا، لاعتقادهما بسقوط الحكومة العثمانية القريب، قد هيأتا الوسائل الآيلة إلى تجزئة الديار العربية إلى أقاليم تلجأ إلى حمايتها، ولحمل هذه الأقاليم على رفض حماية الحكومة الروسية، خوفا من أن يجمع الجنس العربي صفوفه ويصبح حكومة واحدة، والسبب في ذلك أن حكومتي فرنسا وانكلترة تخشيان من أن يمتد فيما بعد اتحاد الجنس العربى فينزع منهما الجزائر وبعض أقاليم الهند، لذلك فهما ترغبان في استعبادنا جميعا، الأمر الذي أوجب أعراضه، حتى إذا رأت حكمتكم الوسيعة رأيى موافقا ترسون معتمدين لمخابرة حكومات وشعوب أوروبا بهذه الخصوصات تعرضون الأمر لكل دولة وشعب على حدة، قبل أن يصير إعلان المشروع الواجب لإنقاذ الجنس والوطن.

ثم إذا رأت فخامتكم أن تعين على الأقاليم العربية أمراء مستقلين يدفعون إليكم أموالا مقررة، ويوحدون صفوفهم تحت رايتكم ضد كل تعدي، قبل أن تتدخل بأمورنا الدول الأجنبية فذلك كما يتراءى لي هو أحسن سياسة بل هو

(1) الصلح، عادل: مصدر سابق ص 100.

نفس السياسة التي قد استخدمها المسلمون منذ فجر نشأتهم، وهذه السياسة قد استصوبتها حكومة بروسية وتمشت عليها في تنظيمها جرمانيا من أقاليم مستقلة اتحدت بطريقة «الكونفيدراسيون». فهذه الأقاليم المستقلة يسهر كل إقليم منها على صيانة إمارته وترتبط مصالحه مع مصالح الحكومة الرئيسية. ويستمد قوته منها وأن المال الذي يدفعه لها يكون طفيفا جدا بالنسبة للحماية والمساعدة التي تصدر له عند الحاجة عن الحكومة الرئيسية، وعن الأقاليم الباقية التي تؤلف اتحادا وثيقا بالمصالح والحقوق.

غير أنه بما أن الحكومة العثمانية التي عزمت على نزع الاستقلال من الأقاليم العربية، وإخضاع قوانينها وشعوبها إلى مطامع ذواتها المتشاغلين بما لا حاجة لإيضاحه الآن، فقد تعاكست بذلك المقاصد والمصالح بين الحكومة الرئيسية والأقاليم التابعة لها، فاستطاع أعداء السلطنة أن يستخدموا ضدها أبناءها، بينما الاستقلال الحقيقي يوجب على السلطة العليا أن تجعل جميع مقاطعتها، أعضاء جسد واحد مرتبطين بالحقوق والمصالح.

فهذه السياسة الحكيمة توفر على فخامتكم الأموال المقتضية للقوة الجبرية والأخطار المحدقة بها، وتجمع تحت الراية الشرقية زعماء شرعيين مخلصي النوايا، يزيلون كل صعوبة باستنادهم إلى حق الله والعباد، لأن الحق هو قوة سماوية في القلوب البشرية وهو صاحب الفوز كيفما تقلبت الظروف.

يبقى لي أن أعرض لفخامتكم أيضا بأنه كما أن العجلة تسبب أخطارا فالتباطؤ يسبب أضرارا وضياع المنافع المنشودة، وقد أعلنت قرائن الأوال بأن الفرصة الحاضرة قد ناهزت البراج، وأنه لدى سقوط الحكومة العثمانية يتلقانا الأجانب بالإرث عنها، ولا يعود يستطيع الجنس العربي أن يتحد تحت راية واحدة.

فبالنظر إلى كل ذلك، وبما أن العناية الإلهية قد أهلت فخامتكم لتستخدمها واسطة لتسير بنا على الطريق القويم فإليها أكرر التوسل بألا تدع الفرصة الحاضرة تذهب بدون جدوى. أسأله تعالى جل جلاله أن يعضد المساعي القويمة بالتأييد أفندم»[1].

وكذلك تجلى الإجماع في امتداد الحركة إلى العراق والحجاز واستمرارها سنوات بعد مؤتمر 1877.

«ففي 19/ 10/ 1879 أرسل قنصل فرنسا العام في بيروت إلى وزير الخارجية الفرنسية برقية يقول فيها: «يشاع هنا أن ثمة مؤامرة عربية تدبر في سورية لها فروع في ولايات حلب والموصل وبغداد ومكة والمدينة هدفها إنشاء مملكة عربية يرأسها حاكم عربي. إلا أنني لست في وضع يمكنني من تأكيد هذه الشائعة على أن مثل هذه الفترة التي تسود فيها الفوضى التامة هنا، أعتقد أنه ليس ثمة ما يحول دون تحقيق هذا المشروع. وقد ذكر اسم عبد القادر الزعيم الجزائري الشهير الذي يقيم في دمشق ليكون السلطان المقبل لهذه المملكة»[2].

وأما القنصل البريطاني فقد أرسل من بيروت في 28/ 6/ 1880 برقية يقول فيها: «ظهرت في بيروت منشورات تحض على الثورة يشك في أن مدحت هو منشؤها، ومع ذلك فالهدوء يسود البلاد. التفصيلات في البريد القادم»[3].

(1) نفسه ص 106 و ما بعدها.
(2) نقلها الصلح عن جورج انطونيوس.
(3) انطونيوس، جورج: مصدر سابق ص 153.

وفي نفس الفترة نجد أن يدا عربية أخرى امتدت إلى الأمير عبد القادر في دمشق، هي اليدالمصرية، إذ تصله رسالة من حزب مصر الفتاة ليكون زعيما لهذا الحزب الوطني العربي، موقعة من أحد قادة هذا الحزب وهو الكاتب السوري المعروف أديب إسحق وتقول الرسالة :

«أيد الله الأمير الأعز ونحن عصبة تذكر ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر. رأينا ما ألم بهذه الأقطار من الأضرار ناشئة عن تخالف القلوب وتنافر الأفكار حتى صارالود مداجاة والحب عدوانا فقلنا يا قوم لاتنافسوا ولاتحاسدوا ولاتباغضوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ورأينا بوادر البلاء وطلائع الشقاء فخفنا المهرب الأعظم ينقلب به الخير إلى الضير والمغنم إلى المغرم ويزول بهاء الأمة ثم تغضب الأرض التي سقاها السلف الكرام بالدم فنهضنا نروم حفظ الباقيات الصالحات بوسائل السلم والسلم أسلم وذكرنا خيركم المدافع عن عشيرته مالم يأثم.

ورأينا فقيرنا يعثر بأذيال فاقته وعظيمنا لايأمن على راحة أو على ما في راحته ومثل ذلك سائر إخوان الوطن الذي ولدنا فيه أو نزلنا بساحته فنزعت أنفسنا إلى اعانتهم ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته.

ورأينا أنوار فضل الأمير على طور تجلى الحكمة توقظ الراقد وتنبه الغافل من هاته الأمة فتكشف عنها كل كلمة فعلمنا أن لابد من التماس مساعدته في هذه المهمة فرفعنا إليه الصحيفة التي هي لسان حالنا لتنوب لديه عن لسان مقالنا أمل الحصول على القبول شأن الأمير في معاملة من أمه ورجاء ورود الجواب بما يراه في أمر هذه الخدمة وله فيشرفنا بذلك رأيه العالي سددا وأمره الكريم مؤيدا إن شاء الله»[1].

(1) علوش، ناجي: كتابات أديب إسحق.

وهنا نلاحظ أن الفترة مابين 1877-1883 قد شهدت شيئا من الفتور في علاقة الأمير بولاية سورية وأن الأمير بدا يخطط فعلا لليوم الموعود فأخذ يزور عساكره في وسط بلاد الشام الجليل وحوران. ويقول عادل الصلح:

«وخشية من أن تلفت هذه الجولات المفاجئة أنظار السلطة وتثير تساولها، وخوفا من تنبه رجالها للغرض الحقيقى منها، اتخذ المتجولون زيارة الأمير لمواطنيه الجزائربين ذريعة لتنقلاتهم ورحلاتهم وكان هؤلاء الجزائريون قد نزحوا عن الجزائر مع الأمير وخلال غيابه في منفاه وبعد قدومه إلى دمشق وفدوا إلى الديار الشامية وانتشروا فيها جماعات وقدر عددهم بستة آلاف، وكان الأمير ورجال الحركة يعتبرون هذه الجماعة المدربة على القتال نواة لقوة محاربة يستعان بها عند الاقتضاء»[1]. وأستطيع أن أضيف أن الأمير بنى في قرية عولم الاستراتيجية بفلسطين التي يسكنها المهجرون الجزائريون، مقرا كان يطلق عليه أهل القرية «قصر الأمير» وظل قائما حتى خروجهم من فلسطين عام 1948.

ونلاحظ أيضا أن الأمير في هذه الفترة كاد يفقد رجله السري في عكا الشيخ علي بن أحمد اليشرطي شيخ الطريقة الشاذلية والذي هو من مواليد بنزرت في تونس عام 1211هـ وابن أحد قادة الجيش التونسي الكبار، والذي كانت طريقته قد انشرت في منطقة عكا وأخذت تعمل ضد الدولة العثمانية فنفته وجماعته إلى قبرص... فشفع له الأمير فأعيد من المنفى لكنه واصل مناكفة الدولة العثمانية فقرر الوالي مجددا نفيه إلى فزان فتدخل الأمير وحبسه في منزله «ثم أن حضرة الأمير بعد مدة أطلقه من حبسه، وأرجعه إلى محله مشمولا بسروره وكمال أنسه»[2].

---

(1) الصلح، عادل: مصدر سابق ص 102.
(2) البيطار، عبد الرزاق: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ج 2 بيروت 1993 ص 1065.

وقد أخذت الدولة العثمانية تبث الدعايات ضد الطريقة الشاذلية وتتهمها بالكفر والفجور والزندقة. وهذا يعني أن الصراع العربي - التركي قد وصل إلى الطرق الصوفية نفسها، مما سيكشف الغطاء الديني عن الأتراك ويعني من جهة أخرى أن الأمير ينظم علاقاته العربية في مصر - العربية الفتاة والخديوي- وفي ليبيا - الطريقة السنوسية، وفي تونس - الجيش - وكذا في الحجاز والعراق. لقد اقترب الأمير كثيرا من هدفه كرائد من رواد حركة القومية العربية الحديثة.. وهذا الفصل من حياة الأمير لما يزل بحاجة إلى بحث وتنقيب، وكذلك الصراع العربي - التركي داخل الطرق الصوفية ومؤسساتها.

ب - مقاومة سياسة التتريك:

لم تصل محاولة القوميين العرب في الاستقلال عن تركيا عام 1877 إلى مداها حيث تغير الموقف الدولي لصالح تركيا بعد الحرب، فلم يكرر التاريخ نفسه وإلا لكان الباحثون اليوم يقارنون فعلا بين عبد الرحمن الداخل الذي ذهب من الشام إلى المغرب وبين عبد القادر الذي جاء من المغرب إلى الشام، لكن ذلك لم يوهن عزيمة أحد سواء من الجزائريين أو الشوام، فقد واصل الجميع بث الوعي القومي العربي خاصة في صفوف الأجيال الجديدة وهنا يبرز دور شاب جزائري نشيط هو الشيخ طاهر الجزائري الذي كون مع بعض أصحابه جمعية خيرية هدفها نشر العلوم وفتح الكتاتيب بالجهود الشعبية و الشخصية لهذه المجموعة. وركز الشيخ طاهر على تدريس اللغة العربية وآدابها وفنونها، وهو الأمر الذي كانت تركيا قد منعته، وفرضت تدريس التركية في الكتاتيب القليلة التي كانت موجودة. كما ركز الشيخ طاهر ومجموعته على تدريس التاريخ العربي،

هذا التاريخ الذي تجاهله الأتراك وفرضوا نسيانه، وهذه أساليب استعملتها فرنسا في الموطن الأصلي للشيخ طاهر، وكان الشعب الجزائري يقاومها، وها هو الشعب الشامي يقاومها أيضا تحت قيادة ابن بجاية الذي هجر والده الشيخ صالح من منطقة وغليس قبيلة السماعنة. وقد سجل التاريخ أن هذا الامازيغى هو الذي علم الشوام العروبة لأن الأمازيغية والعروبة مسميان لشيء، واحد!

وتشاء الأقدار أن يأتي «مدحت باشا» صديق الشيخ طاهر واليا على دمشق، وسرعان ما يقتنع هذا الوالي المحب للتجديد والتطور بتحويل تلك الجمعية إلى مجلس للمعارف لتبدأ حركة واسعة فى فتح المدارس العصرية وهو ما سنتحدث عنه فى بحث خاص.

وكان الشيخ طاهر الجزائري الذي عين مديرا للمعارف يتحرك إلى جانب هذا الخط التربوي - التعليمي العلني في خط سياسي ثقافي سري، وليس بعيدا عن الأمير عبد القادر حيث أقام ماعرف بحلقة دمشق الكبرى إذ تقول د. خيرية قاسمية:

«كما ظهرت في دمشق نهضة مماثلة في حلقة الشيخ طاهر الجزائري عام 1878 الثقافية الأدبية التي تكونت إلى جانبها حلقة سياسية سميت بحلقة دمشق الصغيرة»[1].

وتذكر سهيلة الريماوي أسماء بعض رجال هذه الحلقة فمن كبار السن جمال الدين القاسمي، عبد الرزاق البيطار، سليم البخاري، ومن الشباب رفيق العظم، محمد كرد علي، فارس الخوري، وعبد الحميد الزهراوي، شكري العسلي، عبد الوهاب المليحي، عبد الرحمن شهبندر، وسليم الجزائري. ولا بد لي من أن أذكر أن فارس الخوري هو نصراني!.

(1) قاسمية، خيرية: الحكومة العربية في دمشق 1918-1920، بيروت 1982، ط 2 ص 16.

وعن أعمال هذه الحلقة تقول د. سهيلة الريماوي :

«وقف الشيخ طاهر يندد بالحكام واستبدادهم، وينتقد ورجال حلقته سوء الإدارة ويدعو إلى الحرية والعدل والنظام فاتهمه خصومه بالخيانة الوطنية والعمل على فصل البلاد السورية عن بقية المملكة، فألغت الحكومة منصبه الحكومي وعرقلت أعمال الجمعية الخيرية»(1).

ويوضح لنا د. علي سلطان شيئا من عمل هذه الحلقة ونتائجه :

«في هذا الجو الثقافي السياسي للتيار العربي - الإسلامي وبالذات من حلقة الشيخ طاهر الجزائري كان يقرأ هؤلاء الرجال سرا دون علم من السلطة من الصحف المصرية كالمقطم والأهرام، والمؤيد ويتداولونها فيما بينهم وكان محب الدين الخطيب وعثمان مردم بك ممن يأتون بهذه الجرائد إلى دمشق.

ويضيف:

وأخذت العيون تتفتح على الحقائق القومية وخاصة في سنة ل1903-1906حيث كانت سنة 1906 فجرا جديدا للجمعيات السياسية التي ولدت لتدعو إلى العصبية العربية وإلى الأمجاد العربية وإلى تعليم وتعلم اللغة العربية. وفيها ألّفت جمعية النهضة العربية وقد أسس هذه الجمعية سنة 1906 بعض من أولئك الرجال من حلقة الشيخ طاهر الجزائري وجمال الدين القاسمي وزملائهم وبتشجيع منهم»(2).

وتقول وداد سكاكيني عن حلقة الشيخ طاهر الجزائري:

«فكانت حلقة الشيخ طاهر الجزائري أسبق من حلقات المسيحيين إلى المشاركة في ايقاظ الفكرة العربية»(3).

---

(1) الريماوي، د. سهيلة: الجمعية العربية الفتاة.

(2) سلطان، د. علي: تاريخ سورية 1908-1918 نهاية الحكم التركي، دمشق 1987 ط1، ص 23.

(3) السكاكيني، وداد / زعماء العروبة والفكر الإسلامي - الشيخ طاهر الجزائري / مجلة نهج الإعلام / دمشق العدد 23 آذار - مارس 1986، ص 94.

وإذا كانت حلقة الشيخ طاهر الجزائري تضم شيوخا وشبابا، فقد كان لها أيضا تنظيمها الطلابي من بين طلبة مدرسة مكتب عنبر اياها وقد عرف هذا بتنظم باسم حلقة دمشق الصغرى تقول د. سهيلة الريماويى :

«أما حلقة دمشق الصغرى فقد قام على إنشائنها بعض طلاب الفصول النهائية في المدرسة الثانوية المعروفة بمكتب عنبر، فكان هؤلاء الطلاب يترددون على حلقة شيخ طاهر الجزائري لحضور الاجتماعات والندوات، فاتفقوا فيما بينهم على تأسيس حلقة سرية في دمشق سنة 1903.

أما من مؤسس هذه الحلقة فهو محب الدين الخطيب، ومن أعضائها زملاؤه في المدرسة صلاح الدين القاسمي وعارف الشهابي وصالح قنباز، أما خارج المدرسة فكان من أعضائها لطفي الحفار ورشدي الحكيم»[1].

ومن حلقة الشيخ طاهر الجزائري وتنظيمها الطلابي بدأت الأحزاب السياسية القومية العربية.. ولست أدري هل هي المصادفة وحدها التي جعلت التنظيم الطلابي يتأسس في دمشق عام 1903ضد الأتراك بعد مرور مائة عام على ثورة ابن الاحرش ضدهم في الجزائر عام 1803 أم أنه الجهد المتواصل الذي بذله أولئك الرجال الأفذاذ في المغرب والمشرق عموما، ولست أدري هل الكلمات التي أوردها أمين سعيد عن طاهر الجزائري الأما زيغي ابن بجاية كبطل للكبرياء العربي، يمكنها أن تمر دون أن تهز ضمائر الجزائريين المعاصرين والعرب عموما إذ. يقول:

«وكان الشيخ طاهر الجزائري بطل هذه الكبرياء في ذلك العصر بما نشره من مبادئ الحرية، وبما أرشد إلى طرق الاصلاح، وبما أشار

(1) الريماوي، د. سهيلة: مصدر سابق.

إلى وسائل الثورة على الظلم على طريقته التي عرفها معاصروه ودونها مؤرفخوه»[1]. وفي كل الأحوال فإنه بعد عام 1903 بدأت الحركة الجمعوية للعرب في الشام وكان الجزائريون في صلبها ومن مؤسسيها جنبا إلى جنب مع إخوانهم الشوام.. لقد ظل الخيط متواصلا غير متقطع منذ1847 بل وأننا نلاحظ في هذه التواريخ- مطالع القرن العشرين - بداية تشكل الحركة الوطنية الجزائرية الحديثة ويسهم فيها جزائري آخر من مواليد دمشق هو الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر، ولاشك عندي أن حفيد الأمير تأثر بأفكار الشيخ طاهر القومية حيث من الواضح أن هذا الأمير كان جزءا من التحرك القومي العربي الذي أعلنه إلى العالم تلاميذ الشيخ طاهر في العشرية الثانية من القرن العشرين عبر الجمعيات السياسية التي شارك في تأسيسها جزائريو الشام، بعد أن حققت مقاومة سياسية التتريك نجاحا باهرا حيث رأس علامات هذا النجاح إعادة اللغة العربية إلى المدارس والادارة رغم محاولات الحكم الطوراني تهميش هذه اللغة.

ج- تكوين الجمعيات القومية العربية.

يحفظ التاريخ العربي المعاصر للشعب الجزائري أنه أول شعب من الأمة العربية صادم بقوة ولمدة طويلة الغزو الاستعماري الأوروبي في القرن التاسع عشر الميلادي، فأعلى هذا التصادم الروح الوطنية والقومية للشعب الجزائري. وأكسبه خبرة جديدة، وكشف له عن عمق تخلف الدولة العثمانية عن الركب العالمي ومدى كراهيتها للعنصر العربى واتخاذها الدين ذريعة لقهر العرب والتفريط بديارهم مغربا ومشرقا.

(1) سعيد، أمين: الثورة العربية الكبرى - تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن، مطبعة البابي. الحلبي بمصر، ص 310.

ولعل البرهان الذي لايدحض، على هذه الخبرة وتلك الروح العالية يكمن في يوميات الاستعمار الفرنسي في الجزائر، فهذا الاستعمار لم تستقر حياته ولم يخلع عساكره أحذيتهم طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بل إنه لم يتمكن من الوصول إلى مناطق الصحراء الجزائرية قبل العشرية الأولى من القرن العشرين.

وكانت بعض انتفاضات الجزائر وثوراتها الشعبية في القرن التاسع عشر على صلة بالمهجرين الجزائريين في المشرق العربي كما هو حال ثورة المقرانى عام 1871 حيث أسس الجزائريون جمعية مقرها الآستانة لدعم هذه الثورة، وأسسوا في نفس الوقت جمعية خيرية تزعمها الشيخ طاهر الجزائري.. وهكذا أدخل الجزائريون إلى دمشق أسلوب العمل الجمعوي هذا الأسلوب الذي بدأته في لبنان الارساليات الأوروبية على مستوى نخبوي وطائفي فظل مشبوها ومحصورا.

ولأن النضال من أجل الجزائر وعموم المغرب العربي غير منفصل عن النضال من أجل الشام، وعموم المشرق العربي، وجدنا أن الحركة الوطنية في الجزائر تأخذ سماتها الحديثة مع مطلع القرن العشرين على شكل جمعيات وأحزاب سياسية مثل «الجزائر الفتاة»، ووجدنا أيضا الحركة الوطنية في الشام تأخذ نفس السمات في نفس الوقت وعلى أيدي أشخاص جزائريين وعلى رأسهم الشيخ طاهر الجزائري الذي بذر فكرة القومية العربية الحضارية غير الطائفية وغير العرقية والتي تلقنها من أستاذه في الجقمقية الأمير عبد القادر. فأسس جنبا إلى جنب مع الجمعية الخيرية والمدارس حلقة دمشق الكبرى وتنظيمها الطلابي المعروف بحلقة دمشق الصغرى لتتبلور هاتان الحلقتان وتشكلان أول

حزب سياسى سري عربى في بلاد الشام باسم جمعية النهضة العربية التي تمكنت من الوصول إلى أهدافها ودحر الاحتلال العثماني في نهاية المطاف.. من المؤكد أن الفضل في ذلك يعود إلى كل من الشيخ الحلبي عبد الرحمن الكواكبى صاحب كتاب «طبائع الاستبداد» والشيخ طاهر الجزائري صاحب الممارسات العملية.

1- جمعية النهضة العربية:

يقول د. على سلطان:

«ومن الاتجاه العربي الاسلامي ظهرت الحلقات حول بعض الشيوخ من رجال الدين والمفكرين، الشيخ طاهر الجزائري وجمال الدي القاسمي في دمشق وقد كان الشيخ طاهر الجزائري1852-1920 بذرة الفكرة القومية الاصلاحية والتعريب ومؤسس المكتبة الظاهرية، وكان على اتصال برجال العلم والدولة مسلمين ومسيحيين واستطاع أن يجعل اللغة العربية لغة التعليم لكن الدولة كفت يده فيما بعد وعادت التركية لغة التعليم. وكانت له حلقة من رجال سورية ممن لعبوا دورا بارزا في تاريخها ومنهم من أعدمه جمال باشا. ومن رجال هذه الحلقة جمال الدين القاسمي وعبد الرزاق البيطار، وسليم الجزائري وشكري العسلي وعبد الوهاب المليحي ومحمد علي مسلم وعبد الرحمن الشهبندر وفارس الخوري وكانوا يجتمعون بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع في دار رفيق العظم.

ويضيف د. علي سلطان:

وأخذت العيون تتفتح على الحقائق القومية وخاصة في سنة 1903-1906 حيث كانت سنة 1906 فجرا جديدا للجمعيات السياسية التي ولدت لتدعو إلى العصبية العربية وإلى الأمجاد العربية وإلى تعليم

وتعلم اللغة العربية وفيها ألفت جمعية النهضة العربية. وقد أسس هذه الجمعية سنة 1906 بعض من أولئك الرجال وحلقة الشيخ طاهر الجزائري، وجمال الدين القاسمي وزملائهم وبتشجيع منهم. وكان محب الدين الخطيب هو الذي أسسها في استانبول في السنة المذكورة، وكانت تلقى فيها دروس اللغة العربية كل أسبوع وكانت غايتها إحياء اللغة العربية ثم أسس لها فرع في دمشق أصبح الفرع الرئيسي بعد إلغاء فرع استانبول بعد ثلاثة أشهر وكان رئيسها صلاح الدين القاسمي يشاركه لطفي الحفار وعارف الشهابي وسليم الجزائري وعبد الرحمن الشهبندر والضابط أسعد الطرابلسي ورشدي الشمعة وسامي العظم وجورج حداد. وكان الشيخ طاهر الجزائري وجمال الدين القاسمي والشيخ عبد الرزاق البيطار والشهيد شكري العسلي والشهيد عبد الوهاب الانكليزي من أصحاب هذه الفكرة الذين شجعوا الشباب وكانت أهداف جمعية النهضة العربية في دمشق هي رفعة العرب ومجدهم ونشر اللغة العربية»[1].

وليس صحيحا القول أن المهجرين الجزائريين كانوا وحدهم فرسان الميدان أو أن لهم الفضل كله. فذلك كلام شوفيني لايشرف أحدا إضافة إلى أنه كلام غير علمي وغير صادق، فقد وجد الجزائريون أنفسهم ينفعلون في أحداث وطنهم بالشام ويؤثرون ويتأثرون كباقي أهلهم الشوام.. لذلك كانوا يمشون جنبا إلى جنب مع إخوانهم الطليعيين من الشوام، خطوة خطوة. وعلى رأس هؤلاء الشوام الشيخ عبد الرحمن الكواكبي صاحب كتاب «أم القرى» و «طبائع الاستبداد»، وهو الداعية القومي الشهير ويقول باحث :

(1) سلطان، د. علي: مصدر سابق ص 20.

«كانت دعوة الكواكبي وحلقة الشيخ طاهر الجزائري قد مهدتا الطريق لتشكيل الجمعيات والمنظمات السرية لمقاومة الاستبداد التركي من مطلع القرن العشرين»[1].

وبعدالبداية في جمعية النهضة العربية صار بالإمكان السير خطوة أخرى إلى الأمام خاصة بعد إعلان الدستور في الدولة العثمانية، فرأينا ذلك الرجل الشجاع المنكود الحظ الأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر يؤسس مع مجموعة من الشوام الذين كانوا مثله يأملون خيرا في السلطان العثماني، جمعية سياسية علنية باسم جمعية الإخاء العربي العثماني.

2- جمعية الإخاء العربي العثماني:

يقول صاحب تاريخ جبل عامل عن هذه الجمعية: «تألفت هذه الجمعية في الاستانة عقب اعلان الدستور في سنة 1326هـ/ 1908م ومؤسسوها الأمير محي الدين الجزائري، وصادق باشا المويدء، وشفيق بك المؤيد، وشكري باشا الأيوبي، ويوسف بك شنوان، وشكري باشا بك»[2].

لقد ركزت هذه الجمعية في مبادئها على المحافظة على الدستور وتمتين الروابط بين العرب والعثمانيين واعلاء شأن العرب والعربية ونشر المعرفة وتأسيس المدارس وطبع الكتب والرسائل والصحف وحصول العرب على الوظائف والمناصب ونشر روح الاخاء والتعاون بينهم وتأسيس الشركات التجارية والصناعية والزراعية.

ومن الواضح أن هذه الجمعية كانت على قيد خطوة من استعمال كلمة الاستقلال.. وكأنها كانت بالتركيز على التنمية العربية تهيئ الظروف لتلك

(1) المحافظة، د.علي / الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914/ بيروت 1969 ط3، ص 133.

(2) آل صفاء محمد جابر: مصدر سابق ص

الخطوة.. وهي مأخوذة من فكرة الأمير عبد القادر في القرن التاسع عشر «امبراطورية عثمانية بتاجين تركي وعربي»، لذلك فكانت مثلها مثل الأمير عبد القادر تثق في السلطان ولا تثقق برجاله وخاصة الطورانيين ومع أنها استفادت في تأسيسها من إعلان الدستور في 1908 إلا أنها وقعت مع السلطان عبد الحميد ضد الطورانية.. ومع أنها كانت تعلن الولاء للخلافة الإسلامية في الاستانة إلا أن الأتراك الطورانيين من جماعة الاتحاد والترقي وهم الذين جاؤوا وفي برنامجهم إذلال العنصر العربى والتمكين للصهيونية وأوروبا في البلدان العربية فقاموا بإغلاق هذه الجمعية، ويقول باحث : «أيد معظم المنتسبين إلى جمعية الإخاء العربي العثماني حركة عصيان 31 آذار 1909 التي قام بها أنصار عبد الحميد لإلغاء الدستور، فما كان من الاتحاديين بعد أن قمعوا العصيان إلا أن أغلقوا الجمعية وجميع فروعها في البلاد العربية»[1].

لكن إلغاء جمعية الاخاء العربي - العثماني كان هو الضارة النافعة فقد دفع حل جمعية الاخاء العربي الشبان والقادة العرب إلى تغذية الفكرة القومية عن طريق إقامة النودي الأدبية. العلنية وإنشاء الجمعيات السرية ذات الأهداف السياسية الثورية، وكان المنتدى الأدبي «أول هذه النوادي والجمعيات العربية».

3- المنتدى الأدبي :

يعتبر سليم السمعوني المعروف بسليم الجزائري، وهو ابن أخ للشيخ طاهر الجزائري الذي رباه، ليس رجل الجمعيات السياسية الهامة بين المهجرين الجزائريين وحسب بل في بلاد الشام والوطن العربي حيث أنه

(1) المحافظة، د. علي / مصدر سابق ص 134.

أسس ورفاقه وأهمهم رئيسه عزيز علي المصري أحد أفذاذ الأمة العربية عدة جمعيات في الاستانة هدفها تحقيق الاستقلال العربي.

ومن هذه الجمعيات المنتدى الأدبي الذي تقول فيه الموسوعة الفلسطينية: أنشئ هذا المنتدى في الاستانة بعد قليل من اعلان الدستور العثماني (تموز 1908) ليكون بيتا عربيا يلتقي فيه العرب المقيمون والزائرون.

وكان المنتدى فوق الإقليميات والطائفيات، وقد التقى فيه السني والشيعي والدرزي والمسيحي والسوري واللبناني والفلسطيني والعراقي والحجازي والمصري والمغربي، إخوانا متحابين هدفهم مجد العروبة.

ومن أبرز من عرف من الناشطين في إنشاء المنتدى ورعايته عبد الكريم الخليل وكان رئيسه ويوسف سليمان حيدر وسيف الدين الخطيب وجميل الحسيني ومعين الماضي ورفيق رزق سلوم وعاصم بسيسو وعزة الأعظمي ورشدي ملحس. وممن عرف من أبرز أعضائه أيضا عزة الجندي وسعيد الصلح وأحمد قدري وعبد القادر الجزائري[1]. وجميع هؤلاء كانوا طلابا في الأستانة.

وممن عرف من كبار العرب المتعاطفين مع المنتدى خليل حمادة وزير الأوقاف وطالب النقيب الزعيم العراقي وعزيز المصري الضابط المصري الكبير ومن النواب رضا الصلح ورشدي الشمعة وشفيق المؤيد وشكري العسلي وعبد الحميد الز هراوي.

وكان المنتدى يشهد حفلات ومناسبات تنشد فيها الأناشيد القومية وتلقى فيها المحاضرات في مآثر العرب وحقوقهم فكان ذلك مما جعل

(1) المقصود الأمير عبد القادر بن علي بن عبد القادر الجزائري، وهو الذي اغتاله لورانس في وقت لاحق.

الفكرة العربية جياشة في شباب العرب في الأستانة وخارجها كما أصدر المنتدى مجلة باسمه كان يكتب فيها الأدباء والشعراء والعلماء العرب عن كل مايتصل بالعروبة وتاريخها»[1].

لقد كان هذا المنتدى مركزا للنشاط القومي العربي ضد سياسة التتريك الطورانية وضد الحركة الصهيونية المسيطرة على حزب الاتحاد والترقي الحاكم وقد طاردته السلطات العثمانية فيما بعد وأغلقته عام 1915 ومعظم الذين أعدمهم جمال السفاح عام 1916 هم من رجالات هذا المنتدى الذين انضموا إلى جمعيات أخرى.

وقد نشرت المقتبس في الصفحة الثانية من عددها رقم37 تاريخ 13 شباط 1909 عن سليم الجزائري الخبر التالي نصه:

(عين الكاتب البليغ البكباشي سليم أفندي الجزائري أحد نوابغ ناشئتنا من رجال أركان الحرب مدرسا في المكتب الحربي في الاستانة).

فكان أن تحدى سليم الجزائري الترك في عاصمتهم فأخذ يدرس تلاميذه في المكتب الحربي المذكور المعارك التي خاضها القادة العرب مثل خالد بن الوليد وغيره كما كان يلقي محاضراته في المنتدى الأدبي عن الأدباء و المثقفين العرب القدامى، فزرع الشعور بالاعتزاز القومي بين الطلبة العرب، في الوقت الذي كان فيه الأتراك يحقرون العرب.

ويبدو أن سليم الجزائري كان قبل ذلك عضوا في حزب الاتحاد والترقي ثم انفصل عنه حين ظهرت طور انية هذا الحزب وكراهيته للعرب، حيث يقول محمد جابر آل صفا:

---

(1) الموسوعة الفلسطينية / القسم الأول ص 308.

«كانت الجمعيات السرية التي - ألفت قبل اعلا ن الحكم النيابي الثاني لمقاومة الطغيان الحميدي تعمل كل و احدة منها منفردة عن الأخرى وأهم هذه الجمعيات وأعظمها أثرا جمعية الاتحاد والترقي وهي في الأصل جمعيتان تأسست قبل الدستور بخمس عشرة وذلك سنة 1894م وضمتا فريقا من الأحرار العثمانيين منهم الكثير من ضباط العرب وأفذاذهم أخصهم سليم بك الجزائري «رئيس ألف» أركان حرب وعزيز بك علي المصري وأمين بك لطفي وكلاهما برتبة بينباشي أركان حرب وغيرهم»[1].

وتقول الموسوعة السياسية عن المنتدى الأدبي أنه قد تأسس في صيف 1909 على يد عدد من النواب والأدباء و الطلاب العرب في استانبول، ونظرا لطبيعته غير السياسية فقد سمحت به السلطات كما سمحت بفتح عدة فرو ع له في فلسطين وسوريا ولبنان. ولعب هذا المنتدى دورا هاما في جمع الطلبة والقادة العرب، انتسب إليه آلاف الطلبة وكان بمثابة مصنع للتفاعلات الفكرية العربية ومنطلق لأفكار سياسية ثورية[2].

4- **الجمعية القحطانية:**

ويظهر اسم سليم الجزائري مرة أخرى كواحد من مؤسسي الجمعية القحطانية السرية التي كانت تهدف إلى نو ع من الاستقلال العربي بتحويل الدولة العثمانية إلى مملكة ذات تاجين وهي الفكرة التي عمل لها المهجرون الجزائريون الأوائل بقيادة الأمير عبد القادر الجزائري.

ويقول جورج انطونيوس في يقظة العرب عن هذه الجمعية:

(1) آل صفاء محمد جابر: مصدر سابق ص 147.
(2) الكيالي، د.عبد الوهاب / الموسوعة السياسية / بيروت 1974 ط 1 ص 20.

«وفي الوقت نفسه قامت الجمعيتان السريتان. أنشئت الأولى، وهي «القحطانية» في أواخر سنة1909 بعد إنشاء (المنتدى الأدبي) وكان مؤسسوها من ذوي الجرأة و الاقدام وكان هدفها تحقيق مشروع جديد جريء، وهو : تحويل الدولة العثمانية إلى مملكة ذات تاجين. وكانت هذه محاولة أخرى لحل المشكلة التي أوجدتها سياسة الاتحاديين المركزية. وذلك بأن تؤلف الولايات العربية مملكة واحدة لها برلمانها وحكومتها المحلية وتكون اللغة العربية لغة معاهدها ومؤسساتها على أن تصبح هذه المملكة جزءا من امبراطورية تركية - عربية، تشبه في تكوينها الدولة النمساوية المجرية..»[1]. ويشير أنطونيوس في الهامش إلى سليم الجزائري كمؤسس من بين مؤسسي الجمعية القحطانية.. أما الموسوعة السياسية فتتحدث عمن الجمعية القحطانية قائلة : «بعد مدة وجيزة من تاريخ إنشاء المنتدى الأدبي قامت الجمعية القحطانية السرية على يد جماعة أشد جرأة من جماعة المنتدى الأدبي. أما أهداف القحطانية فكانت إقامة امبراطوية تركية عربية.. إلى أن تقول الموسوعة: وكانت الجمعية متشددة في اختيار الأعضاء وفي التزام السرية لأنها أدخلت الضباط العرب كقوة فاعلة في الحركة القومية»[2].

وأما أدهم الجندي فيقول عن الجمعية القحطانية:

«تأسست الجمعية القحطانية في الاستانة سنة 1909 وقد أسسها عبد الحميد الزهراوي وعزيز علي المصري وسليم الجزائري ثم انضم اليهم حقي العظم وحسين حمادة والدكتور عزة الجندي.. إلى أن يقول.. وانبثق من هذه الجمعية ثلاث جمعيات مهمة في أزمنة مختلفة، فأسس عزيز المصري جمعية العهد وانتمى إليها فريق من ضباط العرب وبعد ذهابه

(1) انطونيوس، جورج: مصدر سابق ص 186.
(2) الكيالي، د.عبد الوهاب/ مصدر سابق ص 20.

إلى مصر أسس جمعية (الثورية العربية) وأسس بعض أعضاء الجمعية من الملكيين وهم عبد الحميد الزهراوي والشيخ رشيد رضا ورفيق العظم وحقي العظم والدكتور عزة الجندي جمعية اللامركزية في مصر»[1].

5- جمعية العهد :

ولعل أخطر جمعية أسسها العرب في ذلك الوقت هي جمعية العهد التي قاسمت جمعية العربية الفتاة دورها القيادي في حركة القومية العربية والثورة العربية وحكم سورية والعراق فيما بعد، وهي انبثاق عن الجمعية العربية الفتاة وتقول عنها الموسوعة السياسية: «قامت جمعية العهد السرية بمبادرة من بعض أعضاء الفتاة، وضمت عددا كبيرا من الضباط العرب في الجيش التركي، وكانت أخطر المنظمات العربية على الاطلاق».[2]

ويورد د.علي سلطان اسم سليم الجزائري نفسه كأحد مؤسسي جمعية العهد ويتحدث عن تفكيرها فيقول :

«يبدو أن فكرة العهد على إنشاء دولة عربية – تركية تشبه امبراطورية المجر والنمسا، قد شاعت على ألسنة العرب المهتمين بالقضية العربية[3]. وهو ذات التفكير الذي أطلقه الأمير عبد القادر عام 1877 كما أسلفنا في بحث سابق. ويتحدث أدهم الجندي في تاريخ الثورات عن هذه الجمعية فيقول :

« انبثقت جمعية العهد من الجمعية القحطانية وتشكلت في 28 تشرين الأول سنة 1913م ومن مؤسسيها عزيز علي المصري بعد عودته من طرابلس الغرب للاستانة وكانت عسكرية لا يدخلها إلا ضباط الجيش.

(1) الجندي، أدهم: شهداء الحرب العالمية الأولى / دمشق، 1960، ص14.
(2) الموسوعة السياسية.
(3) سلطان، د. علي: مصدر سابق ص 33.

وتضم نخبة مختارة من ضباط العرب، منهم: نوري السعيد ومولود مخلص وجميل المدفعي وياسين وطه الهاشمي وعلي النشاشيبي وعارف التوام ومحمد اسماعيل الطباخ ومصطفى وصفي وسليم الجزائري وأمين لطفي الحافظ وصادق الجندي ويحيى كاظم أبو الشرف وأسعد الدرويش وغيرهم من كبار قواد العرب.

كانت هذه الجمعية سرية وقد أقسم أعضاؤها أن لايبوحوا بشيء من أسرارها ويتلخص برنامجها:

1- جمعية العهد سرية أنشئت في الاستانة وغايتها السعي للاستقلال الداخلي لبلاد العرب، على أن تظل متحدة مع حكومة الاستانة.

2- ترى جمعية العهد ضرورة بقاء الخلافة الإسلامية وديعة مقدسة بأيدي آل عثمان.

3- لما كانت الجمعية تعتقد أن الاستانة رأس الشرق، وأن الشرق لايعيش إذا اقتطعتها دولة أجنبية، فهي تعني عناية خاصة بالدفاع عنها وتعمل للمحافظة على سلامتها.

4- لما كان الترك يؤلفون من (600) سنة المخافر الأمامية للشرق أمام الغرب فعلى العرب أن يعملوا للحصول على مايؤهلهم لأن يكونوا القوى الاحتياطية الصالحة لهذه المخافر.

ويضيف الجندي قائلا :

لقد أحدث تأسيس هذه الجمعية أهمية عظيمة، وبدا الأتراك ينظرون إليها بخطورة بالغة لما عرف به منشئوها من الصلابة والعقيدة الوطنية والقوة والنفوذ ولأنها أسست في فترة كانت العلاقات بين الاتحاديين والشباب العربي قد توترت توترا حادا، وقد لقيت هذه الجمعية تأييد الشبان

والضباط العرب الأحرار، وأنشئ لها فروع في بغداد والموصل، وهذا ما دعا الحكومة الاتحادية أن تخشى توسعها وسطوتها وتأثيرها فقامت جادة في تفريق رجالها قبل استفحال أخطارها.

وكان الشهداء عبد الحميد الزهراوي وشكري العسلي وعبد الوهاب الانكليزي وعبد الكريم الخليل وطالب النقيب والدكتور عبد الرحمن الشهبندر على اتصال دائم بأمراء العرب العسكريين، وكان شكري العسلي مبعوث دمشق في مجلس النواب العثماني ينحي باللائمة على الاتحاديين الذين شتتوا شمل ضباط العرب في أنحاء الدولة دون استخدامهم في بلادهم، وقد وقفت وزارة الداخلية التركية على نشيد عربي من نظم الشهيد سليم الجزائري، فبعثت به إلى ديوان الحرب ليكون حجة على الشهداء في أهدافهم القومية العربية وننشر بعض مقاطعه:

لتدم هـذه البنيـة ... تنمو وتغدو صبيـة
أزفها شجـاعـا ... فـلا تـرى مسبيـة
تلدن كل هـمـام ... مـن فارس مقـدام
يـمـزق الطـغـام ... بـهـمـة عـربـيـة
تلدن كـل عـزيـز ... يـجـود بالنفـيس
يدق هام خسيس ... بشجاعة وحميـة
يشعل نار الحرب ... لدق عنق الكلـب
ونيل عـز العـرب ... من أمـة تـركـيـة

ويضيف أدهم الجندي:

وقد استاء الأتراك من سليم الجزائري الذي هاجر والده من الجزائر وتربى في مدارسهم ومنحوه الرتب وجعلوه من أمراء الجيش التركي أن يجابههم بهذه الكراهية وكفران النعمة فلقي حتفه شهيدا وكانت هذه

الجمعية تعتبر نفسها أقوى الجمعيات العربية لأن القوة الاجرائية العسكرية بيدها ثم قضت مصالح القومية العربية أن تتقرب إلى اللامركزية، فاتفقت معها على الأهداف العربية»[1].

ولعل السؤال الذي يلح على الذهن الآن هو: لماذا ونحن في نهاية القرن العشرين لم تدرس هذه الجمعيات التي تكونت في مطلع القرن العشرين من قبل الباحثين العرب بعامة والجزائرين بخاصة دراسة مستفيضة ومستقلة.

6- الجمعية العربية الفتاة:

تعتبر العربية الفتاة من أشهر الأحزاب أو الجمعيات السياسية العربية التي سعت للتخلص من الحكم العثماني، لأنها نجحت في تحقيق هدفها حيث ضمت فيصل بن الحسين (ابن شريف مكة) إلى صفوفها وأعلنت الثورة العربية 1916-1918.. فقد كانت كالبحيرة التي تصب فيها جميع الأنهار إذ أنها التجمع السياسي الذي انتهت إليه التجمعات العربية السابقة.. وسجلها هو في الواقع سجل الثورة العربية ضد الحكم العثماني. لذلك فإن الكتب التي تحدثت عن هذه الحقبة في تاريخ الشام تتحدث كلها عن هذه الجمعية التي أعدم جمال السفاح عددا كبيرا من قياداتها ومن بينهم من الجزائريين الأمير عمر، بن الأمير عبد القادر وسليم السمعوني الجزائري.

ومن الثابت لدينا أن من بين أعضاء ومؤسسي هذه الجمعية من الجزائريين النشيطين إضافة إلى عمر وسليم كلا من الأمير علي بن عبد القادر، الأمير عبد القادر بن علي الأمير طاهر بن أحمد.

(1) الجندي، أدهم: مصدر سابق. ص 15

د- المشاركة في الثورة العربية ضد الأتراك:

1- إعدامات ونفي:

يبدو أن جمعه العربية الفتاة كانت مستعدة للمغامرة والتحالف مع أي أحد لتحقيق أهدافها في استقلال العرب وكانت تسعى لضم فيصل بن الحسين إليها حيث نظرت إلى والده شريف مكة الحسين بن على كزعيم عربي مرتقب وظلت على اتصال وثيق به وبوالده وكانت السلطات العثمانية قد فتشت بعض القنصليات فعثرت على وثائق تفيد بتحرك زعماء العرب فاحتفظ جمال السفاح بهذه الأوراق حتى الوقت المناسب الذي يخدم تطلعاته الصهيونية والطورانية، حيث كان يفاوض الصهاينة من خلال عشيقته اليهودية نتاليا داوتس لتمكينهم من استيطان الساحل الفلسطيني لإقامة دولتهم بعد أن منحهم 21 ألف دونم في يافا.. على أن ينفصل هو عن تركيا ويحكم بلاد الشام.. لذلك علق جمال السفاح في الوقت الذي اختاره أحرار الأمة العربية على أعواد المشانق في دمشق وعاليه وسجن ونفى آخرين، وكان ممن شنقوا من المهجرين الجزائريين موضوع بحثنا الأمير عمر بن الأمير عبد القادر والعقيد «البكباشى»، سليم السمعوني الجزائري وسجن الأمير طاهر بن أحمد حيث كان مختبئا مع آخرين عند شيخ عشيرة الرولة نوري الشعلان الذي خانهم وسلمهم مقابل خمسمائة ليرة ذهبية. ونفى الأمير علي وولديه سعيد وعبد القادر»[1].

وأما الأمير عمر فقد كان مختبئا عند المهجرين الجزائريين في حوران وكان من الصعب جدا على جمال السفاح معرفة مكانه أو حتى القبض عليه لو عرف.. فلجأ إلى حيلة عبر صديقه شكيب أرسلان فقام شكيب

(1) الجندي، أدهم: تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، دمشق1960، ص.

بتطمين الأمير سعيد بن علي بأن عمه عمر لن يعدم وذهب سعيد لمقابلة جمال فأكد له ذلك[1].

من الواضح أن جمال السفاح كان يخاف من الجزائريين فقبل اعدامه الأمير عمر نفى في نيسان 1915 عائلة الأمير عبد القادر كلها إلى الأناضول بعد أن فتش منازلهم واعتقل الأمير علي وولديه ونفاهم ثم قام باعدام الأمير عمر ونسف قبر الأمير عبد القادر، وخرب قصره في دمر، بل أنه قام بتسليم بيت الأمير عبد القادر في زقاق النقيب بحي العماره إلى الأرمن، حيث كان جمال السفاح يواصل سياسة حكومته التركية في تتريك البلا د وإضاعة معالمها العربية كما تفعل الصهيوية اليوم في فلسطين.

وقد أورد جمال السفاح في مذكراته الأسباب التي استند عليها شريف مكة الحسين بن علي لاعلان الثورة على الأتراك كما أوردها هذا الأخير في بيانه المشهور يوم 27 يونية 1916م/ 25 شعبان سنة 1334هـ وكان السبب التاسع للثورة كما ذكر جمال السفاح إعدام هؤلاء وعلى رأسهم الأمير عمر الجزائري والسبب العاشر نفي وتشريد عائلاتهم ومصادرة ممتلكاتهم والسبب الحادي عشر هذا نصه: «وقد حطموا ضريح أخي الأمير المبجل، عبد القادر الجزائري الحسني»[2]. ورغم أن وليد المعلم في كتابه «سورية» يحاول تهميش دور الجزائريين حتى أنه لم يذكر اسم سليم الجزائري بين الشهداء أو اسم الأمير محي الدين من بين مؤسسي جمعية الاخاء العربي- العثماني إلا أنه أقر بأن الأمير عمر بن عبد القادر قال وهو معلق على المشنقة «قل لهذا الخنزير جمال ألا يفرح بموتي فإن

(1) نفسه، ص 100.

(2) هذا هو النص الذي أورده جمال السفاح في إيضاحات أما أمين سعيد فقد أورد منشور الثورة كاملا بدءا من الصفحة 149 في الثورة العربية الكبرى وكان النص كالآتي: «بل وصل حقدهم على العرب إلى إهانة الأ موات، فتجرأوا على قبر الأمير الابر والمجاهد التقي الزاهد مولانا الشريف عبد القادر الحسني باهانته وتحقيره».

روحي ستظل حية وستعلم أبناء البلاد من خلف القبر دروس الوطنية الحرة»[1]. وقد تحقق ما قاله الأمير عمر. فقد كان إعدام الشهداء إشارة لاندلاع الثورة العربية.

وأما الأمير طاهر بن أحمد فقد حكم عليه بالأشغال الشاقة المؤقتة لأنه كما أدعى جمال السفاح أخبر المعتمد الفرنسي بما يتعلق بالسوقيات العسكرية وهو الذي سهل فرار عبد الغني العريسي. وأنه اشتغل بحركات تدعو للقيام ضد الحكومة. وللسخرية نقول أن الأمير طاهر لعب دورا في تأسيس الثورة السورية 1925-1927 ضد فرنسا نفسها، كما أن جمال السفاح ومجموعة الطورانيين ضاعوا في ثلوج أرمينيا خلال الحرب العالمية الأولى ولم تعرف لهم قبور !!

2- صراع مع الانجليز:

استطاع الأمير عبد القادر بن علي شقيق الأمير سعيد أن يهرب من منفاه بتركيا، حيث كانت العائلة تعامل معاملة سيئة سواء من الأتراك أو من القنصل الفرنسي في العاصمة العثمانية والتحق الأمير عبد القادر مع بعض الجزائريين من منطقة حوران بفيصل مقاتلا في الجيش العربي ضد العثمانيين.. لكنه سرعان ما اكتشف أن الجاسوس لورنس يسعى لتمزيق بلاد الشام عن بعضها تمهيدا لفصل فلسطين والأردن عن دمشق عبر تدمير جسور سكة حديد دمشق - الحجاز، وقد اعتبر لورنس أن عبد القادر بن علي عدوه وقد خافه كثيرا وادعى أن برقية وصلته تقول أن عبد القادر بن علي هو جاسوس عثماني غير أنه يعود ويعلن براءة علي من ذلك ولكنه يظل مصرا على معاداة الأمير الذي اكتشف أمره، وظل يتهمه بالتعصب الديني

(1) المعلم، وليد / سورية.

وأنه كان ينتقد لورنس هذا لأنه يجاهر بنصرانيته مع أن عائلة الأمير عبد القادر الجزائري هي حامية المسيحيين في المشرق منذ عام 1860 وحتى عبد القادر بن علي نفسه هو أحد حماتهم خلال الحرب الأولى نفسها! يقول لورنس بتخبط واضح:

«وبينما كنا نتأهب للهجوم فاجأنا على غير انتظار أو موعد سابق نصيرنا الأمير عبد القادر الجزائري، حفيد ذلك البطل الشهير الذي أظهر بطولة وشهامة في مقاتلة الفرنسيين وقدم هذا الحليف إلى فيصل عددا كبيرا من الجزائريين الأقوياء المنفيين الذين كانوا يعيشون على الشاطئ الشمالي من اليرموك، ولكن العرب كانوا يمقتون هؤلاء الغرباء - لاحظ الكذب ومحاولة فصل المغاربة عن المشارقة - فرأينا أن نؤجل استدعاء رافع ليقابلنا في الأزرق ولم نقل شيئا لزحل، ووحدنا كل اهتمامنا وأفكارنا بوادي خالد وجسوره.

وبينما كنا نفكر على هذا النحو وصلتنا برقية من الكولونيل بريون يحذرنا فيها من الأمير عبد القادر ويؤكد لنا أنه «جاسوس» يتقاضى أموالا بانتظام من الأتراك فأقلقتنا هذه البرقية وأوقعتنا في اضطراب عظيم.

أما فيصل فلما علم بهذه البرقية قال لي: أنا أعلم أنه مجنون ولكني لا أشك مطلقا في أمانته، فلا تتركه واستعمل الحكمة وكن منه على حذر.

والحقيقة أن الأمير عبد القادر الجزائري لم يكن جاسوسا وإنما كان مسلما شديد التعصب للإسلام كما أنه كان مخدوعا بنفسه يقدرها أكثر من قدرتها وقد غضب لأني أعمل مع العرب ولا أخفي مسيحيتي بل أظهرها لكل من أعاشرهم على نقيض الذين كانوا يحاولون من الأوروبيين الوصول إلى أهدا فهم عن طريق التملص من دينهم أو ستر مسيحتيهم إلى حين»[1].

(1) لورنس.ف/ ثورة في الصحراء.

ويروي أنور الرفاعي خلاف الأمير عبد القادر بن علي مع لورنس على النحو التالي :

«واجتمع الأمير عبد القادر في العقبة بالأمير فيصل قائد الجيش العربي، فأكرمه فيصل، كما أكرم جميع قادة العرب ومشايخها وزعماءها، وكان لورانس يرافق الأمير فيصل ويدير الخطط الحربية ويقدم الذهب الوهاج إلى الأمير فيصل ليوزعه على القبائل العربية دون ما حساب.. وسار لورنس والأمير عبد القادر إلى الأزرق وطلب لورنس من الأمير عبد القادر أن يسير برجاله وقد أصبحت تحف به ثلة من المتطوعين الذين أعجبوا ببطولته وشهامته، أن ينسف الجسر الحديدي في وادي خالد قرب تل شهاب، فأبى عبد القادر وقال: أن مهمتي أنا هي قتل جمال باشا الذي شنق أحرار العرب وأبرياءها، وهزئ بعائلتنا وكرامتها وأهانها بشنق الأمير عمر، أما نسف جسر حديدي يسبب قطع خط الرجعة على آلاف من الجيوش المسلمة التابعة للدولة العثمانية فليس من الإيمان في شيء، فهم مسلمون قبل أن يكونوا أتراكا، وهم عرب على الغالب، وقد حاربوا إلى جانب تركيا لأنها كانت هي صاحبة البلاد، واليوم عندما يطلب اليهم الانضمام إلى جيوش الثورة العربية فلا يرفضون ولايجوز لي أن أعمل على ايقاعهم أسرى في أيديكم أو على قتلهم برصاصكم..» ومن هنا نقم لورنس على الأمير عبد القادر وأضمر له ولأسرته الشر، وترك الأمير عبد القادر لورنس غاضبا وسار برجاله نحو دمشق فلما وصل جبل الدروز اتصل بزعمائها ورفع علم الحسين الذي كان معه، وكان ذلك اخلاصا منه للحسين الملك الجديد على العرب، وإن خالف أوامر حليفه لورنس الانكليزي»[1].

لما كان الجزائريون من أشد مخلوقات الله تحررا نظرا لطبيعتهم التي تمزج بين الطبع الصحراوي والجبلي، فإنهم كانوا في الشام على حذر

---

(1) الرفاعي، أنور: جهاد الأمير سعيد.

شديد من تركيا وحليفتها ألمانيا ومن بريطانيا وحليفتها فرنسا.. إنهم لم يتخلوا عن الدروس المسفادة من مقاومتهم لفرنسا 1830-1847 حيث قاوموا الاحتلال أكثر من أي بلد آخر، كما أنهم لم يتخلوا عن أهداف مؤتمر دمشق عام 1877 القاضى بتحقيق الاستقلال العربي دون الوقوع في براثن الاستعمار الأوروبى ودون إذلال واضح لتركيا المسلمة. وكان الحسين بن علي رمز الثورة العربية رجلا غير بعيد النظر طيب السريرة غير ملم بدهاليز السياسة وأما قائد الثورة ولده فيصل فكان شديد الاعتماد على شلة الجواسيس الانجليز التي أحاطت به وعلى رأسها الأفاق لورنس. ولم يكن بإمكانهما الاستجابة لنصائح الجزائريين.

ومما يجب ذكره هنا أنه سبق للأمير عبد ا لقادر الجزائري ورجاله أن طردوا من دمشق في عام 1876 جاسوسا ادعى أنه يدرس الآثار، طردوه بعد مضي ثلاثة أشهر حين كشفوا أمره، وهو تشارلز مونتاغو صاحب كتاب «رحلات في الصحراء العربية»، وقد سعى لورانس اقتفاء خطاه، وقد أثبت التاريخ فيما بعد صحة موقف الجزائريين من الأوروبيين والحذر من نواياهم وعدم تصديق أقوالهم.

3- محاولة الصلح والاستقلال بعيدا عن الأوروبيين:

«استغل الأمير سعيد الجزائري بعد عوته من المنفى علاقاته مع كل من تركيا وألمانيا وفيصل فقام بحركة في غاية الذكاء، تتمثل بوساطة للصلح بين العرب وتركيا على أساس استقلال العرب. وحمل رسائل بهذا المعنى بين جمال الصغير المرسينى الذي خلف جمال السفاح وتنقل بين السلط مقر المرسيني ووهيد / منطقة معان مقر فيصل وذلك خلال الفترة بين ديسمبر / كانون الأول 1917 وأوت/ آب 1918.

وقال جورج انطونيوس عن هذه المفاوضات وعروض الصلح:

«صدر هذا العرض عن جمال باشا في الأسابيع الأخيرة من مقامه في سورية، وقال أنه يقدمه نيابة عن الحكومة العثمانية ويؤيدها في ذلك حلفاؤها الألمان»[1].

وأما أمين سعيد أهم مؤرخ للثورة العربية فيقول عن ذلك :

«كان الأمير سعيد الجزائري بين الذين نفاهم جمال باشا إلى الأناضول أيام السبي و الهجرة رغم ماكان يظهره من حب للدولة واخلاص ورغم قيادته بعض المتطوعين المغاربة في أوائل الحرب للقتال في صفوفها، والظاهر أن نفيه ونفي أسرته وبينهم والده الأمير علي باشا وكان يومنذ مندوبا عن دمشق في مجلس النواب العثماني ووكيل رئيسه، إلى بورسه جرى بموجب المبدأ الذي سنّه جمال باشا وهو نفي أسر وأقارب المشنوقين وكان من جملتهم الأمير عمر الجزائري عم الأمير سعيد فقد أعدم شنقا في دمشق يوم 6 مايو سنة 1916 مع الذين أعدموا فيها للأسباب التي سردناها.

ولما أصيبت سياسة الترك في سورية بما أصيبت به من فشل واخفاق واضطر الباب العالي إلى استدعاء السفاح جمال وتغيير سياسته نحو العرب كان الأمير سعيد وأخوه الأمير عبد القادر في مقدمة الذين عادوا إلى سورية من العرب المنفيين فقصد الثاني العقبة سرا ومنها سافر إلى مكة فأدى فريضة الحج سنة 1336هـ وعاد ثانية إلى سورية. أما الأول وهو الأمير سعيد فأخذ على عاتقه مهمة السعي لعقد صلح منفرد بين العرب والترك يزيل الخلاف من بين الأمتين ويعيد السلام إلى قراره في بلاد الشام و الحجاز، فذهب إلى السلط في شهر يوليو سنة 1918 وقابل جمال باشا الصغير قائد الجيش الرابع وكان مقره هنالك، فعرض عليه

---

(1) انطونيوس، جورج: مصدر سابق ص 358.

فكرته فلقيت منه استحسانا وتأييدا، وفي يوم 6 أغسطس سنة 1918 غادر الأمير سعيد السلط قاصدا معان فركب قطارا خاصا أعده له الترك فاستقبله فيها علي وهبي بك قائدها - عملا بالأوامر التي تلقاها...»[1].

وظل الأمير سعيد في سعيه بين الطرفين إلى أن صار على أبواب النجاح حيث يقول أمين سعيد :

«وعاد الأمير سعيد إلى معان فالسلط وأطلع جمال باشا على ما وقع وسلمه الكتاب فجمع هذا هيئة أركان حربه فقررت إرسال برقية إلى الاستانة بوجوب الاعتراف باستقلال العرب وقد وضعت الحكومة مشروعا بذلك رفعته إلى السلطان فأقره ولكنه لم يبلغ إلا متأخرا بعد الهزيمة الكبرى في فلسطين»[2].

غير أنه يمكن القول أن الصهيونية والدول الأوروبية كانت وراء إسقاط هذا النجاح فالجاسوس البريطاني لورنس المسيطر على فيصل أطلع على هذه الرسائل فأرسلها إلى قيادته في القاهرة وقد فعل الحسين بن علي بسذاجة بالغة الشيء نفسه وأرسل هذه الرسائل إلى المعتمد البريطاني في القاهرة.

وفي الأستانة تحرك الصهاينة أنور وطلعت وجاويد وأخروا إرسال الارادة السلطانية باستقلال العرب بالرغم من أن جمال المرسيني كان قد كشف عن هذه المفاوضات ونتائجها في احتفال رسمي ببيروت إذ:

«وافق جمال باشا على اقتراح فيصل في اجتماع له مع ضباطه الأتراك والألمان، وأرسلوا برقية إلى الاستانة فوافق السلطان محمد رشاد عليه وكتب أمرا بذلك. لكن طلعت وأنور وجاويد على رواية سعيد الجزائري

(1) سعيد، أمين: مصدر سابق ص 311.
(2) نفسه ص 314.

- أهملوه ويؤكد الملك عبد الله في مذكراته أن ارادة سلطانية صدرت تعلن الاعتراف باستقلال البلاد العربية»[1].

لكن المؤامرة على الاستقلال العربي كانت مبيتة وكانت اتفاقية سايكس بيكو قد وقعت بين فرنسا وبريطانيا على اقتسام الشام وكانت بريطانيا قد أصدرت وعد بلفور للصهيونية وكان فيصل أقل ذكاء ونجابة من أن يفهم عمق تحركات الأمير سعيد.. لقد كان يظنه منافسا.. وهكذا طعن فيصل بيده - عبر لورنس - الاستقلال العربي الذي قاتل فيما بعد من أجله، والذي أعلنه الأمير سعد مستبقا وصول الجيوش البريطانية إلى دمشق.

4- إعلان الاستقلال العربي:

حين أرسل شريف مكة الحسين بن علي بسذاجة واضحة الرسائل التي تبودلت بين ولده فيصل وجمال المرسيني عبر وساطة الأمير سعيد بخصوص الاستقلال العربي، أرسلها إلى المعتمد البريطاني في القاهرة وكان الجاسوس لورنس قد سبقه في ذلك.. بدأ الانكليز يسابقون جيش حليفهم في الدخول إلى دمشق ويؤخررون وصوله ويبقونه في الصحراء وتحديدا في واحة الأزرق.

بالرغم من ذلك وبالرغم أن المجموعة الصهيونية في الاستانة أهملت إرسال الإرادة السلطانية باستقلال العرب والصلح معهم.. بالرغم من هذا التطويق العسكري والسياسى والاحباط الفيصلي، فإن الأمير سعيد مضى بشجاعة خارقة لتنفيذ اتفاقه مع فيصل، واتخذ موقا تاريخيا هو حتى الآن موضع فخر العرب! حيث أعلن استقلال العرب غير معترف باتفاقيات سايكس بيكو ولا بوعد بلفور ووضع الجميع أمام

(1) سلطان، د. علي / تاريخ سورية 1908 - 1918،، نهاية الاحتلال التركي / دمشق ط1، ص 110.

واقع الاستقلال العربي ورفع العلم الذي أحضره أخوه عبد القادر من معان وأقام الحكومة العربية باسم فيصل بن الحسين ويروي الأمير سعيد تفاصيل هذه الفرحة المغتالة فيقول :

«كان ذلك في آخر أيلول عام 1918وقد اضطربت المدينة بعد أن رأت قناصل الدول يبرحون دمشق ومن بعدهم الوالي ولم يبق للمحافظة على الأمن سوى ثابت بك الميرالاي قائد المنزل ودهم الخوف الجميع ولاسيما حي المسيحيين الذي كان مهددا بدخول بعض القبائل فذهب أخي البطل عبد القادر إلى هذا الحي واحتل الثكنة هناك مع رجاله المغاربة المسلحين وأخذ يهدئ من روع إخواننا النصارى ويطمئنهم بينما كانوا قابعين في الكنائس. وبالجملة قد ذهب لدار الفقيد الكبير الأستاذ فارس الخوري وقال له نحن هنا ندافع عن الحي بأرواحنا وأخذ يتجول ومن حوله فرسان المغاربة وبينما كان هذا الأمر يجري في أواخر شهر أيلول سنة 1918 حضر أهل الحل والعقد وذوات البلاد من علماء وأعيان وطلبوا مني دعوة رجالات المدينة للتباحث معها فيما يجب اتخاذه من اجراءات لحفظ الأمن حيث أفلت زمام الأمر من الحكومة التي أصبحت في حال الهزيمة أمام الجيوش المحتلة وتقرر أن أذهب لمقابلة جمال باشا الصغير القائد العام للجيش التركي بعد تنحية أحمد باشا السفاح وكان قابعا -كما قلت- في نزل فكتوريا مع جمال الصغير وحين قابلته وجدته مضطربا فقلت له أن المدينة أصبحت في حالة فوضى واضطراب بسبب نزوح رجال الأمن والحكومة فماذا ترون فأجاب أن البلاد بلادكم وأنتم مسؤولون عنها وعن المحافظة علي أيضا.

فطلبت منه سلاحا لنقوم بأعباء هذا الأمر فسلمني خمسمائة بندقية وعلى الفور جندت خمسمائة جندي من أبناء البلد ومن جملتهم المغاربة

وجعلت على رأس كل عشرة أنفار ضابطا وكان الجميع يرتدون اللباس العسكري ووزعتهم على الأحياء لدعوة الشعب إلى السكينة. وكان المرحوم معروف الأرناؤوط صاحب فتى العرب أحد الذين رأسوا هذه الفرق وكذلك المرحوم الشيخ رضا العطار أحد علماء دمشق وكان في الجيش التركي وهكذا استتب الأمن في المدينة إلى أن اشتدت شائعات قرب دخول الجيش المحتل فأغلقت الأسواق وكثر الهرج والمرج فرأيت من واجبي الديني والوطني أن أسبق الاحتلال باعلان استقلال البلاد بوجود الحكومة التي كان لها الحكم حتى أضع المستعمر أمام الأمر الواقع وهكذا كان ولم يكن هناك سبيل للتردد بعد أن علمت من الأمير فيصل أنه بدأت بينه و بين الأتراك مفاوضات للصلح في - وهيد - مقر الجيوش الانكليزية والفيصلية وحين وقفت على دخيلة الأمور سألت الأمير بعد أن دخل مع نوري السعيد فائز الفصين وفخري البارودي وحرر تلك الرسالة الجوابية لجمال باشا الصغير وقال فيها أنه لا قبل للأتراك بمقاومة تلك الجيوش الجرارة.. سألته ماذا يكون موقف الحكومة العربية عند دخول هذه الجيوش وما هو الأمر المتفق عليه بينكم، فكان جوابه: ليس هناك أي اتفاق فعندما تهاجم دمشق من قبل هذه الجيوش يرفع علم القوة التي تسبق إلى المدينة إلى أن تنظر جمعة الأمم بمصير هذه البلاد.

هذا ماحملني على الإسراع بإعلان الاستقلال بينما كانت هناك مؤامرة سبقت الاحتلال، وأشرك فيها بعض الشخصيات المعروفة آنذاك، كان ذلك يجرى تحت طي الخفاء دون علمنا ولما فوجئ هؤلاء بإعلان الاستقلال ورفع الراية العربية المستقلة أسقط في يدهم وأخذوا ينتظرون دخول الجيش ليقوموا بعملهم وقد فضح الجاسوس الإنكليزي لورنس هذه الأمور في كتابه رأس الاعمدة السبعة وكتاب الثورة بالصحراء.

ويضيف الأمير سعيد:

وفي اليوم الأول من تشرين الأول دخلت الجيوش الانكليزية في الصباح بينما كنت أدير الحكم بدار الحكومة فألفت مجلسا موقتا للشورى من الأعضاء المرحوم عطا بك الأيوبي وشاكر بك الحنبلي وفارس بك الخوري والأمير طاهر وبدأت بتنظيم تحارير لقواد الجيش الداخل أعلمهم بأن الشعب السوري أعلن الاستقلال ولذلك لاينبغي دخولهم إلى المدينة قبل اعلامنا خشية وقوع أخطار وكان الغرض من ذلك وضعهم أمام الأمر الواقع كما تقدم ولكن احتياطنا هذا لم يجد نفعا فعند الساعة السابعة تقريبا فوجئنا بدخول الجيش الانكليزي وعلى رأسه القائد المأجور - اوتر اولدن - وعند الصباح اختلط الأمر وما لبث هذا الجيش أن أحاط بمقر جمال باشا الصغير الذي بارح المدينة بعد أن رأى علم الاستقلال يخفق فوق سراي الحكومة وحين علمت بهذا الأمر أسرعت بإرسال السيد عبد الحليم اللاذقي من أدباء بيروت وكان بجانبي يحسن اللغة الانكليزية لمقابلة قائد الجيش الانكليزي وابلاغه أن الشعب، أعلن استقلاله وشكل حكومته المؤقتة وأن رئيس الحكومة يطلبك إلى دار الحكومة وكان جواب لقائد: نحن دخلنا محتلين وحين بدا رفع العلم . الانكليزي طلبت حضوره حالا فخضع للأمر الواقع ولما أعلمته أن قائد الجيش التركي أفلت من يده تقدم هو وضباطه الكثيرون ومن ورائهم الجند شاهرين البنادق والمسدسات وهم فوق خيولهم إلى أمام السراي وقال لعبد الحليم إذا كان هنالك حاكم فلينزل لمقلبلتنا وحين بلغني هذا القول خرجت إلى الشرفة المطلة عليهم وناديته بالإنكليزية قائلا: هنا الأمير محمد سعيد الجزائري اصعد إلى هنا وكان الصوت جهوريا كأمر عسكري فبهت القائد وأدرك أنه أمام مهمة.. إذ كان يعتقد أن هناك أمرا شكل عليه فهو دخل وبيقينه أن هناك شعبا يرحب

بمقدمه ويضعه على منصة الحكم ومن عادة الانكليز خضوعهم للأمر الواقع.. وصعد هذا يحيط به ضباطه والجند ينتظرون وسلاحهم بأيديهم احتياطا للطوارئ وكانت باحة السراي مكتظة بأعيان البلاد والعلماء ورجال الدين والبطاركة فكان المجلس يربو على الثلاثمائة وقبل دخول الضباط وقفت وأشرت إلى الحاضرين بعدم الوقوف على اعتبار أن الداخلين على هذا الشكل وهم شاهروا السلاح أعداء.

ويواصل الأمير سعيد:

وهكذا دخل الضابط وصحبه بأدب ولما اقترب مني سلم سلاما عسكريا فأجبته دون أن أمد يدي للمصافحة حسب ما يقتضيه الحال والموقف ولم أشر لهم بالجلوس بل قلت لعبد الحليم سل هولاء ماذا يقصد من دخولهم إلى بلد نال استقلاله وحريته وهم على هذا الشكل شاكي السلاح كانوا داخلين في معركة فأجاب نحن دخلنا إلى المدينة لاحتلالها باسم الجنرال اللنبى قائد الجيوش الإنكليزية وماكدت أسمع هذا القول حتى كان تيارا كهربائيا قد هزني فأجبته بغضب وحدة: لا إن هذا البلد أعلن استقلاله بوجود جيش يحكمه وما أقدم على هذا الأمر وإلا وهو مصمم على الدفاع عن حريته واستقلاله وإذا كان جيشكم مواليا لحكومة الحجاز فنحن نرحب بكم كضيوف فحسب فما كان من المأجور الذي وجد نفسه أمام موقف حرج أن طأطا رأسه وغير لهجته وأجاب نحن لم ندخل للإساءة إلى استقلالكم وإنما علمنا بأن المدينة خلت من الترك فجئنا لنجدكم وإنا على استعداد لوضع هذا الجيش تحت تصرفكم لتتمكنوا من توطيد الأمن.

قلت نحن مستعدون للمحافظة على الأمن داخلا وخارجا وبما أنكم حلفاء الحسين فأنتم ضيوف علينا وإذا لزمكم أية مساعدة فحن على

استعداد لمعاونتكم. فأجاب: إني بحاجة إلى دليل ليذهب معي إلى الجهة الشرقية من دمشق لمطاردة فلول الجيش الألماني فناديت السيد عزت العجة وكان ضابطا وكذلك السيد نبيه العظمة وأوعزت اليهم بالذهاب مع الجيش وأن يمنعا أي اختلاط بينهم وبين الشعب وإذا صادفوا جيشا ألمانيا فيطلبوا إليه التسليم باسم الحكومة العربية»[1].

ويقول أحد الكتاب عن تشكيل حكومة الأمير سعيد الجزائري :

«حين بدأ جلاء الجيش التركي عن دمشق وضواحيها متجها إلى الشمال، أخذ الغوغاء يلعبون دورهم، وخشي عقلاء المجتمع من الفوضى واختلال الأمن قبل وصول الجيش العربي وحلفائه. فقام الأمير سعيد الجزائري وأخوه الأمير عبد القادر المشهور بعبده، وأبناء عمهما، على رأس مفارز من المغاربة المستوطنين دمشق يطوفون المدينة محافظة على أمنها وهدوئها واطمئنان سكانها، شاملين أحياء الأقليات بعناية خاصة وقاية لها من شر رعاع لايخلو من أمثالهم بلد، وتلك شيمة ورثها الأمراء وذووهم من آبائهم وجدهم المرحوم الأمير عبد القادر وحذا حذوهم في قسمي الميدان كبار آل مهايني وسكر، فاستحقوا أجمل الثناء.

وقبل أن يتم انسحاب الترك جيشا وحكومة اجتمع في بهو المجلس البلدي في ساحة المرجة فريق من الوجهاء والمفكرين والدمشقيين في 27 أيلول 1918 وقرروا إقامة حكومة مؤقتة تحول دون الفوضى، ريثما تصل الجيوش المظفرة وأجمعت كلمتهم على اختيار الأمير سعيد المشار إليه رئيسا للحكومة فتسلم زمامها بعزم مبتدئا بقسم الولاء والاخلاص لجلالة الحسين، منقذ العرب، وتبعه اخوانه الذين انتدبهم لمعاونته في إدارة شؤون

(1) أول حكومة عربية في دمشق بعد جلاء الأتراك عنها، مقالة للأمير سعيد الجزائري في جريدة الجامعة العربية، دمشق9/ 7/ 1934.

الحكومة، وأنزل فورا عن دار الولاية العلم العثماني، ورفع مكانه العلم العربى ومسط هتاف الجماهير، وهو نفس العلم الذي كان أخوه، الأمير عبده قد جاء به من مكة المكرمة وأحتفظ به لمثل هذا اليوم الأغر.

كان العلم عربيا محضا ذا أربعة ألوان أسود وأبيض وأخضر وأحمر، يرمز أولها إلى علم الخلفاء الراشدين والعباسيين والثاني إلى علم الأمويين والثالث إلى الفاطميين والرابع إلى الثورة العربية التي قامت أخيرا تحت راية الحسين وجهود أبنائه ورجاله واشترك فيها المجاهدون من الأقطار العربية وفي مقدمتهم السوريون، بغية الوصول إلى الاستقلال المنشود.

عقب استلام الأمير سعيد رئاسة الحكومة بعزم صادق لم يتوان عن ابلاغ مدن سورية وجبل لبنان نبأ انهزام الجيش التركي وقيام حكومة عربية في دمشق العاصمة، تحت راية جلالة الحسين منقذ العرب، وذلك ببرقيات تضمنت فوق ماذكر، حث الأهلين على التزام الهدوء والسكينة وصيانة الأمن وتأييد العهد الجديد. ومما جاء في هذه البرقيات أيضا أن اسفكوا الدم ولكن بعدل »[1].

ويقول د. على سلطان :

«ذهب سعيد الجزائري إلى دار الحكومة ورفع العلم العربى ذا الألوان الأربعة الأبيض والأسود والأخضر والأحمر وهو علم الثورة العربية الذي كان قد أتى به أخوه عبد القادر من عند الحسين في مكة في أثناء الثورة على دار الحكومة وسط تهاليل الشعب الذي احتشد معبرا عن بهجته بخلاصه من حكم الأتراك. وفي هذه الأثناء وصل كثير من علية القوم وفي طليعتهم شكري الأيوبي وتابع الجزائري عمله في حفظ الأمن وتأسيس الحكومة، فعين مجلسا للشورى من وجهاء دمشق هم :

(1) دروز و عزة / القضية العربية.

الشيخ طاهر الجزائري، بديع المؤيد، عطا الأيوبي، شاكر الحنبلى وفارس الخوري، وأسند رئاسة البلدية إلى عبد القادر الخطيب من شيوخ دمشق، وعين أخاه عبد القادر قائدا (للفرسان العرب) وهم من المغاربة وكانوا بمثابة القوة العسكرية لسعيد»[1].

والواقع أن هولاء الفرسان هم أعضاء جمعيتي مهاجري ومجاهدي شمال افريقية من الجزائريين والمغاربة الذين كان يعدهم أمراؤهم ليوم كهذا، وأما الشيخ طاهر الجزائري فلم يكن في دمشق، إنما الأمير طاهر بن أحمد الجزائري هو الذي كان في مجلس الشورى المذكور.

ومهما يكن من أمر فإن من الثابت أن الأمير سعيد الجزائري أعلن استقلال العرب في اللحظة التاريخية الحاسمة وترأس أول حكومة عربية مستقلة في التاريخ المعاصر وحمى دمشق والمسيحيين من الفوضى مرة ثانية وبسيوف الجزائريين أيضا، تماما كما حدث عام 1860 حين حمت هذه السيوف دمشق من مؤامرة الفتنة الطائفية، كما سيحمي بعض وجهاء العائلات الدمشقية عام 1925 من القصف الفرنسي وأبرزت الدكتورة خيرية قاسمية الوثائق الرسمية، خاصة تلك البرقيات والأوامر التي وجهها الأمير سعيد من دمشق إلى بلدية بيروت معلنا فيها باسم فيصل بن الحسين ووالده الحسين بن علي إعلان الاستقلال العربي وقيام الحكومة العربية وطلب رفع العلم العربي بدل التركي وتقول قاسمية:

«وكان بين زعماء دمشق حزبان الأول يتبع الأميرين عبد لقادر ومحمد سعيد الجزائري والثانى يتبع أنصار فيصل ويتزعمه رضا الركابي وشكري الأيوبى. وكان الأخوان الجزائريان قد قاما منذ 29 سبتمبر - ايلول، بتنظيم ميليشيا من المغاربة المستوطنين في دمشق للمحافظة على الأمن وتنظيم

(1) سلطان، د. علي : تاريخ سورية 1918-1920 حكم فيصل بن الحسين، ط1، دمشق، 1987، ص18.

الإدارة حين تأكد جلاء الجيش التركي عن دمشق وضواحيها، واجتمع في دار البلدية في المرجة عدد من الوجهاء شكلوا مجلس شورى واختاروا الأمير سعدا رئيسا للحكومة، وقد رفع العلم العربي الذي جاء به الأمير عبد القادر مق مكة مكان العلم العثماني.

وأرسل الأمير سعيد برقيات إلى المدن السورية المختلفة يعلن فيها انهزام الجيش العثمانى وقيام حكومة عربية في دمشق تحت راية الحسين يطمئن بها ألناس ويهدد من يخل بالأمن»[1].

وهكذا حاز الجزائريون مرة أخرى على شرف حماية دمشق وأعلنوا الحلم الذي كان يراود العرب جميعا منذ أيام الأمير عبد القادر وهو قيام حكومة عربية مستقلة غير معادية لتركيا الإسلامية وغير واقعة تحت الاحتلال الأوروبي.. ولذلك رفض الأمير سعيد في دمشق ومعه إبراهيم هنانو في حلب أهانة تركيا وجيشها المهزوم، ولم يمزقا العلم التركي وأنزلاه دون إهانة باعتباره راية دولة إسلامية يجب أن تكون العلاقة معها جيدة بعد أن انتهت الحرب بالنسبة للعرب.. لكن لم يكن هذا مايريده الانكليز والفرنسيون والصهاينة.. وفي تلك الأحوال فقد غادر الأتراك بلاد العرب عام1918 على عربات تجرها الثيران كما دخلوها عام 1516على عربات تجرها الثيران، انقضى عهد الظلم والظلام التركي غير مأسوف عليه، غير أن الاستعمار الأوروبي الأشد قسوة والأشد ظلما الذي وقع على العرب هو الذي يجعل البعض يذكر الترك بشيء من الخير، وكم هي تعيسة المقارنة بين الثوم و البصل!!

(1) قاسمية، د. خيرية، مصدر سابق، ص47.

5- بريطانيا تغتال الاستقلال العربي :

بإعلانه استقلال العرب أثار الأمير سعيد الجزائري عليه جميع الطامعين في البلاد أو في حكمها وهم:

1- الإنكليز

2- الفرنسيين

3- فيصل بن الحسين، الذي كان يخشى نفوذه

4- الطامعين في الحكم من العائلات الأخرى

فإعلانه الاستقلال العربي باسم فيصل نفسه عرقل الأمير سعيد الخطط الانكليزية الفرنسية لتنفيذ اتفاقية سايكس بيكو، كما قطع الطريق، على الطامعين في الحكم، وهكذا تجمع هولاء ضده لاغتيال الاستقلال الوليد، أما فيصل فبرغم من أن سعيدا قام بالعملية بتعليمات منه واتفاق مسبق معه ولحسابه إلا أنه خشي نفوذ الأمير سعيد والمغاربة في البلاد، لذلك فإنه لم يعترض على تنحيته. وقد كلف هذا الموقف فيصل غاليا فإن الحكومة العربية التي تزعمها في سورية 1918-1920 انتهت بكارثة جديدة فقد وقعت البلاد تحت احتلال جديد وطرد فيصل نفسه وظل هائما في أوروبا بحثا عن عرش في حادثة تكاد تكون نسخة من حادثة عبد الله الصغير في غرناطة الأندلس.. يقول لورنس:

«ولما وقع نظري على هذا المشهد أصبت واستولى علي الذهول ورأيت محمد سعيد قد قفز من مكانه وصرخ قائلا بأن أحفاد الأمير عبد القادر وشكري الأيوبي سليل بيت صلاح الدين قد أسسوا الحكومة ونادوا بالحسين ملكا على كل العرب أمس وأن الأتراك والألمان سمعوا ذلك بآذانهم قبل رحيلهم من البلاد.

ويضيف لورنس:

هولاء الجزائريون كانوا من المتعصبين تعصبا دينيا شديدا وكانت أفكارهم بعيدة عن المنطق، فالتفت إلى ناصر ونظرت إليه نظرة فهم منها أنه من الضروري وضع حد لأعمال هؤلاء الجزائريين منذالبدء والحقيقة أن سلوكهم هذا لم يكن محتملا.

ولما كنت وكيلا عن فيصل أعلنت باسمه أن الحكومة التي كانت في دمشق قد ألغيت وعينت شكري باشا الأيوبي حاكما عربيا للمدينة على أن يكون نوري السعيد قائدا عاماللجيوش وعزمي باشا مساعدا له وجميل باشا مديرا لأمن العام.

أما محمد سعيد فقد تهكم عليّ ماشاء له التهكم وطلب من ناصر أن يساعده ضدي. وقام عبد القادر فأخذ يسبني سبا قبيحا ولكني لم أبال بما يقول فكان صمتي وعدم مبالاتي به من الأسباب التي زادته هياجا فجن جنونه وقام يحاول أن يطعنني بخنجره ولكن عودة حال دون قصده.

وطلب نوري الشعلان أن يقفل باب الجدال وقال أن عرب الرولا هم عربه وهو لايريد من أحد التعرض لهم فنهض الجزائريون وخرجوا من الغرفة ودلائل الشكاسة بادية على وجوههم، والضغينة تملأ قلوبهم.

وقد حاول البعض أن يغريني بالقبض على هؤلاء الجزائريين وإعدامهم جميعا ولكن لم أكن ألجا إلى القتل كوسيلة من وسائل السياسة وماكنت أحب أن أظهر للعرب أني أتخوف من أذاهم أو أبالي بضررهم»[1].

---

(1) لورانس/ ث،وة في الصحراء.

وهكذا يعترف لورنس بأنه قام باغتيال الفرحة في عيون الناس.. قام باغتيال الاستقلال والانقلاب على حكومة كان يفخر الأمير سعيد الجزائري أنه شكلها من سلالة العظماء الأمير عبد القادر الجزائري وصلاح الدين الأيوبي وبناء على تكليف من فيصل نفسه وأعيان البلاد والأكثر إيلاما في هذا الاغتيال أنه تم بطريقة مهينة للدم العربي وللشرف العربي فإن قيام انكليزي بتعيين حكومة عربية كان مقدمة لقيام أنظمة قطرية عربية ملوكها عبارة عن رجال من قش وحكوماتها مجموعات من الخدم في دوائر المخابرات الأجنبية، فإن الحكومات القطرية التي قامت بعد ذلك في سائر أرجاء الوطن العربي ظلت إلا في القليل النادر منها مطية للأجنبي يعينها رجال على شاكلة لورنس. وظلت منذ تلك اللحظة مرفوضة من الجماهير العربية كما رفضت الجماهير العربية حكومة لورنس في دمشق وخرجت في مظاهرات عارمة فاغتالها لورنس على الفور.

6- اغتيال الأمير عبد القادر بن علي :

على أثر إلغاء لورنس لحكومة الاستقلال العربي برئاسة الأمير سعيد الجزائري وتعيينه لحكومة ذيلية فارغة من مضمون الاستقلال برئاسة الركابي انفرط عقد الأمن في دمشق فالشعب يريد الاستقلال لا الوقوع تحت احتلال جديد. وها هو لورنس يثبت أن ماحذر منه الجزائريون منذ الأمير عبد القادر لم يكن وهما.. فها هو الانكليزي هو الآمر الناهي.

ثارت دمشق على لورنس وتجمع الناس مسلمون ومسيحيون، دروز وحوارنة فلاحون وتجار وغيرهم.

فعلق لورنس والركابي المشانق في ساحة المرجة وسط دمشق مذكرين الناس المنتفضين بمشانق جمال السفاح وأن لا فرق بين احتال واحتلال.

أين ذهب الأمن الذي حفظته حكومة الأمير سعيد قبيل وصول لورنس لا أحد من المؤرخين - اياهم - يتكلم، لأن المؤامرة على الاستقلال العربي مستمرة حتى اللحظة.

وهكذا بموافقة واضحة من فيصل قام لورنس بقمع الانتفاضة الشامية الأولى ضد الاحتلال البريطاني اغتيالا وشنقا.. وأوكل لورنس مهمة اغتيال الأمير عبد القادر بن علي المعروف بعبدو، شقيق الأمير سعيد إلى زميله ضابط المخابرات البريطاني «كركربرايد»، ويقول أدهم الجندي حول اغتيال الأمير عبدو:

«طلب رضا باشا الركابى حاكم دمشق العسكري الأمير لمفاوضته في أمور لها علاقة بسياسة البلاد إذ ذاك، فأبى مرافقة الجند الذين حضروا لجلبه وأبلغهم أنه سيواجه الحاكم، فأصروا على أخذه بالقوة.

ورأى الأمير الشهيد أن يذهب لمقابلة الجنرال غريغوري الإنكليزي ليطلعه على ما يدبره الأمير فيصل نحوه من دعايات ودسائس، فلما امتطى جواده أمسك الجند بعنان الجواد وصوبوا البنادق إلى صدره ليحولوا دون سيره فلم يقف، وقال لهم أنه ماض إلى الجنرال.

سار الأمير الشهيد بين صفين من الجند، ولم يدر ما خبأ له القدر من مفاجئات ولم يمض بضع خطوات حتى أطلق مفوض الشرطة المدعو مصباح المصري الرصاص عليه، فأصيب بطلقتين في ظهره وبثالثة في جنبه، فتحمل قليلا، ثم زل جواده عن سكة القاطرة الكهربائية، فهوى جواده، وسقط الأمير عن ظهره، وبعد عشرين دقيقة فاضت روحه، وقد ضجت دمشق لهذه الفاجعة والجريمة النكراء، ووقعت الحكومة الفيصلية في اضطراب عظيم وكان ذلك يوم السبت في17 تشرين الثاني سنة 1918.

ويضيف أدهم الجندي:

وجدير بالذكر أن الأمير سعيد قد اعتقل قبل وقوع حادث القتل بساعتين، بدسيسة حتى لايأتي بأي عمل عند تنفيذ مؤامرة مصرع شقيقه، ولم يدر بقتل أخيه إلا بعد بضعة أيام، وظل معتقلا مدة ستة أيام في المعسكر الانكليزي في المزة وثلاثة أيام في مركز الأركان ثم أطلق سراحه وبدأ بتقديم الاحتجاجات الصارخة إلى الدول الكبرى ضد أعمال الملك فيصل وحكومته»[1].

أي أن المحتل الجديد لورنس كرر مع الجزائريين والأمير سعيد بالذات مافعله معهم المحتل التركي القديم جمال السفاح حين أعدم الأمير عمر بن عبد القادر.

كاد اغتيال الأمير عبد القادر أن يدخل البلاد في بحر من الدم فقد كان متوقعا وواضحا من الذي اغتاله كما أن الطريقة التي تمت بها التصفية كانت طريقة انجليزية دنيئة وخبيثة تنبيء عن فاعليها، خاصة أن سلطة الاحتلال البريطاني قامت بسجن الأمير سعيد كجزء من خطة الاغتيال.

وفي لحظات انتشر الخبر في أرجاء دمشق وانتقل إلى حوران وفلسطين ولبنان وتجيش الناس من دمشق وغوطتها، من جبل الدروز وحوران وتجيش الجزائريون من فلسطين وزحف الناس من مسلمين ومسيحيين إلى دمشق ينتظرون إشارة الأمير سعيد للانقضاض على حكومة الاحتلال البريطاني ولازال كبار السن من المهجرين الجزائريين يروون لنا ماحدث.

---

(1) الجندي، أدهم: تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص 19.

وقد اعترف صبحي العمري بهذه الحوادث لكنه قلل من قيمتها، غير أنه اعترف بأن صاحبه لورنس هو الذي قتل الأمير عبد القادر بن علي إذ يقول:

«إن اللذين قررا قتل الأمير الجزائري هما نوري السعيد ولورنس وأن أحدا لم يشاركهما العمل سوى مدير الشرطة»[1].

ويقول صبحي العمري أنه سبق أن رفض أمرا من نوري السعيد لاغتيال الأمير عبد القادر بن علي.

ويعزو صبحي العمري أسباب الصراع بين عبد القادر ولورنس إلى أن هذا الأخير أراد تغطية فشله أمام الانجليز:

«لذلك أخذ يحاول إيجاد المبررات لهذا الفشل فاخترع أولا قيام الأمير عبد القادر الجزائري بإفشاء سر عملية نسف الجسور ولما رآها غير كافية زوقها بأن القطار الذي نسفه كان ينقل جمال باشا»[2].

ومن المعروف أن تركيز بريطانيا على نسف الخط الحديدي الحجازي هو لفصل بلاد الشام عن الجزيرة العربية، ولازال هذا الخط متوقفا منذ 1918 عند محطة معان، وقد شكل الأمير سعيد نفسه جمعية للدفاع عنه وتوصيله، لكن لا النظام الهاشمي في الأردن ولا السعودي في الجزيرة يريدان ذلك حتى اليوم (1996) وقد فشلت كل المحاولات. وهي ذات اللعبة التي تلعب في وصل العراق بالجزيرة العربية بالخط الحديدي الذي يتوقف عند البصرة وفي الصعوبات التي يلقاها خط المغرب العربي أيضا.

وأما اغتيال الأمير عبد القادر بن علي فقد وصفه كاتب آخر بقوله:

---

(1) العمري، صبحي: لورانس كما عرفته، بيروت 1968، ط1، ص 234.
(2) نفسه، ص 166.

«رغم صفاء الجو الإداري واستقرار الأمن في جميع أنحاء سورية، فوجئت العاصمة دمشق في أواخر تشرين الثاني سنة 1918 بنبأ مقتل الأمير عبد القادر الجزائرى الشهير بعبده حفيد الأمير عبد القادر الجزائري الذي قاوم الفرنسيس عنى رأس رجاله في الجزائر ثم غلب على أمره فتصالح معهم واختار دمشق مقاما له ولرجاله وعائلاتهم.

وقع قتل الأمير عبده في شارع المهاجرين المؤدي إلى قصر الأمير فيصل فاضطربت الأفكار قبل معرفة السبب وخشي من اختلال الأمن ومن اضطراب الحالة حين قام أنصار القتيل من مغاربة وغيرهم ينادون بالثأر لزعيمهم. وانتشرت الشائعات المختلفة حول كيفية قتله وتضاربت الآراء حول الغاية من اغتيال شخصية من أبرز شخصيات دمشق وجاهة ونفوذا فمن قائل أنها مؤامرة دبرها البريطانيون تخلصا من عدو لسياستهم، إلى قائل بأنها مدبرة من قبل أنصار الأمير فيصل إلى قائل بأنها لاتخرج عن عداء محلي وتنازع على النفوذ، إلى غير ذلك من الافتراضات التي لم يقترن أحدها بما يؤيده.

أما صورة الحادثة التي اتفق الأكثرون عليها، فتتلخص كما وصفها المفكر الوطني الأديب محمود الشركسي في دليله المصور، في «أن القيادة البريطانية طلبت إلى الحكومة المحلية تكليف الشقيقين الأميرين سعيد وعبده بالشخوص إلى مركز القيادة في المزة فقامت الحكومة بابلاغهما الأمر، فلبى أحدهما الأمير سعيد الطلب (وكان نصيبه بعدئذ النفى إلى فلسطين حيث اقام أمدا طويلا لايسمح له بالعودة إلى سورية)، وأما شقيقه الأمير عبده فبعد أن تبلغ الأمر في منزله الكائن في جادة الصالحية، خرج راكبا جواده يصحبه عدد من أتباعه المغار بة وسار عدوا في طريق

المهاجرين حيث كان البلاط الأميري. وهناك ومن احدى ناحيتى تلك الطريق خرجت رصاصة أصابت من الأمير مقتلا.

غير أن رجال الأمن العام يقولون أنهم لما استوقفوا الأمير عبده أثناء عدوه في شارع المهاجرين أطلق السلاح ارهابا وتبادل الفريقان حينئذ الطلقات الارهابية في فأصابت أحداها منه مقتلا»[1].

ومن الثابت الآن كما ذكر أنيس الصائغ في كتابه «الهاشميون والثورة العربية» أن الذي خطط لقتل الأمير عبده هو لورنس وأسند المهمة إلى ضابط الاستخبارات البريطاني كركر برايد وذلك ليضرب عدة عصافير بحجر واحد فهو من جهة يتخلص من عدو للحلفاء يطالب بالاستقلال العربي، ومن جهة أخرى يتخلص من عدو شخصي له.

والجدير بالذكر أن لورنس قتل في لندن على ظهر دراجته في الثلاثنيات بعد أن كشف أمره للمجتمع البريطاني سياسيا، كمخبر صغير فاشل، وأدبيا كمؤرخ كذاب لايعتمد به وأخلاقيا: كشاذ شهير من شواذ بريطانيا وفشل الفيلم البريطاني الذي مثله الممثل المصري عمر الشريف باعادة الاعتبار لهذا الرجل.

أما نوري السعيد فقد تم سحله في شوارع بغداد من قبل الشعب العراقي في ثورة 14/ 4/ 1958 باعتباره ذيلا للاستعمار البريطاني وسبقهما إلى هذه النهاية المخزية كل من الطورانيين الصهاينة أنور وطلعت وجمال السفاح حيث ضاعوا في ثلوج البحر الأسود كعنوان لنهاية الدولة العثمانية التي كانت تحكم العرب باسم الدين وتضع رجالهم على «الخازوق»، باسم الدين أيضا... لقد ذهب الجميع وظل العرب يقاومون من جديد.

---

(1) الجندي، أدهم: مصدر سابق، ص 191.

ثالثا: إسهامهم في الحركة الوطنية وللثورة الجزائرية

مدخل:

تتجه الكتابات الفرنسية والفرانكوفونية التي تعال ج موضوع الحركة الوطنية الجزائرية إلى القول أن هذه الحركة ولدت في صفوف الجزائريين المهاجرين إلى فرنسا دون غيرهم وتحدد ذلك ببزوغ حزب نجم شمال افريقيا، وقد شددت هذه الكتابات على ذلك تشديدا كبيرا حتى صار قناعة عامة لدى معظم الأجيال من جهة، وزاد من تساؤلات المشككين في النص المفرنس والفرانكوفونى من جهة ثانية.

ومع أن ميلاد الحركة الوطنية الجزائرية في صفوف المهاجرين الجزائريين في فرنسا أو في أي بلد آخر لاينتقص من الوطنية الجزائرية شيئا، بل إنه يتفق والمفهوم الإسلامي للهجرة باعتارها مرحلة من مراحل الجهاد يتغير فيها موقع المسلم ولايتغير موقفه، وهو لا يعطي فرنسا أو غيرها ميزة أو شرفا كما تريد تلك الكتابات الوصول إليه، فمن المؤكد أن هذه الحركة لم تكن لتولد في فرنسا أو غيرها لو لم يكن الوطن نفسه قد حبل بها، ولو لم تكن الوطنية راسخة في نفوس الجزائريين في الوطن والمهجر على حد سواء..[1].

وهذه هي الحقيقة، فالحركة الوطنية الجزائرية لم تتوقف بتوقف القتال بين الأمير عبد القادر الجزائري والجيوش الفرسية عام 1847. بل أنها استمرت، فأينما زحف الجيش الفرنسي وجد مقاومة ضارية من شعبنا، ويكفي شعبنا فخرا أن الجيش الفرنسي لم يتمكن من بسط سيطرته على بعض مناطق وطننا إلا بعد مرور أكثر من سبعين سنة على بدء الاحتلال.

---

(1) تحدثت كتب كثيرة عن جاليتنا الجزائرية بفرنسا في حركتنا الوطنية، ولعل من أهمها دراسات الأستاذ عبد الحميد بوزوزو.

وفي العادة يقفز الكتاب الفرنسيون والفرانكوفون عن النشاط الوطني لشعبنا خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر أي بعد ثورة المقراني 1871، وكذلك عن نشاطه في مطلع القرن العشرين، وصولا إلى عشرينات هذا القرن حيث بدأت الحركة الوطنية الجزائرية تعمل في صفوف المهاجرين الجزائريين بفرنسا.

وحتى تتم لهم تعمية المواطن الجزائري وتضليله فإنهم يفترون عن سؤال: ماذا فعل المهجرون الجزائريون في الشام من أجل الحركة الوطنية الجزائرية؟

إنه من المعروف على نطاق واسع أن المهجرين إلى الشام، أصحاب هجرة سياسية، وليس هجرة اقتصادية كإخوانهم الذين هاجروا إلى فرنسا، كما أنهم أصحاب كفاءات عالية، أو ليس من المنطق - إذن -أن تظهر فيهم حركة سياسية لصالح وطنهم أم أن سحر الشرق، أنساهم الوطن؟

لقد رأينا أن الشرق العربى لم يكن ساحرا في نظر الجزائريين المهجرين، فهم جزء من سحر هذا الشرق الحضارة بل يستحق وحده النضال العنيف من أجله، وهكذا رأيناهم يناضلون في هذا الشرق ومن أجله، باعتباره جزءا من هذه الأمة التي لا فضل فيها لمغرب على مشرق أو مشرق على مغرب، فكلاهما جزء من التمرة العربية.

ولحسن الحظ أنه لدينا من الوثائق مايثبت أن الحركة الوطنية الجزائرية قد بدأت تبلور نفسها في مطلع القرن العشرين في تنظيمات حديثة مترابطة في داخل الوطن وخارجه، وذلك في تسلسل زمني وتنظيمي يستحق الإعجاب فعلا وآية هذا التنظيم الحديث الذي لايمكن أن يقفز عنه إلا أصحاب النوايا السيئة، تلك الجمعيات وهاتيك الصحف، بل وذلك القتال.

ثورة المقراني 1871:

دون ريب أن كل مهجر جزائري كان يطمح ويسعى للعودة إلى الجزائر وتحريرها، وقد اشترطت فرنسا على الأمير عبد القادر أن لايعود إلى الجزائر ولكنه شرط لاينطبق على كل المهجرين لذلك فإن فرنسا شددت الرقابة عليهم سواء وهم في المشرق العربى أو حين يتمكن أحدهم من زيارة أهله..

ولكن ثورة المقراني 1871 كانت على صلة بالأمير عبد القادر كما صرح بذلك المقراني نفسه، وكما بين ذلك الدكتور يحيى بوعزيز في كتابه عن ثورة المقراني ويبدو أن هذه الصلة كانت من خلال ابن الأمير عبد القادر الأمير محي الدين وقد حاول الأمير عبد القادر على المستوى العلني أن ينأى بنفسه عن هذه العلاقة وأعتقد أنه على المستوى السري كان يدعمها من خلال تونس واستامبول، يقول عادل الصلح أن والده منح الصلح روى له :

«أنه بعدما جاء الأمير عبد القادر إلى دمشق ليقيم فيها، وانقضاء بعض الوقت على ذلك، أخذ الأمير محي الدين يتبرم ويكثر من الشكوى وأخذت نفسه تتوق للعودة إلى النضال والجهاد من أجل تحرير الجزائر، وما زالت هذه الرغبة تلح به حتى جاءت سنة 1870 وقعت الحرب الفرنسية الألمانية، وحدثت في أعقابها اضطرابات في الجزائر، انقلبت في شهر آذار سنة 1871 إلى ثورة على الفرنسيين دامت عشرة أشهر فرأى الأمير محي الدين أن الفرصة قد سنحت للعودة إلى مجاهدة الفرنسيين، فغادر دمشق وخاض على أرض الجزائر ميادين القتال. ولما بلغ ذلك والده غضب على ماكان منه، لأنه كان على يقين من أن الإقدام على أية مجازفة في ذلك العهد

كالتي أقبل عليها الأمير محي الدين، وإنما هي محاولة عقيمة ليس فيها إلا الضرر والأذية للجزائر وأهلها. فأمر ابنه بأن يعود إلى دمشق ونزولا عند أمر الوالد عاد الأمير محي الدين إلى بيروت ولم يتابع طريقه إلى دمشق، تحسبا من أن يلقاه والده على غير رضى، فدعاه والدي لقضاء بعض الوقت عند أقارب له في مدينة صيدا»[1].

ويقول يحيى بوعزيز:

«وكان ظهور محي الدين بالمنطقة حافزا قويا للسكان على حمل السلاح.. وأرسلوا وفدا إلى محي الدين بتقرين للقائه.... فإن وصول محي الدين اليهم له تأثير عليهم، كما أن محاولة تحقيق الاتصال بين محي الدين والمقراني بالمراسلة والمبعوثين له دور في توسيع نطاق الثورة في دائرة تبسة، وقد يكون له دور في نجاح المقراني في توسيع نطاق ثورته إلى جهات كثيرة أيضا»[2].

وفي اعتقادي أن قضية موافقة الأمير عبد القادر على سلوك ولده هي مسألة تحتاج إلى مزيد من البحث والتدقيق فإني أميل إلى القول بأن الأمير بما عرف عنه من حذر وحيطة واطلاع على مجريات الأمور في الأستانة اتخذ موقفا علنيا وآخر سريا.. لأنه لم يشهر عن أولاد الأمير أنهم خالفوه في الصغير من الأمور، فكيف في مثل هذا الأمر الكبير الخطير. خاصة أن المقراني - حسب بوعزيز، كان يعلن علاقته بالأمير عبد القادر.

ومما يعزز هذا الانطباع لدي أن الأمير محي الدين كتم الأمر على كل أحد، إلا أنه كان يكتب الاشعار لأخيه محمد يصف أحواله في تونس والجزائر.. كما يتضح ذلك من ترجمة عبد الرزاق البيطار له في «الحلية»..

---

(1) الصلح، عادل/ سطور من الرسالة ص...

(2) بوعزيز، يحيى: ثورة المقراني.

فهل يعقل أن يقف الابنان من خلف ظهر الأب..؟. يقول البيطار في ترجمة واسعة خصصها لصديقه الأمير محي الدين:

«ثم في سنة تسع وثمانين في شهر رجب، وقع بين دولة فرنسا وألمانيا للقتال أعظم سبب، فانتشبت بينهما نار الحرب. وتقابلت الدولتان بالسفك والطعن والضرب، وآل الأمر في مدة أربعة أشهر إلى انتصار ألمانيا على الدولة الفرنساوية، وتكبدت فرنسا خسائر ومشقات قوية، فخطر في بال المترجم أن الحرب يطول بين الدولتين، فينتهز الفرصة لتخليص وطنه الجزائر من يد فرنسا ويزيل عن الوطن الكدر والغبن، فتوجه بقصد الزيارة في الديار المصرية فحينما وصل إلى مدينة الاسكندرية، توجه منها إلى تونس العرب ولم يعلم أحد نيته الخفية، فأكرمه حاكمها صادق باشا وشاع ذكره في ذلك القطر عرضا وطولا وأنزله ذلك الحاكم عنده وأهداه نيشانا من الرتبة الأولى، فقصد المترجم التوجه منها إلى الجزائر فلم يتمكن من ذلك نظرا لما ناله من الاشتهار الذي ملك تلك النواحي والأقطار فحرر لرؤساء الجزائر نحو المائتي كتاب، لكي يتهيأوا لمحاربة فرنسا عند قدومه المستطاب، وأرسلها من تونس مع الرسل الخفية، ثم ودع الباشا مظهرا له قصد الرجوع إلى الديار الدمشقية فتوجه إلى مالطة، وحين وصوله إليها أخفى نفسه وتنكر، ولبس لباس الدراويش وظهر في غير ذلك المظهر، وتوجه إلى طرابلس الغرب، فحينما وصلها أرسل ثقله مع بعض الخدم في البحر إلى مدينة قابس وهو قد توجه برا متكبدا لمشقات لم يكن على مثلها بمارس، إلى أن وصل لبلاد الجريد، ومكانها عن حدود الجزائر غير بعيد فهناك أظهر حاله للناس، ولم يخشى على نفسه من بأس»[1].

(1) البيطار، عبد الرزاق: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، بيروت 1993، ط2، ج3، ص 1423.

ويبدو أن الأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر كان يلقى حفاوة وترحيبا بالغين من الجزائريين في الصحراء التي وصلها من الحدود التونسية بعد مكاتبات منه إلى روساء قبائلها لتعضيد الثورة ضد فرنسا حيث يتابع صديقه الحميم عبد الرزاق البيطار القول:

«فإنه لما وصلت كتبه إلى رؤساء الجزائر من تونس، استبشروا ولم يعد لهم صبر لانتظار قدومه فتراسلوا وتآمروا وأظهروا العصاوة على دولة فرنسا وانشبَّ القتال بينهم في كل مكان، فلما وصلوا إليهم بايعوه على السمع والطاعة ووقعت بينه وبين الجيوش الفرنساوية مقاتلات عديدة، ماعدا التي وقعت بأمره في عدة أماكن ولم يحضرها، وقد قتل ألوف من الفرنساوية ولكن حيث أن الباري لم يقدر خلاص الجزائر من اليد الفرنساوية تصالحوا هم وألمانيا وأرسلوا في الحال جيوشا جرارة لمحاربته فتيقن عند ذلك بعدم اقتداره على مقاومتهم والتمست دولة فرنسا من حضرة والده إرسال أمر ونصيحة له، فعندها رجع إلى حدود تونس بمن معه، ثم بقيت أهالي الجزائر في تونس، ورجع هؤلاء إلى الشام، وبقى في ثغر صيدا نحو السنة ثم رجع إلى دمشق عند والده وقد سألته بعد مدة معاتبا له عن عدم اخباره لي بماعزم عليه من السفر إلى الجزائر، وما ترتب على ذلك فاعتذر لي بأن هذا من الأمور المكتومة التي لايمكن إبداؤها لأحد»[1].

ويقول نهويض في أعلام الجزائر:

«ونهض لتجديد الجهاد الذي بدأه أبوه، وتحرير الجزائر من الاحتلال الفرنسي، ووصل إلى منطقة (الجريد) بتونس وانتشرت أخبار حركته، فمنع من دخول الجزائر، فبعث إلى زعمائها بنحو 200 رسالة يدعوهم

(1) المصدر نفسه.

للاستعداد، وسافر إلى مالطة فتنكر ولبس لباس درويش ودخل الجزائر، ثم أظهر نفسه فالتفت حوله الجماهير ووقعت بينه وبين الجيوش الفرنسية معارك.. وتوقفت الحرب بين ألمانيا وفرنسا فأقبل الفرنسيون لسحقه، فغادر الجزائر إلى حدود تونس وأبقى من كان معه من الجزائريين فيها، وعاد هو إلى مدينة صيدا بلبنان فأقام بها نحو سنة ثم دخل دمشق»[1].

وقال عنه أعلام دمشق: «أكرمه السلطان عبد العزيز ومنح لقب باشا وجاهد في المغرب الاستكبار الفرنسي في حياة والده ثم رجع إلى دمشق»[2].

إذن فنحن أمام نصوص واضحة تجبر الباحث الوطني النزيه على تتبع دور الصحراويين في ثورة المقراني العظيمة وليس محاولة حصرها في الجبال فقط، كما هو حال معظم الكتابات التي نراها اليوم - وكذلك تتبع دور الأمير محي الدين وحجم المساندة التي لقيها من تونس، وعن حقيقة موقف الأمير إذ ليس من المعقول أن يقوم بمثل هذا العمل بعيدا عن موافقة والده الأمير عبد القادر والذي عرف عنه الحذر وصاحب العلاقة الممتازة مع حكام تونس في ذلك الوقت، ثم هل ذهب محي الدين إلى تونس فالجزائر وحده دون أن يصطحب ولو خادما من جزائريي الشرق، وهل لم يجند معه أحدا من الجزائريين في تونس؟.

ثم هل أنه لم يوصل أسلحة إلى الثورة.. وقد ترك وراءه جمعية أخذت على عاتقها تسليح ثورة المقراني ألفها المهجرون الجزائريون، ومقرها الأستانة، باسم «الجمعية الخيرية لإيالة الجزائر المحمية»، إذ يقول بوعزيز:

«وكان ظهور محي الدين بالمنطقة حافزا قويا للسكان على حمل السلاح، و أرسلوا وفدا إلى محي الدين بتقريب للقائه... فإن وصول محي

(1) نويهض، عادل: أعلام الجزائر، ص 190.
(2) الفرفور: أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري/ ط1، دمشق 1978، ص 335.

الدين إليهم له تأثير عليهم كما أن محاولة تحقيق الاتصال بين محي الدين و المقراني بالمراسلة و المبعوثين له دور في تحقيق و توسيع نطاق الثورة في دائرة تبسة، و قد يكون له دور في نجاح المقراني في توسيع نطاق ثورته إلى جهات كثيرة أيضاء»[1].

وهل يمكن لجزائري واحد سواء في الآستانة أو في الشام أن يقوم بمثل هذه الجمعية الخطيرة من وراء ظهر الأمير عبد القادر.؟

ب- الأمير خالد في الجزائر:

ولد الأمير خالد بن الأمير الهاشمي بن الأمير عبد القادر الجزائري في دمشق سنة 1875 وتلقى تعليمه الابتدائي فيها قبل عودته إلي الجزائر مع والده حيث زاول تعليمه الثانوي إلى أن تخرج ضابطا من كلية "سان سبيير" العسكرية الفرنسية، وتوفي في دمشق عام 1936 كما تدل على ذلك شاهدة قبره في مقبرة عائلته بالدحداح وسط مدينة دمشق[2].

وحاولت أن أعثر على مصادر حول والده الأمير الهاشمي، خاصة أن والدتي حدثتنى أن والدها محمد الخالدي سافر من دمشق إلى الجزائر صحبة الأمير الهاشمي وولده، أن والدها ظل سنوات يتردد بين دمشق والجزائر، حاولت أن أعثر على ما يوثق كلام الوالدة علني أصل إلى أسباب كثرة التردد على دمشق، فلم أتمكن حتى الآن من العثور على مصادر كافية تفسر عودة الأمير الهاشمي.

غير أن المراجع تشير بوضوح إلى علاقة سياسية قوية بين حركة الأمير خالد والتي تكللت بتأسيس حزب نجمة شمال افريقية وبين القوى السياسية العربية العاملة على استقلال المشرق العربى عن تركيا.

---

(1) بوعزيز، يحيى: مصدر سابق.

(2) كثيرا مانبهت بعض الدبلوماسيين الجزائريين في دمشق إلى ضرورة العناية بمقبرة مؤسس الحركة الوطنية الجزائرية، لكن يبدو أن ليس هناك دنانير في الميزانية لهكذا «تبذير».

وأعتقد أنه من سوء طالع الأمير خالد أن سورية نفسها وقعت بعد الحرب العالمية الأولى في براثن الاحتلال الفرنسي.. ولم يعد بإمكانها على المستوى الرسمي والشعبي وحتى العائلي أن تقدم دعما حقيقيا لحركته.

وفي كل الأحوال فإن الباحثين العرب وعلى رأسهم الجزائريين والسوريين مدعوين اليوم أكثر من أي وقت مضى لإماطة اللثام عن تفاصيل حياة هذا المناضل وتفسير انقلاب موقف فؤاد الأول ملك مصر منه، وتفاصيل عرض عبد العزيز آل سعود ملك السعودية للأمير خالد بقيادة جيشه الملكي ورفض خالد هذا العرض، وتفاصيل المضايقات المعيشية التي تعرض لها على يد سلطات الانتداب الفرنسي في دمشق.

وأعتقد أن علي واجب الاشارة إلى أن هناك نقطة في تاريخ الأمير خالد تستحق الاهتمام، فقد كانت العلاقة بين المهجرين الجزائريين في الشام والدروز من أهله رفيعة المستوى.. وزعامة الدروز معقودة لعائلة الأطرش وعلى رأسها سلطان باشا الأطرش الذي اعتبر قائدا للثورة السورية الكبرى 1925-1927. ولذلك فإن نص محمد البجاوي في كتابه حقائق عن الثورة الجزائرية يعتبر نصا ملفتا للنظر حيث يقول:

«كانت حماسة المهاجرين الجزائريين تفوق حد الوصف فبرنامج الأمير وشعار الاستقلال انتشر في فرنسا وتجاوزها إلى الجزائر نفسها.. وقرر خالد عندئذ إحداث منظمة سياسية تكون في الواقع أول حزب سياسي جزائري حقيقي سماها (نجمة شمال افريقيا) رغبة منه في التنويه بوضوح بتعاون جميع بلدان المغرب في الكفاح، مثلما كان الحال بينه وبين سلطان باشا الأطرش زعيم الدروز في سوريا. كان يفكر أنه يتوجب عندما يحين الوقت بعثرة القوى الاستعمارية عن طريق شن ثورة نقمة الجزائر

والمغرب (فى الريف) وسوريا في جبل الدروز، وقد اضطر إلى السفر شخصيا إلى طافيلاني (المغرب) لمباشرة العمل المسلح من هناك»[1].

ولا أعتقد أن هذا التنسيق بين سلطان باشا والأمير خالد وقف عند حدود التنسيق ليس فقط لأن الدروز كانوا معادين للفرنسيين مثلهم في ذلك مثل الجزائريين فإنهم كانوا يطمحون مثلهم إلى الا ستقلال العربي.. ذلك أنه بعد نفي الأمير خالد من الجزائر وإلقاء القبض عليه في الإسكندرية.. ضاع أثره.. يقول العسلي:

«وفي الإسكندرية حاول الأمير خالد الهرب من رقابة القنصل الافرنسي. باستخدام جواز سفر وأوراق ثبوتية زائفة لمغادرة مصر ، غير أن أمره اكتشف، فأحيل إلى محكمة قنصلية في الإسكندرية وأعتقل وأصدرت المحكمة حكمها عليه في شهر آب اغسطسسنة 1925 بالسجن لمدة خمسة أشهر.

ضاع بعد ذلك كل أثر للأمير خالد. وترددت شائعات كثيرة عن اشتراكه في ثورة الريف بقيادة الأمير عبد الكريم الخطابي، كما ترددت شائعات مماثلة عن اشتراكه في الثورة السورية الكبرى سنة 1925 غير أنه ما من وثائق رسمية تؤكد ذلك أو تنفيه»[2].

إذا أخذنا هذه الملاظة حول تلك الشائعات مأخذ الجد وأضفنا إليها علاقة الأمير خالد بالحركة القومية العربية ومؤتمرها في باريس، وكذلك تأييده ودعمه لعمه الأمير عبد المالك في المغرب حين كان برتبة نقيب في الجيش الفرسي بالمغرب إذ.«قاد رتلا فرنسيا من طنجة بهدف استثارة القبائل لمصلحة السلطان المخلوع والذي لجأ إلى طنجة»[3]. فإن ذلك

(1) البجاوي، محمد: حقائق عن الثورة الجزائرية / 1971 ، ص 22.
(2) العسلي، بسام / الأمير خالد الهاشمي الجزائري / بيروت 1986، ط2، ص 66.
(3) نفسه ص 98.

يعتبر إشارة لعناصر قد تشكل موضوعا للبحث خاصة أن لدي وثائق تبين اهتمام المهجرين الجزائريين في بلاد الشام بالأمير عبد الكريم الخطابي واستقبالهم لهم وتأييدهم له[1].

إن ربط تحركات الأمير خالد بتحركات أعمامه الثلاثة علي، عمر، عبد المالك، وابن عمه عز الدين وسلطان الأطرش.. يبدو لي ضرورة تحتاج إلى مزيد من التوثيق. والصفحات التي خصصها الكاتب عبد الرحمن بن محمد الجيلالى في كتابه تاريخ الجزائر العام تعتبر هامة جدا لأنها مستقاة من مصادر قيمة ومعرفة مباشرة، ومما جاء في تلك الصفحات:

«وفي سنة 1913 و1919 بدأ نجم الأمير خالد يتألق في عالم السياسة وبرز شخصه في الميدان كأعظم شخصية وطنية قومية ظهرت بالجزائر. وقد كانت الجزائر يومئذ بالنسبة للجزائريين المسلمين تعاني أزمة من أشد الأزمات، فالحقوق معدومة والمظالم مرهقة. والضرائب فادحة. والأحكام جائرة والقوانين الزجرية قاسية رهيبة،ولا يكاد يجتمع ثلاثة أفراد من المسلمين إلا وراءهم (البوليس) وقد انحطت الأخلاق تجاه كل هذه النكبات فألفت النفوس الخنوع والارتواء، وكل من تحرك أو تفوه فنطق بكلمة حول الموضوع يعد مشوشا وثائرا يستحق العقاب.

وفي أثناء هذا الجو المكفهر القاتم اتصل الأمير بدعوة من المؤتمر العربى الذي انعقد بباريس (1913) للبحث في شأن حقوق العرب في إطار الخلافة العثمانية، وبما أن الأمير وقتئذ كان في حالة استعداد للسفر إلى دمشق فكتب إلى المؤتمرين رسالة لطيفة بتاريخ 25/ 3/ 1933م يعتذر فيها عن التخلف.. ومما جاء فيها قوله. «وأدعو الله من صميم الفؤاد أن يثبت سعيكم. وإني واحد منكم قلبا وقالبا.. وكنت أود أن أحضر

---

(1) أشرت إلى بعض هذه الوثائق في الحديث عن الجمعيات الجزائرية في الشام.

بنفسي في مؤتمركم العظيم، ولكنني مشتغل بالسفر إلى زهرة سوريا منشئي ووطني دمشق، وهنالك أقف حسب طاقتى بما هو واجب على كل وطني غيور والسلام»[1].

وكما كان محمد الخالدي يتردد بين الأمير الهاشمي في الجزائر ودمشق فإن أحمد بهلول ظل يتردد بين الأمير خالد في دمشق وبين الجزائر بل وبينه وبين الملك عبد العزيز آل سعود. وهنا أيضا لانجد وثائق كافية عن أحمد بهلول، رغم أن هذه العائلة معروفة في دمشق والجزائر على حد سواء.

ويبدو أن وفاة الأمير خالد يوم، 10/ 1/ 1936 قد أحزنت كثيرا الشعب العربي في سورية وقواه الوطنية كما يستدل على ذلك من صحف سورية في تلك الفترة ومن الجنازة التاريخية وأعداد المصلين الذين صلوا عليه في المسجد الأموي رغم سلطات الاحتلال الفرسية في سورية آنذاك.

جـ - العلاقة مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحزب الشعب :

ليس لدينا ما يشير إلى أن المهجرين الجزائريين في الشام كانوا على علاقة بأي من الأحزاب أو الهيئات السياسية الجزائرية التي كانت تنادي بالاندماج مثل اتحاد النواب المسلمين أو حزب البيان وكل الكتلة السياسية التي تعرف اليوم بالفرانكوفونية.

وعلى العكس من ذلك لدينا ما يشير إلى علاقتها بحزب الشعب وبالعلماء المسلمين الجزائريين وجمعيتهم فيما بعد ويبدو أن الذي لعب دور الرابط ثلاثة من العلماء الجزائريين أتيح لهم أن يقيموا في الشام اقامة طويلة فالشيخ البشير الإبراهيمى زاول في عشرينيات القرن العشرين مهنة التدريس في مكتب عنبر بدمشق وأما الشيخ الزواوي فقد أقام وألف وطبع

(1) الجيلالي، محمد عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام / بيروت 1980، ط4، ص48.

كتابه تاريخ الزواوة بدمشق وأما الشيخ عيمور الهلالي فقد أقام في غزة وصار عضوا نشيطا في لجنة القدس العربية وكان يطوف القرى الجزائرية في فلسطين واعظا وشارحا القضيتين الجزائرية والفلسطينية على حد سواء.

وهناك مراسلات بين الجمعيات التي أسسها الجزائريون في الشام وجمعية العلماء المسلمين ويعود بعض هذه المراسلات والوثائق إلى المؤتمر الإسلامي الأول الذي عقد بنادي الترقي في العاصمة الجزائرية وكذلك ثمة مراسلات مع صحف هذه الجمعية مثل الشهاب والبصائر وغيرها.

ويبدو لنا أن مجموعة هذه الوثائق تشكل إرثا طيبا لحركة التحرر القومي العربي مجتمعة، إذ أن صحف الجمعية المذكورة كانت تنشر رسائل وبيانات ونداءات، ترسلها أو تصدرها الجمعيات والشخصيات الجزائرية في الشام وتتعلق بالنضال العربي كله وخصوصا في فلسطين، فكما كانت الجمعيات الجزائرية في الشام صوت الجزائر والمغرب العربي في المشرق كانت جمعية العلماء المسلمين صوت فلسطين والمشرق في المغرب العربي. وكانت هذه الجمعيات هي الصلة بين النضالين وبعض أعضائها من الجزائريين يعرفون بنضالاتهم القوية في فلسطين وسورية ولبنان.

كما لدينا وثائق تشير إلى أن مكتبة جمعية المقاصد الخيرية المغربية التي ترأسها أحمد جودت الهاشمي الينيوي كانت تتلقى مؤلفات وكتب جزائرية من شخصيات جزائرية حيث تطالعنا أسماء مثل الزاهري وبن عليوه في سجلات هذه الجمعية، كما توجد نصوص محاضر بعض المؤتمرات التي عقدها العلماء المسلمون الجزائريون وكانت الصحف الدمشقية تنشر أخبار الجزائر ونشاط الحركة الوطنية الجزائرية وجمعية العلماء الجزائريين مستقاة من جمعيات الجزائريين في الشام التي

اختارت يوم 6 ماي 1945 حيث المجازر المعروفة - يوما للتضامن مع نضال المغرب العربي. وهناك مراسلات وبرقيات بين جزائري المشرق العربي مثل ممدوح المبارك وأحمد سهيل الفضيل وعبد السلام بوعزة وغيرهم، وشخصيات جزائرية مثل محمد خيضر، الشاذلي المكي، البشير الإبراهيمي، الفضيل الورتلاني وغيرهم تتحدث في معظمها عن الكفاح من أجل الجزائر وكلها تعود إلى ماقبل عام 1945م[1].

ويبدو أن فرنسا عاقبت الأمير محمد سعيد وجميع عائلة الأمير عبد القادر بقطع رواتبهم للمرة الثانية إثر احتجاجهم على المجازر الفرنسية في 8 ماي 1945، وكانت قد قطعتها في المرة الأولى إثر تأييدهم للحركة الوطنية السورية.

وقد كتبت جريدة الأحرار الدمشقية بتاريخ 4/ 9/ 1946 تحت عنوان «أحفاد الأمير عبد القادر يحرمون من مخصصات أسرتهم بعد أن استعرضت إخلاص ووفاء الجزائريين لسورية أن سبب قطع المرتبات يعود «لأن الأمير محمد سعيد الجزائري حفيد عبد القادر الكبير وعميد الأسرة قد أذاع بيانات يؤيد فيها مطالب الجزائريين الوطنية ويدعو فرنسا إلى إجابتها ويهيب بالجامعة العربية بأن تقف بجانب الوطنيين من أبناء قومه».

د- جبهة التحرير والثورة الجزائرية 1954-1962 :

وهكذا لم تنقطع الصلة بين المهجرين الجزائريين في الشام وبين الحركة الوطنية الجزائرية ممثلة بأحزابها وهيئاتها الرنيسية إذ لم يعتبر المهجرون الجزائريون الأحزاب والهيئات الفرانكوفونية الداعية إلى الاندماج كحزب البيان أو الحزب الشيوعي جزءا من الحركة الوطنية الجزائرية

(1) نعتمد هنا على أرشيف جمعية المقاصد الخيرية المغربية بالسويقة وجمعية تحرير المغرب العربي بدمشق وأختها في لبنان وعلى أرشيف جمعية الدفاع عن افريقية العربية.

المترابطة عضويا مع حركة القومية العربية الحديثة غير المعادية للإسلام، لذلك لانجد بين هؤلاء المهجرين سواء عبر تنظيماتهم الجزائرية، أو التنظيمات السياسية المشرقية التي تواجدوا فيها، وبين الأحزاب والهيئات الفرانكوفونية الاندماجية أية صلات.

وما إن أعلنت الثورة الجزائرية حتى كانوا جاهزين للقيام بالواجب إذ يستشف من تصريحات أدلى بها الأمير سعيد الجزائري لبعض الصحف أنه كان على مقربة من الاستعدادات للثورة ورجالاتها حيث أنه حسب هذه التصريحات أبرق لرئيس الجمهورية الفرنسية يطالبه باستقلال الجزائر.. إذ كتبت جريدة الأيام الدمشقية بتاريخ 5/ 11/ 1954 تحت عنوان فراسة المؤمن تقول:

«جاء من القاهرة أن سمو الأمير سعيد الجزائري بعث منذ شهر بكتاب إلى السيد منديس فرانس رئيس وزراء فرانسة مطالبا بمنح الجزائر وتونس ومراكش أمانيها الوطنية والقومية في الحرية والاستقلال بطريق التفاهم حذرا من عواقب وخيمة كما جرى في الهند الصينية وسورية وغيرها وأبلغ الرئيس الفرنسي أن أسرة عبد القادر لم تعد تطيق تشردها منذ قرن ونيف وهي تود العودة إلى وطنها الأول. وقد صح ما تنبأ به الأمير سعيد الجزائري منذ شهر إذ جاءت حوادث الجزائر الأخيرة ومصداقا لما ذهب إليه وتوقعه وقد جاء في الحديث الشريف اتقوا فراسة المؤمن». ثم ليس صدفة أن يجتمع نفر منهم في دمشق خلال شهر شباط/ فيفري 1955 ويقروا تأسيس جمعية دار الجزائر وحسب المخطوطة التي بين أيدينا والمؤرخة 2 رجب 1374هـ الموافق 24/ 2/ 1955 فإن المؤسسين هم حسب ورود أسماءهم. عدنان المبارك، الأمير عبد العزيز الجزائري،

ممدوح المبارك، عبد السلام حبيب، هاني المبارك، زهير الطيب، أحمد غربية، خير الله زمنزار، محمود اليحياوي، الأمير حيدر الجزائري، أحمد سهيل الفضيل، عبد الرزاق فرحات، عبد الله فرحات.

لقد نشر هؤلاء في ذات اليوم بيانا تضمن أسباب وأهداف هذه الدار إذ يقول البيان: «وقد أسسوا دار الجزائر هذه لتكون مبعث نشاط قومي واجتماعي وثقافي علها تستطيع أن تسمع أبناء المشرق صوت أبناء المغرب فيؤدي هؤلاء الشباب جزءا مما يتوجب عليهم نحو قضية المغرب.

ويضيف البيان :

فدار الجزائر نبضة من نبضات قلب المغرب المجاهد وصدى لأصواته المجلجلة، ودار الجزائر إذ تقوم بعملها هذا بكل فخر وتواضع تضع جميع امكانياتها وجهود شبابها في خدمة قضية العرب عامة والمغرب المجاهد خاصة راجية من الله تعالى كل عون وتوفيق»[1].

ورغم أن هذه الجمعية التي حصلت على ترخيصها الرسمي من السلطات السورية في 19/ 7/ 1955 تحت الرقم 6896 ونشر في العدد 37 من الجريدة الرسمية، نصت في نظامها الأساسي المادة 2 فقرة ب على أن لا تعرض الجمعية للشؤون السياسية. إلا أن نظامها الداخلي قدم ما يمكن اعتباره برنامجا سياسيا مستوحى بشكل أو آخر من أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية، فلينظر.

ترأس هذه الجمعية السيد ممدوح المبارك وقام بأمانة السر السيد أحمد سهيل الفضيل. وقد تمكنت هذه الجمعية من حشد سائر القوى السياسية المتناحرة في سورية وتوحيد مواقفها تجاه الثورة الجزائرية. وصارت

(1) انظر القانون الأساسي والنظام الداخلي لجمعية دار الجزائر وبعض الوثائق التي تنشرها مع هذا البحث.

لديها قدرة قوية في تحريك الشارع السوري وقد أفشلت عدة مؤامرات استخبارية فرنسية ضد الثورة منها محاولة للتنصت على ذبذبات الاتصال اللاسلكي والأجهزة السلكية للثورة في كل من سوريا ومصر ولبنان، ومنها محاولة فرنسية لخلق قيادة بديلة للثورة الجزائرية[1].

كما أن هذه الجمعية بالتعاون الوثيق مع ضباط الجيش السوري ومنهم ضباط من أصول جزائرية - مثل عبد الرحمن بن أحمد خليفاوي الذي صار رئيسا لوزراء سورية في وقت لاحق- تمكنت من إيصال الأسلحة السورية والعراقية عبر موانئ سورية وأوروبية إلى الجزائر.

وحين تأسيس الحكومة المؤقتة سواء في مركزها المعلن بالقاهرة أو تونس ظلت دمشق هي المركز السري لأعضاء هذه الحكومة، ومنطلق تحركاتهم، وكان يلتقي فيها كل من الكولونيل عمران والأمين دباغين، ومحمد خيضر وأحمد بن بلة وغيرهم، حيث يديرون اجتماعاتهم السرية في شقق خاصة بترتيب من هذه الجمعية ويذكر السيد أحمد سهيل الفضيل أنه أحضر في أحد هذه الاجتماعات شموعا فسأله ابن بله عن السبب، فقال ستعلمه بعد قليل، فقط انظر من النافذة..

كان المنظر من النافذة يبرز السفارة الفرنسية التي تحتفل بذكرى 14 جويليه تموز وكل أتباعها فيها والحراسات المشددة حولها.. فما هي إلا دقائق حتى انطلقت صفارات الانذار وأظلمت دمشق كلها والتطم المدعوون ببعضهم وفسدت على السفير الفرنسي خطته في إظهار أن له مؤيدين في دمشق.

لقد كان عضو جمعية دار الجزائر الضابط محمد فرحات هو مسؤول الحماية المدنية - الاطفاء - في دمشق، فقرر أن يقوم في تلك اللحظة بتمرين لعناصره حتى يتسنى لابن بلة وإخوانه الاجتماع بهدوء تام ويرى

(1) معلومات أدلى بها الينا السيد ممدوح المبارك شخصيا.

بأم عينيه أعوان فرنسا وقد ارتسمت على وجوههم علامة خيبة صغيرة تنبئ بالهزيمة الكبرى.

كما يتحدث أعضاء جمعية دار الجزائر عن سعيهم بتعليمات من ممثل الثورة في دمشق السيد عبد الحميد مهري لتأسيس شركة ملاحية سورية لتقوم بتهريب الأسلحة إلى الجزائر، وعقدوا بينه وبين بعض الموثوقين اجتماعات انسحبوا منها حين دخلت في الأطوار السرية جدا.

ويتحدث رجال الجمعية أنه حين توسعت الثورة الجزائرية صارت بحاجة إلى أموال بالعملات الصعبة، مما يضطرها لاختراق ما اتفقت عليه الدول العربية في بداية الثورة أن تقوم بتحويل التبرعات إلى مصر، وهي التي تسلم قيمتها بالعملة الصعبة إلى الثورة، وقد يؤذي ذلك الخزينة المصرية أو قد يتحجج به أولئك الذين في بعض الأجهزة الأمنية كمحاولة للضغط على الثورة، فأخذت جمعية دار الجزائر على عاتقها أن تحل الموضوع دون ازعاج أي طرف فقامت عام 1956 بتنظيم أسبوع لتسليح الجزائر جمعت فيه من الشعب السوري مباشرة مبلغ مليوني ليرة سورية تسلمها ممثل الثورة مباشرة بالعملة الصعبة بصك من يد السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية[1].

ويبدو أن هذه الجمعية التي كانت قيادتها هي في نفس الوقت أغلبية قيادة جمعية المقاصد الخيرية المغربية تستعمل رباط المغاربة بحي السويقة لإيواء بعض الجزائريين. إذ لدينا محضر مؤرخ في 28/ 3/ 1961 موقع من طرف إبراهيم خليفاوي، عبد اللطيف زيناتي، بدر الدين شوبان، أحمد غربية وغيرهم يقررون فيه «تلبية الأستاذ محمد الغسيري ممثل حكومة الجزائر بدمشق وقامت بمنح السيد... غرفة في الرباط».

(1) أشار إلى هذا النشاط السيد أحمد توفيق المدني في كتابه حياة كفاح.

وكانت جمعية دار الجزائر نشطة في تسيير المظاهرات الشعبية وتوجيهها نحو البرلمان السوري مطالبة بمقاطعة فرنسا سياسيا واقتصاديا.

وهنا نجد محمد المبارك عضو البرلمان (والوزير عدة مرات) وعضو الجمعية يقوم بدور واسع في هذا الجهد، حيث بيدنا رسالة موجهة من ممثل الثورة عبد الحميد مهري إلى ممدوح المبارك رئيس الجمعية شقيق محمد يطلب فيها السعي لعقد جلسة في البرلمان السوري لمقاطعة فرنسا.

ويبدو أن جمعية دار الجزائر كانت ذراعا من أذرع جبهة التحرير الوطني في المشرق العربى حيث في اليد عدة رسائل متبادلة بين قيادات الثورة ورجالات هذه الجمعية، فعدا عن رسالة المهري إلى المبارك هناك رسالة مؤرخة 21/ 9/ 1955 من محمد خيصر إلى المبارك نفسه، وأخرى على ظهر بطاقة بريدية تحمل منظرا لمدينة الجزائر العاصمة موجهة من السيد أحمد بن بله في سجنه إلى السيد أحمد سهيل الفضيل في دمشق ومورخة 9/ 5/ 1961 وكتبها بن بله بخط يده بالفرنسية وهذه هي ترجمتها:

أخي العزيز أحمد :

يسرني كثيرا أن أقول لك: بأنني أتذكر جيدا الظروف التي أسعفتني للتعرف عليك، وعلى الإخوة الجزائريين حيث أن عملهم في دمشق يشرفنا.

إنني بمزيد من التأثر أتخيل اللحظات التي ستطبع نهاية ملحمتنا الجزائرية العظيمة، حينئذ نبدأ مهمة أخرى أكثر حماسة بالنسبة لنا، ألا وهي تحقيق الوحدة العربية التي ينشدها كل شعب عربي.

وأيضا بسبب المعركة التي يخوضها الشعب الجزائري في هذا الوقت حيث أن قسما أساسيا يلتزم معنا ويفكر في مصيركم جميعا، بشدة أكثر من

أي وقت مضى لأن أرواحكم هي قوة وجودنا. كل الأخوة المتواجدين معي هنا يباركونك والأخوة المحيطين بك، أحر التحيات الوطنية العربية.

أحمد بن بله

و كذلك عندنا عدة رسائل بين دار الجزائر و قيادات جبهة التحرير ومكتبها في القاهرة.

وقامت جمعية دار الجزائر عام 1956 بتنظيم اسبوع التسليح جمعت خلاله التبرعات النقدية الهامة للثورة الجزائرية.

وقد ضمت لجنة اسبوع الجزائر التي كونتها الجمعية شخصيات ذات تأثير فعال في المجتمع والشارع السياسى والدولة السورية سواء كانوا من أصل جزائري أو غيرهم ومن هولاء:

- د. مأمون الكزبري	رئيس المجلس النيابي
- الأستاذ صبري العسلي	وزير الداخلية
- الشيخ أحمد الدقر	رئيس الجمعية الغراء
- الشيخ أحمد كفتارو	مفتى الجمهورية السورية
- عبد الرؤوف أبو طوق	نائب في المجلس النيابي
- الشيخ عبد الرحمن الطباع	وزير الأوقاف
- الشيخ عثمان النوري	من كبار تجار دمشق
- الأستاذ رياض العابد	رئيس نقابة محامي دمشق/ أمين سر اللجنة
- الأستاذ نوري الحكيم	رئيس مجلس إدارة شركة الكونسروة
- الشيخ محمد مكي الكتاني	رئيس جمعية تحرير المغرب العربي
- الأستاذ محمد المبارك	وزير الزراعة
- الأستاذ ممدوح المبارك	رئيس جمعية دار الجزائر
- د. سعيد العربى	أستاذ جامعى

وقامت جمعية دار الجزائر في عام 1956 بالتعاون مع شقيقتها جمعية تحرير المغرب العربي بتنظيم اسبوع تسليحي آخر للثورة الجزائرية حقق ذات النجاح الذي حققه الأسبوع الأول، وكان آخر نشاط لها هو الاسهام في نقل رفات الأمير عبد القادر إلى الجزائر والمشاركة في الوفد المرافق وتسجيل طلب والقيام بمحادثات مع المسؤولين الجزائريين حول إعادة الجنسية للمهجرين الجزائريين.

وقد كان وفد الجالية المرافق لنقل رفات الأمير عبد القادر الجزائري يتكون من 42 شخصا على رأسهم الأمير سعيد حفيد الأمير عبد القادر والذي استقر بالجزائر حتى وفاته عام 1970 ومن بين أعضاء الوفد:

جواد المرابط
حسن عبد المالك الجزائري
الدكتورر مازن المبارك
سلمى ادريس الجزائري
أحمد سهيل الفضيل
ممدوح المبارك
عبد السلام حبيب الجزائري
عبد الرحمن الحسني الجزائري
الدكتور سعيد العربى
طاهر بن جعفر الجزائري
أحمد الحسني
هاني الهاشمي
ادريس الحسني الجزائري
فؤاد المرابط
هدى حسن عبد المالك
خليل محجوب
د. أسعد درقاوي
صالح الحاج بكري
عبد الرزاق طواهري
محمد فرحات
أمل الجزائري
نور الدين الجزائري
سلوى خليفاوي

وقد ودع الرفات في سورية وداعا رسميا حافلا كما استقبل في الجزائر استقبالا تاريخيا.

وقد عاملت الحكومة الجزائرية وفد الجالية بمنتهى الاحترام والتقدير كما فعل ذلك الشعب الجزائري نفسه أثناء استقبال ونقل الجثمان من مطار الدار البيضاء «مطار هواري بومدين» إلى مقبرة العالية مشيا على الأقدام حيث كان وفد الجالية يأتي ترتيبه بعد سفراء الدول واتبعت ذات المراسم أثناء مواراة جثمان القائد الجزائري الفذ تراب وطنه الذي دافع عنه طويلا، وقد ألقى الرئيس الراحل هواري بومدين أثناء الاحتفال كلمة بليغة مؤثرة.

رابعا: إسهامهم في تحرير أقطار المغرب العربي الأخرى

مدخل :

لم يفصل المهجرون الجزائريون إلى بلاد الشام نضالاتهم القوية ضد الإمبراطوريات الاستعمارية، فكما نظروا إلى هذه الامبراطوريات نظرة واحدة، نظروا إلى نضالاتهم في المشرق والمغرب نظرة واحدة أيضا. بل لعلهم من الناحية التاريخية أول من أسس هياكل سياسية تضم أبناء المغرب العربي جميعا، فجمعية مجاهدي إفريقية الشمالية وأختها مهاجري شمال افريقية أقدم في التأسيس من حزب نجم شمال افريقيا.

ومن حيث الممارسة القتالية كانوا أقدم من أي طرف آخر إذ أن الأمير علي عبد القادر التحق مع كوكبة من هؤلاء المهجرين بليبيا عام 1911 وبدأ مع الليبيين في مقاومة الغزو الايطالي، وقد انضم إليه هناك جزائريون من داخل الجزائر نفسها كما أن أخيه عبد المالك أعلن ثورته في المغرب وأعلن استقلال فاس عام 1914 في ذات الوقت الذي كان ابن أخيهما الأمير خالد بن الهاشمي يقود الحركة الوطنية في الجزائر ضد فرنسا.. وفي الوقت الذي كان الشيخ طاهر والأمير عمر بن عبد القادر وسليم السمعوني وغيرهم يعملون ضد تركيا.

وبخصوص الحركة الوطنية للمغرب العربي كانت قيادتها في الشام معقودة اللواء للجزائريين باعتبارهم الأكثر عددا والأقدم وجودا، كما أن عائلة الأمير هي الأشهر ويبدو أنه لم يكن حتى مطلع الأربعينات من هذا القرن أي خلاف على قيادتها، وكانت عائلة الأمير قد سلمت زمام أمرها بعد وفاة الأمير محمد بن عبد القادر وشقيقه علي إلى الأمير محمد سعيد بن علي، ويبدو أن الأخير الذي أطلق عليه الجزائريون لقب الأمير اعترافا

بامارته المعنوية وإقرارا لشرعية دولة الأمير عبد القادر إلى أن استقلت الجزائر عام 1962 وهو على قيد الحياة، وتكونت دولة جزائرية حديثة هي الوريثة الشرعية للدلة الجزائرية التي أسسها الأمير عبد القادر، وبالتالي لم تعد هناك ضرورة لاستمرار الألقاب الأميرية هذه فأسقطوها عن أولاده ولم يعودوا ينادونهم بهذا اللقب.

ومن خلال موقعه الأميري هذا لعب محمد سعيد هدورا في تكوين الجمعيات السياسية المغربية في الشام، وكان رجلا نشيطا كثير الحركة حيث نجد اسمه بطريقة أو بأخرى في كثير من النشاطات السياسية في المنطقة خاصة في الفترة 1918-1946، سواء منها ما يخص المشرق العربي أو الجزائر أو عموم المغرب العربي وهناك اشارات على أن فرنسا عرضت عليه عرش سوريا، ليكون ملكا بعد فيصل فطلب إضافة عرش الجزائر كشرط لقبوله العرض الفرنسي وإشارات على أن بريطانيا عرضت عليه عرش شرقى الأردن في فترة بحثها عن بديل لعائلة الحسين بن علي شريف مكة[1] ورفض محمد سعيد هذا العرض أيضا، إذ يبدو أنه كان على اطلاع علي بعض الدسائس الدولية نتيجة خبرة والده الأمير علي الرئيس الثاني لمجلس «المبعوثان» العثماني والذي ذهب إلى ليبيا ولمس باليد كيف تخلت تركيا عن ليبيا إلى الطليان.

1- مقاومة الغزو الايطالي لليبيا :

مع حلول العقد الثاني من القرن العشرين بدأت إيطاليا غزوها الموسع لطرابلس الغرب «ليبيا» بعد استعدادات واسعة ومسبقة وبالتفاهم مع الدول الاستعمارية الأوروبية، كما ذكرت ذلك معظم المراجع التي تناولت هذا الغـزو :

---

(1) أورد ذلك السيد ضيف الله الحمود في مقابلة أجرتها معه مجلة المجاهد الاسبوعية.

«بعد أن أعلنت فرنسا الحماية على تونس اتجهت مطامع ايطاليا إلى االحتلال طرابلس الغرب فأخذت موافقة ضمنية من انجلترا وفرنسا في عام 1901-، 1902 على هذه المطامع»[1].

ولم تكن الأمور في طرابلس الغرب بصفتها ولاية عثمانية أفضل من الولايات العثمانية الأخرى العربية وغير العربية، فقد كانت الدولة الطورانية رغم ألقابها المتعددة (العلية، السنية، الخلافة الإسلامية)، قد شارفت على نهايتها المحتومة لذلك لم يستطع الجيش العثماني أن يحقق شيئا يذكر في مواجهة الطليان، فقامت الجماهير بقيادة الحركة السنوسية تدافع عن الوطن.

ويبدو أن الحكومة العثمانية لم تجد شخصية مؤثرة في صفوف الليبيين وموالية لها في نفس الوقت أفضل من شخصية الأمير علي بن عبد القادر بصفته من أبناء منطقة المغرب العربي وبصفته نجل الأمير عبد القادر الذي ينظر إليه الناس سلطانا وشريفا من السلالة النبوية ومجاهدا بطلا.

وبالفعل كلفت الحكومة العثمانية الأمير علي الذي انتقل إلى الاسكندرية ثم إلى طرابلس الغرب، ويبدو كما يذكر في الرسالة، التي بين أيدينا والتي كتبها بخط يده أن المسافة بين الاسكندرية وطرابلس استغرقت شهرين ونصفا.

ونحن نعلم أنه كان معه بعض المهجرين الجزائريين الذين رافقوه للمشاركة في الجهاد، كما توضح لنا رسالته الخطية الموجهة لابن عمه في دمشق أن مجموعة من المجاهدين الجزائريينن من الوطن الأم أيضا التحقوا به في طرابلس الغرب رغم منع فرنسا لهم.

(1) ناجي محمد / طرابلس الغرب.

كما نفهم من رسالته أن وضع المجاهدين الطرابلسيين كان جيداوأن الطليان أرسلوا سفنا تقصف بيروت لتخفف من ضغط المجاهدين عليهم في طرابلس وهذا هو نص الرسالة نورده كما هو :

«حضرة ابن عمنا السيد محمد أبو طالب والسيد محي الدين وإخوتنا السيدة أمينة خانم وزينب خانم ورقية خانم وأولادهم عموما حفظهم الله ورعاهم. أما بعد السلام التام عليكم ورحمة الله وبركاته والسؤال عنكم وعن صحة أحوالكم وأخباركم السارة جمعنا الله بكم عن قريب على أحسن حال وإننا ولله الحمد بخير وعافية.

وقد مررنا على عموم المراكز الحربية وبقينا فيهم مدة نباشروا مع القومانداانات أمور الحرب أن عموم الأهالي وجدنا منهم حمية وغيرة دينية وقد فرحوا بقدومنا ورأينا منهم كل إكرام واحترام.

والآن قد وصلنا إلى طرابلس أن مسافتها من الاسكندرية إلى طرابلس شهرين ونصف وأن الأحوال الآن لله الحمد حسنة والعدو محصور في مراكزه وليس له قوة ولا جسارة على الخروج إلى البر وما هو إلا محتمي بمدافعه البحرية ولولا ذلك كانت المجاهدين تهجم عليه هجمة واحدة وهم له بالمرصاد.

أما اطلاق المدافع فهي بغير حساب حتى ذهبت أهمية المدافع ولله الحمد ليس لها تأثير يذكر بمدد الرسول صلى الله عليه وسلم ولو كان لها تأثير لكانت أهلكت العموم وقد بلغنا مافعله في بيروت من طلق المدافع خذله الله وقهره فهو ذهب لبيروت مما حصل له من القنوط هنا واليأس فذهب ليتفشي هناك من غيظه وإني أرسلت لكم جملة تحارير وما أخذت منكم جوابا عسى المانع خيرا وقد جاؤوا إلى هنا رجالا من الجزائر وتونس

ولولا المنع لجاؤوا كثيرين أما المجاهدين فهم في كثرة وهذه البلاد بلاد مجاعة وصحارى وقفار ورمال وقلة ماء والذخائر ترد بكثرة من بلاد تونس بحسب المقاولة مع التجار والسلام على كافة من يسأل عنا وإذا حصل لنا الإذن فإن شاء الله قريبا نكون بطرفكم والسلام[1].

أخوكم وابن عمكم»

وقد كان معه عدد من المجاهدين المهجرين من المغاربة حيث أنه أبلغ الطربلسيين بذلك التطوع بعد أن بلغهم بأنه مكلف من مجلس الاعيان والوزراء وللسلطان العثماني بالمجيء إلى طرابلس الغرب للدفاع عنها إلى أن يقول :

«فكل مايصيب المرء خيرا كان أم شرا هو من الله رب الأرباب وسوف لا أتردد عن ايصال الأخبار السارة اليكم أما الآن فيسير في صحبتى كثير من كبار الضباط والقواد وعدد كثيف من المتطوعة المغاربة»[2].

ويبدو أن معظم هولاء المغاربة هم من الجزائريين سواء من الوطن الأم أو من الشام إذ يقول الباحث الليبي الهاشمي محمد بالخير:

«جاء من الجزائر المجاهد مصطفى عوني الجزائري، كما جاء الأخوة: محمد وموردي، وعلي بن حميدة بن خير من وارغله في الجزائر. وقد كان الأمير علي باشا الجزائري وابنه عبد القادر يصحبه عشرون جزائريا في طليعة الذين جاؤوا للجهاد في سيبل الله، هذا والجدير بالذكر أن الدكتور بن جلول، والسيد علي بن جباره وأخاه أحمد بن جباره قد قاموا بجمع التبرعات في الجزائر لصالح المجاهدين»[3].

---

(1) انظر صورة الرسالة.

(2) حياة طيب الذكر الأمير علي.

(3) محمد بالخير، الهاشمي/ الهاني - الغزو الايطالي وبداية حركة المقاومة المسلحة، طرابلس 1985، ص 73.

وقد لقي الأمير علي بن عبد القادر ترحيبا حارا من المجاهدين الليبيين بقيادة الطريقة السنوسية وزعيمها أحمد بن شريف السنوسي ومن طرف السلطات التركية في الأراضي الليبية يقول كتاب تاريخ حياة الأمير علي:

«كان الأمير علي الذي برح الشام إلى سيرتا، قد وصل من سيرت آتيا من بنغازي ليعرج على طرابلس ورغبته أن يستنفر القبائل للجهاد ويبعث في قلوبها حماسة الذود عن الوطن الذي يضحي العرب في سبيله كل شيء ماعدا الشرف. وقد كان المجاهدون يومئذ ينتظرون ابن السلطان عبد القادر بذاهب الصبر فلما أطل عليهم هتفوا له فبلغ هتافهم عنان السماء فمالت له الأرض ورقصت الخيول كأن بها نشوة من الطرب وما هي إلا لحظة حتى وقفوا وأخذوا ينظرون إلى القفر بقلوب وعيون ومن ثم وقف الجميع حول الأمير بانتظام ونكسوا أسلحتهم إجلالا واحتراما وهرع زعماؤهم إلى لثم يديه وتقبيل راحتيه وذهب بعضهم إلى التبرك بعباءته وآخر إلى التبرك بالحصى التي تحت قدميه فكنت أراه يحاول التملص منهم جهد طاقته وأخيرا تركه وانضم إلى قبيلة كانت بانتظاره على شاهق ثم ما لبث أن عاد مصحوبا بولده الأمير عبد القاد وقد تكاثف الزعماء من حوله فوقف ولده إلى يساره وحاكم سيرت محمد آغا إلى يمينه وكلهم يسرعون الخطى وقد كرروا إطلاق البنادق حتى حكى دويها هزيم الرعد القاصف»[1].

كما أن هناك ثمة رسائل متبادلة بن الأمير وأحمد الشريف السنوسي تحوي أخبارا عن حالة الجهاد ضد الغزاة الايطاليين.

ويبدو أن موقف الحكومة العثمانية بالتخلي عن طرابلس الغرب قد أثار بعض الزعامات السياسية والعسكرية فوجدنا العلاقات مع عزيز المصري

(1) علي ص 40.

تسوء بسبب هذا الموقف، وعزيز المصري كقائد قومي وعسكري تمكن من تجنب الحرب في اليمن العربية ضد قبائلها العربية وكان معه في ذلك سليم الجزائري.

أما في طرابلس الغرب فكان يريد مواصلة القتال ضد الطليان الغزاة، غير إلى حكومة الآستانة قد خذلت جميع العرب. ومنهم الأمير علي بن عبد القادر الذي بدأت علاقته تسوء بالاستانة، وقد جاء في كتاب تاريخ الأمير علي:

بينما كانت أنظار العالم الإسلامي شاخصة إلى ساحة القتال في طرابلس الغرب مترقبة جلاء الايطاليين عنها بعد عجزهم عن فتحها بقوة جيوشهم الجرارة وأساطيلهم العظيمة إذ بحادث جلل قد وقع فأدمى قلوب المسلمين وثخنها جراحا وهذا الحادث هو عقد الصلح بن إيتاليا والدولة العلية على قاعدة غريبة يذكر صورها قراء الجرائد والمجلات على أن الدولة لم تضطر إلى هذا الصلح إلا بسبب انتقاض الدولة البلقانيةعليها وإغارتها على أملاكها في البلقان فأجبرت على توقيع معاهدة لوزان القاضية بترك طرابلس الغرب لإيتاليا تفرغا لحماية أملاكها في البلقان وقد أقامت في طرابلس نائبا لها وفي الوقت نفسه نشرت منشورا ذكرت فيه منحها الاستقلال لأهالى طرابلس ونشرت إيتاليا منشورا آخر يقول بامتلاكها لتلك المقاطعة الاسلامية ولما لم يعد للأمير من عمل في دار الحرب عول على تركها بعد أن قام بواجب ضميره خير قيام على أن كل ذلك لم يضعف همة المجاهدين في الذود فظلوا على دفاعهم الشريف ضد ايتاليا وظلت آمالهم متجهة إلى الاستقلال الذي تسفح الشعوب الحرة دماءها في سبيله... إلى أن يقول الكتاب :

«إن في الصفوف التي تقاتل ضد الايتاليين الذين لايجرأون على الخروج إلى ما وراء الساحل متطوعة جمة العدد من الجزائريين والتونسيين والسنوسيين الذين يقاتلون بكل بسالة ومهارة وقال أن العرب كانوا قد أزمعوا على مقاتلة الايتاليين حتى النهاية ولكنهم توقفوا عن عزمهم لأن الأحوال ألجأتهم إلى ترك السلاح وفوق ذلك فهم لايستطيعون أن ينبذوا إرادة جلالة السلطان ظهريا»[1].

ويبدو أن تركيا بدأت منذ تلك اللحظة تشك في ولاء الأمير علي وعموم عائلة الأمير عبد القادر، فانهالت البرقيات من الاستانة على الأمير علي تشيد به وبنضاله وتحثه على مواصلة الاخلاص للدولة العلية ومنها هذه البرقية[2] التي بعث بها وزير الداخلية العثماني المؤرخة حسب التقويم الميلادي الشرقي4/ 2/ 1328 :

«إن الخدمات الوطنية التي أظهرتموها في طرابلس الغرب توجب الشكران وأن أشاطركم الحزن لحصول النتائج بشكل مؤلم بصورة تعاكس ماتودون على أن أرجو دوام حسن خدماتكم الجديدة وبهذه المناسبة أثبت لكم أن خلوصي ومحبتي الصحيحة باقية ومؤبدة سيدي...

ناظر الداخلية

إنني أعتقد أن الأمير علي بن عبد القادر بعد موضوع طرابلس قد أحس بانحراف حكومة الاستانة الطورانية وبدا موقفه السياسي منها يضطرب فهو من جهة يشعر بالولاء للباب العالي بصفته خليفة للمسلمين، وخاصة أن الخلفاء العثمانيين أحسنوا للأمير عبد القادر والده إحسانا يستوجب الشكر والعرفان مهما كان من أمر الجفوة والحذر بين والده وبين الحكومة

(1) نفسه ص 77.
(2) نفسه ص 7.

الطورانية، فعادت هواجس الشك بين عائلة الأمير عبد القادر التي انقسمت على نفسها وبين الاستانة.. إلى أن حسم الأمر جمال باشا السفاح بإعدامه الأمير عمر بن عبد القادر شقيق الأمير علي وتم نفي هذا مع ولديه عبد القادر وسعيد وعدد آخر. من أفراد العائلة إلى الأناضول، وقام جمال بنسف قبر الأمير عبد القادر الجزائري نفسه كما ذكرنا في مكان آخر.

ويبدو أن ذلك لم يهز الموقع القيادي لهذه العائلة إذ رأينا أن الشريف السنوسي نفسه يغادر تركيا بعد استيلاء أتاتورك عليها إلى دمشق وينزل ضيفا عند الأمير سعيد الذي استضافه في منزل الأمير عبد القادر في حي العمارة بزقاق النقيب رابطا بين هذين المجاهدين عبد القادر وأحمد الشريف السنوسي، وقد قاوم الأمير سعيد كل الضغوط الأوروبية الفرنسية والايطالية والبريطانية للتخلي عن استضافته للسنوسي، بل أنه كان إلى جانب مساعدته السرية للسنوسيين، يتزعم حركة لمقاومة النفوذ الطلياني في طرابلس، فيحتج لدى المراجع المسؤولة ويحاول إسماع صوت المقاومة الطرابلسية إلى جمعية الأمم، ويبدو أنه أخذ تفويضا من السنوسي لمفاوضة الايطاليين نيابة عنه.

ومنذ ذلك التاريخ بدأت هجرة الليبيين إلى الشام فسكنوا ذات الأحياء التي سكنها قبلهم إخوانهم الجزائريون سواء في دمشق أو فلسطين وانضموا إلى النضال المشترك سواء في الجمعيات السياسية أو الأندية الأخرى مثل جمعية مهاجري شمال افريقية، جمعية الدفاع عن إفريقية العربية، جمعية تحرير المغرب العربي، نادي الشباب المغربي الرياضي، نادي عمر المختار.

وتحدث عن هذا النضال كتابان أحدهما صدر في دمشق بعنوان «الليبيون في سوريا» والآخر صدر في طرابلس نفسها بعنوان «كفاح الليبيين السياسى في الشام».

وتظهر الوثائق التي بين أيدينا وكذلك المراجع استمرار الجزائريين في الشام جنبا إلى جنب مع إخوانهم الليبيين والتونسيين والمغاربة بالعمل مع الحركة الوطنية الليبية، وهناك رسائل متبادلة عبر الجمعيات التي سنتحدث عنها في فقرة خاصة مع رموز هذه الحركة من شخصيات وأحزاب ومن بينها الحزب الوطني الليبي ورئيسه مصطفى ميرزان.

2- مقاومة الغزو الفرنسي للمغرب الأقصى:

أما الأمير عبد المالك نجل الأمير عبد القادر فلم تزل شخصيته غير مدروسة من طرف الباحث العربي دراسة كافية وبالتالى الكشف عن جوانب شخصيته، حيث كان هذا الرجل الطموح وفي وقت متزامن مع حركة أخيه علي في طرابلس وابن أخيه خالد في الجزائر قد بدأ بعد أن استضافه المخزن وأكرمه حسب الرسالة[1] التي أرسلها إلى أقاربه في دمشق إكراما كبيرا وتعينه في الشرطة الشريفية، بالاستفادة من منصبه للثورة ضد الفرنسيين.

«وفي مارس 1915 بدأ الثورة في إقليم تازة القريبة من الحدود الجزائرية، ثم أعلن الجهاد ضد فرنسا، ونادى بنفسه أمير فاس، وظل يقاوم ويحرض الناس على الجهاد حوالي عشر سنوات، إلى أن سقط شهيدا في قبيلة «بني تتزين» من الريف برصاصة من بعض الأعداء ونقل إلى تطوان، ودفن فيها»[2].

ويثير هذا السؤال ضرورة المقارنة فإن الأمير علي شقيقه قد أشار في خطابه الذي تحدثنا عنه في وقت سابق أن شقيقه عبد المالك هو أمير

(1) انظر صورة رسالة الأمير عبد المالك

(2) نهويض، عجاج: أعلام الجزائر، بيروت 1971، ص

فاس، لقد كان إعلان الأمير علي هذا في عام 1912، فأي التاريخين أصح؟ خاصة وأن أدهم الجندي يورد تاريخا ثالثا.

«كان الأمير عبد المالك بن الأمير عبد القادر يعلن الجهاد الإسلامي ضد الفرنسيين في تونس والجزائر ويحرز انتصارا باهرا في 17 كانون الأول سنة 1914م، وبينما كان الجنرال الفرنسي «ليوتي» القائد العام للقوات الفرنسية في ميدان المعارك بعث إلى الأمير عبد المالك رسالة يكلفه فيها بتوقيف الحركات العسكرية، وأن فرنسا مستعدة بأن تفادي لإعطائه كل ما أريد، وقد أبى الأمير كل عرض واغراء بشمم وإباء وأجابه بأن أعمال الجهاد لا تتوقف إلا بعد عودة البلاد إلى حوزة السلام»[1].

ويقول الدكتور أبو القاسم سعد الله عن الأمير عبد المالك:

«ولما وجد الأمير مالك نفسه مؤيدا من القوات المركزية وإسبانيا من الخارج ومشجعا من أخيه، الأمير علي، وغيره من المهاجرين الجزائريين في الشرق ألأدنى بالإضافة إلى نشاطات حرب العصابات وحركة الفرار من الجيش الفرنسي في الجزائر، ومتأكدا من الشعبية والسمعة بين المغاربة أعلن الجهاد ضد فرنسا ونادى بنفسه «أمير فاس» ودعا أهل إفريقية الشمالية أن ينضموا إليه في ثورة تشرف ذكرى أبيه، الأمير عبد القادر وفي رسالة إلى أخيه سنة 1916 أخبره فيها بخطته في الاستيلاء على الدار البيضاء وجعلها عاصمة له»[2].

وفي 17 كانون الأول 1914 كتبت جريدة «تصفير أفكار»، الصادرة في اسطنبول تقول: «أن الأمير عبد المالك بن الأمير عبد القامر الذي أعلن الجهاد الأكبر وألذي طهر بعض المدن والموانئ من عساكر الفرنسيين وبعد تحقيق هذا النجاح أرسل رسالة إلى مركز الحكم في اسطنبول..

---

(1) الجندي، أدهم: شهداء الحرب العالمية الأولى 1901-1930، بيروت 1963، ط1، ص206.

(2) سعد الله، أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية

وتضيف تصفير أفكار في عددها المذكور أن الأمير عبد المالك أعلن حكومة مستقلة في إمارة فاس وهذا حق وراثي له في الحكم»[1].

وقد كتب الدكتور جلال يحيى في كتابه تاريخ المغرب العربي الكبير:

«وفي أثناء سنة 1915 ظهر نشاط واضح لسي عبد الملك (الأصح عبد المالك) وهو ابن أخ الأمير عبد القادر الجزائري الكبير (الأصح أنه ابن الأمير عبد القادر) وكان يعمل قبل ذلك في المخزن، ثم ظهر أنه من القادة الثورين الذين يمكنهم إثارة المشكلات أمام النفوذ الفرنسي في المغرب الأقصى وكان لاسمه واسم أسرته علاوة على شجاعته وشخصيته ما يؤهله لقيادة حركة تحرير هامة، وتمكن من تنظيم مجموعات مسلحة أخذت في اعلان الثورة وباسم الجهاد الإسلامي، ووحدت مجهوداتها في أقاليم الأطلس مع رجال قبائل زيان بقيادة سيدي موما أو ممو ورجال سيدي راحو»[2].

ربما بذكاء نادر وحنكة حاولت عائلة الأمير أن تستفيد من كل القوى لصالح الاستقلال العربي، ودائما حاولت أن تستفيد من الأقل عداوة ضد من هو أكثر عداوة، أو كما عبر د. أبو القاسم سعد الله عن الأمير عبد المالك أنه قد تحالف مع أعداء أسوأ أعدائه ألمانيا والدولة العثمانية، لذلك فإن كتاب حياة الأمير علي يخصص صفحات عن علاقة العائلة بألمانيا.. لذلك أعتقد أنه من المفيد النظر إلى تحركات المهجرين الجزائريين إلى بلاد الشام عبر قياداتهم السياسية والثقافية في إطار التحرك القومي الشامل.

ويقول د.أبو القاسم سعد الله :

«ورغم حريتهم في الشرق الأدنى، فقد بقي المهاجرون الجزائريون على اتصال مستمر بوطنهم، وباتصالهم المستمر مع ذويهم بالجزائر،

---

(1) انظر صورة جريدة تصفير أفكار

(2) يحيى، جلال: تاريخ المغرب العربي الكبير، بيروت 1994 ج 4 ص 119.

وربما يستقبلونه من أخبار مع الحجاج، والتجار، والسياح. وقد ساهم المهاجرون لا في نشر دعاية القومية الإسلامية فقط فى الجزائر بل في تعزيز الروح الوطنية أيضا.

وقد اعتاد هؤلاء الجزائريون أن يشنوا، خلال أحاديثهم واتصالاتهم حملة مسمومة ضد السياسة الفرنسية في الجزائر فصحافتهم اعتادت أن تصف فرنسا بأنها أسوأ مضطهدة للجزائريين.

ويؤكد :

أن المهاجرين الجزائريين في الشرق الأدنى قد ساهموا بعمق في حركة القومية الاسلامية والقومية العربية من خلال صحافتهم وقيادتهم وسمعتهم كمثال للمجاهدين..»[1].

وهكذا فإنه ليس خافيا على أحد أن المهجرين الجزائريين في الشام سواء على مستوى القيادات السياسية والدينية أو على مستوى الجماهير الشعبية ظلوا يرفعون صوت الجزائر وعموم المغرب العربي ويطالبون بالاستقلال ويناضلون من أجل ذلك ببسالة لاتقل عن بسالة أهلهم في الوطن الأم، بل أن كثيرا من المراجع التي تتحدث عن الحركة الوطنية الجزائرية تنسب اليهم اسهامات مشرفة في هذه الحركة. كما هو حال الكتب التي تتحدث عن الحركة الوطنية في سورية وفلسطين.

وهذا يبرهن بكيفية قاطعة مانعة أن الهجرة الجزائرية كانت انتقال المقاتل من متراس إلى آخر، أما إن وجد شخص هنا أو هناك حاول أن يحقق مكسبا شخصيا فذلك لأن أحدا من الجزائريين مهجرين وغير مهجرين لم يدعي أنه من الملائكة أو الأنبياء لقد أثبتوا، كما يحلو لي أن

(1) سعد الله، أبو القاسم: مصدر سابق، ص 148.

أكرر، وهم معظمهم من منطقة القبائل البربرية في الجزائر، أثبتوا أنهم العرب الأقحاح، رغم الادعاءات الفرنسية واتباعها أنهم غير ذلك. ولا أعتقد أنهم سيتخلون يوما عن عروبتهم واسلاميتهم. فالأمازيغية والعروبة مسميان لشيء واحد كباطن اليد وظهرها.

3- الجمعيات المغربية في الشام:

أسس الجزائريون بصفتهم الطليعة المغاربية، في المشرق العديد من الجمعيات السياسية والخيرية التي تهتم بالمغرب العربي كقضية سياسية وبأحوال المهجرين منه إلى الشام كقضية اجتماعية، وكما لم تفصل هذه الجمعيات بين قطر مغربي وآخر، إذ مارسوا فيه أجمل وأرقى االمارسات الوحدوية المغربية وبرهنوا واقعيا على امكانية قيام هذه الوحدة، فإنهم لم يفصلوا هذه الجمعيات ونضالها عن نضاهم في الشام سواء في سورية أو فلسطين، فقد مارسوا هنا الوحدة العربية في أصفى وأنبل معانيها وبرهنوا على أرض الواقع أن قيام الدولة العربية الواحدة مشرقا ومغربا ليس حلما بعيد المنال. لقد كانت لهم جنسيتان لكن الوطن واحد.

وقد ساندت هذه الجمعيات بشكل ملحوظ النضال ضد الاحتلال الفرنسي لتونس، فمن المعروف أن الجزائريين الذين هاجروا إلى تونس شاركوا في هذا النضال بل كانوا من مؤسسي الحركة الوطنية فيها كما هو حال الشيخ أحمد توفيق المدني، وأسهموا أيضا في حركتها الثقافية، وقد صنف الكاتب التونسي... الجابري كتابا في ذلك[1]. ومثلما شكلت هذه الجمعيات كشافة الأمير عز الدين الجزائري فإنها أسست نادي عمر المختار إذ كانت تساهم في الحركة الوطنية الليبية كما يدلنا على ذلك

(1) الجابري، محمد الصالح

كتاب الليبيون في سورية وأسهمت في الحركة الوطنية في مراكش حسب الوثائق التي بين أيدينا وكل ذلك جنبا إلى جنب مع إسهامها في الحركة الوطنية السورية والفلسطينية ومن بين هذه الجمعيات:

1- جمعة مهاجري شمال افريقية :

نشرت جريدة المقتس الدمشقية في عددها رقم 462 :

«اجتمع الجزائريون والتونسيون المقيمون في الاستانة وقرروا تأسيس جمعية مختصة بهم وقد خطب كثيرون منهم وأبانوا شكرهم لأحرار العثمانيين».

ليس في خطة بحثنا التحدث حول نضال االجزائريين في تركيا، ونتمنى أن يقوم باحث آخر بذلك خاصة وأن لهم حيا يسكنونه حتى الآن في استامبول، ولكننا نعلم أن أيا من الجزائريين وعموم أهل المغرب العربي لايتحرك سياسيا في ذلك الوقت إلا تحت مظلة عائلة الأمير عبد القادر التي كان يرأسها في الاستانة ولده محمد وفي دمشق ولده علي.

وتفيدنا الوثائق أن الأمير علي ترأس في دمشق جمعية مهمة اسمها جمعية مهاجري شمال افريقية، فهل بين هذه الجمعية وبين الجمعية التي أشارت إليها المقتبس علاقة ما، وهل بين هاتين الجمعتين وبين الجمعية السابقة (الجمعية الخيرية الاسلامية لإيالة الجزائر المحمية) التي أسست لمعاضدة ثورة المقراني رابط ما؟

إنه سؤال لم أتوصل إلى اجابته، لكن الذي أعلمتنيه الوثائق أن جمعية مهاجري إفريقية الشمالية كانت في واقع الحال حزبا سياسيا يدعو علنا لاستقلال الجزائر ويتحالف مع الألمان ضد في فرنسا وأن رئيسها الأول الأمير علي بن عبد القادر يزور الأسرى الجزائريين الذين كانوا يساقون

إلى الخدمة في الجيش الفرنسي، فيأسرهم الجيش الألماني وكان هؤلاء الأسرى ينظرون إلى الأمير علي بن عبد القادر كأمير وطني.

ولعل أهم وثيقة حتى الآن تدلنا على نشاط هذه الجمعية هي الجريدة التي كانت تصدرها باسم «المهاجر»[1] وقد صدرت هذه الاسبوعية كما يقول فيليب طرزي في 21/ 1/ 1912. وكان رئيس تحريرها كما هو وارد على صفحتها الأولى التهامي شطة الأغواطي وكان مقرها نفس مقر جمعية مهاجري شمال إفريقية. ويبدو أن الأمير سعيد بن علي ترأس هذه الجمعية اعتبارا من عام 1915 كما يفهم من كتاب جورج فارس.

ويبدو أن هذه الجمعية ظلت قائمة إلى ما بعد 1946 حيث لدينا وثيقة تحمل تاريخ ذلك العام وهي عبارة عن خريطة لجميع بلدان المغرب عليها صور الملوك والأمراء على موقع كل قطر ووضعت صورة الأمير عبد القادر على موقع الجزائر[2].

إنني أعتقد أن دراسة جمعية مهاجري شمال افريقية دراسة تفصيلية هي أمر ضروري لدارسي الحركة الوطنية الجزائرية خصوصا والمغربية عموما، ذلك أن من أعضاء هذه الجمعية القياديين الأمير خالد في الجزائر والأمير عبد المالك في المغرب وغيرهما. ومنها انبعثت الجمعيات «المغاربي» في الشام.

2- جمعية مجاهدي افريقية الشمالية :

هى مثلها مثل جمعية مهاجري إفريقيا وربما هي امتداد لها ولم أقع -بعد- على وثائق تخص هذه الجمعية وتعطي المزيد من المعلومات عنها غير أني وجدت في جريدة الدفاع ليوم الأربعاء 3 كانون الثاني 1949 نداء

(1) انظر صورة جريدة المهاجر
(2) انظر صورة الخريطة

صادرا عن فرقة الأمير عبد القادر الجزائري بخصوص عقد مؤتمر عام لتحرير افريقيا والتي يقصد بها في أدبيات المهاجرين الجزائريين «بلدان المغرب العربي». وهذا هو نص النداء كما نشرته الدفاع.

نداء عام إلى المجاهدين الإفريقيين الأحرار نتيجة للظلم والارهاق والضغط على الحريات، انبثق فجر يشع على العالم ضياء لايخبو ما دامت روح الأمم المرهقة بالعبودية أخذت تدب بها الحياة، ومن حق الأمم الإفريقية التي عرفت بشدة البأس وكان لمساهمتها مع الأمم الديمقراطية (رغم أنها مستعبدة) أعظم الأثر باحراز النصر، ومن الطبيعي بعد أن تنادى المؤتمر الآسيوي وعزم على الدفاع عن حرية أندنوسيا أن تعقد أمم افريقيا عامة مؤتمرا يسعى وراء تحرير شعوب تكاد تندثر وتهدم بسبب ضغط الاستعمار، وهو لطخة عار في جبين الإنسانية، وأن أمة ما فتئت تدافع عن حرياتها بأعظم شجاعة وتضحية لجديرة بأن تنفض عنها استعمارا حطها من علٍ إلى أسفل، رغم أنها نقلت الحضارة والمدنية من الشرق إلى الغرب وأن آثارها الخالدة في الأندلس لأعظم شاهد عليها. نقول فإلى مؤتمر إفريقيا أيها المجاهدون الأحرار.

دمشق - محمد سعيد حفيد الأمير عبد القادر

ومن المعروف أن فرقة الأمير عبد القادر التي منها كتيبة المغاربة لتحرير فلسطين، قد انبثقت عن جمعية مجاهدي افريقيا التي أصدر رئيسها الأمير سعيد في 12 كانون الثانى 1948 النداء التالي نصه وننشره في هذا الفصل للبرهنة على أنهم ما كانوا يفرقون بين الجزائر وفلسطين:

«يا أحفاد عبد القادر، ويا أبناء المختار، ويا رفاق عز الدين، وياحماة المغرب اذكروا قول محمد، عن رب مجمد، الذي قال في كتابه الكريم:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ وتدبروا الآي المبين ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فالله وعدكم النصر ووعدتموه الصبر، فأنجزوا له وعدكم ينجز لكم عهده.

سمعتم ولاشك بالجرائم الدنيئة التي يقوم بها الصهيونيون، تلك الجرائم التي يندى لها خجلا جبين الإنسانية وتشمئز منها الشعوب الشريفة منذ الخليقة... فأين هذه الأعمال الدنيئة الغادرة البذيئة التي يقوم بها اليهود، من الأعمال الشريفة التي يقوم بها العرب البهاليل حتى في ساحات القتال؟ أين هذه السيارات االمتلئة بالمتفجرات، تدك بها الأبنية، تذهب بأرواح المئات من النفوس العربية البريئة، صادرة عن أيد أثيمة، أيدي اليهود الذين يلقون تلك القنابل على الجماعات العربية الآمنة في الشوارع والدور والمحال العامة..ذلك لأنهم لا يتجرأون على مقابلة العرب الأشاوس وجها لوجه، فيا ويلهم من لؤماء غادرين، فأين موقفهم هذا من موقف صلاح الدين في «حطين» وغيرها مع ريتشار «قلب الأسد» وجيوش الصليبيين.

أيها المسلمون، أيها المسيحيون، يا أبناء يعرب وقحطان المؤمنين بالملك الديان. أيرضى ضميركم العربي أن تتركوا «الصخرة» المقدسة لأعدائكم الكفرة، أيهون عليكم تسليم مهد المسيح عيسى بن مريم الذي قال الله تعالى في حقه في القرآن الكريم: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ (أي اليهود) وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ (أي اليهود) إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[1].

---

(1) آل عمران الآية 55.

القائلين إذا هـم بالقنا هـرجـوا　　من غمرة الموت في ساحاتها
عادوا فكانوا كراما لا مثال لهم　　عند اللقاء ولا رعش رعافيـد
لاقوم أكرم منهم حين قال لهـا　　محرض الموت عن أوطانكم

يا حماة سورية... ويا قادة المغرب...

ها قد تأسست في دمشق (فرقة الأمير عبد القادر) بقيادة حفيده ناشر هذا البيان الداعي إلى الجهاد المقدس، وهي تدعوكم إلى أداء فريضة فرضها الله عليكم بقوله: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ . وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[1] ولاتكونوا كمن قال في حقهم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[2]. فهناك جمعية وطنية فرضت على نفسها الجهاد في سبيل الله، وأخذت على عاتقها تزويد كل مجاهد بالسلاح والعتاد، وكفلت لكل مجاهد محتاج المعونة بالانفاق على عائلته طول حياته في الجهاد حتى وبعد استشهاده: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾[3]. فإليكم يا أبناء يعرب من سوري أو مغربي، كردي شركسي، مسلم أو مسيحي، من أي طائفة كانت، ينطق بالضاد أوجّه ندائي، فإلى الجنة أيها المشتاقون إليها إلى إرضاء الله وعيسى ومحمد يا من يهمهم هذا الرضاء فليتقدم كل

(1) البقرة 190-191.
(2) التوبة 38.
(3) التوبة 111.

لتسجيل نفسه وعدد عائلته في الجناح الخاص من منزلي الكائن في شارع الملك الناصر (العفيف) يوميا الساعة التاسعة صباحا حتى الثانية عشرة اعتبارا من يوم الخميس في 15 كانون الثاني 1948 الموافق4 ربيع الأول 1368 وليكن لسان كل وأحد منكم :

إذا عجمت عودي الخطـوب جلود على الخطب العصيب
وإن ساورتني محنة إثر محنـة فليس لها إلا الثبات نصيـب
وإني على هول المصاب ووطنه حديد تداويه اللظى فيطيـب

وفقنا الله جميعا لما فيه الخير للوطن والعروبة وفلسطين.

دمشق في 12 كانون الثاني 1948
جمعية مجادي افريقيا

ومن أهداف هذهالجمعية ما يلي: .

1- العمل على تحقيق حرية شعوب شمال إفريقيا بصفة خاصة وبقية الشعوب الإفريقية الاخرى بصفة عامة.
2- العمل على ضم جميع الشعوب الافريقية العربية والاسلامية إلى الجامعة العربية.
3- السعي نحو ضم شعوب شمال افريقيا إلى مجلس الأمم المتحدة وكذلك بقية الدول الافريقية العربية والإسلامية.
4- العمل على رفع الاضطهاد الديني والسياسى والاقتصادي الذي ترزح تحته الشعوب الافريقية بصفة عامة وشعوب شمالي إفريقية بصفة خاصة.

ويتكون مجلس إدارتها من:

1. الأمير محمد سعيد آل عبد القادر رئيسا مدى الحياة.
2. حضرة الأمير حسن آل عبد القادر نائبا للرئيس.
3. الدكتور محمد علي شريف سكرتيرا عاما.
4. الأمير أنيس آل عبد القادر مساعد السكرتير العام.
5. السيد زهير الطيب أمينا للصندوق.
6. السيد أحمد برغيس (من قرية هوشة بفلسطين).
7. السيد عبد الرحمن الميزاري (من قرية ديشوم بفلسطن).
8. السيد علي الحاج (من قرية عولم بفلسطين).
9. السيد علي باشا عابدية (من دمشق).
10. سيد محمد عمر
11. مصطفى بن يخلف (من بلدة سمخ بفلسطين).
12. السيد موسى الحاج حسن (من قرية التليل بفلسطين)..

3- جمعية الدفاع عن إفريقية العربية :

يبدو أن في اليد ما يكفي من الوثائق عن جمعية الدفاع عن افريقية العربية التي تأسست في دمشق إثر اجتماع عقد في منزل مفتي المذهب المالكي في سورية الشيخ محمد مكي الكتاني أحد علماء المسلمين المهاجرين من المغرب الأقصى وجرى الاجتماع يوم الثامن رجب 1365 للهجرة السابع من حزيران 1946 للميلاد أي بعد الحرب العالمية الثانية وتتصل فرنسا من وعودها باستقلال دول المغرب العربي.

وحصل المؤسسون على ترخيص لجمعيتهم من وزارة الداخلية السورية بتاريخ الرابع عشر من آب 1946 تحت رقم 591 وقد نصت المادة الثانية من القانون الأساسي لهذه الجمعية على غايتها من جمع كلمة المهاجرين وتقوية الروح الوطنية والروابط القومية والتعريف بقضية البلاد الافريقية العربية والعمل على تحقيق الملحق الثاني لجامعة الدول العربية.

وقد كان من مؤسسي الجمعية شخصيات جزائرية ومغاربية مهاجرة تشهد سورية كلها بفضلها أمثال: أحمد جودت الهاشمي، وكامل عياد (أول فكر ماكيبي في الشام)، عبد الغني الباجقني، هادي الرئيس، كامل التونسي، علي الجزائري، عمر فرحات، حسن فرحات، محمد المبارك (أستاذ جامعي وسياسي وداعية إسلامي شهير)، مطيع المرابط وغيرهم من الشخصيات الذين ذكرنا بعضهم في فهرستنا لأعلام المهجرين الجزائريين.

وكان أمين سر هذه الجمعية هو السيد أحمد سهيل الفضيل.

وكانت الجمعية نشيطة في تنفيذ المهمات التي ألزمت نفسها بها حيث يتضح ذلك من وثائقها ومراسلاتها مع العديد من الشخصيات والمؤسسات السياسية والاعلاية المحلية والعربية والدولية. كما يتضح من خلال دعوتها واستضافتها لشخصيات نضالية مغاربية بارزة، مثل علال الفاسي، الشيخ الفضيل الورتلاني، الأمير عبد الكريم الخطابى، الشيخ البشير الإبراهيمي، الحبيب بورقيبة، يوسف الرويسي والدكتور الحبيب ثامر، وعبد الخالق الطريسي، والوزاني رئيس حزب الشورى في مراكش.

ومن خلال الوثائق يمكنني أن أقدم الملاحظتين التاليتين:

1. لاتظهر الوثائق أي اسم من الجزائريين في فلسطين عكس جمعية مهاجري افريقية الشمالية، وهو أمر يمكن فهمه ذلك أن الأوضاع في فلسطين تلك السنة كانت في غاية السوء وكان الجزائريون هناك ينخرطون بالكامل في الدفاع عن فلسطين حيث وقعت النكسة بعد تأسيس الجمعية بعامين فقط.

2. لا تظهر الوثائق أي اسم من عائلة الأمير عبد القادر الجزائري بينما تظهر الصور مشاركة نشطة للأمير محمد سعيد حفيد الأمير عبد القادر في استقبال بعض الشخصيات.

وهذا يعني أن هناك وثائق لم نتمكن من الحصول عليها حتى الآن من جهة ومن جهة أخرى يتضح أن الأجيال الجديدة من عائلة الأمير عبد القادر لم تستطع مواصلة رسالة الآباء ليس في القيادة وحسب بل وحتى بالاهتمام في الأمور العامة.

غير أن لجمعية الدفاع عن افريقية العربية نشاط مميز شمل كل البلدان المغاربية تشير إليه مراسلاتها مع العديد من الأحزاب والشخصيات الوطنية في ليبيا وتونس والجزائر والمغرب ومن الوثائق التي بين أيدينا عن هذه الجمعية[1] :

1. بيان اللجنة التأسيسية لجمعية الدفاع عن إفريقية العربية الصادر في دمشق في 11 رمضان 1365 الموافق 19 آب 1947.
2. الرخصة الصادرة عن وزارة الداخلية بدمشق بتاريخ 17/ 9/ 1365 الموافق 1946.
3. القانون الأساسي لجمعية الدفاع عن افريقية العربية الصادر في 4 رمضان 1365 الموافق الأول من آب 1946.
4. النظام الداخلي لجمعية الدفاع عن افريقية العربية الصادر في 31 رمضان سنة 1365 الموافق 18 آب 1946.
5. نص رسالة موجهة إلى الصحف السورية بتاريخ 31/ 8/ 1947 المتضمنة طلب نشر برقية رئيس الجمعية الشيخ محمد المكي الكتاني المرسلة إلى رئيس مجلس الأمن الدولي وسكرتير هيئة الأمم المتحدة.
6. رسالة من رئيس الحزب الوطني في ليبيا السيد مصطفى ميرزان إلى رئيس الجمعية مؤرخة في 31 صفر 1366 الموافق 14 يناير 1947.

(1) انظر صور من وثائق جمعية الدفاع عن افريقية العربية.

7. رسالة من رئيس الجمعية إلى أمين عام جامعة الدول العربية مؤرخة في 24/ 11/ 1946.

8. رسالة جوابية من عبد الرحمن عزام أمين عام جامعة الدول العربية.

9. رسالة من أمين سر الجمعية إلى مدير جريدة بردى الدمشقية تطلب نشر البرقيات الواردة إلى الجمعية من الأمير محمد عبه الكريم الخطابي ومن الدكتور ثامر سكرتير مكتب المغرب العربي في القاهرة.

10. رسالة من رئيس الجمعية إلى أصحاب الصحف تخبر عن عقد اجتماع في بهو النادي العربي وانتخاب لجنة إدارية من محمد مكي الكتاني وأحمد جودت الهاشمي ومحمد علي الجزائري ويوسف الرويسي وحسن فرحات وعبد الغني الباجقني والهادي الرئيس وزين العابدين التونسي ومطيع المرابط وأحمد سهيل الفضيل وتشكر الرسالة المؤرخة 15 تشرين الأون 1946 أصحاب الصحف على مواقفهم المشرفة في قضية المغرب العربي المتمم للوحدة العربية الكبرى وتطلب الاستمرار في معالجة هذه القضية الهامة.

11. برقية من رئيس الجمعية مؤرخة في 11/ 10/ 1947 إلى الأمين العام للجامعة العربية في صوفر.

12. رسالة من رئيس الجمعية إلى رئيس الحزب الوطني في ليبيا مؤرخة في 8 شباط 1947 تؤكد أن الجمعية تعمل على استقلال الأقطار العربية طرابلس، برقة، تونس، الجزائر، ومراكش وضمها إلى جامعة الدول العربية.

4- جمعيتا تحرير المغرب العربي في دمشق وبيروت :

يبدو أن جمعية تحرير المغرب العربي هي اسم آخر أو وارث لجمعية الدفاع عن افريقية العربية فرئيس جمعية التحرير في دمشق هو ذاته رئيس جمعية الدفاع الشيخ محمد المكي الكتاني ويبدو أيضا أنه أقيمت في لبنان جمعية في نفس الفترة تحمل نفس الاسم «جمعية تحرير المغرب العربي»، مركزها الرئيسي في بيروت ويرأسها السيد عبد السلام بوعزة الجزائري التاجر المعروف بتجارة الترانزيت.

ولدينا عدد من الوثائق الصادرة عن هاتين الجمعيتين، فمن دمشق:

1. بيان أصدرته لجنة تنظيم يوم الجزائر المنبثقة عن جمعية تحرير المغرب العربي صادر في 8 رمضان 1375 الموافق 18 نيسان 1956 تعلن فيه عن عزمها على القيام بإضراب في 11 رمضان وإقامة أسبوع لمساندة نضال الجزائريين من 18-25 رمضان 1375 ويتضمن البيان انتقادات واضحة للجامعة العربية وأساليبها العتيقة التي جرت على الأمة مأساة فلسطين كما ينتقد الحكومة السورية للتقاعس في تنفيذ القرارات الاجماعية لمجلس الشعب في نصرة الجزائر.

2. كتيب اعلامي مصور من 18 صفحة بعنوان معركة الحرية والحياة في الجزائر المجاهدة.

وأوردت جريدة الرأي العام الدمشقية:

«وفي دمشق صرحت الهيئات المشرفة على شؤون لجنة تحرير المغرب العربي أن يوم 8 أيار سيكون يوما عاما بين البلدان العربية والاسلامية لجمع التبرعات و المعونات للشعب الجزائري ومناضليه الأشاوش»[1].

(1) جريدة الرأي العام الدمشقية تاريخ 1/ 5/ 1956.

ولعله من باب الاستذكار أن نقول أن اختيار يوم الثامن من أيار مايو يوما للتضامن العربي والإسلامي مع المغرب العربي ليس اختيارا عشوائيا.. فهو تاريخ المجزرة الجهنمية الهمجية المشينة التي نفذها الفرنسيون ضد الشعب الجزائري في سطيف وقالمة وخراطه وغيرها حيث قتلوا بدم «حضاري !» في ذلك اليوم من عام 1945 حوالي خمسين ألف جزائري لأنهم طالبوا باستقلالهم. ووصلت هذه المجازر قمتها يوم 5 مايو/ أيار.

ومن الواضح أن جمعية تحرير المغرب في دمشق وأختها في بيروت كانتا على صلة بلجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة.

وقد نظمت هذه الجمعية جمعية تحرير المغرب العربي اسبوعا لجمع التبرعات للجزائر ونظمت الاسبوع الثاني جمعية دار الجزائر.

وأما أعضاء الهيئة الادارية لجمعية تحرير المغرب العربي فيمكن أن نذكر منهم: محمد المكي الكتاني، أحمد جودت الهاشمي، محمد علي الحسيني الجزائري، عمر فرحات، د. حسين فرحات، محمد المبارك، والسياسي التونسي الذي كان لاجئا في سوريا يوسف الرويسي، عبد الغني لباجقني، د. كامل عياد، هادي الرئيس، مطيع المرابط، كامل التونسي.

ومن الواضح أن هذه الجمعية نظمت في سورية حملة خاصة لصالح النضال التونسي، امتدت بالتعاون مع الحزب العربي القومي إلى حلب حيث انتهز الجميع فرصة انعقاد المؤتمر الطبى العربي فيها بتاريخ 28/ 8/ 1946 فحولوه إلى مظاهرة سياسية لاستقبال الحبيب بورقيبة رئيس الحزب الحر الدستوري وزميله يوسف الرويس عضو جمعية تحرير المغرب العربي. وشملت المظاهرة جميع بلدان المغرب العربي والعراق وحضرها من السياسيين السوريين رشدي الكيخيا، ناظم القدسي، إحسان

الجابري، عبد الرحمن الكيالي، ظافر الرفاعي، ومن السياسيين العراقيين نصار حسن الصباح هذا العراقي الذي ولد في مدينة الحلة جنوب العراق وكان يدير مكتب المغرب العربي بجنوب ألمانيا ويساعد في تحرير جريدة «المغرب العربي» التي كان يصدرها المكتب باللغتين العربية والألمانية. وقد أصدر الحزب العربي القومي وثيقة عن هذه المظاهرة هي عبارة عن كتيب من 44 صفحة بعنوان «المظاهرة العربية الكبرى التي قامت في الشهباء لنصرة المغرب العربي بمناسبة زيارة زعماء الحزب الحر الدستوري التونسي». ونشر على الغلاف صورة كتب تحتها جلالة الملك العربي المجاهد محمد المنصف باي تونس. كما تحدث الكتاب عن نضال الشعب العربي في ليبيا والمغرب.

ويبدو أن جمعية تحرير المغرب العربي تعاونت مع الكاتب عبد الله بيتموني في إصدار كتيب من 66 صفحة صدر في شباط فيفري 1947 حيث نجد فيه مقالا بعنوان نضال الشمال الافريقي العربي بتوقيع احمد سهيل الفضيل[1] ومعلومات عن باي تونس محمد المنصف والحبيب بورقيبة ويوسف الرويسي والأمير عبد القادر والحاج أحمد مصالى رئيس حزب الشعب الجزائري وبطل الريف الأمير محمد عبد الكريم وعلال الفاسي رئيس حزب الاستقلال المراكشي ومقالات عن مظالم فرنسا وأخبارا عن نضال المغربي عامة.

وأما جمعية تحرير المغرب العربي في بيروت التي تولت تهريب الشيخ الفضيل الورتلاني من اليمن إثر إسهامه في ثورة 1948 وتدبير أمر إقامته بين بيروت ودمشق ثم القاهرة فتركيا، فهناك عدة وثائق صادرة

---

(1) أحمد سهيل الفضيل الجزائري هو أمين سر معظم هذه الجمعيات هاجر والده من «عين الحمام»، التي سماها الفرنسيون ميشلي، وهي قرب تيزي وزو. وقد زودني مشكورا بمعظم الوثائق. أنظر الترجمة.

منها برقيات إلى رؤساء الجمهورية في فرنسا تطالب باستقلال الجزائر وبلدان المغرب العربي واحتجاجات على مجازر 8ماي 1945م التي نفذها الوحش الفرنسي في سطيف وخراطه وقالمه وسعيدة وغيرها من المدن الجزائرية.

ويبدو أن هذه الجمعية أول من طرح مسألة الاضطهاد الفرنسي للثقافة العربية في الجزائر وعموم بلدان المغرب العربي في المحافل الدولية، فلدينا تقرير قدمته هذه اللجنة عام 1948 إلى مؤتمر اليونسكو في بيروت يحمل عنوان «حالة التعليم بالمغرب العربي تونس والجزائر ومرا كش في ظل الاستعمار العلمي الفرنسي»[1] والتقرير الذي لدينا هو كتيب مطبوع يحتوي ثلاثة تقارير ومقدمتين وقع مقدمة الكتيب رئيس جمعية تحرير المغرب العربي في لبنان عبد السلام بوعزة الجزائري ووقع مقدمة التقارير الأمين العام للجمعية أحمد بديع المغربي.

وأما التقرير الأول فعن الحالة التعليمية والثقافية في الجزائر وقعه (شاذلي مكي سكرتير وموفد من قبل حزب الشعب الجزائري في الشرق العربي 45 شارع شامبليون القاهرة) والتقرير الثاني عن تونس قدمه (مكتب استعلامات اللجنة التفيذية للحزب الحر الدستوري التونسي) والثالث عن مراكش ووقعه (باسم حزب الا ستقلال علال الفاسي) وقدمت التقارير الثلاثة من طرف جمعية تحرير المغرب العربي في لبنان.

ويبدو أن جمعيتا تحرير المغرب العربي في دمشق وبيروت كانتا على اتصال وثيق وشبه يومي مع مكتب المغرب العربي في القاهرة.

---

(1) انظر صورة هذا التقرير.

خامسا : إسهامهم في الحركة الوطنية السورية

مدخل :

في عام 1920 وجه الجنرال غورو قائد القوات الفرنسية في لبنان سلسلة من الانذارات لملك سورية فيصل بن الحسين، القصد منها احتلال سورية وتنفيذ اتفاقيات سايكس - بيكو، ورغم أن فيصل وافق على الشروط الصعبة لتلك الانذارات الوقحة إلا أن غورو زحف إلى دمشق فهب جيشها الناشئ وشعبها الأعزل في وجه غورو، فكانت ميسلون موقفا أكثر منها معركة عسكرية.

ودخل غورو كفاتح وقح وسط وجوم الناس ودهشتهم مدينة دمشق وأنهى الحكم الفيصلي وبدأ عهد الانتداب الفرنسي بسلسلة من الاساءات للشعب العربي في سورية وبدأ أول مابدأ بشق الوحدة الوطنية فضرب العلويين بالسنة وهؤلاء بالدروز، والعرب بالشركس والجميع بالأرمن والنصارى بالمسلمين ويقول المؤرخ محمد عزة دروزة:

«وينوا كذلك المخاوف من السوريين في الجاليتن الشركسية والأرمنية وجعلوهم يرون فيهم مماتهم وفي الارتباط بهم فائدتهم، وجندوا منهم أعدادا كبيرة في كتائب الجيش وعينوا بعض نابهيهم ضباطا فكان هذا كذلك وسيلة من وسائل توثيق الارتباط ونجاح الخطة المرسومة»[1].

«وما كاد الجنرل غورو يحتل المدن السورية الداخلية ويفرض سيطرته علي سورية حتى أصدر في 3 آب 1920 قراره رقم 229 بفصل الأقضية الأربعة - بعلبك، والبقاع وحاصبيا وراشيا عن سورية وضمها اعتبار من تاريخه إلى جبل لبنان تمهيدا لفصل لبنان عن سورية وإنشاء دولة مستقلة تدعى لبنان الكبير»[2].

ثم أقام دولا في دمشق وحلب واللاذقية وجبل الدروز.

(1) دروزة، محمد عزة: القضية العربية

(2) انظر صورة رسالة عبد الله بن عبد القادر

لكن الشعب العربي السوري رفض كل ذلك وهب للدفاع عن وحدته الوطنية وفي خضم بحث فرنسا عن أتباع لها في سورية اعتقدت أن الجزائريين يمكن أن يكونوا هؤلاء الأتباع فعرضت على الأمير محمد سعيد أن يكون ملكا على سورية تابعا لها، اعتقادا منها بأن الرجل الذي رفع علم الاستقلال العربي عام 1918 وأعلن أول حكومة عربية مستقلة لن يرفض مثل هذا العرض حتى ولو من باب النكاية في بريطانيا فضلا عن المكاسب الشخصية، إلا أن الرجل وضع شرطا لم يخطر على بال أحد، إذ اشترط أن يحكم البلدين الجزائر وسورية معا، وأظهر أن حقه في هذين العرشين واضح كحفيد للأمير عبد القادر في الجزائر وكمؤسس لحكومة الاستقلال العربي في سورية. وهكذا رفض سعيد العرض الفرنسي.

معضلة فرنسا الجزائرية في سورية :

ويرفض العرض وقع الانتداب الفرنسي في سورية في ما يمكن تسميته بالمعضلة الجزائرية، فكيف يعامل هؤلاء الجزائريين الذين كانوا ضد فرنسا منذ عام 1847 حتى اليوم، هل يعاملهم كفرنسيين، وهم يرفضون موالاة فرنسا، أم يعاملهم كسوريين فيلتحمون أكثر فأكثر في الحركة الوطنية السورية التي شكلوا أحزابها وهيآتها السياسية لتكون في طليعة حركة القومية العربية في المشرق والمغرب.

فبدأت سلسلة من التضييقات على هؤلاء الجزائريين بدءا من عائلة الأمير عبد القادر نفسه حيث قطعت رواتب هذه العائلة وبدأت بنفي رجالاتها وعلى رأسهم الأمير سعيد نفسه إلى فلسطين وغير فلسطين، وطالت هذه المضايقات حتى أولئك الذين يحملون الجنسية الفرنسية منهم.

وبالإضافة إلى إزعاجات عائلة الأمير لسلطة الانتداب الفرنسي كان هناك الشيخ محمد بن يلس الذي أفتى في تلمسان بعدم جواز الخدمة تحت العلم الفرنسي فهاجر إلى دمشق مواصلا نضاله، فكان مرا على فرنسا في سورية أيضا وتبعه جماهير غفيرة من المؤمنين، وكان يشاركه النضال ضد الانتداب الفرنسي محدث الشام الأكبر بدر الدين الحسني ابن ذلك الشيخ الذي تعود أصوله إلى سبتة في المغرب والذي اعترض على بيع دار الحديث فاشتراها الأمير عبد القادر وجعلها وقفا إسلاميا كما ظهرت عائلات جزائرية أخرى تقاوم الاحتلال الفرنسي في سورية، إذ تمكنت عائلة المبارك بقيادة الشيخ عبد القادر المبارك من الوصول إلى صفوف الجزائريين المجندين في جيش الاحتلال الفرنسي، وتمكنت عائلة الهاشمي الينيوي بقيادة أحمد جوت الهاشمي من تكتيل هيئة التعليم والتدريس في سورية ومنع الانتداب الفرنسي من السيطرة على النظام التربوي السوري. في حين كان الأمير طاهر بن أحمد يعد من رجالات سورية في الساحل السوري وفي جبل الدروز وفي حلب ومع الأمير خالد في الجزائر للثورة السورية الكبرى. ليسجل التاريخ أن فرنسا فشلت في استقطاب الجزائريين أو فصلهم عن حركة التحرر القومي العربي في المغرب والمشرق.

ولدينا رسالة[1] مؤرخة في10/ 10/ 1923 وجهها رئيس عائلة الأمير في ذلك الوقت وهو نجله عبد الله إلى رئيس عصبة الأمم التي شكلت في أعقاب الحرب العالمية الأولى هذا نصها :

(1) الجندي، أدهم: تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي/ دمشق ط1، ص 346.

دمشق في 10 تشرين أول 1923

إلى معالي السيد رئيس عصبة الأمم

لاعتقادي بأن عصبة الأمم قائمة على مبادئ العدل والنزاهة والانصاف، فإنه يشرفني اللجوء إليها من أجل توضيح ما يلي :

إن فرنسا استولت على بلد مستقل كان يحكمه الأمير عبد القادر، وكانت تعترف بسيادته رسميا.

إنها لم تجرد عائلة الأمير عبد القادر من حقها في السيادة فقط، وإنما صادرت ممتلكاتها الشرعية على الرغم من القرارات الرسمية الصادرة عن اجتماعات مجلس نوابها ووزرائها المسؤولين.

وبالمقابل خصصت لهذه العائلة مرتبا سنويا يكفي بالكاد الحاجات الأساسية لأعضاء هذه العائلة المنفية التي يتجاوز عدد أعضائها المائة وبالاضافة إلى ذلك وعلى الرغم من قرار مجلس الشيوخ المؤ رخ في سبتمبر ايلول 1863، القاضى باحترام شرعية هذه العائلة، والقرار الامبراطوري المؤرخ في 23 ماي أيار 1864 القاضى باعادة ممتلكات بني هاشم ومن ضمنها ممتلكات العائلة فإنها لم تفعل شيئا بل انها قامت بتخفيض المبلغ المخصص إلى سبعين ألف فرنك في حين أن ممتلكات العائلة قدرت من قبل الحكومة الفرسية بمبلغ مائتين وأربعين ألف فرنك.

ونظرا لما سبق فإنه يسعدني أن أطلب اليكم أن تعلموني إذا كانت هذه الطريقة من التصرف تتناسب مع مبادئ القانون الدولي، ومبادئ القوانين الإنسانية المطبقة.

مع خالص الاحترام سيدي الرئيس

الأمير عبد الله بن الأمير عبد القادر رئيس العائلة

شارع الحمراء - دمشق سورية

ويبدو أن الأمير عبد الله لم يتمكن من لعب دور سياسي في سورية فقد كان أميل للعزلة والانطواء، غير أن ابن أخيه سعيد بن علي كان له أسلوبه وطريقته الخاصتن في تحدي سلطات الانتداب الفرنسي في سورية ولبنان والبريطاني في فلسطين وعدم الاعتراف بأية سلطة استعمارية في بلاد الشام فبالاضافة إلى أن الرجل كان يرفع علمه الخاص «علم الأمير عبد القادر» على سيارته، فإنه لم يضع عليها أية لوحة سوى ذلك العلم، وأنه لم يكن يتوقف عند الحدود حين يتنقل بين سورية ولبنان وفلسطين والأردن. وأنشأ نشيدا وطنيا خاصا به الذي طبع ووزع على الناس وقد قامت دار الشروق للصحافة والتمثيل والموسيقى بادراة فهمي صدقي المعري وأولاده بنشر هذا النشيد مع النوتة وقالت هذه الدار أنها تقدم في النشرة العاشرة نشيد سمو الأمير محمد سعيد آل عبد القادر من نظم وموسيقا أحمد فكرة المعري وهذا نص النشيد كما أوردته النشرة.

نشيد سمو الأمير سعيد الجزائري

(1)

أميرنا الشهـــم   ساد في دمشق الحســـــام
عــالــي الــذرا   ليث شديد فــي الصــــدام
ذو الفـضـــــل   حامي الحمى يوم الزحام
حــيــاه مـــــن   سيف العروبة و الســـــلام

اللازمة

هيا بنا أميرنـــا   صعدا بجوزاء الغمـــــار
فـجـهـادنـــــا   مجـد وعـز وافتخـــــــار
حفيد من ساد   مـولاي عــبـد القـــادر

شهم الجزائر	بشهامة ومآثر
فهو الأمير	(سعيد) كهف الحائر
حياة إذا	المجاهد الجزائري
فبسيفه نلنا	من غيره فخر العرب
كم وقعة فيها	عنه فسل أهل الأدب
رفع اللواء	رمز له في العرب
تاج العروبة	يحيا الأمير المنتخب

ومن الملاحظ أن هذا النشيد يربط النضال الجزائري والسوري والعربي معا.

الثورة السورية الكبرى 1925-1927 :

وما أن جاء عام 1925 حتى أعلنها السوريون ثورة كبرى في دمشق والقلمون وحلب والساحل وجبل الدروز وجميع أرجاء سورية بقيادة تألفت من عدد من الوطنين على رأسها سلطان باشا الأطرش، ود. عبد الرحمن الشهبندر، وسعيد العاص، وصالح العلي، ومحمد الأشمر، والشيخ بدر الدين الحسني، وأحمد مريود، والأمير طاهر بن أحمد بن عبد القادر الجزائري والأمير عز الدين بن محي الدين بن المصطفى، والمصطفى هذا هو شقيق الأمير عبد القادر، وغيرهم.

وتعتبر الثورة الكبرى 1925-1927 أول ثورة منظمة ضد الانتدابات الأوروبية في الشام. وقد لعب الجزائريون فيها دورا هاما عبر عدة نقاط منها:

1- استقطابهم لعدد من الجزائريين في الجيش الفرنسي، تلك المهمة التي تولاها الشيخ عبد القادر المبارك، فشجعوهم على تقديم يد المساعدة للثورة وعلى رأس هؤلاء قائد قوات الصبايحية (أو السبايهية)

وهم الفرسان وكان على رأسهم الكولونيل عطاف الذي يعطيه السوريون لقب باشا تقديرا لخدماته القومية ويقول أدهم الجندي:

«كان عطاف باشا قائدا عاما لسلاح الفرسان الجزائريين، ولما احتدمت نيران الثورة عام 1925 كان على اتصال وثيق بالشيخ رزقي المغربي مختار حي السويقة فاتخذه واسطة لايصال الأخبار إلى الثوار في الغوطة ليكونوا على حذر وأهبة عند زحف الحملات الفرنسية »[1].

ويبدو أن الفرنسيين قاموا بإعدام الكولونيل عطاف حسب بعض الرواة إلا أنني لم أعثر على وثيقة تؤكد هذا أو تنفيه.

وفي كل الأحوال فإن عددا لا يستهان به من الأسر الجزائرية في دمشق وحلب واللاذقية يعود تاريخ وجودها في سورية إلى هذه الفترة حيث التحق عدد من فرسان الصبايحية بالثورة السورية وانضموا إلى إخوانهم، الجزائريين في قرى الغوطة وحوران بل وفلسطين حيث كانت القرى الجزائرية في حوران والجليل تشكل خطا خلفيا لهؤلاء المجاهدين. وقد قام الأمير عز الدين نفسه بتنظيم هذه القرى وبالتحاق جزائرييها بالثورة.

ويبدو أن قرية نوله في غوطة دمشق تعرضت لكثير جدا من قصف الطائرات الفرنسية بسبب مشاركة رجالاتها في الثورة السورية وقدمت عددا من الشهداء مثل: الأسود. وكذلك حي السويقة قدم عددا من الشهداء مثل علي بن أحمد بوجمعة.

ومن ناحيته فإن الأمير طاهر بن أحمد رغم أن الفرنسيين قصفوا بيت الأمير عبد القادر في حي العمارة الذي كان يسكنه هو والأميرسعيد حين قصفهم مدينة دمشق وحرقها خلال الثورة، بالرغم من أن المسيحيين

(1) قصاصة من مجلة الجندي.

التجأوا إلى هذا البيت للمرة الثالثة (الأولى عام 1860 والثانية عام 1918) ليحتموا به من القصف الفرنسي الوحشي... رغم كل هذا فإن دهاليز وأقبية هذا البيت كانت مستودعا للأسلحة كما كشفت عن ذلك السيدة زينب بنت الأمير عبد القادر ووالدة الأمير عز الدين حيث تقول احدى المناضلات السوريات لمجلة الجندي السورية عن رفيقتها زينب:

«إن السيدة زينب الجزائري كريمة الأمير عبد القادر الجزائري ووالدة الأمير عز الدين الجزائري آخر شهيد من شهداء الثورة السورية... كانت قبل أن يقتل ابنها وبعد أن قتل تدعم الثوار وتنقل لهم بالعربة الملابس والأحذية والسلاح من دمشق، من بيت الأمير طاهر الجزائري مستودع السلاح في حي العمارة إلى بيتها في القدم مركز لقاء الثوار. وكثيرا ماكان البيت مطوقا ولكن بعد أن يختفي الثوار والسيدة الصابرة لاتعرف مصيرهم.. ولكنها كانت تتابع أعمالها بشجاعة.. ولم تتوقف يوما عن مساعدة الثوار بعد مقتل ابنها.. وكانت تمر أمام الجنود بالعربة المحملة بكميات هائلة من المؤن والسلاح وكلنا مندهش كيف مرت دون أن يكتشف أمرها.. وكانت تسير على بساطتها وعقيدتها قائلة قبل أن تبدأ رحلتها: ياسرّ الرسول وياسرّ الأولياء»[1].

ويبدو أن السيدات الجزائريات قد لعبن دورا مميزا في الحركة الوطنية السورية، فعادل الصلح يتحدث بإجلال عن هذه السيدة زينب، أما الموسوعة الفلسطينية وأكرم زعيتر وغيره من مؤرخي الحركة القومية العربية والوطنية السورية فيتحدثون عن السيدة عادلة بينهم الجزائري كرائدة مناضلة من رائدات ومناضلات الحركة النسوية في سورية من أجل

(1) الجندي، أدهم/ نفسه.

التحرر الوطني والقومي وكذلك في نشر التعليم بين النساء حيث افتتحت مدرسة دوحة الأدب كما تتحدث وثائق الجمعات الجزائرية والسورية عن دور لابنتها أمل بنت مختار بن محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري.

ويبدو أن الأمير طاهر بن أحمد لم يكن يقتصر دوره على تزويد الثورة السورية بالسلاح، فحسب أدهم الجندي :

«لقد جاء في مذكرات الجنرال سراي المطبوعة بأن هذا الأمير الخطير كان العامل الأول في إعداد الثورة السورية والمحرض عليها بالاشتراك مع قنصل بريطانيا المستر سمارت والحقيقة أن الفرنسيين كانوا على علم بما يقوم به من نشاط وطني بارز، وقد اعتقلته السلطة الفرنسية إبان الثورة السورية 1925 حين احتل المجاهدون دمشق ثم أطلق سراحه بعد مدة قصيرة، ورغم مراقبته فإنه كان يؤازر المجاهدين بشتى الوسائل ومن أعماله المكتومة البارزة أنه تفاوض مع السيد أديب الكسلي مفوض التحري في عهد الثورة واتفقوا مع توفيق الأمام الملقب بأبي عجاج وكان حارسا انتدب لمرافقة المسيو بيجان مدير الأمن العام الفرنسي على اغتياله. وقدم الأمير طاهر مبلغ مائتي ليرة ذهبية عثمانية من ماله الخاص لتنفيذ هذه المؤامرة، إلا أن محاولة الاغتيال قد فشلت في آخر لحظة»[1].

وهنا لابد أن نذكر القارئ بأن الحكومة التركية العثمانية قد اتهمت على لسان جمال السفاح الجزائريين ومن بينهم الأمير طاهر نفسه بأنهم عملاء فرنسا حيث سجنه السفاح ثم نفاه واتهمتهم بريطانيا على لسان لورنس بأنهم عملاء العثمانيين، واتهمتهم فرنسا على لسان سكوت سراي بأنهم عملاء بريطانيا.. ولاشك أن هذه التهم تشكل وسام شرف للمهجرين الجزائريين لم يناله أحد غيرهم وسام مقاومتهم لجميع الامبراطوريات الاستعمارية في

(1) الذكريات الخالدة: الأمير عزالدين الحسني الجزائري، القاهرة 1928 عدة صفحات.

الوطن العربي.. هذه المقاومة التي شاركوا فيها جنبا إلى جنب مع أمتهم العربية سواء فى وطنهم الأول الجزائر أو في وطنهم الثاني الشام.

الأمير عز الدين الجزائري:

يعتبر الأمير عز الدين الجزائري من أبرز قادة الثورة السورية 1925-1927، وقد كرمته سورية باطلاق اسمه على أحد شوارع دمشق المتفرع عن شارع الاستقلال. كما أصدرت الحركة الوطنية العربية من القاهرة فور اسشهاده كتابا خاصا عن نضاله وذكرته وتذكره كل الأبحاث التي تتناول هذه الثورة وكرمه المهجرون الجزائريون بتكوين فرقة كشاقة حملت اسمه.

يقول عنه د. بد الرحمن الشهبندر أحد قادة حركة القومية العربية عموما والحركة الوطنية السورية:

«نشأ هذا الشاب في بيت عرف بالأخلاق الرضية والتقوى العملية ووالده السيد محي الدين الحسني الجزائري من أسرة الأمير عبد القادر المعروفة يلزم الصمت ويميل إلى الزهد والانصراف إلى التفكير على طريقة المتصوفين الخالصين وكان أستاذنا المرحوم الشيخ طاهر الجزائري يجله كثيرا ويحترم فيه هذا السكوت الذي يثير الاعجاب ويكبر صاحبه في عين جلسائه.

وماكادت الثورة السورية تنشر أعلامها إلا والأمير يبث الارصاد والعيون ليجمع للمجاهين أخبار المحتلين. وقد تناولت بيدي في أوائلها عددا من الرسائل التي أقدم على كتابتها بيده فإذا هي طافحة بالأخبار القيمة الدالة على مقاتل العدو وفيها تفصيلات وافية عن عدد الجنود وسلاحهم وتوزيعهم ومقدار من كان يأتي منهم في الشهر فكنا نتمنى كثيرا أن لا يعجل في الالتحاق بالثورة ضنا بهذه المعلومات وخوفا عليها من الانقطاع.

ومما يهم تدوينه أنه وهو لايزال بين أهله في قرية بلاس تآمر مع الثائرين المعروفين محمد أبي يحيى، والمرحوم أبي سعيد المغوش وغيرهما من الثوار فضربوا قطار حوران وكانوا قبل ذلك قطعوا الأسلاك البرقية مرارا وحاولوا إحراق الطيارات في المزة».

قال المرحوم الشهبندر في مذكراته عن هذه الحادثة ما خلاصته: أن تسرع أحد المجاهدين بإطلاق النار نبه الحراس فحدثت مناوشة دامت نصف ساعة وأجبرت المجاهدين على الانسحاب من مركز الطيران كما أجبرت الاعداء فأصبح المطير خاليا من القوة حتى الصباح والدليل على ذلك أن أكثر ضباط الطيران شوهدوا شاردين بين كروم داريا والمزة.

ولما حامت حوله التهم عقيب مسألة القطار هذه ألقاه الفرنسيون في غياهب السجن فلما أفرج عنه ثار ثورته المشهورة.

ويواصل عبد الرحمن الشهبندر الحديث قائلا:

قال صديقه المجاهد الكبير والشجاع الفذ الذي أبلى خير بلاء في هذه الثورة سعيد بك العاص: لقد اشتركت معه في معارك كثيرة وكانت له اليد الطولى في مجرى الثورة السورية نظرا لشدة تفانيه وإقدامه على العمل وفي الأيام الأولى من التحاقه في معركة جباتا الخشب مع الشهيد أحمد مريود وحوصر في المدرسة ورد العدو واستطاع حماية نفسه وكان أول الأبطال إقداما على الأعداء وآخرهم إحجاما وانسحابا عند الضرورة لذلك كان يصول في الجهاد بقلب ملؤه الايمان واعتقاد لايتزعزع. واشترك في معظم المعارك في الغوطة وكان له يوم مشهود في بالا عندما طوقه الأعداء بحنودهم هو وأخواه الشهيدن شوكة العائدي وعادل النكدي قد دحروا هؤلاء الأعداء مرارا. والخلاصة كانت وقائعه في الغوطة وفي وادي

معربة بطولة خالدة في تاريخ الثورة السورية. وكان ينقصه الالمام بالفنون العسكرية ولولا ذلك لكان عبد القادر سورية.

ويضيف عبد الرحمن الشهبندر عن الأمير عز الدين :

وكانت حربه حرب عصابات بطبيعة الحال. وقد جمع حوله نخبة من الرجال الشجعان وعرف كيف يقودهم وله مخاطرات ومغامرات عجيبة تدل على أنه رجل عصابة حقا. ويقال بالإجمال أنه حضر معظم المعارك التي حدثت قبل تطويق الغوطه الأخير وبعده خصوصا في (عين ترما) و(وعرة زاكية) و(وادي معربا) و(أم الشراطيط) و(الحديثة) وفي (جبل الدروز).

وقد اسشهد في معارك شهر أيار (ماي) سنة 1927 وهي آخر المعارك التي قام بها المجاهدون في ضواحي الشام عقيب احتلال الجنود الشرق أردنية للأزرق فأبلى بلاء الأبطال وصبر صبر الكرام هو ورفقاؤه السبعة الذين استشهدوا معه بالقرب من قرية (عين الصاحب) فجرح ولكنه لم يبال ورد كيد العدو في نحره بحيث جندل بعض الذين طمعوا في القبض عليه - بعدما أثخن بجراحه- منهم أحد الضباط الشراكسة البارزين فإن هذا أصابه باحدى المفرقعات ثم تقدم فأطلق عليه بندقيته ولكن الأمير أطلق عليه مسدسه أيضا فخر الاثنان صريعين. هكذا انطوت آخر صفحة للأمير الشهيد من عالم الأجساد، وبقيت له صفحة بيضاء ناصعة في عالم الأرواح الاجتماعية تبعث أبناء البلاد على الاحتذاء بالمثل الأعلى الذي قدمه. وقد رثاه صديقه سعيد بك المشار إليه بقوله : فاسترح الآن في مرقد الأبدية مرقد جدك الأعلى ومرقد ابن الوليد ومرقد صلاح الدين مرقد البطولة الثورية الالدة ورتل أنشودتك وأنت ترفرف الآن بروحك الوثابة فوق رؤوسنا ولقن الشباب السوري درس البطولة ودرس حب الوطن لأنك آية البطولة العربية البارزة»[1].

(1) الجندي، أدهم: مصدر سابق ص 384.

وفي وصفه لاستشهاد الأمير عز الدين ينوه أدهم الجندي بمشاركة المغاربة في الثورة فيقول:

وكان يرافق الأمير نحو واحد وتسعين مجاهدا، منهم ثلاثون مغربيا قتل أكثرهم في المعارك الأخيرة، وقد تابع سيره مع رفاقه وهم زهاء ستين ثائرا إلى قرية برزة وتسلق جبل قاسيون قاصدا وادي بسيمة، وهي قرية في وادي بردى قريبة من الخط الحديدي بين دمشق والفيجة وكان دليله المجاهد أحمد التلفيتي، وما اجتازوها حتى علمت السلطة العسكرية بأمرهم، فتعقبته القوات الفرنسية عند الدريج في الجنوب الغربي من منين.

وفي الصباح الباكر من يوم الثلاثاء في التاسع عشر من شهر مايس سنة ألف وتسعمائة وسبع وعشرين، كان الأمير ورجاله بطريقهم إلى وادي بسيمة، وغايته الاعتصام في التل الأحمر المنيع غير أن القوات الفرنسية فاجأته بهجوم قبل أن يصل إلى الكمين الحصين، فبدأ الصدام في السهل، فأصبح عليهم الصباح في جوار قرية الدريج وقد أخذ الأمير الحيطة اللازمة وتذرع بالحزم والعزم فدخل المغاربة القرية بالكسوة الجندية واستصحبوا معهم بعض المحافظين يدلونهم على عين الصاحب.

وكان الأمير حينما نجا من مفرق طرق حمورة قد انسحبت بقية القوة إلى الوراء ولكن ابن القطاط تمكن من أن يوصلها إلى أراضي مسربا ومن ثم اجتمع بالأمير. فهجم أحد متطوعه الجراكسة ويسمى العاصي وأفرغ جهده في سبيل إمساك الأمير حيا لما رآه فيه من البسالة التي يعجز البيان عن وصفها، ولكن الأمير كان قد خرج من الغار فانقض عليه الجنود وأمسكوه حيا والدم ينزف من جسمه، الطاهر وأجهزوا عليه. وقد شاهد هذا الحادث أحد متطوعة الجراكسة من الأناضول فراعه أن يجهز على الأمير وهو في

قيد الحياة ففر من الجيش إلى بلاده حنقا من فظاعة الفرنسيين. وهكذا مات الأمير الشاب ميتة شريفة وذهب ضحية الواجب.

وهكذا بذل أمير الشباب السوري قاطبة نفسه في سبيل أمته وباع روحه الغالية في ميدان البطولة المهيب فضرب بذلك للإقدام والجرأة مثلا أعلى يقصر عنه غطاريف القادة العسكريين الأوروبيين.

وقد ساعدت السلطة أهله على نقل جثمانه على متن سيارة ودفنه بدمشق وأبنه بالمستشفى الجنرال فاليه معترفا ببسالته وتضحيته الكبرى مقرا بشجاعته وإقدامه فطب أيها الرائد العظيم نفسا بهذه الشهادة العالية وثق أن الأبطال الذين خلقتهم بعدك والأشبال الذين اجتزت في مقدمتهم المضيق سيثابرون على النضال والجهاد حتى تنال البلاد أمانيها كاملة غير منقوصة، وتأكد أن الأمة التي مت في سبيلها، وجدت بشبابك الرطيب لتحقيق هدفها لن تتأخر عن القيام بواجبها نحوك متى مكنتها الظروف. رحمك الله رحمة واسعة وترضى عنك»[1].

وثائق جديدة :

كتب الكثير عن الأمير عز الدين الجزائري، لكن يبدو أن هذا الكثير هو قليل من تاريخ هذا الشاب إذ اتضح لنا أن مجموعة من الوثائق التي كتبها بيده لم تدرس بعد ومنها رسائله المتبادلة مع أفراد من عائلته[2] أو مع غيرهم من السوريين والأجانب، ومنها :

أخي الأمير محمد الباقر المحترم:

بعد السلام: الدكتور عبد الرحمن افندي شهبندر نهار غد الأربعاء الساعة الثالثة بعد الظهر يتوجه إلى طرفكم يلزم إرسال العربية إلى الدرويشية

(1) صور رسائل الأمير عز الدين من أوراقنا.
(2) ترجمنا له في موقع آخر

وجعفر يحضر مع الدكتور. واصلكم الدراهم صحبة أحمد مجيدي عدد 62 فقط 26 غرش وقد دفعت ثمن المانيرا ثلاثة أرباع المجيدى وسعر الورقة 159 غرش رابح والسلام.

في 27/ 7/ 1927

التوقيع

و يبدو أن الثورة السورية كانت تعاني من مشكلة قلة المواصلات السريعة، حيث كان يتم نقل الكثير من المواد بواسطة العربات التي تجرها الخيول، فهذه رسالة موجهة من شخص يدعى محمد علي إلى الأمير عز الدين مؤرخة في 27 ذي الحجة 1346هـ :

أخى العزيز الأمير عز الدين حفظه الله آمين:

تحية وسلام وبعد فإني أخذت تحريركم وحالا أرسلت لكم الطتبر لكي يحضر الخضر والأغراض وحيث أن الأغراض الذي عندنا لايكفيهم أقل من ثلاثة طنابر أحب منكم أن تجعلوا جهدكم وترسلوا لنا طنبر أبو منير لأن الأغراض كثيرة جدا هذه المرة وإذا لم ترسلوا طنبر أبو منير لايمكننا الذهاب مطلقا لأنه عندنا لايوجد دواب إلى الطنبر ماعندنا غير البغلة وحصان العرباية الأبيض بدنا نصفهم نهار غد على العرباية حتى يواصلوا لنا وإلا إذا بدنا نشد البغلة على الطنبر بالفرض يلزم أن نذهب ماشين يكون معلومكم وأن اتأمل من همتكم جد الاهتمام بهذه المسألة لأنى في الصباح وأنا عمال أحمل وأحزم بيدي فما وجدت شارة غير طنبر أبو منير لتسهيل ذهابنا والرأي رأيكم ودمتم.

في 27 ذي الحجة1346

محمد علي

ويبدو أن الأمير محمد الباقر كان يقوم بدور ضابط ارتباط بين الأمير عز الدين وجماعة مختلفة، فهذه رسالة من الباقر إلى عز الدين مستعملا مصطلحات سرية مثلا جنيه، برشول، أرسلها من قرى اليرموك الجزائرية.

سيدي صاحب السمو الأمير عز الدين الأكرم:

أسعد الله أوقاتكم. أرجو إرسال جنيه مع ناقل أحرفي وذلك لأجل شراء لزوم الليلة حيث أنني اليوم مفلس والجماعة أرسلوا بطلب أغراضي فاضطررت أن   بذلك كما تواعدنا الساعة 7 مساء البرشول.

حالا سلموا الجنيه   م. باقر

لناقل أحرفي   اليرموك.

وهذه رسالة أخرى من عز الدين إلى الباقر يطلب فيها إيصال الذخيرة إلى سمخ بفلسطين.

«شقيقي المحترم:

أما بعد فأقبل يديك واستفسر عن صحتك وأحوالك، راجيا من المولى أن يجمعني بك في أبرك الساعات وأحسن الأوقات.

وأن أرجو أن تنبه أبو الهاشمي وأبو عبدو من رجل اسمه عبد العزيز كان في جيش العدو وفر منه وحضر لعندي وأطلعني على أشياء كثيرة لا أعلم كيف أبو الهاشمي أطلعه عليها ورأيت معه صورة الأنيس فكسيته فأعطيته ولكن فر إلى حيث لا أدري.

لذلك حذرهم منه واحذر أن يحضر لعندك ويخدعك. وهو ذو شارب خفيف يتكلم الافرنسية على رأسه حطة نمرية وعقال رفيع وهو مطلع على أمور كثيرة يعرف أبو جعفر والصراف فكاد أن يخدعني لمعرفته بأسرار

كثيرة ولكن مع هذا لم آمن له ولقد وصلنى من دمشق جميع ما طلبت وبقي البرد لم يرسلوه لحد الآن وإن أمكنك الحضور لسمخ ومخابرة البعض لتأمين وايصال خرطرش بالثمن فعجلوا بذلك ومكاننا يبعد عنها نحو الست ساعات فقط. اخيرا أقبل عارضيك».

ولعل من الوثائق غير المنشورة سابقا التي يمكننا تقديمها هي رسالته المطولة والمكتوبة بخط يده التي وجدنا صورتها الفوتوغرافية في ملفه بدار الوثائق بدمشق والموجهة إلى قنصل فرنسا في حيفا، بفلسطين والمؤرخة 18/ 11/ 1926. ويبدو أنه في ذلك التاريخ كان عدد من عائلة الأمير عبد القادر يتواجد في فلسطين، فالأمير سعيد كان منفيا إليها، ومحمد الباقر شقيق عز الدين كان يتجول بين قرى الجزائريين كضابط اتصال بينها وبين الأمير عز الدين الذي يختفي أحيانا في قرى الجزائريين بحوران.

وتوضح هذه الرسالة وحشية الفرنسيين وسوء معاملتهم للشعب العربي في سورية، كما تظهر كياسة الأمير عز الدين وديبلوماسيته، وهذا هو نصها:

حضرة الصديق المحترم سعادة قنصل فرنسا في حيفا دام بقاه.

إن شقيقي الأمير محمد قابلني وبلغني اهتمامكم بأمري وما زودتموه به من النصائح فأشكر احساساتكم على ذلك وإني لأعلم علم اليقين بأنكم (غير واضحة) استغربت انضمامي لصفوف الثوار وقيامي على أناس يدعون المدنية ويزعمون الحرية ولكن إذا عرف السبب بطل العجب والأسباب كثيرة: منها ماهو وطني ومنها ماهو عائلي. إنك تعلم ولاشك يا حضرة الصديق بأن الأتراك اعدموا المرحوم الأمير عمر لماعلموا أنه من طلاب الحرية والاستقلال وقد جازف هذه المجازفة معتمدا على فرنسا

التي هدمت الباستيل وساعدت على تحرير أمريكا وتمدينها. ماذا فعلت فرنسا بعد دخولها سورية؟ لاشيء وها أن ضريحه لم يزل الآن مهملا مع كثرة مراجعات العائلة للمفوضين ورؤساء الدوائر ولكن مع الأسف كانت الوعود عرقوبية والعهود أشبه بالكاتب على صفحات الماء مع أن زملائكم الألمان الذين تنسب إليهم الوحشية قاموا ببناء ضريح الأمير عبد القادر الكبير من جيبهم الخاص وكان ذلك بعد أن هدمه جمال باشا السفاح وبذلك برهنوا على مدنية راقية واعتراف بالرجال العظام.

ثانيا : ماذا فعلت فرنسا وأي خدمة أدتها لأرملة المرحوم الأمير عبد القادر الكبير ووالدة الأمير عمر؟ لاشيء سوى أنها توفيت وهي ناقمة على أذناب فرنسا في سوريا والذين كانوا وما برحوا أسباب هذه المصائب والويلات.

ثالثا : سجن الأمير طاهر سنتين ونصف بأمر جمال باشا السفاح ونفيت عائلته مع عموم العائلة للأناضول وعند ذلك كنا في أشد حالات الاحتياج فذهب شقيقي الأمير محمد للأستانة وخابر مأمور السفارة بخصوص تقديم مساعدة مالية فدفع المذكور مايه وستين ليرة تركية على حساب المعاش على أن تخصم من المعاش فيما بعد وكان سعر الورقة التركية في ذلك الوقت خمسة فرنكات فأراد أن يحسبها بسعر (37) فرنكا للورقة فرفضت عندئذ العائلة ذلك وأعاد شقيقى الدراهم لمأمور السفارة بموجب وصل بيده ولولا مساعدة دولة أميركا لأصبحنا في عسر شديد.

رابعا : قتل الأمير عبد القادر شقيق الأمير سعيد في عهد الحكومة الفيصلية في رابعة النهار ونسبوا إليه أنه يرتب انقلابا باسم فرنسا لكونه دعى المسيو مرسيه والكابتن بيراني: ماذا فعلت فرنسا لأجله؟ لاشيء سوى انها وضعت المحافظة على القتلة الأثمة وأسندت إليهم أهم الوظائف بعد أن

استقر الأمر لفرنسا في سوريا تجاهلت وتناست جميع الخدمات وما نزل بعائلتنا من المصائب والمحن والخسائر بالأرواح والأموال.

إن عائلة الأمير عبد القادر كانت تبذل جهدها وتسعى لتوثيق الألفة والمحبة بين الشعب السوري وفرنسا اعتمادا على الكلمات الخلابة والعبارات المزيفة التي كنا نسمعها من رجالات فرنسا الذين جاءوا إلى سوريا من أن فرنسا أم الحرية والعدالة ستعطي للسوريين استقلالهم وأنها المساعد الأكبر لهذه الغاية.

وماكانت كلمات الشرف والوعود والعهود إلا كمين أو شرك ينصبوه للقطر السوري وماكادوا يذوقون لذة الفتح حتى تحولوا من وداعة الحمل إلى ذئاب كاسرة وضربوا أقوال الشرف عرض الحائط فلا صدقوا مع العائلة بعهد ولا مع الشعب بوعد. وكان كلما تقم من العائلة فرد لطلب وظيفة يجيبوه لايجوز استخدامك لأنك فرنسي التبعية.

وهكذا فعلوا مع الأمير طاهر عندما أنتخبته الأمة ليكون عضوا في مجلس الاتحاد وكانوا يتعمدون ضرر العائلة واسقاط نفوذها فالذي فعلته السلطة الافرنسية في سوريا بنفسها هو مايفعله العدو بعدوه أو الجاهل بنفسه فاكتسبوا عداوة الأصدقاء ونفروا بمعاملتهم القريب قبل البعيد وكانوا يتعمدوا ضرر العائلة وينظروا إلينا نظر العدو لعدوه لأنا كنا من الناجحين وبات كل من يتوسط لدى السلطة بأمر أو شخص ويعارضهم في غلطة ارتكبوها أو يكاد تراهم يجيبونه أنك عدو فرنسا وعدو الانتداب حتى تباعد عنهم الصديق والرفيق فأخذوا يخبطون مع جواسيسهم خبط عشواء في ليلة ظلماء وتمكنوا بالأذناب دون الرؤوس فحدث ماحدث في جبل الدروز من العصيان وما لحق ذلك من القضاء على حمله نورمان وما حصل في وقعة المزرعة من الانكسار المخجل الذي أصاب ميشو

وجيوشه وماعقب ذلك من اتساع الثورة التي لا أعلم كم كلفت فرنسا من الأرواح والأموال وماستتكلفه في المستقبل.

كل هذا نتج من سوء الادارة العسكرية التي سلمت إلى يد أناس لم يحافظوا علي العهود والوفاء ولم يدرسوا في مدرسة سانسير الحربية سوى التدمير والتخريب وعوضا أن يستجلبوا الشعوب بالعطف واللين وإعطاء كل ذي حق حقه محافظين على شرف دولتهم عمدوا إلى الأرمن والشركس فأطلقوا يدهم في السلب والنهب وسمحوا لهم باحراق المعابد والمساجد وقتل النفوس البريئة من الشيوح والنساء والأطفال ما هو غاية في الوحشية والهمجية.

خامسا : من أعمال السلطة التي أشكرها عليه توقيفي مدة عشرون يوما بدون ذنب وجرم اقترفته فرأيت بمدة توقيفي في دائرة الاستخبارات من فظائع بيجان وأعوانه كجاك الأرمني ويوسف تراك ماتقشعر له الأجسام وتأنف من عمله الحيوانات الضارية فكم وكم من الأبرياء الذين قتلوا في تلك الدار بلا محاكمة أو حساب وكم مات منهم تحت العصي بعد أن تصب عليه المياه الباردة ويربط إلى أداة خشبية وفضلا عن كل ذلك رأيت بأم عيني رجلا تقلع أظافره بكل فظاعة فيصيح بأصوات أشبه بأصوات الحيوان من فرط الألم فلا من يرحم ولا من يشفق هذا ماكان يجري في ديوان التفتيش في القرون الوسطى. أبمثل هؤلاء الرجال تريد فرنسا أن ترقي سوريا وتدربها على حكم نفسها بنفسها إذن لسوريا الحق أن تطلب حق الانتداب على الافرنسيين أشباه هؤلاء.

ألا كان يجب على فرنسا أن ترسل أمثال سعادتك من الرجال الاكفاء يا حضرة القنصل انني تعرفت بشخصك على رجل راق رقيق الجانب تحنو وتعطف على سوريا كما تعطف على غيرها ولو كانت فرنسا أرسلت

خمسة أشخاص من أمثالك لما احتاجت لهذه المعارك ولا الدماء الزكية وأقول لك قصة على سبيل الفكاهة المضحكة المحزنة وهو أن فارسين مرا بالقرب من مزرعتنا فصادف مرور القطار المصفح في مرأى الفارسين حتى أمطرها من قذائفه ورشاشاته مما أجبرهما على الهرب وذلك بدون تأكد الضابط من أنهم ثوار أو عابري سبيل لأن المسافة تبلغ الألف متر وأكثر فالتجأ الفارسان وراء المزرعة بالقرب من البستان فلم يكتفي ضابط القطار بطردهما بل أوقف القطار ومر بقرب المزرعة وبما أن مركز الطيران كان قريبا فعلى الأصوات أرسلوا عدة طيارات أخذت بقذف المزرعة بقنابلها ولم تشفق على نساء عجز وأطفال رضع. وكم كان ضابط القطار يتلذذ بمنظر الشيوخ والنساء يتهادين من الشيخوخة والوهن فارين من تلك القذائف الهمجية ولو تعلم يا حضرة القنصل بأن والدي كان حينئذ في المزرعة واضطر أن يذهب لدمشق على قدميه لعذرتني على التحاقي بالثورة والنقمة على كل افرنسي همجي وأخيرا لما رأيت أن السلطة تتمادى بالخشونة والتوحش وترك حبل الأرمن والجركس على غاربه ينهبون ويحرقون ويسلبون.

استفزتني الحمية الوطنية وثارت برأسي نخوة الأجداد فانضميت إلى صفوف الثورة مدافعا عن أبناء وطني الذي به ولدت ونشرت وترعرعت باذلا النفس والنفيس بالذب عن هذا الوطن العزيز المفدى أنكم، تعلمون يا حضرة الصديق كم اجتهدت لاصلاح الذي كان يجري من السلطة الفرنسية بخصوص الأمير محمود الفاعور حين أوقفته دولة بريطانيا في فلسطين. فانظر إلى كثرة اللطف والعطف فلو عومل الأمير معاملة سيئة من قبل السلطة ألم يكن الآن في مقدمة الثائرين ولاشك أن تقدر في هذه الخدمة التي كنت لي فيها من أكبر المساعدين وتأكد بأن الإدارة الفرنسية لن تنجح في سوريا ما

زال القواد العسكريون بأيديهم الحل والعقد وإذا أردت أن أبين لك الغلطات والهفوات التي ارتكبت من قبل السلطة لاحتجت إلى مجلدات.

فكيف تريد أن نحترم ونحب أشخاصا اطلقوا الرعاع الأرمن والجركس الحرية بعمل ماتوجبه اليهم ضمائرهم الجهنمية ويجري كل ذلك منهم وهي تحت قيادة واشراف ضباط فرنسيون وتحت العلم الافرنسي يقتلون الجريح والأسير وأما نحن الثوار فحاشا أن نفعل ذلك بل نضمد الجريح ونواسي الأسير بالرغم من ما تلقيناه من السلا بين النهابين.

أنه يوجد لدينا ليوتناه افرنسي يسمى سيكر أخذ أسير بموقعة صبحا فهو معزز ومكرم ويحبني جدا ويقدر جهادنا مع صلابة رأيه وعناده التي اكسبهما اياه الجندية وهذا قليل من كثير وإني ما كتبت له هذه الرسالة التاريخية إلا لكي تتطلع على حقائق وأمور ربما لم تطلعوا عليها وإنني مستعد من آن لآخر أن أخبرك عن كل غلطة ترتكبها السلطة. واعلم يا حضرة الصديق أن الثورة لن تقمع بالشدة والاكراه بل بالعكس والشدة هي وقود للثورة لأن فرنسا تحارب الآن أناس متعلمين في أرقى المدارس فيهم الأمير والقائد والطبيب والمهندس والزعيم لا كما يموهوا عليكم فيغشوكم. وأما ماعرضه شقيقي علي باسمكم من ترك القتال فهذا سابق لأوانه لأننا للآن لم نر من حسن نيات المفوضين ما يسر فمتى وجدنا أن فرنسا ضربت على أيدي الآثمة السفاكين ووقفت سدا منيعا تجاه الأعمال البربرية وتداركت الأمور والهفوات التي ارتكبها السابقون من المفوضين وأذنابهم ترانا أقرب الناس للسلام وأقبلوا مني يا سعادة الصديق فائق الاحترام.

18 تشرين ثاني 1926

الأمير

عز الدين الحسني الجزائري

مرحلة جديدة:

وبعد 1927 حيث انتهت الثورة السورية الكبرى باسشهاد الأمير عز الدين الجزائري في معركة عين الصاحب بدأت مرحلة جديدة من مراحل الحركة الوطنية في سورية لعل سمتها الأولى محاولة فرنسا إقامة نظام جمهوري يعتمد على الأحزاب، بتأسيسها بعض الأحزاب الموالية لها لكن الشعب العربي في سورية أدرك اللعبة وأيد الأحزاب غير الموالية لفرنسا ووقف ضد سلخ لواء الاسكندرون وإعطائه لتركيا عام 1936 كما وقف ضد سلخ لبنان وخاضت القوى الوطنية السورية معارك سياسية كبرى ونجحت في توحيد سورية المعروفة الآن وأفشلت دول حلب واللاذقية والسويداء.. ووقفت البلاد على حافة الثورة من جديد غير أن أحداثا كثيرة حالت دون ذلك، ففي عام 1936 توفي الأمير خالد الهاشمي بدمشق ففجعت الحركة القومية ثم اندلعت الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936-1939 وكانت تعتمد اعتمادا كبيرا على دمشق والحركة الوطنية السورية، ثم اندلعت الحرب العالمية الثانية فشدد الفرنسيون من قبضتهم الوحشية على البلاد التي أخذت تموج بالمظاهرات والقلاقل مطالبة بالجلاء الفرنسي عن سورية رافعة شعار «الجلاء التام أو الموت الرؤام». وقد شارك الجزائريون في مختلف أنواع النضال إلى أن تحقق الجلاء في 17/ 4/ 1946 ورفع علم الاستقلال السوري مما كان له أثر كبير في تشجيع الحركات الوطنية الاستقلالية العربية في المغرب والمشرق وبدأ الجزائريون يشاركون «كسوريين» في الحياة السياسية لهذا البلد فظهر منهم عدد من نواب البرلمان على رأسهم الأستاذ الدكتور محمد المبارك الذي قاد فترات طويلة حركة المعارضة، ثم صار وزيرا في حكومتين.

كما شاركوا في الجيش العربي السوري وخاضوا من خلاله المعارك في فلسطين عام 1948، وظهر منهم ضباط أكفاء في مراحل متعاقبة منهم عبد الرحمن خليفاوي وهو في الأصل من بلدة «ميشلي عين الحمام» في منطقة تيزي وزو، ووصل إلى رتبة لواء، ثم عين محافظا فوزيرا للداخلية فرئيسا للوزراء.

ومن المحافظين (الولاة) مختار الجزائري وجعفر الجزائري من عائلة الأمير ومن الوزراء د. محمد المبارك ود.العربي الدرقاوي الذي عين وزيرا للثقافة والإرشاد القومي، بعد أن قام بواجب التدريس في جامعة الجزائر وغيرهم كثير ممن أسهموا في الحركة الوطنية السورية سواء بالنضال السياسي أو العسكري أو الثقافي عبر مراحل تاريخ هذه الحركة منذ إسقاط الحكم العثماني، جنبا إلى جنب مع إخوانهم السوريين لا فضل لأحد على أحد.

سادسا: إسهامهم في الحركة الوطنية الفلسطينية

مـدخـل:

كان الأمير عبد القادر قد وضع مدينة عكا الفلسطينية كواحدة من خيارات الهجرة، بل إن خليفته أحمد بن سالم تمكن من إقناع السلطة العثمانية بمنحه ومجموعة المهجرين بعض الاراضي الزراعية في منطقة الجليل التي تعتبر عكا مركزها. وبالفعل حصل أحمد بن سالم على أراض في صفد وطبرية..

وبعد وصوله عام 1856 دمشق واصل الأمير الخطة ووزع رقعة الأرض الممنوحة له على بعض المهاجرين وبدأت القرى الجزائرية بالظهور في المنطقة عام 1860 تقريبا.

وقد أثبتت الأحداث اللاحقة لعام 1847 أن الأمير كانت له حسابات استراتيجية حين اختار الاسكندرية أو عكا، فبالإضافة إلى حرص باريس والاستأنة على أن لا يسكن الأمير شخصيا في أي من المدينتين اللتين اختارهما مما يوحي بتفطن أحد الطرفين لحساباته، فإن المتتبع لحركة الاستيطان الصهيوني في فلسطين، واستماتتها للحصول على موطئ قدم في الجليل، وكذلك المتتبع ليوميات الحروب في فلسطين ومواقعها، يدرك بجلاء أن الأمير عبد القادر كانت له حساباته البعيدة المدى والصحيحة أيضا.

فقد وجد الجزائريون أنفسهم منذ اليوم الأول لسكناهم فلسطين على موعد مع القدر فبالإضافة إلى سيطرتهم على أمن المنطقة الشمالية من الجليل وإيقافهم حملات الغزو التي كانت تشنها القبائل البدوية[1]. ضد بعضها وضد الأرياف والبلدات والمدن وجدوا أنفسهم في وسط الحركة

(1) الموسوعة الفلسطينية / القسم الأول ص 941.

الوطنية الفلسطينية، بل وليخوضوا أول معركة عربية ضد الاستيطان الصهيوني وليقدموا أول الشهداء قبل أية جهة أخرى، ذلك أن الحس الوطني المتزايد الذي عمر نفوسهم خلال فترة مقاومتهم للاستيطان الفرنسي وصدامهم العنيف لهذا الغزو الاستعماري، جعلهم على حذر شديد من الوافدين من وراء البحار.

لذلك فإن الحركة الوطنية الفلسطينية (بشقيها من تمسك بالأرض وامتشاق للسلاح) سجلت للجزائريين صفحات مشرقات، خالطتها بقعة سوداء صنعها أحد أحفاد الأمير المدعو عبد الرزاق. لكن الذي يقرأ تاريخ فلسطين منذ عام 1860 حتى اليوم، سواء بروايته الصهيونية أو بروايته الفلسطينية أو الروايات الأخرى من عربية وأروبية، يدرك أن الوحدة العربية ليست شعارا سياسيا يرفعه هذا السياسي أو ذاك، بل هي في ضمير كل نفر من هذه الأمة من المحيط إلى الخليج، وأن كل دعاوى الفرقة والتجزئة العرقية أو المذهبية إنما هي صناعة من خارج هذا الضمير ومن خارج هذه الأمة. ولعل الذي يجب أن يفخر بها الأمازيغي في جبال جرجرة والأطلس كله أن أهله الا مازيغ هم أول من قدموا الشهداء من أجل عروبة فلسطين كما تقر بذلك الوثائق الصهيونية نفسها.

أوائل المدافعين.. أوائل الشهداء :

إذ أن أول صدام وقع في فلسطين بين العرب من جهة والصهيونية من جهة أخرى، كان بين المهجرين الجزائريين وبين صندوق اكتشاف فلسطين.

يقول الكاتب الصهيوني : أريه، ل. افنيري في كتابه دعوى نزع الملكية - الاستيطان اليهودي والعرب (1878-1948) :

«واستقر الجزائريون العرب في عدة مدن وأوجدوا حوالي (10) قرى وقد أوجد هؤلاء المهاجرون الذين أسماهم سكان البلاد (المغاربة) أربع قرى في الجليل الأسفل شعاره، عولم معذر. وكفرسبت وأوجدوا أيضا قرية هوشة - في موقع حوشة القديم قرب رامات يهونان وأقاموا قرى ديلاتا - علما وديشوم - في الجليل الأعلى وكذلك التليل، الحسينية على ضفاف بحيرة الحولة، واستمر كهول هذه القرى يتكلمون اللغة البربرية حتى نهاية القرن التاسع عشر.

ويضيف افنيري:

أما ه.ب. ترا يسترام المسيحي الورع والمستشرق البريطانى الجوال، فقد تجول في (1863-1864 في الأرض المقدسة شمالا وجنوبا على خطى المسيح، وجد نفسه في قرية مايس الجزائرية قرب قديش وأوضح في مفكرته: أنها مستعمرة من اللاجئين الجزائريين العرب الذين لايزالون يرتدون (البرنس) ويبنون جورييس جبال الأطلس وقد استجابوا لي بحماس عندما خاطبتهم بلهجة شمال افريقيا.

ويواصل أفنيري القول:

لقد استقر عدد لابأس به من المغاربة في صفد وكذلك في طبريا ولقد وجدنا الحقائق موثقة في تقارير صندوق اكتشاف فلسطين، وقد أهان المغاربة أعضاء وفد الصندوق وهاجموهم وعطلوا عملهم. وقد سعى الوفد إلى تدخل الأمير عبد القادر الذي كان مقيما حينئذ في سوريا وقد أرسل الأمير رسالة اعتذار عن سلوك جماعته في صفد وطبريا»[1].

ويورد افنيري، الذي لم يفصل أكثر عن المصادمة السابقة، خبرا عن مصادمة أخرى فيقول :

---

(1) أفنيري، أريه، ل: دعاوى نزع الملكية - الاستيطان اليهودي والعرب 1878-1948،، ترجمة بشير البرغوثي،، عمان ص 19.

«وقد اندلعت مشادة بين الموشافا وقرية المغربي في الطليل - لسبب الجهل باللغة العربية وبالتقاليد والعادات السائدة حين قام ثلاثة من الجزائريين على ظهور الجياد بالتجول في منبت أشجار الموشافا بدافع الفضول وبينما كانوا يفعلون ذلك داسوا بعض الشجيرات وقد غضب المزارع الموجود وطردهم وأهانهم مستعملا كلمات لايفهمها هو نفسه وقد تطورت مشاجرة وتبودلت الضربات وقد مات أحد الثلاثة بعد إصابته بأذى كبير متأثرا بجراحه فقام مواطنو الطليل بمهاجمة الموشافا للثأر لدم أحدهم وكانت أعداد المغاربة كبيرة وكانت لديهم أسلحة فتاكة»[1].

ومن الملاحظ أن افنيري يستميت في لي عنق الوثائق الكبيرة التي يمتلكها، وصولا لتزوير الحقائق وتزييفها، ويحاول دائما أن يظهر صهاينته حملانا وديعة وأن الفلاحين سواء أكانوا جزائريين أو غير جزائريين هم المعتدون، وهم الذي يقع عليهم واجب الاعتذار، فإذا كان قد ادعى أن الأمير عبد القادر قد اعتذر في المرة الأولى فإنه لم يجد أميرا يعتذر في المرة الثانية! فادعى أن نبيلا من نبلاء قرية الطليل هو الذي سوى المشكلة. لكن الحقيقة هي أن مشروع استيطان عكا الصهيوني قد فشل في تلك الفترة على يد الجزائريين، وانتقل الصهاينة إلى استيطان منطقة يافا حيث تمكنوا من بناء المستوطنة الصهيونية الأولى لكنهم ظلوا يركزون على الجليل وقرى الجزائريين فيه.

إغراءات وضغوط:

كانت الصهاينة تركز على شراء قرى الجزائريين المهاجرين في صفد/ منطقه كراد الخيط وطبريا/ منطقة الشفا لتتمكن من ربط مستوطناتها ورسم حدود الدولة التي تخطط لها، وقد أفشل الجزائريون بالتعاون مع القرى الفلسطينية الأخرى هذا المطلب الحيوي للصهاينة وعطلوه مدة طويلة

(1) نفسه، ص 83.

من الزمن، (وإضافة إلى قريتي قوميا وتمره، فالقرى ناعورة الطيبة والطيرة والقرى المغربية في عولم ومعذر وشعاره كانت تفصل وادي جزريل عن المستوطنات اليهودية في الجليل الأدنى)[1]، و. وبذلك يتبين أن الصهاينة كانوا يعرفون جيدا أنه لن تقوم لهم دولة دون الجليل وأن هذا الجليل لن يكون لهم دون قرى المغاربة الجزائريين، ذلك :

1. أن هذه القرى يفصل بعضها بين مرج ابن عامر وغور بيسان كما يفصل بعضها بين الجليل الأعلى ومرج ابن عامر والتي استماتت الصهيونية لربطهما عبر سلسلة متصلة من المستوطنات.

2. بعض هذه القرى يقع على الحدود مع سورية ولبنان وهذه الحدود كانت موضع نزاع بين فرنسا وبريطانيا، وبالتالي فإن الصهونية معنية بانتزاع هذه الأراضي بأقصى سرعة ولتكون في حدود فلسطين التي يعنيها وعد بلفور ولتكون من جهة أخرى مسوطنات متقدمة تمنع حركة الثوار العرب بين فلسطين وسوريا ولبنان.

لذلك فإن الحركة الصهيونية التي عرفت منذ، البداية الأهمية الاسرتراتيجية للجليل خصصت أموالا باهظة لشراء أراضي هذه المنطقة وبشكل خاص أراضي الجزائريين بل كونت شركة خاصه لهذا الغرض استعملت عليها بعض اليهود المغاربة مثل صمونيل آيو الذي عمل قنصلا لفرنسا في صفد ويوسف نحماني في طبرية، وبدءا باصطياد كبار الملاكين، لكنهما لم ينجحا، بل إن مستوطنة دجانيا التي أقيمت في منطقة سمخ فشلت وانتهت في عام 1904.

ربعد الانتداب البريطاني شهد الاستيطان الصهيوني حركة واسعة إلا أن واحدة من أهم المشاكل التي واجهتها هذه الحركة هي استيطان غور

(1) نفسه، ص186.

بيسان الشمالي التابع للجليل الأدنى حيث رفض الأهالي بيع أراضيهم وافتتحوا المعارك القضائية عام 1922 ووكلوا المحامي وديع البستاني وكان من بين الموكلين مجموعة من الجزائريين القاطنين في سمخ أول بلدة في ذلك الغور وعلى رأسهم مصطفى يخلف الذي تعود أصوله إلى «معسكر» والذي أهدى إليه الكاتب يحيى يخلف روايته عن نضال سمخ الموسومة «بحيرة وراء الريح» والثاني عمر أبو زيد الذي تعود أصوله إلى قبيلة «أعريب» في المسيلة.

بقعة سوداء:

لم يحقق الصهاينة شيئا يذكر حتى عام 1926 تقريبا حين اصطاد يوسف نحماني بواسطة فتاة يهودية سمكة كبيرة هي عبد الرزاق بن الأمير سعيد بن الأمير علي بن الأمير عبد القادر، ولما كانت بعض أراضي القرى الجزائرية تعود ملكيتها إلى الأمير عبد القادر، وصلت بالإرث إلى أولاده وأحفاده ومنهم سعيد.. وبالتالي فإن ولده عبد الرزاق أخذ يبيع أراضي والده ومنها أراضي قرية شعاره حيث أعطى فلاحي هذه القرية الفلسطينية ومعظمهم من قبيلة أولاد سيدي عيسى المهجرة من سيدي عيسى وسور الغزلان، أراض في بلدة عابدين في منطقة حوران بسوريا.

لكن فلاحي قرية شعارة رفضوا تسليم أراضيهم في البداية إلى أن أعطوا ضعف مساحتها في سوريا وحسب المصدر الصهيوني «قد رفضوا في البداية أن يوافقوا على الفصل ولكن بعد عدة سنوات لاحقة وافقوا على تسليم أراضيهم مقابل ضعف مساحتها من الأراضي في سوريا قرب المستوطنات الجزائرية هناك»[1].

(1) نفسه ص 96.

والحقيقة المتداولة هي أن الأمير سعيد رفض الاعتراف بإجراءات ولده عبد الرزاق ولم يسلم أولاد سيدي عيسى أية أراض في سورية وظلوا يسكنون كهوف المنطقة مدة طويلة إلى أن سويت المشكلة بينه وبين ولده.

ولم يتوقف عبد الرزاق عند هذه الجريمة التي تمت فصولها عام 1927 بل جند اثنين من أتباعه إبراهيم فضيل الطيب وعمر بن يوسف لحساب يوسف نحماني وشركة يافين وقد نشط هذان الشخصان في محاولة شراء أراضي الجزائريين في قراهم بمنطقة طبرية معذر، عولم، كفر سبت، فحسب المصدر الصهيوني، فإن :

«في قرية عولم كان هناك 11.035 دونما وفي قرية معذر 6.235 دونما، وكان نصف المنطقة مملوكا من قبل ورثة علي باشا المعروف بالجزائري وقد بيع قسم منها إلى شركة يافين وهي شركة يهودية خاصة لم تكن قادرة على استغلالها ولذلك باعتها للصندوق القومي اليهودي بشرط أن يغدو الصندوق مسؤولا عن تعويض المزارعين المستأجرين الذين كانوا 57 في معذر و53 في عولم. وفي نفس السنة باع الأمير سعيد الجزائري وهو أحد مواطني دمشق 110 دونما تشكل حصته في أملاك العائلة، وكانت الأرض مرهونة فدفع الصندوق القومي اليهودي الرهن وتملك الأرض»[1].

ويبدو أن الصهاينة حصلوا عن طريق هذين السمسارين في قرية عولم على 2.209 دونمات في عام 1925 كانت تعود لـ 14 فلاحا حسب المصدر الصهيوني، وفي وقت لاحق حصلوا على أراض8 فلاحين من قرية كفر سبت. وأما في معذر فقد قام صراع طويل ومرير بين بعض سكانها بقيادة عيسى الحاج أحمد الرقايقي من جهة وبين هذين السمسارين وعبد

(1) نفسه، ص 187.

الرزاق من جهة أخرى. حيث أن الصراع المحدتم بين عبد الرزاق ووالده، الأمير سعيد تصاعد سلبا إذ أطلق عبد الرزاق النار على والده في دمشق لعدة أسباب من بينها الصراع على الأراضي في فلسطين وقد أوردت جريدة القبس الدمشقية تفاصيل هذه الجريمة التي شهدتها المحاكم السورية، وذلك في عددها رقم 574 تاريخ 29 نيسان أفريل 1935م / الموافق 26 المحرم 1353هـ.

تمسك شديد بالأرض :

وكان عيسى الحاج أحمد وشقيقه إبراهيم من رجال الثورة الفلسطينية الكبرى 1936-1939 وتؤيدهما حوالي 30 عائلة من عائلات معذر الثمانين فعقدوا اجتماعا تقرر فيه منع عبد الرزاق ووالده سعيد من دخول القرية وهدر دم كل من إبراهيم الطيب وعمر بن يوسف. وبالفعل تم تنفيذ الحكم في إبراهيم الطيب.

وقد أخطأ الفدائي الذي نفذ الحكم التصويب فاسشهد الشيخ جعفر الطيب المبارك خطأ، لكن الفدائي ظل يترصد للشخص المطلوب إلى أن تعكن منه فقتله وانتقلت عائلته بعد ذلك إلى بلدة نوى السورية بعيدا عن الجزائريين.

أما عمر بن يوسف فقد أسرع في الانتقال من فلسطين والتحق بفلاحي شعاره الذين انتقلوا إلى سورية وظل يعيش بلا أوراق تعريف سواء جزائرية أو فلسطينية أو سورية إلى الخمسينات حيث منحته الأمم المتحدة بطاقة لاجيء فلسطيني.. كما هو متواتر بين الجزائريين أنفسهم خاصة كبار السن في مخيم اليرموك، وأكد لي عدد من كبار السن من قرية

معذر وبلدة سمخ الحادثة وأسبابها، وأكد لي السيد مموح المبارك واقعة مقتل عمه الشيخ جعفر بالخطأ وأكد نصوح الكبير مسألة منح عمر بن يوسف بطاقة لاجئ فلسطيني باعتبار أن نصوح كان مسؤولا عن مؤسسة اللاجئين الفلسطينيين بالقنيطرة.

لقد اقترف عبد الرزاق عدة جرائم ليس في فلسطين وحدها بل حتى في الجزائر نفسها حيث تسلل إلى منطقة ذراع الميزان ليشارك في الفتنة الجهوية التي حدثت عام 1963 إثر استقلال الجزائر، وذلك حسب ما يورده كوندات في كتابه الثورة والقيادة السياسية الجزائرية[1]. ومن المعروف أن عبد الرزاق عبد القادر يعتبر نفسه شيوعيا صهيونيا وله عدة مؤلفات في هذا الباب منها النزاع العربي اليهودي - اليهود والعرب يواجهون المسقبل) وقد توفي عام 1968 في إسرائيل.

وأما في قرى الجزائريين في منطقة صفد فلا تجد نجاحا يذكر للاستيطان الصهيونى في هذه القرى رغم تركزهم خاصة على قرية التليل على شاطئ بحيرة الحوله حتى بعد عام 1948 إذ حاول اليهود احتلال المنطقة لتجفيف البحيرة وتحويل مجرى نهر الأردن.. وقامت معارك قتالية بين عائلة الكبير الجزائري[2] وبين الجيش الإسرائيلي وقد شهدت الأمم المتحدة على هذا الصراع وتدخلت فيه حيث تمسكت عائلة الكبير برفضها بيع أو تأجير أرضها في هذه المنطقة.. ولدينا عدد من الوثائق حول هذه القضية التي عرفت عالميا.. غير أن نصوح بن موسى الحاج حسين الكبير صرح لمجلة الجندي الفلسطينية ملخصا هذه القضية كالآتي :

(1) كوندات، وليم.ب: الثورة والقيادة السياسية الجزائرية 1954-1962، ومن ذكر اسم المترجم، دمشق 1981 ص 280.

(2) انظر صورة مرسوم منح الجنسية السورية لهذه العائلة الذي ينص على أنها من التابعية الجزئرية حتى تاريخه.

«في عام 1951 قام اليهود بمحاولة لتحويل مجرى نهر الأردن على الضفة الشرقية من المنطقة المجردة فقمت أنا وأخي وبعض رجال الحكومة السورية بمهاجمة اليهود ودامت المعركة 24 ساعة أوقفتها لجنة الهدنة بشرط أن تنسحب إسرائيل من المنطقة مع القتلى وأدوات الحفر. ثم طلب منا كبير المراقبين إثبات ملكيتنا لتلك الأراضي فتم ذلك ولكن إسرائيل عاودت العمل فتصدينا لها، عندها طلبت إسرائيل شراء تلك المنطقة عن طريق هيئة الأمم. وقدم وفد كي يفاوضنا بذلك وعرض علينا مبلغا كبيرا جدا فرفضنا وبقينا نشارك في حماية تلك المنطقة حتى مأساة عام 1967 حيث نزحنا إلى دمشق»[1].

ومهما يكن من أمر فإن المهجرين الجزائريين في فلسطين تمسكوا بأراضيهم حتى الرمق الأخير ودفعوا الكثير من أموالهم إلى المحامين مثل : البستاني، الشقيري، عطا الله، الطبري للدفاع عن ملكيتهم التي كان يشكك بها دائما عبد الرزاق.

وقد أثر هذا الموقف الشجاع من المهجرين الجزائريين في فلسطين على تدني نسبة مبيعات الأراضي للصهاينة في منطقة الجليل التي ركزت الحركة الصهيونية عليها كل الجهد وكل الضغط.

وتبين هذه النسب المتدنية من خلال الكشف الذي أوردته الدكتورة خيرية قاسمية عن مساحات الأراضي المباعة حيث يتضح أن كل الفلاحين في الجليل الأسفل باعوا 12.000 دونم بينما لم يبيعوا شيئا في الجليل الأعلى. وهذا هو الكشف كما أوردته هذه الباحثة الفلسطينية المعروفة[2]:

(1) الجندي، مجلة يصدرها جيش التحرير الفلسطيني في سورية تاريخ 25/ 01/ 1983.
(2) قاسمية، د. خيرية: المواجهة الاقتصادية مع الصهيونية، مجلة دراسات تاريخية، دمشق العدد المزدوج 35/ 36 تاريخ مارس - جوان 1990.

دونـــم	المنطقة
304.000	في الجنوب في ضواحي يافا والرملة وغزة
326.000	سهل الشارون (ضواحي نليبس وطولكرم وقلقيلية)
300.000	مرج ابن عمر
172.000	الجليل الأسفل (في ضواحي طبريا).
88.000	الجليل الأعلى (في ضواحي صفد).
1.200.000	المجـمـوع

وقد ابتاعها اليهود من الملاكين ومن الفلاحين على النسبة التالية:

من الـملاكين	من الفـــلاحين	
272.000	32.000	في الجنوب
304.000	31.500	سهل الشارون
300.000	00.000	مرج ابن عامر
160.000	12.000	الجليل الأسفل
88.000	00.000	الجليل الأعلى
1.124.500	75.500	المجـمـوع

من الواضح أن المهجرين الجزائريين دافعوا دفاعا مستميتا عن أراضيهم في فلسطين كما أنه من الواضح أن بعض زعماتهم التقليدية متمثلة في عبد الرزاق لعبت دورا خيانيا علنيا، أما والده الأمير سعيد فلما يزل الغموض يلف سلوكه في قضية بيع الأراضي، فبعض الوثائق الصهيونية تقول أنه باع فعلا، لكن سلوكه مع قبيلة أولاد سيدي عيسى ومع ولده عبد الرزاق ومع مجمل القضية الفلسطينية والحركة الوطنية السورية والحركة الوطنية الجزائرية يناقض هذا السلوك.

ثـورة البـراق الشـريـف :

فإذا كان الشعب العربي الفلسطيني قد بدأ نضاله ضد بريطانيا والحركة الصهيونية منذ عام 1919 أي بعد مدة قصيرة من الاحتلال البريطاني، فإن الثورة الواسعة الأولى ضد هذا العدو المشترك اندلعت في عام 1929 ومن حارة المغاربة بالقدس وتعرف بثورة البراق الشريف وكان للجزائريين في تلك الحارة وللأمير سعيد دور في مجرياتها وفي الصراعات التي تبعتها. ذلك أن «حارة المغاربة» ملاصقة للجدار الغربي من المسجد الأقصى والذي يدعي اليهود أنه حائط المبكى، وكانت هذه الحارة وما يتبعها من مساكن أو حوانيت، إما من الأملاك الشخصية للمغاربة وخصوصا الجزائريين منهم، وإما هي وقف إسلامي لزاويتهم المعروفة بزاوية المغاربة (زاوية سيدي الغوث أبي مدين)، ولما حاول الصهاينة الاستفزاز والاعتداء على حرية الأقصى وعلى أملاك المغاربة في الحي، قاومهم هؤلاء على الفور وبالقوة اللازمة لردعهم. ولأن الأمير محمد سعيد الجزائري هو ممثل الجاليات المغربية كلها من ليبيا حتى شنقيط وسواء كانت في القدس أو في دمشق أو بيروت، فقد أرسل إليه الحاج أمين الحسيني رسالة يطلب إليه الحضور إلى القدس بصفته ممثلا للمغاربة أصحاب الحي والحق، وأن يتدخل لحل المشكلة مع اليهود!. وبالفعل فإن الأمير سعيد الجزائري حضر إلى القدس وقدم مذكرة واضحةإلى لجنة التحقيق التي كونتها بريطانيا وقد نشرت هذه المذكرة جريدة الجامعة العربية الصادرة في القدس بتاريخ 3 ربيع الأول عام 1349هـ الموافق 28 تموز 1930م العدد 414 وهذا نص المذكرة :

توطئة:

إنني مع تكرار احتجاجي على الحالة التي أوجدها في بلادنا حلفاء العرب وعدم إقرارنا مشروعية هذه السيطرة بشكلها الحاضر المسماة بصك انتداب فلسطين وبالنتيجة عدم اعتراف بتلك الصلاحية التي استندوا عليها في هذا الموضوع الإسلامي أقبل فقط في سرد وجهة نظرنا الموضحة بهذا الكتاب دون التقيد بأي قرار تصدره لجنتكم المحترمة ويكون مخالفا لحقوق المسلمين في هذه القضية.

الموضوع:

إن المغاربة هم سكان حي البراق الشريف (الحائط الغربي للمسجد الأقصى) وهم أقرب الناس لرؤية حقيقة موقف اليهود عندما كانوا يأتون حائط البراق الشريف للبكاء على ذكريات مجد مندثر.

والمغاربة هم أحرص الناس على قدسية هذا المكان الذي يتعلق بهم مباشرة وبالدرجة الأولى بسبب علاقته بوقفهم الخاص عدا كونه لا يتجزأ عن الحرم الشريف المفدى، وهم لا يعترفون مطلقا بمدعيات اليهود القائلة اليوم بأنهم كانوا بمواقف بكائهم أمام الحائط يقومون بطقوس دينية تشبه صلاة كنائسهم رغما عن أن ادعاء كهذا من اليهود اليوم يدحضه العقل والمنطق وتكذبه الحقيقة الراهنة، والواقع نقول بأن المغاربة لو رأوا أثرا من الصحة لما يرونه اليوم من مظاهر موقف الباكين لكانوا أول من حرمهم ولوج باب هذا الاستعطاف ولسدوا في وجوههم مداخل أملاكهم وممر أوقافهم ومنعوهم من تخطي هذا الجزء المقدس من الحرم الشريف فعدم ممانعتهم لليهود حينما كانوا يقفون للبكاء أمام الحائط فيما مضى لأكبر دليل ساطع على نفي ما يدعيه هؤلاء المستعطفون ويؤيد بأنه لم يكن هناك

من طقوس دينية أو أمورعبادة ينتج عنها معنى السيطرة على ذلك المحل الإسلامي المقدس أو ادعاء أي حق من الحقوق فيه لليهود.

إن اليهود كانوا يبكون فقط وليس من يعلم ما كانوا يضمرون وما سيضمرون بعد استجابة طلبهم ومدعياتهم في لندن. أما نحن العرب وأنا بالنيابة عن المغاربة بينهم نقول أن تمادي اليهود في هذه المدعيات يجعلنا نقرر عدم الاستقرار على التسامح السابق الذي عاملنا به هولاء القوم عندما كانوا يستعطفوننا، وسندافع عن حقوقنا ومقدساتنا هذه أمام كل مغتصب بكل ما عندنا وما أوتينا من قوة بأرواحنا و أولادنا، وأرجوكم أن تسمحوا لي إلفات نظر لجنتكم الموقرة من أن هذا التحدي لحقوق المسلمين ومقدساتهم سوف يتردد صداه بين سكان شمالي إفريقيا المسلمين عموما وستؤثر هذه المدعيات اليهودية الباطلة على علائق إخواننا المسلمين هناك أيضا مع اليهود، وتقع مسؤولية جميع النتائج التي تستوجبها هذه المداخلة على عاتق القائمين بهذا الادعاء أمامكم من ممثلي اليهود وكذلك على من أنابهم بهذا الادعاء الغريب الوهمي الذي بدون منكم إقرارا كحق رغم ارادة أرباب الحل وأصحاب هذا المكان المقدس وليست الشهادات المناقض بعضها لبعض التي أتوكم بها والدلائل الواهية المخالفة لمبادئ أبسط القضايا الحقوقية التي تذرعوا بها في مدعياتهم أمامكم سوى حجج دامغة لتأييد حق المسلمين وإثبات تهجم هؤلاء ومداخلتهم استنادا على وعد بلفور الجائر بمقدسات ثلاثماية وستين مليونا من المسلمين منتشرين في مشارق الأرض ومغاربها.

وإني ألخص لكم معلوماتنا في الموضوع المدعى به البنود الآتية:

1. وقوف اليهود أمام حائط المسجد الأقصى والبراق الشريف ومرورهم بأوقاف المغاربة الخاص كان عن طريق التساهل وللبكاء فقط.

2. لم يكونوا بعددهم مايلفت الأنظار أو ينبه الأفكار فلم يكن يزيد عددهم مجتمعين عند الحائط للبكاء على عشرين شخصا.

3. لم يكـن هنـــاك شيء مطلقـــا من مظاهـــر الطقوس الدينيـــة التي يدعونها اليوم.

4. إن المسلمين كانوا أثبتوا في جميع ظروف حكمهم، وكما هم في بلادهم الذين يشكلون أكثريتها المطلقة اليوم لايفرقون بين المسلم وبقية الطوائف فيما يتعلق بالعدل والانصاف والمساواة على أن لاتكون هناك مساغ لإحلال قوم محلهم واستباحة مقدساتهم والتعدي عليها بهذه المدعيات المستنكرة...).

ويبدو أن الأمير محمد سعيد الجزائري حضر مؤتمرا خاصا بالقدس وبالبراق الشريف وتعرض لمساومة ومحاولة ابتزاز من الصهيوني المعروف (كلفرسكي) حيث أدلى بالتصريح التالي لإحدى الصحف قائلا :

«لقد اجتمعت أولا إلى سماحة الحاج أمين وإلى كاظم باشا رئيس المؤتمر وتحدثنا عن قضية البراق، ثم طلب الزعيم الصهيوني (كلفرسكي) مقابلتي فاجتمعت إليه- وكان سعادة أحمد زكي حاضرا - فأعرب كلفرسكي عن رغبته بالصلح وأظهر ميلا شديدا للمفاوضة وطلب إلي بصفتي صديق زعماء فلسطين التوسط بأمر الصلح، وقد قال في معرض حديثه أن اليهود أغنياء يستطيعون - إذا تم الصلح تقديم كل مساعدة للعرب، وإنفاق الأموال الطائلة في سبيل نشر الدعاية لفكرة (الامبرطورية العربية) في أوروبا!! وأكد أن عرب فلسطين سيستفيدون من اليهود كثيرا إذا تم الوفاق.

وقد أجبته على ذلك بأن الصلح هو أفضل شيء، وقلت أن اليهود يقيمون في فلسطين منذ أجيال إلى جانب العرب، وأن الصلح لايمكن أن يتم إلا إذا ألغي وعد بلفور المشؤوم. ووعدته بمفاوضة سماحة الحاج أمين الحسيني بهذا الشأن.

وقد اجتمعت بسماحته وكان رأيه كرأيي تماما فأعلمت مسيو (كلفرسكي) بالأمر الواقع من هؤلاء القوم موجها على حقوقها القومية والمقدسة تكون أكثر اعتدالا مما ترونه اليوم من المسلمين ومن يمثل الرأي العام الإسلامي أمامكم للإدلاء بوجهة النظر فقط. لذلك فإني مقتنع كل الاقتناع بأن ماسمعتموه وتحققتموه هنا في هذه المدة الوجيزة التي قضيتموها بين ظهرانينا سيكون فرصة أخرى بعد فرصة لجنة (شو) لتفهم الرأي العام الأوروبي عموما والبريطاني خصوصا فظاعة وعد بلفور الجائر ومغالاة اليهود الذين استحصلوا على هذا الوعد المشؤوم لقاء ما بذلوه من المساعي حينما كان العرب يريقون دماءهم في سبيل حريتهم واستقلالهم وما يأملونه من عدل»[1].

ثورة 1936 - 1939 :

في 11/ 10/ 1935 استشهد الشيخ عز الدين القسام الذي كان قد قطع شوطا في التنظيم والتهيئة لاندلاع ثورة فلسطينية عارمة ضد الاحتلال البريطاني والحركة الصهيونية، ويبدو أن استشهاده جعل زملاءه يسرعون في إعلان هذه الثورة التي لم يكن أحد يدري شيئا عن الموعد الذي حدده لها الشيخ الشهيد. وهكذا أعلن الفلسطينيون ثورتهم الكبرى عام 1936 والتي امتدت حتى إعلان الحرب العالمية الأولى عام 1939.

(1) الجزائري، الأمير محمد سعيد: مذكراتي عن القضايا العربية والعالم الاسلامي الجزائر 1968، ط2، عدة صفحات.

وتخبرنا المراجع والوثائق المختلفة عن أن المهجرين الجزائريين في فلسطين وسورية شاركوا مشاركة واسعة في هذه الثورة، ويبدو أنهم كونوا فرقة من ثلاثة فصائل مسلحة.

وكانت هذه الفرقة بفصائلها قد تأسست إثر اجتماع جرى في قرية معذر في منزل المختار (عيسى الحاج أحمد الرقايقي) أصله من البويرة، وحضره عدد من وجهاء الجزائريين مثل (موسى الحاج حسين الكبير) وأصله من سيدي موسى بالبليدة و(مصطفى يخلف) وأصله من معسكر (ومحمد رشيد الدلسي) وهو حفيد شقيق أحمد بن سالم خليفة الأمير الشهير و(عمر قويدر) وأصله من وادي البردي في البويرة، والحاج (وحش ارغيس)، وأصله من أم البواقي، و(محمد بن عيسى) وأصله من سيدى عيسى و(محمود صالح) وأصله من دلس واتفقوا على أن يكون موسى الحاج حسين والأمير صلاح بن عبد الله بن عبد القادر ممثلين لهم في قيادة الثورة ومقرها دمشق وأن يكون محمود الصالح قائد الفصيل في منطقة صفد ومحمد بن عيسى قائدا للفصيل في منطقة طبريا والحاج وحش ارغيس قائدا للفصيل في منطقة حيفا.

وقد لعب (الأمير سعيد) والشيخ (عبد القادر المبارك) والأمير (صلاح بن عبد الله الجزائري) وغيرهم دورا واضحا في تزويد الثورة بالأسلحة عبر قرى الجزائريين المتاخمة للحدود السورية واللبنانية(التليل، الحسنية، ديشوم، سمخ) برعاية موسى الحاج حسين وأبو عاطف محمود سليم الصالح ومحمد رشيد الدلسي والطاهر يخلف وعلي الحاج طاهر.

ويتحدث حسين عمر حمادة عن دور الجزائريين في سمخ في مقالة له بعنوان: «قائد سمخ مات في مخيم اللاجئين بدعا» في العدد 284 من مجلة الطلائع بدمشق تاريخ 20/ 4/ 1976، فيقول:

«على الأراضي الشامية وعند الحدود المتفق عليها بعد الإنجليز والفرنسيين تحددت مهمة الشيخ المجاهد، فلقد كان صلة الوصل بين مجاهدي الداخل في فلسطين وقيادة الثورة المتواجدة على الأراضى السورية والعراقية، فقام برحلات عدة بكلا الاتجاهين بالاتفاق مع المجاهدين مصطفى يخلف «أبو السنوسي» زعيم المغاربة وعيسى أبو زيد وطاهر يخلف. ولقد كان الشيخ محمود يقوم بنقل السلاح والمجاهدين من الحمة ووادي خالد لسمخ ومنها لحيفا وجبل نابلس والخليل وسيلة الظهر، كما أنه شكل تهديدا واضحا للمطار العسكري المنشأ في سمخ على أساس أنها نقطة حدود مهمة بين فلسطين وسورية والأردن، وهاجم المستعمرات اليهودية المنشأة في المنطقة باستمرار ».

التنكيل بقرى الجزائريين في فلسطين:

كتب السيد أكرم زعيتر في يومياته بتاريخ 33/ 12/ 1939 عن قرية التليل ما يلي:

«وقد تشرد أهلها المغاربة إلى سورية وأحرقت حواصل، قرية العلمانية، وفي الوقت ذاته ذهبت قوة أخرى إلى قرية العموقة العائدة للمغاربة وسألت عن شخص يدعى أبو عاطق فأجابوا: أنهم لا يعلمون عنه شيئا. وحينئذ أخذت القوة تنهب القرية مبتدئة بدار سليم الصالح (وهو مغربي)[1]، كما أورد هذا الكاتب الذي كان أحد قادة هذه الثورة التقرير التالي :

---

(1) زعيتر، أكرم: يوميات أكرم زعيتر الحركة الوطنية الفلسطينية 1935-1939، ص 267، بيروت 1980، ط1 ص 577.

تقرير عن تنكيل القوات البريطانية بقرى المغاربة في الشمال (1938-1939):

لم تكتف السلطات البريطانية مافعلته بقرى المغاربة الجزائريين بفلسطين من نسف دورهم وحرقها وتخريب موجوداتها واعتقال أبنائها ولم تقف أعمال السلطات عند هذا الحد بالانتقام من الجزائريين فقد عاودت انتقامها مرارا بنسف دار وجيه المغاربة الكائنة في التليل وقتل حيواناته وحرق أشياءه ودخول الجيش البريطاني لمزرعته الدريجات الكائنة بالأراضي السورية ونهب مزارعيه مرتين، ولما رأت هذه السلطة الغاشمة أن أعمالها الانتقامية هذه ما أضعفت من عزيمة المغاربة الأشاوس، فإنها واصلت مساعيها المتوالية مع الحكومة الافرنسية للنكاية بالوجيه المذكور السيد موسى الحاج حسين فأصدرت الأخيرة أمرا نفت به المومأ إليه إلى تدمر بصورة إجبارية وحذرت بقية عائلته المقيمة بالقنيطرة وأنذرتهم بالنفي للجزيرة والغريب من هذا كيف أن حكومة فرنسا الفخمة أجابت طلب الحكومة البريطانية.

والأغرب من هذا أن السيد موسى الذي صدر بحقه أمر النفي هو من الرعايا الافرنسية وصاحب أملاك في سوريا.

ولما بدأت الثورة في فلسطين نزح السيد مع أفراد عائلته تاركا أملاكه وأراضيه التي يعتاش منها ملتجئا للحكومة الافرنسية ليكون أمينا على حياته وأملاكه وسكن القنيطرة فما كان إلا نسف داره ودخول الجيش لمزرعته الدريجات ولم تكتف حتى بإلزامه السكون في تدمر بصورة اجبارية. فأين العدل والانصاف ؟»[1].

وها هنا تقرير ثالث[2] :

(1) الحوت، بيان نهويض اعداد / وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية من أوراق أكرم زعيتر/ بيروت 1979.
(2) نفسه، ص 597.

تقرير من اللجنة الإصلاحية في قرية العموقة، في قضاء صفد، عن عدوان الجيش البريطاني على القرية في 19 / 01 / 1939 :

إلى قيادتنا العليا المحترمة:

استيقظ أهالي قوية العموقةة قضاء صفد في صباح أمس على أصوات أزيز الطائرات وهي تحوم فوق قريتهم، وقد ألقت الطائروات مناشير على القرية تحذر الأهالي من الخروج خارج القرية وقد أخذت هذه الطائرات في إلقاء القذائف على أطراف القرية فسببت قتل بعض الحيوانات والمواشي. وبعد قليل حضرت قوة كبيرة من الجيش البريطاني وطوقت القرية المذكورة ودخلت لداخلها وعملت ما اعتادته هذه القوات من العمل بالقرى العربية فقد دخل الجند لجميع بيوت هذه القرية وحرقوا مفروشاتها وكسروا أثاثاتها وخلطوا الزيت بالطحين والسكر مع الملح وكسروا الأواني ونهبواجميع ما استحصلوا عليه من نقود بالبيوت ولم يتركوا لا صغيرة ولا كبيرة بالبيوت إلا وأتلفوها. ولم يكن أصحاب البيوت بداخلها بل كان جميع أهالي هذه القرية تحت حراسة فرقة ثانية خارج القرية، ولما انتهت الفرقة من عمليات التخريب أخبرت القائد بانتهاء عمليتها فجاء القائد إلى الأهالي وطلب منهم طعاما للجند فأجابوه ما تركوه بالبيوت خذوه وكلوه فزاد انتقامه منهم وخاطبهم قائلا هذا قليل وفي مرة ثانية سوف لا نكتفي بهذا بل سوف نقتل الرجال وننسف البيوت. وبعد أن أمر جنده بضرب الأهالي هجم جنده عليهم وأوسعوهم ضربا بأرجلهم وبكعاب البنادق دون تفريق بين الامرأة والطفل وبعد أن اعتقلوا عدة أشخاص غادروا القرية بعد أن تركوها خرابا.

وهكذا رغم هذه الأعمال البربرية التي يقوم بها الجيش بفلسطين يأتي وزير الحربية البريطاني ويذيع ما يبرئ جيشه عن ارتكاب مثل هذه الأعمال.

9 ذي الحجة 1357هـ

اللجنة الإصلاحية بقرية العموقة: عنهم (توقيع) سليم الصالح

وفي 7/ 3/ 1939 كتب أكرم زعيتر ما يلي :

«كنت أشرت في يومياتي إلى ما اقترفته السلطات البريطانية في قرى المغاربة من هدم وتخريب واعتقال وهدم دار وجيه المغاربة الجزائريين في التليل وهو السيد موسى الحاج حسين، ومع أن السيد موسى مقيم في القنيطرة السورية التي نزح إليها مع أفراد عائلته تاركا أملاكه وأراضيه لاجئا إلى الحكومة الفرنسية ليأمن على حياته من انتقام الإنكليز، فإن السلطة لم تكتف بنسف داره وإتلاف مزرعته بل بذلت مساعيها لدى السلطة الفرنسية فأصدرت هذه أمرا بنفيه إلى تدمر والإقامة الجبرية فيها وأنذرت بقية أفراد عائلته المقيمين في القنيطرة بالنفي إلى الجزيرة إذا بدا منهم أي نشاط هذا مع العلم أن الوجيه المذكور هو من الرعوية الفرنسية وله أملاك في سوريا»[1].

فصيل صفد :

كان فصيل الجزائريين في منطقة صفد/ أكراد الخيط فصيلا نشيطا وتمتد عملياته في كثير من الأحيان حتى طبرية بل إنه شارك في معركة طرد اليهود من هذه المدينة وكان بقيادة محمود سليم الصالح أبو عاطف «الذي ما تزال عائلته موجودة في الجزائر بمنطقة دلس بن نعمان»، والذي كان دائم التنقل بين صفد ودمشق وبيروت وخاض معارك عديدة وأعاد الكرة في ثورة 1947-1948 واستشهد في معركة الشجرة الشهيرة.

ويورد أكرم زعيتر النص التالي[2] عن بعض عمليات هذا الفصيل عام 1938 في رسالة كتبها أبو لطفي الذي هو موسى الحاج حسين من التليل:

(1) يوميات أكرم زعيتر، مصدر سابق ص 579.

(2) الحوت، بيان نهويض، مصدر سابق، ص 543.

رسالة من صفد تتضمن تقريرا عن عمليات المجاهدين في 30/12/1938 :

أخي العزيز (أبو عاطف) وفقه الله آمين.

سلام وتحية وبعد :

إن سألتم عنا فنحن بخير نحن وجميع الإخوان ولا ينقص علينا إلا مشاهدتكم التي نريدها على الدوام، أخي لحد الآن أنا موجود بمعية العم أبو محمد وإن شاء الله بعد أن يكتفي من مرافقتي أتوجه لطرفكم.

أخي في ليلة (8) ذي القعدة 1357 هـ هاجم فريق من فصيلك الدورية على طريق صفد مير وكانت مؤلفة من مصفحتين ومكنة نسف ودامت الهجوم مدة ساعتين ويعتقد أنه أوقعوا إصابات بالجند لأن الجند كان يرسل إشارات النجدة بكثرة هائلة وفي نفس الليلة هاجم فريق آخر من فصيلك دورية على طريق الحدود بالغرب من كسب صلحا وتبادلوا معهم إطلاق النار مدة ثلاث ساعات كان في خلالها الجند يطلق عليهم مدافعه الرشاشة والجبلية وفي الحادثتين لم يحدث ما يكدر إخوانك الحمد لله.

هذا ما لدي من معلومات أخبرتكم ودمتم مع إهداء سلامي لأبو العبد وسعيد والأخ عبد الرحمن أفندي والأخ موسى أبو سليم وجميع من يسأل عنا بطرفكم ودمتم موفقين أخي

أخيكم أبو لطفي

ولتوثيق بعض تاريخ هذا الرجل حاولت أن أتحدث إلى ولديه عاطف الموظف في مؤسسة الاجئين الفلسطينيين بدمشق، وهاني الطبيب في مخيم اليرموك فوجدنا أنهما كان صغيرين في ذلك الوقت فلجأت إلى الحاج أبو علي «سليمان حمام». وهو من مشاهير رجالات الثورة الفلسطينية 1936-1939 ثم 47/ 1948 فأجريت معه لقاءا استغرق أصيل يوم الثلاثاء 8/ 8/ 1989 ولما أفصحت عن رغبتي بمعرفة تاريخ محمود سليم الصالح «أبو عاطف» قال: أنتم المغاربة الجزائريون تحبون بعضكم، فكثيرا ماجاءني الأخ يحي يخلف ليسألني عن تاريخ بعض الأشخاص، وقد أحسنت صنعا بالمجيء إلي لأن عاطف وهاني كان صغيرين لايعرفان تاريخ والدهما المناضل. وأضاف أبو علي :

كان المغاربة الجزائريون يعرفون بيننا كمهاجرين جزائريين مع الأميرعبد القادر الجزائري، وأعطتهم الحكومة العثمانية أراض سجلت باسم الأمير، وكان هؤلاء المهاجرون يتضامنون مع شعبهم الفلسطيني ويقومون بواجبهم النضالي معنا ومنهم موسى الحاج حسين الرجل الداهية المحنك ومنهم أبو عاطف محمود سليم الصالح وشقيقه محمد من العموقة.

وكان أبو عاطف قائد فصيل متجول في منطقة صفد الحولة، الجاعونة، وسائر المناطق المجاورة للعموقة، خاض عدة معارك خلال ثورة 36/ 1939 ورغم الصداقة القلبية التي بيننا لكننا لم نشترك معا في معركة واحدة، إلا أنه شارك في عدة معارك كبيرة مثل معركة طبرية لكن في نهاية الثورة حين أعلنت الحرب العالمية الثانية في 3/ 8/ 1939 بقي أبو عاطف في دمشق، وحين أعلنت ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق بتاريخ 21/ 4/ 1941 ذهبت إلى بغداد ورافقني أبو عاطف، ثم اتصلنا

بالقنصل الفرنسي في الموصل لاعتبارنا لاجئين سياسيين فاعتقلونا.. وطلبوا منا التعاون كحلفاء ورفضنا بحث الموضوع ونحن في الاعتقال، وقلنا إننا نريد مجلس ثورة فلسطين وعلم فلسطين وحكومة فلسطينية... كنا نعرف مناوراتهم، وهم ينقلوننا من سجن إلى سجن بين سوريا ولبنان.. حيث كانت حكومة فيشي هي المسيطرة، وأخيرا أطلقوا سراحنا فقررنا العودة إلى فلسطين عبر بيروت، جبيل، فقرى الجزائريين ديشوم والعموقة وبالفعل بقينا في العموقة حيث أرسلت رسالة مع محمد سليم.شقيق محمود إلى عكا لكل من فضل كتمتو وأحمد الشقيري فطلبا منا الذهاب إلى غزة بعيدا عن الأنظار.. وجاء السيد سعدي الشوا ورافقنا إلى يافا وبقينا (6) أشهر.. ثم عدت إلى عكا عبر ترشيحا وأبو عاطف عاد إلى العموقة ثم ذهبت إلى غزة واختفيت ثلاث سنوات تقريبا حتى عام 1945 حتى حصل لي الإخوان في القيادة على عفو من بريطانيا.. ثم ذهبت إلى الناصرة وقابلت مساعد حاكم اللواء البريطاني وطلبت العفو عن أبو عاطف وأبو إبراهيم الصغير، توفيق إبراهيم وأحمد التوبة.. وبعد جهد نجحنا في ذلك وكفلناهم.

ويضيف أبو علي سليمان :

في مرحلة 1947-1948 اشتغل أبو عاطف مع أبو إبراهيم أما أنا فدعيت للجامعة العربية لشراء الأسلحة، واستشهد أبو عاطف في معركة الشجرة المشهورة».

فصيل طبرية :

وأما بخصوص الفصيل الجزائري في منطقة طبرية الذي كان يقوده محمد بن عيسى وبعد استشهاده سلمت القيادة لولده أحمد، فذهبت إلى

أحمد المذكور في منزله بمخيم اليركوك فوجدته قد جاوز الثمانين من العمر وله ذاكرة قوية، فحدثني قائلا :

«بعد حوالي 20 يوما من استشهاد والدي محمد بن عيسى قائد فصيل المغاربة الجزائريين في منطقة الشفا في شهر شباط 1937، أرسل لي موسى بن الحاج حسين يطلب إلي التوجه لمقابلته في دمشق وتوجهت فعلا إلى مقر قيادة الثورة في حي الميدان وكان في الاجتماع أبو إبراهيم الكبير (خليل عيسى) وأبو إبراهيم الصغير (توفيق إبراهيم) وأكرم زعيتر ومحمد عزة دروزة وسلموني أمرا مكتوبا بتولي مهام والدي، بصفتي كنت ملازما لوالدي في كل عملياته.

وظللت على اتصال دائم بهم وكنت أرسل اليهم الجرحى بالقطار مع شخص جزائري يدعى محمد العالم وشخص جزائري آخر يدعى بن حوا، وكلاهما من جزائريي سمخ التي فيها محطة قطار درعا - حيفا، أما ملابس وكسوة الفصيل فكان يلتزم بها شخص جزائري أيضا ولكنه يقطن الناصرة واسمه صالح عون الله، أما كاتبي فقد كان يدعى أحمد الشيخ جزائري من معذر.

وأما المراسل الحربي الذي كنت أرسل معه الرسائل إلى القيادة في دمشق فهو عبد القادر الخثير من جزائريي عولم ومن الجزائريين الذين كانوا معي محمود أبو خروبة لم يزل حيا، عمر الحاج، عبد الله،رابح، علي قاسم الجليل، محمد العربي، إبراهيم بن موسى، وكنا نعطي لعائلة الشهيد عشرة جنيهات فلسطينية، وأما الطعام والخدمات المشابهة فكانت تتكفل به القرى الجزائرية في فلسطين وسوريا «حوران» ولم نكن نعاني من أزمات في هذه المسائل لأننا نتحرك بينهم وكلهم أهلنا وأقاربنا.

وكانوا يزودوننا بالمعلومات عن تحركات اليهود والجيش البريطاني.. لذلك كان تأثيرنا بالعدو واضحا.

ويضيف:

كانت مهمتنا الأساسية هي نسف خطوط البترول وكان فصيلنا يتكون من مائة مجاهد فيهم بعض الفلسطينيين من غير الجزائريين، وكنت حين أقوم بالنسف آخذ عشرة أو خمسة عشر فقط، أقسمهم إلى ثلاث مجموعات: مجموعة للحفر والنسف، والثانية: عن يمينها، والثالثة: مهمتها إعاقة أية دوريات للعدو والاشتباك معها حتى يتم النسف ثم ننسحب لقرية أخرى غير التي انطلقنا منها.

ويقول أحمد بن عيسى:

كانت قرية معذر هي القاعدة السرية للفصيل «العبيدية قاعدة شبه علنية» حيث تم تأسيسه فيها إذا اجتمع كبراء الجزائريين في فلسطين ومنهم موسى بن الحاج حسين الكبير من التليل، وعمر قويدر من سمخ، ومحمد رشيد الدلسي من صفد، وعلي محاد من معذر وغيرهم، في بيت عيسى بن الحاج أحمد الرقايقي بمعذر. وقرروا تكوين الفصيل من الجزائريين وأعطوا قيادة منطقة صفد لأبي عاطف وقيادة هوشة للحاج وحش ارغيس، وقيادة منطقة الشفا لوالدي محمد بن عيسى لأنه صاحب تاريخ نضالي في ثورة عام 1922 وحكمت عليه بريطانيا غيابيا بخمسة عشر عاما لكنه تمكن من الهرب إلى القرى الجزائرية في سورية ومنها إلى الأردن، ولكن ألقي القبض على الذين كانوا معه مثل محمد الدراجي وشحادة الادريسي ومحمد اليونسي، والهاشمي وغيرهم.

وكانت القرى الجزائرية هي الماء الذي نسبح فيه. فالمعلومات والاختفاء والحركة والتخزين وانقاذ الجرحى كل ذلك بمساعدتهم،

فحين يجرح جزائري من أولاد عيسى مثلا يتداوى عند أولاد سيدي خالد وغيرهم في معذر أو عند أولاد يونس وغيرهم في عولم، فيرعونه رعاية عالية، ليس لأنه مجاهد وحسب، بل لأنه ابن عمهم أيضا والناس في ذلك الوقت عشائر وعصبيات وكانت النتيجة مبهرة، فالشهداء في صفوفنا قيللون جدا، ولم نكن نرسل إلى القيادة غير الجرحى الذين يحتاجون إلى عناية يعجز عنها الطب العربي الذي يتقنه الجزائريون بالوراثة منذ حرب السيد (الجيل الكبير مثل أحمد بن عيسى لايلفظون اسم الأمير عبد القادر مجردا فهم دوما يشيرون إليه بالسيد لانحداره من سلالة الرسول) مع الفرنسيين.

وعن موقف عائلة الأمير عبد القادر يقول الشيخ أحمد بن عيسى كان الأمير صلاح مؤيد حقيقي للثورة في فلسطين، وكنت أجتمع به في دمشــق ويزودني بتوجيهاتــه وأكثر ما كان يلـح عليه هو الحفـاظ على أرواح المجاهدين».

ولما سألت السيد أحمد سهيل الفصيل من جزائريي دمشق عن دور الأمير صلاح أكد لي معلومات أحمد بن عيسى وأوضح أن الأمير صلاح عاش في أواخر أيامه بدمشق بعزلة تامة، وتوفي في عزبته.

وأما أكرم زعيتر فقد أورد في يومياته عن محمد بن عيسى وفصيله ما يلي:

«وتلقيت رسالة من السيد موسى النجمي وطيها تقرير بتوقيع / ن.س. فصيل أبو سعيد في العبيدية» ويقول موسى: «هذا التقرير كتبه ووقعه القائد الذي اسشهد وكتبنا نعيه» أحسست برهبة وإجلال وأنا أقرا تقرير قائد كتبه ثم اسشهد، وفيه يخبرنا أنه وجماعته هاجم مستعمرة يمّـا وتبادل مع خفرائها الرصاص، وقتل منهم خفيران و انسحب المجاهدون بسلام.

ويضيف زعيتر:

وفي رسالة أخرى كتاب آخر بقلم الشهيد أبو سعيد نفسه عن معركة خاضها وإخوانه في 16 كانون الثاني مع يهود كانوا آتيين بباصات تحت حراسة الجند الانكليزي أسفرت عن مقتل خمسة يهود وجرح ستة، وعن معركة أخرى على طريق عطوشة التابعة لطبريا حتى سوم اشتركت فيها طائرتان لنجدة باصات اليهود، دامت أربع ساعات قتل فيها نحو عشرة يهود وجرح مساعدان.

وفي التقريـر:

طوقت القوة قرية معذر (طبريا) واقتحموها ووجدوا محمد أعراب المغربي عند أمه التي ليس لها غيره ووجدوا في البيت بندقية كان اشتراها من ماله الخاص وهو من المجاهدين الذين يعتمد عليهم فحين رأوه قتلوه».

وهكذا نرى الشهيد أبا سعيد ينعي لنا زميلا له قبل استشهاده هو رحمهما الله. هذا، وقد توليت نعي هذا القائد بعد أن أذاعت محطة إذاعة فلسطين اسشهاده وقلت في النعي:

«المكتب ينعي إلى الأمة العربية البطل محمد بن عيسى – قائد منطقة الشفا من قضاء طبريا.

لقد استشهد ثلاثة من اخوانه حينما طوقت قوات الجيش قرية عولم فاقتحم الجند واصطدم بالجيش حتى ظفر واخوانه بالشهادة، وهو شيخ مغربي جليل جاوز الستن من عمره اشتهر بمصادماته مع دوريات الجند وتفجير البترول»[1].

(1) نفسه، ص552.

فصيل حيفا :

أما الفصيل الثالث في منطقة حيفا فقد كان بقيادة الحاج وحش ارغيس في قريه هوشة- حيفا الذي كان أحد مريدي الشيخ عز الدين القسام في جامع الاستقلال والذي اختاره وقريته هوشة لتكون واحدة من القواعد السرية للثورة التي كان يعد لها هذا الشيخ الثائر المولود على الساحل السوري، مستفيدا من وضع المهاجرين الجزائريين القانوني في هذه القرية بصفتهم من الرعوية الفرنسية، ومن جسارتهم وشجاعتهم وجهاديتهم، ومن وضع قريتهم الجغرافي.

كان الحاج وحش ارغيس الذي تعود أصوله إلى أم البواقي بالجزئر، وقرية هوشة كلها تقوم بعبء ثقيل في ثورة 1939، حيث كانت تستقبل الأسلحة التي يقوم بايصالها موسى الحاج حسين الكبير وأبو عاطف ومحمد رشيد الدلسي من دمشق وصيدا عبر القنيطرة، جسر بنات يعقوب فالتليل وديشوم ثم إلى هوشة، فيتم توزيعها إلى حيفا ويافا وغزة والقدس والخليل والناصرة حيث صالح عون الله من جمعية المقاصد الخيرية المغربية في فلسطين وكانت درجة الأمان عالية في هذه القرى كما في القرى الجزائرية الأخرى حيث لعبت اللهجة الشاوية الجزائرية دورها كلغة شيفرة فكانت صيحة طفل يلعب تكفي لتنبيه القرية قبل أن يفهم الجنود البريطانيون ما الذي قاله الطفل.. كما لم يستطع اليهود المغاربة الذين استعملهم الجيش البريطاني والعصابات اليهودية فهم اللهجة الشاوية الجزائرية. وهكذا كانت القرية تستقبل قادة الثورة الفلسطينية ووجهاء الجزائريين وتمرير السلاح إلى أواسط وجنوب فلسطين بسرية تامة.

وإضافة إلى هذا الدور الخطير الذي كان يقوم به الفصيل الجزائري في قرية هوشة بقيادة الحاج وحش ارغيس، كان يخوض عدة معارك قتالية

منها معركة وادي العروس الشهيرة، فأضحت القرية مثلها مثل قرية عولم في منطقة الشفا/ طبرية وقرية العموقة في منطقة كراد الخيط/ صفد هدفا دائما للطائرات البريطانية، ففقدت القرية عددا من الشهداء مثل محمد بن سي أحمد الشيخ، ولم يستطع المحاميان هنري كتن وأحمد الشقيري إنقاذ رقبة المناضل أبو زيد الطيب من حبل المشنقة.

كما نفى إلى مرسين بتركيا (علي سعيد بوضياف)، وحكم بالسجن لمدة (9) أشهر على كل من (حمادي أرغيس، الشيخ أحمد الصديق الحاج الطيب، موسى بن أحمد بن علي، يوسف قوجيل، رشيد حسين بن ناصر، محيميد الصغير، والحاج وحش نفسه) وستلعب هذه القرية في عام 1948 دورا نضاليا آخر. ويجدر بنا أن نشير إلى أن عددا من المجاهدين الجزائريين القادمين من الوطن لهذه الغاية بتشجيع من الحركة الوطنية الجزائرية التحقوا بهذه الثورة وبعضهم بالفصائل الجزائرية، وبعض هولاء جاء من فرنسا نفسها ومنهم من وصل إلى فلسطين مشيا على الأقدام.. وكان من بين الذين يقومون بتأمين الأسلحة للثورة الفلسطينية الكبرى 1936-1939على ظهر البواخر في مرسيليا المناضل الجزائري المعروف بشير بومعزة ومن الذين يجمعون لها التبرعات في الجزائر نفسها شاعر الثورة الكبير مفدي زكريا بصفته مناضلا في حزب الشعب الجزائري.

ثـورة 1948-1947 :

انتهت ثورة 1936-1939 بنداء وجهه الملوك والأمراء أالعرب إلى الشعب الفلسطيني يدعونه إلى السكينة اعتمادا على حسن نوايا بريطانيا التي كانت تستعد لخوض غمار الحرب العالمية الثانية والتي استغلتها الحركة الصهيونية استغلالا تاما ودقيقا لصالحها، ومن بين ذلك الاستغلال تدريب وتأسيس القوة العسكرية المقاتلة. بينما ضيقت بريطانيا الخناق

على الفلسطينيين خاصة لجهة تسليحهم حتى إلى ما بعد انتهاء الحرب.

وما إن جاء عام 1947 حتى وجد الفلسطينيون أن الصهيونية صارت قاب قوسين أو أدنى من التهام البلد، فبدأوا ينظمون صفوفهم من جديد ولم يجدوا إلا بقايا مجاهدي ثورة 1936-1939 ليحملوا السلاح مرة أخرى.

وابتدأ شكل منظم إلى حد ما على يد المجاهد عبد القادر الحسيني في مايعرف بجيش الجهاد المقدس، وجاء متطوعون عرب في ما يعرف بجيش الانقاذ، ثم تدخلت الأنظمة العربية إلى أن كانت نكسة 1948 المعروفة، وتكاد المراجع تنكر أن الذي حدث عام 1947 هو ثورة أخمدتها هذه الجيوش عام 1948. لكن الذي يهمنا هو دور المهجرين الجزائريين في هذه المرحلة من نضال الشعب الفلسطيني.

يقول محمد طارق الافريقي أحد رجالات ثورة 47/ 48 في كتابه «المجاهدون في معارك فلسطين، ما يلي :

«را جعني زعماء وقادة المناضلين المغاربة في غزة ومنطقه الخليل وبيت لحم طالبين الانضمام إلى مجاهدي القدس تحت قيادتي وعددهم (5650) فحولت طلب الزعماء إلى الحاكم العسكري أحمد حلمي باشا. الذي حوله بدوره إلى مقامات عليا ولم يقبل لأسباب أجهلها.

وتجاه هذه الحالة اضطررنا إلى الاكتفاء بالموجود والمثابرة على المقاومة رغم قلة قواتنا أمام قوات اليهود المتفوقة والمجهزة بأحدث التجهيزات.

ولو قبل طلب أولئك المجاهين المغاربة وانضموا إلى مجاهدي القدس لتغير الوضع العسكري في منطقة القدس»[1].

---

(1) الافريقي، محمد طارق: المجاهدون في معارك فلسطين 1367-1948، دمشق 1951، ص149.

إن هذا النص الذي أورده الافريقي والذي يعتقد أنه جاء من ليبيا يجعلنا نطالب كافة المؤرخين من كافة الجنسيات العربية وغير العربية بتفسيره، لماذا رفض الطلب، وعلى أية أرضية سياسية وعسكرية كان ذلك، ومن هي المقامات العليا التي رفضته، وما هي حكمتها في رفضه؟ ومن هم قادة المناضلين المغاربة الذين تقدموا به. بل إننا نطالب بتفسير لقيام «إسرائيل» بهدم كافة قرى الجزائريين في صفد وطبريا عن بكرة أبيها، وما هو السر في هذا الحقد؟

إن هذه المطالبة ليست من حقنا كفلسطينيين وحسب، بل ومن حقنا كجالية جزائرية ناضلت وقدمت الكثير بصفتها هذه على درب الوحدة العربية، ووحدة الدم العربي، إبرازا للحقيقة العلمية فإن المؤرخين من الشبان الجدد في إسرائيل يتهمون الجيل الذي أرخ لقيام اسرائيل بأنه جيل أخفى الوثائق التي تدل على اتفاق الحركة الصهيونية مع بعض الحكام العرب لتقسيم فلسطين وتهجير أهلها بقصد إسباغ البطولة والشرعية على قيام دولة إسرائيل (إذاعة لندن بالعربية في 22/ 9/ 189 العالم هذا الاسبوع) ولاشك أن من بين الوثائق الفلسطينية التي أخفيت وثائق البطولة التي أبداها الشعب الفلسطيني ومعه الجزائريين في قراهم، كقرية هوشة التي تقول فيها الموسوعة:

«اتخذت هوشة وخربة الكساير قاعدة للمجاهدين العرب في معارك 1948 بعد أن أخليت من الشيوخ والأطفال والنساء. وفي كانون الثاني عام 1948 هاجم الصهيونيون هوشة الكساير ثانية، واحتلوها، وعاد العرب فهاجموا هوشة، واستمر القتال من السادسة حتى الخامسة مساء وأجبر الصهيونيون على الانسحاب ليلا إلى الكساير بعد أن نسفوا معظم منازل القرية، وقتل في هذه المعركة عد كبير من أفراد الوحدات الصهيونية

المحاربة، واسشهد (35) عربيا، ولكن الصهيونيين عادوا فاحتلوها وطردوا سكان العرب ودمروها سنة 1948»[1]. وقد اشترك في القتال ضد الصهاينة دروز شفا عمرو واسشهد مختار قرية هوشة السابق أحمد ارغيس ومختار الكساير حسن خضر وجرح كثيرون.

وليست معركة هوشة وحدها التي خاضها أواشترك فيها الجزائريون فهناك عشرات المعارك مثل طبرية، لوبية، الشجرة، عولم، سمخ، العموقة، ديشوم، الصبح، رأس المرج، وغيرها على امتداد خريطة الجليل الفلسطيني بقسميه الأعلى والأدنى، إلا أنه يلاحظ أنهم من الناحية العسكرية كانوا يستعملون ذات التكتيك العسكري المتوارث من عهد الأمير عبد القادر حيث كان يحول القرية التي يريد العدو اقتحامها إلى فخ فيخليها من الأطفال والنساء والشيوخ ويباغت العدو فيها فيحصره بين تضاريسها التي يعرفها أكثر منه فتكون خسائر هذا العدو كبيرة للغاية سواء خلال مباغتته أو خلال انسحابه.

كتيبة المغاربة لتحرير فلسطين :

ولايقف الأمر عند اشتراك المهاجرين الجزائريينن في القتال ضد الصهاينة مع الفرق الفلسطينية المناضلة، بل قام الأمير محمد سعيد بصفته زعيم الجالية الجزائرية خصوصا والمغربية عموما بتأسيس (كتيبة ا المغاربة لتحرير فلسطين) كجزء من فرقة الأمير عبد القادر وقد وصل تعدادها إلى عشرين ألف مقاتل حسب بعض المصادر تم تدريبهم في معسكرات قطنا القريبة من دمشق.

وحدثني السيد محمد فاتح نجل الأمير محمد سعيد أن هذه الكتيبة كان يصرف عليها والده من ماله الخاص، أن والده أسسها بالاتفاق مع

(1) الموسوعة الفلسطينية، القسم الأول المجلد الرابع، حرف هـ ط1، 1984، ص550.

السيد شكرت القوتلي - رئيس الجمهورية السورية وقد استقدم لها مدربين ومتطوعين من مصر والعراق وانضم اليها متطوعون قدموا من الجزائر ودول الغرب العربي إثر نداء خاص وجهه الأمير سعيد وبعد أن تم تدريب هذه الكتيبة والصرف عليها لعدة أشهر من جيبه الخاص قام بدمجها مع قوات جيش الإنقاذ الذي ظهر على الساحة وتبنته جامعة الدول العربية.

هذا وقد نشرت جريدة الاصلاح الجزائرية في عددها رقم (71) تاريخ 25 / ربيع الأول/ الموافق لـ 5/ فبراير - شباط/ 1948م نص النداء الذي وجهه الأمير سعيد إلى عموم أهل المغرب العربي والذي يبدو أن لمتطوعين الجزائريين من الوطن الأم قدموا إلى المشرق بناء عليه، وهذا هو نص النداء:

«الحمد لله وحده:

يا مغاربة إفريقيا الشمالية... يا أبناء الأبطال الصناديد!

إن أعظم نكبة حلت بفلسطين خاصة وبالمغرب عامة هي نكبة دخول الصهاينة إلى الأراضى المقدسة وشرائهم الأراضي بكافة الحيل والدسائس وقد بح صوتي وأنا أحذر الحكومة والأمة إلى هذا الخطر العظيم والكارثة العظمى التي تحل بالبلاد العربية كافة من جراء هذا الخطر الذي يعاني العرب اليوم شدائده، وكاد هؤلاء اليهود يظفرون بأهم قسم من أرض سوريا التي هي مطمح أنظارهم أيضا وعندما ارتكبت أوروبا أعظم جناية عرفها التاريخ ولم يرعو ترومن وزملاؤه عن غيهم ويعلمون أن هذه الكارثة وهذا العدوان سوف يجر أوروبا إلى حرب تشيب لهولها الولدان وسوف ترى أوروبا أن هذه الحرب لاتشبه غيرها، لأنها صراع في سبيل الموت أو الحياة بل هي حرب مقدسة فرض على المسلم أن يبيع نفسه رخيصة في

هذا السبيل وقد اشترى الله من المؤمنين أنفسهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله ويقتلون.

وقد عجب الناس من سكوتي مدة طويلة بينما الخطب والحماسة أخذت مأخذها من الشيوخ والشباب، وماكنت أحسب أن العرب يصبرون على الذل والهوان وقد صبروا صبرا طويلا بينما أن السكين وصل إلى العظم وقد بلغ السيل الزبى، أما وأن دور الحماس قد انتهى ومابقي لدينا إلا حمل السيف فإني أدعوكم ياإخواني المغاربة إلى حمل اسلاح وقد عرفتكم البلاد بالشدائد وكنتم ولازلتم في مقدمة المجاهدين في مواطن الجهاد والدفاع عن الشرف وهذا يومكم أيها المغار بة وأنتم الذين ذقتم من مظالم الفرنسيين أعظم المصائب وأفدح النوائب، وها أن الاستعمار شتتكم في كل البلاد ولم يرحمكم حتى في دار هجرتكم وهو يحاربكم بأموالكم وأولادكم وبكل الوسائل الفتاكة ليميت فها روح الوطنية وينزع من قلوبكم حب الوطن ويجعل طموحكم إلى أوطانكم أمرا عسيرا صعب المنال وهيهات تنسينا المصائب والكوارث بلادا فيها رفات أجدادنا وتراب أسلافنا وأرواحهم المقدسة تنادينا في كل لحظة إلى الثأر إلى الجهاد ياأبنائي البررة، فياإخواني عرب إفريقيا الشمالية هنا وبفلسطين وفي كل أنحاء البلاد العربية أن الواجب يدعوكم إلى الجهاد وإلى الدفاع عن أولى القبلتين وثالث الحرمين بالنفس والنفيس، وإذا ماكتب الله النصر لنا وهذا ماوعدنا الله به لقوله تعالى: «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا» وإذا مارجعنا إلى الله واتبعنا أوامره واتكلنا عليه حق الاتكال ونبذنا الشحناء والضغائن وقمنا يدا واحدة. فالنصر حليفنا، وإذا ماحقق الله الأماني وقد أصبح العرب روحا وجسدا واحدا فسوف يكون جزاؤنا من هذا الجهاد أن ندخل بلادنا فاتحين والله معنا والعرب جميعا وراءنا، وهذه

أمنية والله أعز منها لأن الاستعمار هو الموت بعينه، ولا معنى للحياة مع الذل والاستعباد، وإذا مناديتكم للجهاد فلست محمسا ولا مشجعا بل أكون في طليعة القوم كما كان أسلافي الطاهرين البررة، وقد قال المغفور له الأمير عبد القادر في تلك:

ألا فاسئلي عني الفرنسيين بأن مناياهم بسيفي وعسالي

ومن عادة السادات بالجيش تحتمي وبي يحتمي جيشي وتحرس أبطالي

هذه سجايا أسلافكم الأطهار أيها المغاربة، فهبوا جميعا إلى حمل السلاح ولا حاجة للاكتتاب بالتطوع، فيد الله مع الجماعة، والله ولينا وناصرنا وعليه فليتوكل المتوكلين. الأمير محمد سعيد الحسني الجزائري - حفيد الأمير عبد القادر

وفي القاهرة كانت جريدة البلاغ المصرية قد نشرت في عددها رقم (8033) تاريخ 4 / ربيع الأول 1367 هـ الموافق لـ 5/ يناير -كانون الثاني/ 1948 م الرسالة التالية لمراسلها من دمشق تحت عنوان كتيبة المغار بة لتحرير فلسطين.

«هنا في دمشق حيث يقع الجسر الأبيض، يقيم ذلك الأسد الرابض ألا وهو سمو الأمير سعيد الجزائري حفيد البطل الثائر عبد القادر الجزائري مدوخ الاستعمار وقاهر الاستعباد.. وفي ذلك القصر الضخم المنيف تقيم تلك الشخصية التي لم تنجب الدنيا مثله إلا كل عدة قرون مرة.

ولقد شهدت دمشق بالأمس أفخم وأروع اجتماع طبع بطابع الثورة والعروبة والجهاد هذا الحفل الرائع العظيم الذي أقيم تكريما لسمو الأمير سعيد. وفي تلك الحفلة الفخمة التي جاءت آية من آيات الروعة والجلال أعلن سمو الأمير نبأ تشكيله (كتيبة المغاربة) لتحرير فلسطن والتي يربو عدد أفرادها

على العشرين ألف مقاتل مغربي بكامل عدتهم وسلاحهم، ووسط عاصفة من التصفيق الحاد تقلد سموه سيف جده الأمير البطل عبد القادر الجزائري معلنا تطوعه للجهاد في سبيل فلسطين والإبقاء على عروبتها وحريتها.

وقد كان بين الحضور سعادة قنصل مصر في دمشق وعدد من النواب والزعماء والعلماء ورؤساء الأحزاب والشباب القومي، وعندما أعلن افتتاح هذا الاجتماع التاريخي وقف الجميع عندما عزف النشيد الملكي المصري فالنشيد السوري فنشيد سمو الأمير ثم نشيد فلسطين العربية. وقد تبارى الشعراء والخطباء والهتافات العالية كانت تتعالى إلى عنان السماء هاتفة بحياة ملوك وزعماء الدول العربية والأمين العام لجامعة الدول العربية وبحياة فلسطين حرة مستقلة وبسقوط قوى العدوان والاستعمار الأجنبي أيا كان نوعه وسقوط الصهيونية المجرمة.

وكانت أعلام الدول العربية ترفرف متعانقة وتصاوير ملوك وزعماء العرب هنا وهناك تبعث في النفوس نشوة النصر المؤكد لقضية العرب وسحق الصهيونية المعتدية»[1].

تهجيرهم من فلسطين :

لم يكد يكتمل قرن على بدء تهجيرهم من الجزائر عام 1847م حتى وجد الجزائريون أنفسهم يهجرون ويطردون من قراهم وممتلكاتهم في فلسطين اعتبارا من 15/ 5/ 1948م بعيد معركة الشجرة التي شارك فيها رجالاتهم لكنها حسمت لصالح العدو الصهيوني الذي بدأت عصاباته الإرهابية مثل الهاجانا وشتيرن وغيرها عمليات طرد وتقتيل واسعة ووحشية في الوقت نفسه.

---

(1) الجزائري، الأمير محمد سعيد: مصدر سابق عدة صفحات.

ووصل المهجرون الجزائريون حفاة عراة إلى شرقي بحيرة طبرية والحولة ونهر الأردن وجنوب لبنان، وصلوا إلى الأراضي السورية والأردنية واللبنانية، ولم يستقر بهم مكان، فمن قرية إلى قرية ومن واد إلى جبل، وكنت وقتها دون السادسة من عمري لكني مازلت أتذكر تلك الأيام الأقسى من جهنم من جوع وعطش ومشي على الأقدام ومبيت في العراء.. هذا العذاب الذي لم يخف قليلا إلا بعد سنوات حين ظهرت وكالة الغوث الدولية للاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة.. وبدأت الخيام تنصب لكنها سنوات زادت من عدد الأرامل والأيتام والثكالى فقد مات كثير من الرجال والنساء والأطفال بعوامل المرض والأوبئة والجوع والقهر النفسي أيضا.

تفرق جزائريو فلسطين في هذه الفترة ما بين الأردن حيث سكنوا منطقة اربد القريبة فالزرقاء وبعضهم وصلت بهم الهموم إلى عمان، وسورية حيث سكنوا الجولان والزوّية والسويداء وفي لبنان سكنوا الجنوب اللبناني خاصة منطقة صيدا وبعضهم وصل إلى بيروت.

غير أنهم كعادتهم سرعان ما أعادوا تجمعهم في مناطق رئيسية لهم. ففي سورية سكن قسم منهم بلدة الحمة الفلسطينية القريبة من سمخ والتي تمكن الجيش السوري من الحفاظ عليها وعدم تمكين العدو منها. وقسم آخر ساعدته الظروف الأسطورية ليسكن دمشق.

فبينما كانت الشرطة السورية تشرف على نقلهم إلى إحدى المخيمات في سورية، سمع الضابط حسين فرحات الجزائري الأصل بعضهم يتحدث باللهجة الشاوية فسألهم من أنتم فعرف أنهم من جزائريي هوشة الفلسطينية الذين تعود أصولهم إلى أم البواقي فأمر بنقلهم إلى ذات المكان

الذي استقبل آباءهم حين هجروا من الجزائر.. إلى رباط المغاربة في حي السويقة الذي تشرف عليه جمعية المقاصد الخيرية المغربي التي هو من مؤسسيها فاتخذت الجمعية قرارها بإسكانهم في غرف الرباط التي لاشك أنها أرحم من الخيام.

وأما أهالي قرية عولم الفلسطينية الذين تعود أصولهم إلى سور الغزلان فأرسلت لهم الصدفة الأسطورية ذاتها وزيرا في الحكومة الأردنية من مغاربة القدس يدعى خلوصي الخيري فأسكنهم مساكن مشروع جسر المجامع ومنحهم أراض زراعية حوله وأبقارا وأغناما مقابل سحب بطاقات الإعاشة التي وزعتها عليهم الأمم المتحدة.

ومشروع جسر المجامع، هو المشروع الذي يعرف باسم روتنبرج وقد أقيم على مصب نهر اليرموك في نهر الأردن بقصد توليد الكهرباء في فلسطين، ولم يكتمل المشروع لأنه كان في الأساس موجها لخدمة الحركة الصهيونية فقاومه عرب فلسطين، دون أن يتمكنوا من إيقافه.. وكاننت خدمات المشروع مثل المساكن العمالية قد أقيمت على الضفة الشرقية للنهر القريبة من بلدة الشونة الشمالية التابعة لمدينة اربد.. وهذه المساكن هي التي أعطيت لجزائريي عولم ومعظمهم من أولاد يونس من بلدة سور الغزلان.

وفي كل الأحول فإن هذه التجمعات في السويقة والحمة وجسر المجامع شكلت شيئا يشبه العنوان للمهجرين الجزائريين من فلسطين حيث بدت كجسور للتلاقي بين الأهل الذين تشتتوا من جديد.

وبقي الوضع في السويقة إلى الستينات تقريبا حيث ظهر مخيم اليرموك قرب دمشق وبدأوا يتجمعون من كل المناطق تقريبا باستثناء الحمة التي ظلوا يسكنونها حتى عام.1967 حين احتلت من جديد، وكذلك الأمر في

مشروع جسر المجامع الذى غادروه إلى اربد إثر القصف الصهيوني المركز عليه عام.1967 حيث كان منطلقا للفدائيين الفلسطينيين.

وقدم الجزائريون في سورية كل مساعدة ممكنة لإخوانهم الجزائريين المهاجرين من فلسطين، وخاصة في مجال الحصول على عمل وهنا يبرز دور الدكتور محمد المبارك الذي تعود أصوله الى دلس وكان وزيرا للأشغال العامة حيث وظف العديد منهم في أجهزة البلدية، إذ كانوا بالإجماع تقريبا لايجيدون غير الفلاحة فلا مهن ولا تعليم يؤهلانهم لأعمال أكثر مردودية.

لكنهم سرعان ما تداركوا هذا النقص واتجهوا إلى الحرف والتعليم ووصلت أجيالهم التي ولدت في دمشق إلى مستويات تعليمية عليا، وقلما تجد فيهم الآن من لايتقن حرفة أو حرفتين.

إنه يمكن القول أن المهجرين الجزائريين كانوا في الفترة التي أعقبت عام 1948 كمن فتحت عليه بوابات جهنم السبع.. ولعل الشيء الذي يحيي الذاكرة أن هؤلاء القوم وجدوا لديهم بعد سنوات روحا لتقديم أنفسهم إلى جبهة التحرير الوطني الجزائري ليتطوعوا كمجاهدين في صفوف جيشها حين طلبت ذلك، وأن يواصلوا العمل المسلح من أجل فلسطين في الوقت عينه أن يدشنوا افتتاحية المشهد الثوري الفلسطيني مع الاصرار على جزائريتهم.. كما سنرى بعد قليل.

العمل الفدائي 1948 - 1965 :

يبدو أنه إذا كان التاريخ الوطني الفلسطيني كجزء من حركة التحرر القومي العربي قد سجل للمهاجرين الجزائريين بصمت شرف أول صدام مع طلائع الاستيطان الصهيونى على أرض فلسطين في أوائل النصف الثاني من القرن الماضي، فإنه سجل لهم بصمت أيضا شرف بدء الكفاح

المسلح ضد العدو الصهيوني في العقد الخامس من هذا القرن قبل اعلان الثورة الفلسطينية المعاصرة عام 1965.

فلقد هجر الجزائريون من فلسطين ثانية عام 1948 وهم أشد فقرا من سائر الفلاحين الفلسطينيين لعدة أسباب منها:

1. أنهم - أصلا - أكثر فقرا من الفلاحين الفلسطنيين لقرب عهدهم بالهجرة (لم ينقطع سيل الهجرة الجزائرية حتى عام 1920 تقريبا) ولم تكن الفترة من عام 1852 حتى بداية عهد الانتداب البريطانى عام 1918 تساعد على استقرارهم الاجتماعي فضلا عن المادي.

2. كانت قراهم طوال عهد الانتداب البريطاني هي الأكثر تعرضا للمداهمات والتنكيل الانتقامي سواء من الجيش البريطاني أو عصابات الصهاينة على حد سواء.

3. كانت فلسطين كلها - وهم من ضمنها - واقعة تحت استنزاف وافقار مخطط مقصود عبر مجموعة من القوانين البريطانية الشكل الصهيونية المحتوى.

وحين تمت الهجرة من فلسطين في عام 1948 برز عنصر آخر جديد زاد في بؤسهم تمثل في عدم وجود أية امتدادات اجتماعية عشائرية أو سلطوية فاعلة يمكنها مساعدتهم على التخفيف النسبي من حجم الكارثة الواقعة بهم، فعائلة الأمير عبد القادر كان تأثيرها في أضعف حالاته. لكن مجموعة المهجرين من قرية هوشة بحيفا كانت تتحدث بلهجتها الشارية أثناء قيام الشرطة السورية بترتيب تنقلاتها إلى المخيمات -كما أسلفنا- فسمع ذلك الحديث الضابط حسن فرحات عضو جمعية المقاصد الخيرية المغربية الأصل فأسكنهم رباط المغاربة التابع لهذه الجمعية في حي السويقة بدمشق كما هو ثابت من محاضر هذه الجمعية التي لدينا.

وفي هذه الفترة البائسة ظهر من جديد عبد الرزاق بن سعيد، فبعد أن فشلت اتصالاته بالمهجرين منهم إلى شرقي الأردن اتصل بالمهجرين إلى بيروت ودمشق ليقدم لمجموعة المهجرين من هوشة باسم السفارة الفرنسية، باعتارهم كانوا حتى تلك اللحظة على التابعية الفرنسية ومعظمهم تعود أصوله إلى أم البواقي، عرضا لبيع أراضيهم في فلسطين أو تبديلها بأرض في البقاع اللبناني أو في الجزائر.

قام رجلهم المعروف حمادي ارغيس على رأس مجموعة منهم بالاتصال بوزارة الداخلية السورية «مؤسسة اللاجئين الفلسطينيين» وتحديدا بكل من المسؤولين سليم الياقي وموفق الجندي، وشرحوا لهما ما كان من أمر العرض والرفض وأبلغوهما بأن المهاجرين الجزائريين لا يتنازلون لا عن هويتهم الجزائرية ولا عن أراضييم في فلسطين.. فإذا كانت المسألة مسألة «هويتان»، فالوطن وطن واحد فنصحهما هذان المسؤولان بإبلاغ الرسول أنهم يطلبون العودة إلى فلسطين.. وطبعا كان ذلك طلبا مستحيلا وتم إثر ذلك تسجيلهم في مؤسسة اللاجئين الفلسطينيين التي أصبحت في وقت لاحق تابعة للأمم المتحدة، تسجيلهم كلاجئين فلسطينيين من أصل جز ائري ويعرفون بهذه الصفة حتى الآن.

ثم اتصلت مجموعة حمادي أرغيس بوزارة الدفاع السورية «فوزي القطب وبرهان بولص» ليفتح هذا الاتصال واحدة من أنصع صفحات التاريخ النضالي في المنطقة. فقد كان المهجرون الجزائريون قد بدأوا منذ عام 1948 بالتسلل إلى أراضيهم القريبة من الحدود السورية لاستخلاص ما يمكن استخلاصه من بقايا مزروعاتهم وأشيائهم أو حيواناتهم التي استولى عليها الصهاينة، ويعرضون أنفسهم لمخاطر شديدة، يدفعهم إلى ذلك البؤس الشديد من جهة وروح التحدي الوطني من جهة أخرى.

وكانت نتيجة اتصالات حمادي ارغيس وغيره من المهجرين الجزائريين بالمسؤولين السوريين أن تكونت فرقة العمليات للخارجية ثم كتيبة الفدائيين التي اتخذت من رسم القدس شعارا لها وكانت برئاسة الضابط أكرم الصفدي.

لقد بدا أبطال أفذاذ من المهاجرين الجزائريين من هوشة وديشوم وكفرسبت وغيرها، أمثال: حمادي ارغيس، إبراهيم بوزيد، عبد القادر ارغيس، عمر بوزيد، عمر العريفي، عبد الله الأخضر، مفلح سالم، وأبو علي الأخضر افتتاحية الكفاح الفلسطيني المسلح المعاصر، هذا الكفاح المجيد الذي ظهر - بعد ذلك مشهده الأول في تاريخ 1/ 1/ 1965 فقد نفذ أولئك الأبطال من المهجرين الجزائريين بصمت شديد عمليات بطولية مؤثرة في صفوف العدو.

لقد صنعت تلك العمليات الجريئة بداية التاريخ الناصع لحركة التحرر الوطني العربي في تلك الفترة، فمن جهة شدت تلك البطولات الجريئة غير المعلن عنها، من عزيمة الشعب الفلسطيني المكافح وأعادت له الثقة في نفسه، ومن جهة أخرى أفزعت إسرائيل، فاتخذتها ذريعة للاشتراك في العدوان الثلاثي على مصر وواصل هولاء دربهم النضالي حتى بدأت الفصائل السرية الفلسطينية. المسلحة بالظهور مما أفزع أيضا الدول العربية ودعاها - حسب أقوال أدبيات تلك الفصائل - إلى تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964 بقصد احتواء تلك الفصائل.

ولم يتوقف دور المهجرين الجزائريين من القرى الفلسطينية في الخمسينات عند هذا الحد، فإنهم في عام 1958 حين بدأ الغزو الامبريالي يعود إلى المنطقة من جديد من خلال نزول القوات الأمريكية في لبنان والقوات البريطانية في الأردن لبوا نداء الواجب القومي وعضدوا الفصائل اللبنانية المقاتلة ضد الانزال الأمريكى المؤيد للطائفية التي كان يتزعمها

آنذاك كميل شمعون، كما أنهم في ذات الوقت سجلوا أسماءهم في سجل المتطوعين حين طلب اليهم مكتبهم «مكتب جبهة التحرير الوطنى الجزائري بدمشق»، الذي قاده محمد الغسيري وعبد الحميد مهري، وظلوا في انتظار الايعاز لهم بالانتقال إلى الجزائر، الأمر الذي لم يتم.

إن مشهد المهجرين الجزائريين في خمسينات هذا القرن لايختلف كثيرا عن مشهدهم في عشريناته أو حتى في أربعينات القرن الماضي بقيادة أميرهم عبد القادر الجزائري.. فهم في كل هذه المشاهد يحاربون الاستيطان الأجنبي والامبريالية العالمية والمتعاونين معها، كانوا جزءا نشيطا من حركة التحرر العربي بل في طليعة المدافعين عن التراب العربي مغربا ومشرقا على حد سواء. وكان من الطبيعي أن يفقد المهاجرون الجزائريون وبصمت بالغ عددا من أبطالهم يستشهدون في الأرض الفلسطينية المحتلة أو يسجن بعضهم.

لقد تشكلت قوات العمليات الخارجية وكتيبة الفدائيين في معظمها من هؤلاء المهجرين الجزائريين، ويقول المناضل عمر محمد ارغيس مواليد «هوشة»، بفلسطين وأصله من أم البواقي في الجزائر وهو يروي لهذا الكاتب ذكرياته عن تلك المرحلة :

«كان العمل الفدائي في الخمسينات بقيادة كمال الدين رفعت – الوزير المصري وعضو مجلس قيادة الثورة في عهد الرئيس جمال عبد الناصر وذلك في منطقة غزة وأما في سوريا فبقيادة برهان بولص وأكرم الصفدي وهيثم الأيوبى، يجمع عددا من شباب المهاجرين الجزائريين سواء من حدود الأردن «الغور الشمالي» أو من لبنان أو من سورية أو من غزة. وقد اعتبرت «إسرائيل» تلك العمليات حجتها في الاشتراك في العدوان الثلاثي على مصر 1956 كما اعتبرت بريطانيا تأميم قناة السويس حجتها في ذلك واعتبرت فرنسا تأييد مصر للثورة الجزائرية حجتها للقيام بذلك العدوان.

لكن العمل الفدائي الفلسطيني والعمل التحرري العربي في المشرق أصيب بنكسة الانفصال في عام 1961 وقد سجنت لمدة 6أشهر بتهمة أنني «وحدوي» وكان ذلك من تاريخ 22 تموز - يوليو عام 1962 إلى تاريخ 10/ 12/ 1962 في سجن المزة بدمشق ثم القلعة.

وكانت الثورة لجزائرية قد أنجزت مهمتها بالاستقلال، وكنت على صلة بقيادة الثورة الجزائرية من خلال المبعوثين والزوار الجزائريين إذ قابلت عددا منهم مثل الكولونيل عمارة والكولونيل عمران والغسيري والهبري ومحمد القادري وغيرهم، وكنا ننسق معهم.

ثم التقيت الضابط الفلسطيني في الجيش العربي السوري أحمد جبريل، المتخرج حديثا من الكلية الحربية في مصر واتفقنا على تأسيس جبهة على غرار جبهة التحرير الوطني الجزائري أسميناها جبهة التحرير الفلسطينية وكان ثلاثة من سبعة في قيادة هذه الجبهة من الجزائريين.

أخذنا في تلك الفترة الحرجة (1962-1965 5) نتدرب في بيوتنا التي تراها أمامك هنا في حارة المغاربة - شارع بولعبد بمخيم اليرموك دمشق، هذه البيوت التي تضم معظم المهاجرين الجزائريين من هوشة وديشوم ومعذر وغيرهم من القرى الجزائرية العشر وتجمعات سمخ وطبريا وغيرها في فلسطين وقبائلهم من أولاد سيدي ارغيس - أم البواقي وأولاد سيدي عمر وأولاد سيدي خالد (منطقة البويرة) وأولاد سيدي عيسى (بلدة سيدي عيسى(المسيلة) وغيرهم، كنا نتدرب... وكانت أجهزة المخابرات العالمية والعربية بشتى أنواعها تخترق المخيمات بحثا عنا.. هنا في هذه البيوت الغارقة في البؤس، كنا نتدرب فلسطينيون ومهاجرون جزائريون لا فرق ورعتنا جميعا أمهاتنا وأخواتنا.

وكانت لهجتنا الجزائرية هي لغة الشيفرة التي يحذرنا بها أطفالنا حين يرون مشبوهين.. لقد كان ذلك ولايزال واجبنا، وفي أواسط الستينات ظهرت فصائل فلسطينية أخرى ومنها فتح التي دخلنا معها حوارا توحيديا لاعلان الثورة الفلسطينية المعاصرة حيث بدأت مرحلة جديدة في الكفاح الفلسطيني مختلفة تماما.

ويضيف عمر ارغيس:

كنا في ذلك الوقت «جبهة التحرير الفلسطينية وحركة فتح، قد خطونا خطوات وحدوية ومن بينها قيادة مرحلية مؤقتة أذكر أنه كان من بين اعضائها عثمان حداد وعلى بوشناق وأحمد جبريل عن جبهة التحرير الفلسطينية ويوسف عرابى وخليل الوزير «أبو جهاد»، وآخرون عن فتح، ولما لم يتم التوحيد ذهبت إلى الأخ ياسر عرفات في مقره السري آنذاك في منطقة الإزبكية بدمشق، وسألته عن توقف هذه المحادثات الوحدوية برفقة أحمد جبريل ويوسف طبل وفرج ارغيس، ففهمنا أن السبب يعود لاختلاف الطرفين حول البند المالي.

الثورة الفلسطينية المعاصرة 1965 - 1993 :

على كل حال فإن تعثر المحادثات الوحدوية لم يمنع أي طرف من الطرفين من مواصلة نضاله فأعلنت فتح الثورة في 1/ 1/ 1965 عبر عملية عسكرية قامت بها في عيليون، وأعلنت جبهة التحرير الفلسطينية الثورة في 1/ 4/ 1965 عبر عملية قامت بها في ديشوم إحدى القرى الجزائرية قرب الحدود اللبنانية وكذلك في عمليات عبر الضفة الغربية وقطاع غزة.

ويقول عمر ارغيس:

«وكنت أذهب سرا من سورية إلى الأردن، الضفة الغربية وتحديدا إلى منطقة الشونة الشمالية حيث جسر المجامع الذي يسكنه مهاجرون

جزائريون من أهالي عولم بفلسطين هاجروا إليها من سور الغزلان، وإلى جنين حيث المناضل الحاج وحش ارغيس الذي انتقل إليها من لبنان والذي كان يذهب سرا إلى فلسطين المحتلة عام 1948 وخاصة إلى منطقة الناصرة ومرج ابن عامر ويقوم بتنظيم الخلايا. إلى أن تم اعتقالي مع بعض إخواني المناضلين في الأردن لمدة 6 أشهر قضينا منها (45) يوما في سجن العبدلي و(20) يوما في سجن المحطة والباقى في سجن الزرقاء، أضربنا خلالها مرتين عن الطعام. الأول لمدة (9) أيام، والثاني لمدة (11) يوما، أعلنا خلالها طلبات سياسية كثيرة من بينها فتح الحدود العربية للعمل الفدائي الفلسطيني، وقد حكم علينا (دون أن نمثل أمام أي قاض أو أية محكمة) لمدة (6) أشهر، انتهت في نيسان -أبريل- عام 1966، حيث عدت لممارسة النشاط العسكري والقيام بالعمليات الفدائية مع بعض إخوانى في الجبهة، وفي نفس الرقت كان الأخوة في فتح يقومون بعملياتهم حتى نكسة حزيران عام 1967 وبعدها دخل العمل الفدائي والثورة الفلسطينة طورا جديدا وعلنيا».

ما أن حلت نكسة 1967حتى نهضت فصائل الثورة الفلسطينية المعاصرة وكان المهجرون الجزائريون قد انضموا بكثافة إلى جيش التحرير الفلسطينى الذي أسسته منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة أحمد الشقيري عام 1964 وبنفس الوقت يشاركون في عمليات هذه الفصائل السرية وأهمها في الفترة التي سبقت نكسة 1967 فصيلا فتح وجبهة التحرير الفلسطينية. وبعد 1967 ظهرت قوات الصاعقة وقد انضم إليها أيضا بعضهم سواء من الأردن أو من سورية أو من لبنان. كما بدأت بنفس الوقت حالات من الصراع والشرذمة بين هذه الفصائل التي كثرت وتوالدت توالد الأرانب، وانضمت جبهة التحرير الفلسطينية التي يتزعمها أحمد جبريل والتي يشكلون جسمها العسكري الأساسي إلى الجبهة الشعبية

لتحرير فلسطين بزعامة الدكتور جورج حبش ثم انفصلت جبهة التحرير الفلسطينية لتعرف باسم الجبهة الشعبية / القيادة العامة وظل أحمد جبريل على رأسها ثم انفصل قسم آخر من هذه القيادة العامة بزعامة أبو العباس وعاد إلى الاسم القديم جبهة التحرير الفلسطينية.

وقد ظل المهجرون الجزائريون في غالبيتهم يناضلون مع عدة فصائل مثل جيش التحرير الفلسطيني وشخصيتهم البارزة فيه الضابط عدنان العالم ومع قوات الصاعقة وشخصيتهم البارزة فيها الشهيد سعيد محاد وأما حركة فتح فشخصيتهم البارزة فيها الكاتب يحيى يخلف وأما شخصيتهم في الجبهة الشعبية / القيادة العامة فهو محمود قوجيل.

وشارك الجزائريون في عمليات الثورة الفلسطينية ومعاركها سواء داخل فلسطين المحتلة أو في الأردن ولبنان وقد قدما العديد من الشهداء والعديد من الأسرى أيضا.

ولعله من الطريف أن نذكر أن بعض هؤلاء المجاهدين وجدوا أنفسهم على أرض وطنهم الأم الجزائر حين تم نقلهم من بيروت عام 1982 وكأن التاريخ يأبى إلا أن يؤكد بأن الوطن واحد.

وقد شهدت هذه المسيرة الكفاحية منذ عام 1967 نفس ماشهدته المسيرة التي انتهت عام 1948 انضمام عدد من المجاهدين الجزائريين من الوطن الأم الجزائر إلى المنظمات والفصائل الفلسطينية واستشهدوا في إطارها وبعضهم من قدماء المجاهدين في الثورة الجزائرية نفسها. ولعل أشهرهم الشهيد أحمد بوديه الذي اغتالته المخابرات الصهيونية في أوروبا في السبعينات. عدا عن مشاركة الجيش الوطني الشعبي الجزائري في معارك 1967 و1973 وتقديمه الشهداء من مختلف المراتب.

وكان قد حدثني الدكتور علي زغدود الضابط السابق في جيش التحرير الوطني الجزائري أن بعض الفلسطينيين كانوا قد عملوا تحت امرته في هذا الجيش وبعضهم التحق بعد استقلال الجزائر وظهور الفصائل الفلسطينية.. بهذه الفصائل.. فهل هناك أبلغ من الدم دليلا على الوحدة.

ولعل تفاصيل هذه المرحلة واختلاط الدم الجزائري والدم الفلسطيني سواء عبر الجزائريين في الوطن أو في المهجر منذ الاستقلال وحتي اليوم هو في وثائق الدولة الجزائرية وأرشيفها الوطني، وسيكون جميلا لو أن مؤرخا أو باحثا جزائريا يقوم بدراسة هذه المرحلة خاصة أن الجيش الوطني الشعبي فتح مستودعات أسلحته للفلسطينيين وتم تدريب الآلاف منهم في معسكرات هذا الجيش فضلا عن المشاركة السياسية والاعلامية والدعم المالي الذي قدمته الجزائر. ولعله من الجميل أن نرى داخل المنظمة الوطنية للمجاهدين الجزائريين فرعا أو قسما للمجاهين الجزائريين في فلسطين سواء كانوا من الوطن الأم أو من المهجر.

الفصل الثالث

دور المهجرين الجزائريين في الحياة العقلية للشام

مدخل :

قام المهجرون الجزائريون بتتابع أجيالهم بدور واسع في الحياة العقلية للمشرق العربي بعامة والشام بخاصة، وهو دور مشهور ومعترف به من طرف جميع المصادر.

ففي هذا الدرر أخذ الجزائريون على عاتقهم مقاومة سياسة التتريك ونشر اللغة العربية على أوسع نطاق ممكن، حتى أصبح استعمال اللغة العربية في الإدارة التركية مطلبا سياسيا للأحزاب والقوى القومية، وقد نشروها على نطاق جماهيري واسع بعكس مافعلته الارساليات الأوروبية حيث حصرت اللغة العربية في النخبة المسيحية بينما أوصل الجزائريون اللغة إلى الأرياف في سورية وفلسطين ولبنان عبر المدارس الدينية والعصرية التي برعوا في تأسيسها.

كما أننا نجدهم في هذا الدور قد وقفوا في وجه البدع والطرق الصوفية التي كانت تخدم الاحتلال العثماني وليس الدين نفسه إذ لايمكن أحد أن ينكر أن الذي أدخل المفاهيم العلمية الحديثة والمفاهيم الوطنية على لدراسات الدينية هم الجزائريون من أمثال الشيخ طاهر الجزائري وبن يلس والهاشمي، بل أن الشيخ محمد المبارك وقف متحديا الذين ينادون بعم تعليم الفتاة وأسس مدرسة لتعليم البنات يدرس فيها إلى جانب الدين واللغة العربية علوم الرياضيات واللغة الفرنسية واللغة العثمانية أما الشيخ

طاهر الجزائري فهو الذي أقنع الوالي العثماني مدحت باشا بإدخال التعليم العصري إلى الشام فكانت مدرسة عنبر، وهو الذي أسس أول مكتبة وطنية وجمع الكتب والمخطوطات من المساجد والزوايا... ولا تزال هذه المكتبة قائمة إلى اليوم.

وقد امتد دور االجزائريين في الحياة العقلية للشام إلى تأسيس المدارس وتأليف الكتب في العديد من نواحي المعرفة التي كانت معروفة آنذاك.

تأسيس المدارس:

من الثابت لدينا أن المهجرين الجزائريين لم يضيعوا وقتهم، فمنذ لحظات وجودهم الأولى في دمشق بدأوا دورهم في المساجد ذاتها وفي المدارس الملحقة بها أو تلك المدارس والزوايا المنفصلة منها، ومنهم من كانت له أكثر من حلقة تدريس مثل الأمير عبد القادر الذي كان يعطي دروسا في المسجد الأموي وفي المدرسة الجقمقية وفي دار الحديث وفي منزله أيضا.

وقد شرع المهجرون الجزائريون في نفض الغبار عن تلك المدارس التي خلت من تلامذتها ومدرسيها بل وصارت تستعمل لغير أغراض العلم ومن أمثلة ذلك أن الأمير عبد القادر فض نزاعا كان قائما حول احدى المدارس التي اشتراها رجل نصراني وحولها إلى خمارة فاعترض شيخ يدعى يوسف المغربي فوقفت السلطة العثمانية إلى جانب الشاري رغم تهديد هذا الشيخ بالهجرة من البلاد إذا تم الأمر، فقام الأمير عبد القادر بشراء المدرسة من النصراني بأضعاف سعرها وأعادها مدرسة كما كانت وصار مدرسا فيها.

ومن الأمثلة المتأخرة أيضا أن زاوية الصمادية كانت قد تحولت إلى مخزن للتبن كما تعلمنا بذلك جريدة المقتبس فمنحتها السلطات العثمانية إلى الشيخ محمد بن يلس الذي أعادها مدرسة دينية تخرج فيها كثيرون.

لقد شمر المهجرون الجزائريون منذ لحظاتهم الأولى عن ساعد العمل فأحدثوا في دمشق ذلك الانقلاب الثقافي الواسع فقد تحلق الدمشقيون حول الشيخ محمد مهدي السكلاوي في الزاوية الخيضرية ومن بعد حول تلميذه محمد المبارك، وحول محمد بن عبد الله الخالدي في دار الحديث وأما الحاج محمد الخروبي القلعي والشيخ صالح بن أحمد السمعوني قد انتفع بهم خلق كثير.

لقد أعاد المهجرون الجزائريون الحياة إلى كثير من الزوايا كما أعادوا للمسجد دوره التعليمي كما في جامع الجراح بالحيواطية وجامع الدرويشية وجامع العناية وجامع البريدي وغيرها من الجوامع والمساجد.

ثم أسس محمد المبارك المدرسة الريحانية التي أصبحت احدى مدارس دمشق المشهورة وأخرى في الحيواطية فأضاف إلى ألقابه لقب ناشر العلم والتعليم وأسس ولده محمد بن محمد مبارك مدرسة النهضة العلمية الصباحية والمسائية التي كانت تدرس اللغتين الفرنسية والعثمانية والعلوم الحديثة جنبا إلى جنب مع العلوم الدينية وكذلك فعل سعيد الينيوي الذي قام بعمل جليل استفادت منه بلاد الشام كلها، فإنه لما آنس ذكاء بعض تلاميذه عمد إلى بيع بستان له في منطقة المجتهد وأرسلهم إلى استانبول فتخرج من بينهم علماء أفذاذ.

كما أن الشيخ محمد شريف اليعقوبي الذي أنشأ عدة مدارس في دمشق بالاشتراك مع آل مباوك مد نشاطه إلى بيروت ولبنان فبنى كثيرا من المساجد في العديد من القرى وخاصة جنوب لبنان وضواحي بيروت

وأقام ثانوية شرعية بقصد تخريج الأئمة وهذه الثانوية هي نواة جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية القائمة حتى اللحظة في بيروت وقد ساعده في ذلك بالطبع بعض رجالات لبنان وخاصة الشيخ القباني صاحب ثمرات الفنون. كما أن الشيخ الهاشمي فتح مدرسة الارشاد والتعليم وغيره كثير من المهجرين الجزائريين الذي فتحوا عدة مدارس.

وإذا كانت دمشق تحفظ للمهجرين الجزائريين جهدهم في إعادة الدور التعليمي للمسجد ونفض الغبار عن المدارس القديمة المهملة وتأسيس المدارس الدينية، فإن كتابها يفخرون ويعتزون بدور هؤلاء المهجرين في فتح المدارس العصرية الحكومية لأول مرة في تاريخ بلاد الشام، حيث يفتخر مؤرخو دمشق في القرن العشرين بالشيخ طاهر الجزائري الذي أقنع في القرن التاسع عشر الوالي التركى مدحت باشا بأن يعتمد عليه وعلى الجمعية الخيرية في دمشق بفتح المدارس ففعل الرجل الذي كان صدرا أعظم للسلطان عبد الحميد وكان إصلاحيا كبيرا، فاندفع الشيخ طاهر بتأسيس المدارس في كل من سورية وفلسطين وتغلب بحنكة وسرعة على كل المستفيدين من الجهل الذين عارضوا مشروعه خاصة بقايا تلك العائلات التي كانت تعارض مشروعه في نشر العلم بين الناس، فاستولى على كل الأبنية المهملة أو التي كانت مدارس فاستعملت لغير مابنيت له وأعاد لها دورها وفتح مدارس جديدة.

ورفد هذا الجهد بجهد آخر هو انجازه العديد من الكتب للتلاميذ وللمدرسين.. وإذا كان جهد الشيخ طاهر الجزائري في هذا الميدان عظيما ويبعث على الاعتزاز فإنه لم يكن بلا ثمن، لقد دفعت الأمة كلها ثمن هذا الجهد وأول الغارمين كان الشيخ نفسه فإنه لم يتمكن من إنجاز مؤلفات تتفق وغزارة علمه وقد قال عنه صاحب «نفحة البشام في رحلة الشام»

«الأستاذ الأوحد والعلامة الأمجد الشيخ طاهر أفندي الجزائري المغربي مفتش جمعية المعارف بولاية سوريا السنية حالا وهو من الذكاء والفطنة على جانب عظيم وبواسطته تقدمت المعارف والمدارس في الولاية إلى الغاية، فقد سعى في تمهيد طرق التعليم بأحدث الطرق السهلة في التفهيم حتى أنه جمع كتبا سهلة المأخذ من فنون شتى كالأدب والطبيعة والتاريخ وغيرها لتكون أقرب لفهم المبتدئين من التلامذة»[1].

وأعتقد أنه عليّ هنا واجب القول أن القرى الجزائرية في الشام (سورية وفلسطين) كانت قد استفادت استفادة هامة من حركة الشيخ طاهر الجزائري حيث أنه أسس في كل قرية منها مدرسة أغارت عليها السلطات بعده - خاصة السلطات البريطانية في فلسطين وأغلقتها في عملية لا تحتاج إلى كثير من الذكاء لمعرفة أسبابها...

وقد سار على درب الشيخ طاهر من بعده الأستاذ أحمد الهاشمي الذي نذر نفسه لعلم الرياضيات حتى سماه الأتراك أحمد جودت الرياضي أي أحمدالرياضي الجيد ونذر نفسه لتطوير وتوسيع وزارة المعارف السورية التي ظل أمينها العام ردحا من الزمن، وكان يرفض منصب الوزير الذي عرض عليه أكثر من مرة ليتمكن من مواصلة جهده وقد سميت احدى ثانويات دمشق باسمه ويقول عنه الفرفور في كتابه:

«عالم بالرياضيات، درّس بالمدارس التجهيزية بدمشق وتولى الأمانة العامة لوزارة المعارف السورية وتوفي في دمشق، ألف كتبا في الرياضيات بعضها وحده وبعضها مع زملائه وكان فيها مجليا وسميت المدرسة التجهيزية الكبرى بدمشق باسمه تخليدا لذكراه»[2]. وكان أحمد

(1) القاياتي، محمد عبد الجواد: نفحة الشام في رحلة الشام. بيروت 1995 ط1 ص.
(2) الفرفور، د. عبد اللطيف: أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري. دمشق 1987.

جودت الهاشمي من مؤسسي جمعية المقاصد الخيرية المغربية بدمشق وكان يتمتنى أن يعود للجزائر وهو على أرض الجزائر يحضر احتفالات الاستقلال الأولى يقول القاسمي:

«كان أعظم مثال للمجد الكامل وما كانت الرياضيات التي قضى معظم حياته يدرسها، هي التي فرضت عليه هذا الجد الذي خلق منه، والجبلة التي ركب منها، عاش للعلم وحده، ولم يعرف عنه لهو، وربما لعب الشطرنج أحيانا[1]».

ويجب أن نذكر هنا بحروف ساطعة أن أحمد جودت الهاشمي بعد تخرجه رفض العمل في استامبول وأصرّ على دمشق، وكان ضد سياسة الدولة العثمانية في إبعاد الكفاءات عن دمشق، فأرسلته إلى بيروت كنوع من العقوبة، فدرس في مدرسة المقاصد الخيرية، ثم في مدرسة الصلاحية بالقدس في فلسطين، وأخيرا عاد إلى دمشق بعد انحسار الحكم التركي وصار مدرسا فمديرا لمكتب عنبر (المدرسة الثانوية الوحيدة بدمشق آنذاك) وحين وضعت فرنسا مناهج وزارة المعارف وألغت تدريس الرياضيات باللغة العربية وفرضت تدريسها بالفرنسية بدعوى أن للغة العربية ليست لغة علم، وتفتقر إلى المصطلحات الرياضية (نفس مقولاتها في الجزائر) قام بتوجيه ضربة ساحقة لهذا التوجه الفرنسي، فألف كتب الرياضيات باللغة العربية، واستعاد المصطلحات العربية القديمة في الرياضيات ونحت مصطلحات جديدة، فقوّض المساعى الفرنسية بفرنسة سوريا كما قوض الشيخ طاهر المساعي التركية بتتريكها، وكان عبد القادر المبارك قد عرّب مع آخرين المصطلحات الإدارية والعسكرية مع مطلع الحكم العربي في دمشق.

---

(1) القاسمي، ظافر: مكتب عنبر - صور ونكريات عن حياتنا الثقافية والسياسية والاجتماعية، بيروت 1964.

وكانت السلطات الفرنسية قد عيّنت أحمد جودت الهاشمي مديرا للمعارف في أواخر حزيران 1942 رضوخا لمطالب المدرسين السوريين الذن شنوا اضرابا. وقد لقي تعيينه في هذا المنصب صدى واسعا من الارتياح، كما نشرت ذلك صحف دمشق مثل الإنشاء والأيام تاريخ 27 حزيران 1942. وحين وفاته ابنته دمشق كلها وعلى رأسها وزارة المعارف كما نشرت صحف الفيحاء والمنار وغيرها بتاريخ 29/ نيسان/ 1955وفي تواريخ لاحقة نبذات عنه. كما أبّنه الشعراء، وقرر مجلس المعارف الأعلى بقراره رقم 335 تاريخ 5/ 4/ 1955 إطلاق اسمه على مدرسة التجهيز الأولى والتي كانت «مكتب عنبر» في العهد التركي وكان مديرها في العهدين، ليصبح اسمها «ثانوية جودت الهاشمي» ونشرت جريدة البعث بتاويخ 28/ 11/ 1965 ذكريات لأحد المثقفين السوريين د«صميم الشريف» عن المواقف الوطنية لأحمد جوت الهاشمي ضد الاحتلال الفرنسي.

ولأن هذه الامة العربية أمة واحدة تشاء الأقدار أن يلتحق خلال الثورة الجزائرية ومطلع الاستقلال، تلامذة جزائريون بهذه الثانوية التي حملت اسم الجزائري أحمد جوت الهاشمي، ومنهم صديقي المهندس الجزائري محمد حسن طولبي وصديقى الأستاذ علي بوصبيع.

ويتحدث القاسمي في كتابه «مكتب عنبر» عن أساتذته في هذه المدرسة ومنهم من الجزائريين عدا عن أحمد جودت الهامشي مدير المكتب محمد علي الجزائري المهجر الجزائري الذي شغل كما يقول القاسمي منصب وزير للمعارف في أفغانستان ويقول أنه كان أيضا عالما بالرياضيات، وخاصة منها الجبر القديم ومنهم الشيخ عبد القادر المبارك

الذي تعرفه دمشق كلها[1]. وأود أن أتساءل ألا يثير وجود وزير معارف جزائري في أفغانستان روح البحث عن البعض؟

لقد أسس المهجرون الجزائريون الكثير من المدارس من جهة وامتهنوا مهنة التدريس الحكومي والديني في العديد من المدارس والجهات. وأما في حي السويقة - بعد حي الحيواطية - فقد أسسوا في رباط المغاربة التاريخي الذي كان مقر اجتماع الأمير عبد القادر بهم، مدرسة دعوها مدرسة ابن خلدون وكانت تشرف عليها جمعية المقاصد الخيرية المغربية وتمنح التلاميذ الفقراء الكتب والملابس وقد تخرج منها عدد لابأس به من التلاميذ الذين أكملوا دراساتهم العليا في الخارج وصاروا من رجالات سورية المعروفين.

كما تجدر الاشارة إلى أن تعليم الفتيات في سورية إذ انطلق من مدرسة محمد المبارك «النهضة العلمية» فإن السيدة عادلة بيهم الجزائري زوجة حفيد الأمير (مختار بن محمد بن عبد القادر الجزائري) هي التي رسخت هذا الخط في مدرستها «دوحة الأدب» وتعتبر عادلة من رواد الحركة النسائية الوطنية في المشرق العربي وقامت بدور سياسي في هذا الميدان في المؤتمر النسائي العربي[2].

وأعتقد أن علي في هذا المكان أن أشير إلى جهودهم في نشر المعرفة الدينية من خلال مئات الكتب والرسائل الدينية التي أصدروها والتي لم يجمع الكثير منها بعد ولكن بين أيدينا مجموعة مهمة من الكتب المطبوعة ففضلا عن كتب الأمير عبد القادر نفسه مثل المواقف، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، المقراض الحاد، هناك كتب محمد المبارك منها نظام الاسلام، والفكر العلمي، الفكر الاسلامي الحديث، وكتب جواد المرابط منها: التصوف والأمير عبد القادر، فتوى الفندلاوي وفقهها، المختار من

---

(1) نفسه.

(2) تقديرا لهذه المرأة أطلق إسمها على إحدى مدارس دمشق.

أحاديث سيد الأبرار، وهناك قائمة كتب إبراهيم اليعقوبي ومخطوطاته.. وسأشير إلى كتب هولاء وغيرهم في فقرة لاحقة.

أما في فلسطين، فقد عمدت - كما أشرنا - سلطات الانتداب البريطاني إلى اغلاق المدارس الابتدائية التي افتتحها الشيخ طاهر الجزائري إبان ولاية مدحت باشا في القرى الجزائرية في الجليل، فعمد الجزائريون إلى أن يظل المسجد فاتحا أبوابه يستقبل التلاميذ على مدى النهار فتدخل مجموعة من التلاميذ مع معلمها فتنصرف المجموعة التي سبقتها، وقد نجح هذا الأسلوب في التقليص من أمية الحرف المطلقة بين جزائري فلسطين قياسا بمن جاورهم من القرى الفلسطينية في تلك الفترة.

لقد توارث المهجرون الجزائريون حب العلم والتعليم ولايزال للمدرس عندهم بقايا من حظوة يفتقدها المدرسون اليوم في الشرق العربي كله لذلك رأيناهم يندفعون بحماس شديد نحو السفارة الجزائرية في دمشق اثر إعلان الاستقلال وبدء عملية التعريب وساعدهم في ذلك الديبلوماسي الجزائري محمد سعيد الشريف. وقد بقي كثير منهم في الجزائر باعتبارها الوطن الأم وبعضهم استعاد جنسيته الأصلية وعاد إلى أهله وذويه بعد طول شتات. إن رغبة الجزائريين في مهنة التدريس والدراسة تستحق في نظري أن تحفز وتستفز بشتى صنوف التحفيز والتشجيع والاثارة.. إنها صمام الأمان الأبدي لكل مجتمع ولكل فرد يريد أن يتطور شخصا ووطنا.. لقد فهم ابن باديس هذه الرغبة لدى شعبنا الجزائري فانظر ماذا فعل جزاه الله كل خير. ففى أوائل هذا القرن أتم في الجزائر الرسالة التي بدأها في الشام أواخر القرن التاسع عشر الشيخ طاهر الجزائري رحمهما الله. ولذلك يعد ابن باديس ثالث الثلاثة: محمد عبده في مصر والطاهر الجزائري في الشام وابن باديس في المغرب.

الآداب والتاريخ والعلوم الإنسانية :

كما يبرز دور المهاجرين الجزائريين في الآداب والعلوم الإنسانية في التاريخ حيث تذكر لنا المصادر أربعة من المؤرخين هم صالح السمعونى الذي لم أعثر بعد على كتابه في التاريخ الذي تحدث عنه البيطار، والثاني أحمد بن محي الدين شقيق الأمير عبد القادر الذي طبع له تاريخ عن «كيف دخل الفرنسيون الجزائر».

وأما المؤرخ الثالث وهو الأهم هو محمد بن الأمير عبد القادر الذي أنجز كتابا عن والده بعنوان «تحفة الزائر في تاريخ الجزائر ومآثر الأمير عبد القادر» وهو أحد أهم الكتب التي تؤرخ للأمير عبد القادر والمقاومة الجزائرية.

أما المؤرخ الرابع فقد برز في القدس وهو القاضي مجاهد مسعود مجاهد الذي اختص بكتابة تاريخ الجزائر خاصة خلال الثورة الجزائرية.

وكذلك يمكن بشيء من التجوز اعتبار الأمير محمد سعيد بن علي بن عبد القادر من كتاب التاريخ حيث أنه اهتم بإصدار كتاب عن والده الأمير علي ثم كتب.مذكراته التي عنوانها مذكراتى عن القضايا العربية التي صدرت في طبعتها الأولى ببروت والثانية في الجزائر.

أما الشخص الخامس والمهتم بجانب الآثار من التاريخ فهو الأمير جعفر بن الأمير طاهر بن الأمير أحمد والذي درس علم الآثار في فرنسا وتولى منصب مدير الآثار والمتاحف في سورية وقدم في ميدانه عدة دراسات آثارية واكتشف آثارا في تدمر وبصرى وأنشأ ثلاثة متاحف في دمشق وحلب وتدمر.

كما أنه حقق ونشر مخطوطا مهما هو «كتاب الدارس في تاريخ المدارس» للنعيمى.

وظل الأمير جعفر يشغل حتى وفاته عام 1970 منصب نائب رئيس المجمع العلمي في دمشق وأدخل إلى المجمع عدة اصلاحات تحدثت عنها الكتب التي تناولت تاريخ المجمع، قال عنه أحمد قدامة في معالم في أعلام:

«أنشأ متاحف دمشق وحلب وتدمر، وكشف خرائب تدمر، ومسرح بصرى، وقصر الحيرة العربي، ومثل سورية في موتمر الآثار الدولي في القاهرة، وترأس وفد المجمع العلمي الذي دعي لزيارة الاتحاد السوفييتي. من آثاره العلمية باللغة العربية دليل مقتنيات دار الآثار الوطنية بدمشق، تحقيق ونشر كتاب الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي في مجلدين، مقالات وأبحاث ومحاضرات كثيرة نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي وغيرها من المجلات العربية، ونشر معجما جغرافيا تاريخيا للقطر السوري»[1]. وله بالفرنسية عدة رسائل عن الآثار السورية والنقود الإسلامية وغيرها.. وكذلك الأستاذ هاني المبارك أستاذ التاريخ في دور المعلمين وثانويات دمشق والجامعات الليبية والسعودية، وكذلك محمد سعيد الشريف أبو يعلى الزواوي عضو جمعية العلماء المسلمين في الجزائر الذي كتب خلال وجوده في دمشق كتابا بعنوان «تاريخ الزواوة» وقد طبع الكتاب في دمشق سنة 1340هـ على نفقة أحد رجال الجالية الجزائرية فيها وكان الزواوي صديقا للشيخ طاهر الجزائري إذ يقول الزواوي:

«ولما اجتمعت به بمصر وسكنا معا مدة خمسة أعوام تقريبا كلفني بتحرير مقالات كثيرة وبتأليف في النحو وآخر في إلزام الشبان الأصحاب التدين وألح علي في إثبات مذكراتي ونظراتي في السياسة وكان معجبا بها

(1) قدامه، أحمد: معالم وأعلام، دمشق 1960، ط1.

شهادة الإخوان الشاميين والمصريين الذين هم بقيد الحياة، وكان يرسل إليّ شبان من تلاميذه وخواصه لتلقي المواعيظ والارشادات إلى غير ذلك»[1].

ولست أدري إذا كان من الممكن اعتبار الشهيد سليم السمعوني من المؤرخين، فبالإضافة إلى كتابه في المنطق فإنه دوّن تاريخا مخصوصا في حادثة رمضان الشهيرة بدمشق التي كاد يقتل فيها الشيخ رشيد رضا حيث يقول صاحب منتخبات التواريخ: «وقد دوّن لهذه الحادثة أحد الأفاضل سليم بك الجزائري تاريخا مخصوصا بها وطبعه في مصر..»[2]. غير أني لم أقف على هذا التدوين بعد.

كما يبرز الشيخ محمد الهاشمي في مؤلفاته الدينية مثل معراج التشوف إلى حقائق التصوف، ومفتاح الجنة في شرح عقيدة أهل السنة، وشرح شطرنج العارفين للشيخ محى الدين بن عربي، أما الشيخ إبراهيم اليعقوبى فقد ترك مكتبة كاملة في المؤلفات الدينية واللغوية إذ بلغت كتبه المطبوعة حوالي عشرة كتب بين مؤلف ومحقق ومثلها في الكتب المخطوطة وقد أوردناها في فهرسته.

وأما في القصة القصيرة والرواية فقد برز منهم السيد يحيي يخلف حيث قدم في القصة المهره، نورما ورجل الثلج وقدم في الرواية «نجران تحت الصفر» «تفاح المجانين» وغيرها كما أنه أثرى الصحافة العربية بمقالات أدبية وسياسية كثيرة.

وكذلك كاتب هذا البحث الذي قدم في الرواية، «دلال عاشقة البحر والزيتون»، و «الرقص من أول السطر»، وفي النقد الأدبي قدم «الرواية العربية في الجزائر»، «الكتابة على جبين الشمس» - دراسة في رواية الحرب العربية 1967 - 1977 وغيرها.

---

(1) الزواري، أبو يعلى: تاريخ الزواوة.

(2) الحصني، تقي الدين: منتخبات التواريخ دمشق، بيروت 1974 ط 1.

وأما في مجال الشعر فيمكنني القول أن معظم المهجرين الجزائرين الأوائل وعلى رأسهم الأمير عبدالقادر هم من الشعراء الكبار وكذلك الأجيال اللاحقة.. مثل الأمير عز الدين الجزائري والأمير محي الدين[1] والشيخ طاهر الجزائري وغيرهم كثير.

على كل حال فإن هناك عددا من الأدباء شعراء وقصاصين ودارسين ينضوون في اتحاد الكتاب العرب بدمشق واتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين كأعضاء كاملي العضوية.

وفي الدراسات الفلسفية برز الدكتور أسعد عربي درقاوي المحاضر في جامعتي دمشق والجزائر ووزير الثقافة الأسبق في سورية حيث اهتم بالفلسفة الألمانية فأصدر دراسة في المعطى المحض في فلسفة برجسون وترجم له كتاب «المادة والمذاكرة»، وراجع ترجمة لكتاب «الفكر الألمانى».

وفي المنطق ترك الشهيد سليم السمعروني الجزائري كتابه في المنطق الموسوم (ميزان الحق).

الصحافة والفن والترجمة :

يعرف الباحثون في صحف بلاد الشام أن أقوى صحيفة عربية مناوئة للاستبداد التركي الطوراني كانت صحيفة المفيد التي أسسها الشهيد عبد الغني العريسي في بيروت تلميذ الشيخ طاهر السمعوني الجزائري، ويعرفون أن أبرز كتاب الافتاحية في هذه الجريدة كان الشهيد العقيد سليم السمعوني الجزائري.. ولم تكن افتتاحيات سليم السمعوني هي النشاط الصحفي السري الوحيد للمهجرين الجزائريين قد كان لهم نشاط صحافي سري وعلني دؤوب في العديد من صحف بلاد الشام.. لذلك ظهر منهم العديد من الصحافيين فالأمير سعيد مثلا اعتبر، مترجموه من الصحافيين ويبدو أن هذا الرجل الذي لم يفصح في مذكراته عن تفاصيل ومواقف كثيرة

(1) انظر صورة مخطوطة لإحدى قصائده.

في حياته، كان على صلة واسعة بصحفيي عصره ليس في الشام وحسب بل وفي مصر وبلدان المغرب العربي وخاصة الجزائر وكان يكتب المقالات في العديد من هذه الصحف، وهو بالمناسبة كاتب رفيع المستوى نظرا لثقافته العالية، لكن تصنيفه كصحافي جاء من تأسيسه للصحف فقد ورد في ترجمته في «من هم في العالم العربي» ما يلي:

(أصدر مجلة «الوحدة الاسلامية» التي راجت أعظم رواج في العالمين الإسلامي والعربي وقد صادرتها السلطة الفرنسية ببيروت بعد أن صدر منها عددان، وقد دلت على طول باع سمو الأمير في السياسة والأدب...)[1].

ويبدو أن الأمير سعيد كان هو المالك الفعلي لجريدة المهاجر حيث أشارت إليه في إحدى مقالاتها بعبارة «صاحب هذه الجريدة»، ومن المعروف أن الأمير علي والد الأمير سعيد هو الذي مول الجريدة وأسسها وإن كانت تعلن أن صاحب امتيازها ومديرها المسؤول هو محمد بن التهامي شطة الجزائري كما يتضح ذلك من معلومات العنوان الذي يذكر أيضا أنها جريدة يومية سياسية أدبية علمية تجارية فكاهية تخدم العثمانية والإسلام.

ومن المؤسف أنه ليست لدينا معلومات كافية عن هذا الصحفى محمد بن التهامى.

وقد ختصت اسبوعية المهاجر بالجالية الجزائرية خصوصا والمغاربة عموما فهي دائمة الإشارة إليهم، كما أنها ظلت على الدوام ترفع لواء القضية الجزائرية والوطنية، الجزائرية وهي بذلك سجل طيب ومصدر مهم عن أوضاع الجزائر من في المشرق ألعربي، وكذإ نضال وتطور الحركة الوطنية الجزائرية ولعلي أتمكن ذات يوم من تقديم دراسة ما عن هذه الجريدة، خاهمة وأنها كانت صدى للكفاح في الوطن الأم ضد فرنسا الاستعمارية.

---

(1) فارس، جورج : من هم في العالم العربي، دمشق 1957.

ومن الصحافيين الجزائريين المرموقين في بلاد الشام الصحفي سعيد بن قاسم الجزائري محرر عدة صحف في دمشق مثل: الاستقلال، الجزيرة، الأيام، القبس، الكفاح، النظام، النقاد، هنا دمشق، دمشق المساء، وعصا الجنة وغيرها.

وسعيد الجزائري إذاعي محترف كما هو صحفي محترف له عدة برامج إذاعية أسس عصبة الساخرين في الأدب الساخر، وكان يوقع بعض مقالاته باسم «جهينة» حينا و«س.ج» حينا آخر كما أنه قام بترجمة عدد من الكتب وألف أخرى[1].

ومن الصحافيين أيضا يحيى يخلف الأمين العام السابق لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطيني والذي نشر العديد من المقالات الصحفية ذات الطابع السياسي على الأغلب فضلا عن كتاباته الأدبية التي تحدثنا عنها.

ومن الصحافيين أيضا كاتب هذا البحث. وهناك الصحفي محمد بوغرة.

وفي المجال الاذاعي برز عدد من الاذاعيين بينهم عدنان الراشدي الذي تقلد منصبا هاما في الاذاعة السورية ومنهم عبد الهادي المبارك الذي عرفته إذاعات دمشق والجزائر ودبي وبغداد.

وأما على المستوى الفني فقد ظلت أمي تحدثني عن منشد جزائري مهاجر يدعى أحمد زروق كان يحضر لمنزل والدها ويقيمان مع المشايخ الأذكار الصوفية، وأن هذا الرجل كان صاحب صوت رخيم وصاحب براعة في الإنشاد الديني، ودلتني على منزله قرب منزل أخواله آل مبارك في حي العمارة.. وظلت تملي علي بعضا من أناشيده التي تحفظها.. وبينما أنا أبحث في المصادر كعادتي في تدقيق معلومات والدتي عن المهجرين الجزائريين وجدت لهذا الشيخ الفنان أكثر من ترجمة في أعلام الأدب والفن وأعلام دمشق وغيرها فإذا به أستاذ للموسيقى في مكتب

(1) عياش، عبد القادر : معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين، دمشق 1985، ط1.

عنبر بدمشق وفي مدارس القدس حيث قضى أكثر من عشرين عاما يدرس الموسيقى في سورية وفلسطين، وأن شيخ الاسلام في الاستانة «أبو الهدى الصيادي»، استضافه لرخامة صوته لمدة شهرين من عام 1898 م.

وأما في ميدان التمثيل والمسرح فقد برزت الشقيقتان سامية وصباح الجزائري في التمثيل المسرحي التلفزيوني ولهما في ذلك شهرة خاصة مع الفنان السوري المعروف دريد لحام، حيث مثلت صباح مع دريد مسرحية كاسك يا وطن التي ضربت شهرتها الآفاق العربية كما تجدر الاشارة في ميدان الفن إلى المنتج السينمائي الشهير صبحي فرحات الذي أنتج الكثير جدا من الأفلام العربية ومنها محاولة لإنتاج فيلم عن الأمير عبد القار.

مخطوطاتهم وكتبهم المطبوعة :

تنقسم مخطوطات الجزائريين في الشام إلى قسمين رئيسين :

الأول : المخطوطات التي أتوا بها من الجزائر لمؤلفين جزائريين ومغاربة وأندلسيين كما يشمل هذا مخطوطاتهم التي كتبوها في الجزائر.

الثاني : المخطوطات التي اكتشفوها أو حصلوا عليها أو خطوها بأيديهم في الشام لمؤلفين مغاربة ومشارقة.

أما كتبهم المطبوعة فهي تتقسم إلى أقسام ثلاثة :

الأول : ما ألف وطبع ونشر في حياة مؤلفه.

الثاني : ما ألف ولكنه طبع ونشر بعد وفاة مؤلفه.

الثالث : الكتب الحديثة التي يتم نشرها الآن دون العناية بالمخطوط المكتوب باليد وذلك بعد انتشار الآلة الراقنة والطباعة.

ولا أستطيع الادعاء بأني أحطت بمخطوطا تهم سواء تلك التي ألفوها أو خطوها أو امتلكوها، وأعتقد أن باحثا متخصصا يمكنه الخروج بكتاب هام تحت عنوان «مخطوطات جزائرية في الشام» لو تتبع هذا الموضوع

بصبر وأناة فأنا أعلم أن احدى العائلات الجزائرية تمتلك مائة مخطوط.. قد تقبل أن تتخلى عن الحياة نفسها ولا تتخلى عن مخطوط واحد، منها.. كما أن الأمر يتطلب نوعا من الدقة، فكلمة مغربي مثلا الملحقة بأسماء.بعض المؤلفين... وإن كانت تعني على الغالب الأعم جزائري، فهناك بعض من المغاربة من مراكش وتونس وليبيا لهم إسهاماتهم الثقافية أيضا ويلحقون كنية مغربي بأسمائهم. كما أن الأمر يستلزم معرفة خاصة بالعلاقات الجزائرية وأسمائها ورغم ادعائي بمعرفة الكثير من هذه العائلات وتطور أسمائها إلا أن التحوط واجب خشية الوقوع في المتشابهات؟ إضافة إلى أنه ليس في الوطن العربي كتاب سنوي يصدر بانتظام عن إنتاج المطابع، تصدره جهة رسمية معتمدة.. بل إن مثل هكذا مطبوع يصعب الحصول عليه حتى عبر البريد الشخصي حيث الرقابة الصارمة على المطبوعات في الوطن العربي... فنحن في نظام عربي كل شيء فيه فوضى إلا القمع.

وحاولت متابعة قوائم المطبوعات التي تنشرها دور النشر الخاصة والعامة، غير أني اكتشفت أن بعض هذه الدور تسجل في تلك القوائم كتبا لما تنشرها بعد.

كما حاولت متابعة المخطوطات العربية .. لكن تلك المتابعة لم تكن انسيابية فإن موظفي البريد العربي يفتقدون كثيرا إلى الأمانة في الأداء الوظيفي.

كما أن بعض المثقفين الجزائريين لديهم من غزارة الانتاج بحيث يجب لن نخصص لهم دراسة خاصة مثل الشيخ طاهر الجزائري ومحمد المبارك والدكتور مازن المبارك وغيرهما.

كما أن هنأك مؤلفات لم أستطع العثور عليها فلم أستطع البت بأمرها هل هي مخطوطة أم أنها طبعت مثل مؤلفات الشيخ صالح السمعوني والد الشيخ طاهر الجزائري.

ولما كان الجزائريون قد لعبوا ذلك الدور السياسي والثقافي الهام في حركة التحرر القومي العربي، فلا شك أن مؤلفاتهم ومخطوطاتهم تعرضت لما تعرضوا له من تنكيل.. فإن أحدا حتى الآن لم يخبرنا أين ذهبت مكتبة سليم الجزائري الذي داهمت السلطات التركية منزله. بل وأين هي مكتبة الأمير عبد القادر الجزائري نفسه الذي داهمت تلك السلطات قصره في دمر فدمرته عامدة متعمدة ثم شنقت ولده الأمير عمر بطريقة واضحة الجبن!!. أن هذا الجانب في تدمير الأتراك للمكتبات في دمشق والأخص منها مكتبات الجزائريين لم يجد من يكتب عنه بعد، ويثبت أن المغول لم يكونوا وحدهم.. بل إن الكتاب الفرنسيين الذين «تفضلوا» بالكتابة عن الجزائريين في دمشق لم يتطرقوا إلى هذا الجانب خوفا من أن نسألهم عن مكتبة الشيخ محمد بن يلس وغيره من علماء دمشق جزائريين وغير جزائريين.. أن «السادة البيض» لم يكونوا أكثر شرفا من هولاكو.. وهنا أستطيع الادعاء بأنه انتابني ذات فترة هوس البحث عن مكتبات بالجزائريين، وبالطبع فإنه قادنى إلى البحث عن المخطوطات والمكتبات الإسلامية.. فوجدت أن بعض الجزائريين في جزيرة رودس اليونانية كانوا يرسلون بمخطوطاتهم إلى بعض أهلهم في دمشق.. ويبدو أن جهة ما أصدرت حكما بإعدام تاريخ الشام.. والشرق كله.. ومعه تاريخ المغرب.. لصالح«استحداث تاريخ آخر».. وكل هذا جزء من معركة شرفنا العربي الذي ألقي مرة في مياه دجلة ومرة في مياه المتوسط.

إن قصة مخطوطات الجزائريين في الشام تحفر الذاكرة وتعيد إليها قصة المخطوطات الأندلسية وهالعربية عموما.

لذلك كله ليس بالإمكان حصر مخطوطات الجزائريين وكتبهم المطبوعة حصرا إحصائيا دقيقا، واتباعا لقاعدة المثال يغني عن المقال، أقدم هنا بعض الأمثلة، وإذا كان الحكم على الشيء جزء من تصوره، فإن الأمثلة التي أوردها تساعد على الصور والحكم.

وفي آخر هذا الكتاب قائمة بعناوين بعض الكتب وأسماء مؤلفيها:

الفصل الرابع
الأموال الاقتصادية و المدنية
للمهجرين الجزائريين في الشام

الأحوال الاقتصادية:

أ- في العهد العثماني

كانت الأراضي التي منحتها الدولة العثمانية للمهجرين الجزائريين من الأراضي الخصبة لقربها من أنهر الأردن واليرموك وبردى وكانت في مساحتها أكثر من قدرتهم على الاستثمار.

لكن الدولة العثمانية - كلها - كانت متخلفة ولم تتطور الزراعة فيها منذ عشرات القرون، وبخصوص بلاد الشام فإن اقتصادها كان يتعرض لضرب مبرمج سواء من الآستانة أو الدول الكبرى.

غير أن إعفاء المهجرين الجزائريين من الخدمة العسكرية لمدة طويلة نسبيا، وابتعادهم عن الوظائف الحكومية أسهم في إبقاء الأيدي العاملة في الأرض.

لكن تخلف الزراعة وكثرة القلاقل في البلاد كانت عوامل تجعل هذه الجهود الفردية لاتعطي ثمرة كبيرة، أما حين يضطرب الموسم فالجهود تذهب أدراج الرياح.

وكانت عشرية 1870-1880 من أسوأ عشريات القرن التاسع عشر في المنطقة حتى أن حركة موانئ التصدير في بيروت وحيفا ويافا وصلت إلى أدنى حدها وفي العشريتين الأخيرتين من القرن التاسع عشر والعشرية الأولى في القرن العشرين بدأت الصراعات السياسية في الآستانة نفسها، وما أن دخلت العشرية الثانية وهي عشرية جوع في بلاد الشام حتى كانت الحرب العالمية، الأولى.

لقد كان من المؤكد أمام هذه الحقائق أن أعدادا كبيرة جدا من المهجرين الجزائريين ستموت جوعا.. لولا ذلك الموقع المتاز الذي اختاره الأمير عبد القادر بالقرب من تلك الأنهار.. لذلك فإن المجاعة التي ضربت المنطقة كانت أقل تأثيرا عليهم من غيرهم خاصة من مهاجري أوروبا غير أن معاناتهم الحقيقية بدأت مع الانتدابين الفرنسي والبريطاني.

ب- تحت الانتداب الفرنسي :

ضغطت فرنسا طوال احتلالها لسوريا 1920-1946 على الجزائريين وعموم المغاربة ضغطا اقتصاديا رهيبا بقصد تطويعهم وإجبارهم على تغيير مواقفهم ضدها.. فقد نشرت جريدة القبس الدمشقية (وهي غير المقتبس العثمانية) الخبر التالي :

«قابل وفد من المغاربة المقيمين في دمشق سعادة المندوب السامي نهار أمس وطلبوا منه ايجاد عمل لهم إما بالانخراط في الجيش واما بتوظيفهم حراسا في البلدية أو السماح لهم بالهجرة إلى تركيا التي تكرم وفادتهم على مايقال وتمنحهم الأراضي الزراعية، وقابلوا أيضا فخامة رئيس الوزراء في الموضوع نفسه».

ومن الواضح أن فرنسا زادت من ضغوطاتها الاقتصادية على الجزائريين وعموم المغار بة في سورية في أعقاب الثورة السورية الكبرى 1925-1927 بسبب مشاركتهم الواسعة في هذه الثورة فزادت حالات الفقر بينهم.

فأسسوا عام 1929 جمعيتهم «جمعية المقاصد الخيرية المغربية» التي ماتزال قائمة حتى الآن. ويظهر بيان تأسيس هذه الجمعية أن حالات الفقر هي من الأسباب الموجبة لهذا التأسيس.

وإلى ذلك الوقت كانت هذه الجمعية تستعين بالجزائريين في فلسطين للتبرع فترسل مندوبا كل عام ليجمع تبرعات عينية من المحاصيل الزراعية كما يتضح من رسالتها الموجهة إلى القنصل البريطاني في دمشق. كما يجمع تبرعات نقدية كما يتضمح من الجدول المثبت في تقريرها السنوي لعام 1931.

وفي خلال الحرب العالمية الثانية زار الجنرال ديغول كل بلاد الشام. ويبدو أنه تبرع لهذه الجمعية بمبلغ مائة ليرة سورية حسب نسخة الايصال الموجه إليه على شكل رسالة شكر.

غير أن الضغوطات الاقتصادية الفرنسية عليهم لم تنجح في تغيير موقفهم خاصة بالنسبة لمجموعة سكان دمشق.. لعدة أسباب من بينها اعتمادهم منذ 1847على أنفسهم وتوجههم نحو الحرف وليس نحو الوظيف العمومي إذ لجأ الجزائريون بعد الفلاحة إلى المهن، فعدا عن المهنة التي يقدرها الجزائري عادة حيث التدريس في المساجد «الطالب» كانت هناك مهنة تجليد الكتب التي كان يعتاش منها أبرز علمائهم مثل محمد المبارك، فهذا الرجل رغم مستواه العلمي والجهادي آثر أن يعيش من مهنته، ومحمد بن عبد الله الخالدي كان رغم توليه قضاء المهجرين الجزائريين يعيش من نسخ الكتب. لذلك فإننا نجد عددا كبيرا من مجلدي وناسخي الكتب في دمشق خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر هم من بين هؤلاء وتبرز هذه الحقيقة بمخطوطات مكتبة الظاهرية نفسها.

وقادت هذه المهنة إلى أن الأجيال اللاحقة تحولت إلى تجارة الكتب وإلى الطباعة، فظهرت مع مطلع القرن العشرين عدة مكتبات ومطابع في دمشق وبيروت يمتلكها أو يشارك فيها جزائريون، وحتى السنوات الأخيرة كانت عائلة شوبان المهجرة من منطقة البليدة ذات سمعة في مضمار الطباعة في دمشق.

أما مهنة التدريس في المساجد فأدت إلى فتحهم عددا من الكتا تيب في دمشق، والتي أدت بدورها إلى فتح المدارس العصرية على يد الشيخ طاهر الجزائري، فإن هذا كله أدى إلى أن تمتهن أعداد هائلة منهم مهنة التدريس في كل مستوياته، ولعل هذا هو الذي يفسر نسبة الأساتذة الجامعيين من أصول جزائرية في الجامعات السورية، ويمكن القول أن تطور التعليم في سورية فترة العشرينات حتى الخمسينات من القرن العشرين يعود في جزء كبير منه إلى أحمد جودت الهاشمي الينيوي الذي أدار مكتب عنبر أول مدرسة عصرية في دمشق والتي تسمى الآن باسمه (ثانوية جودت الهاشمي) وكانت هذه المدرسة أو المكتب قد أسست بجهود الشيخ طاهر كما بينا في بحث سابق وقد نشر تلميذان بارزان من تلاميذ هذه المدرسة كتابين عنها الأول كتبه ظافر القاسمي أحد رجالات القومية العربية باسم «مكتب عنبر» والثاني كتبه مطيع المرابط (وهو من أصل جزائري) بذات العنوان تقريبا وتحدث كل منهما عن الأساتذة الجزائريين الذين درسوه في هذه المدرسة.

ج- تحت الانتداب البريطاني لفلسطين :

أما الجزائريون في فلسطين، وخاصة في القرى العشر التي سكنوها، فقد ظلوا في عهد الانتداب البريطاني على فلاحتهم التي ازدادت تخلفا على تخلف، ولم يتح لهم أي باب من أبواب التطور، فقد أغلقت بريطانيا تلك المدارس الابتدائية التي فتحت في عهد الشيخ طاهر ، ولعل الذين تمكنوا من تعليم أولادهم في مدارس المدن كصفد وطبريا يعدون على أصابع اليد الواحدة..

أما الحرف والمهن فقد تعلم بضعة أنفار منهم مهنة سياقة السيارات أو الميكانيك وغيرها من المهن.. لكنها مهن لم تكن ذات مردود حقيقي يمكنهم من الانفصال عن الأرض ويحار المرء في تحليل هذه الظاهرة بينهم، فإن سياسة بريطانيا والحركة الصهيونية في فلسطين كانت ترمي إلى تشجيع الفلاحين الفلسطينيين للتخلص من أراضيهم عبر رفع الضرائب وخفض أسعار المحاصيل وفتح قنوات لأجيال الفلاحين الجديدة للالتحاق بالمدن واحتراف المهن الجديدة.. إلا أن هذه الحرف لم تظهر بين الجزائريين في فلسطين. كما أنه لم تسجل بينهم إلا حالات فردية نادرة بالالتحاق بالأجهزة العسكرية التي أنشأتها بريطانيا مثل «الشرطة» و«قوات الحدود».

د- بعد استقلال سورية ونكبة فلسطين:

حين أخرجت فرنسا من سورية عام 1946 كان الجزائريون فيها قد تمكنوا من الحصول على قسط وافر من التعليم ومن لم يتجه نحو التعليم اتجه نحو الحرف والمهن وساعد الاستقرار النسبي بعد 1927 الفلاحين منهم في غوطة دمشق وحوران على تحسين فلاحتهم وأما في حلب وحمص فقد بدأت تظهر عائلتا درويش والهواري كعائلتين صناعيتين - تجاريتين.

وحين هجر الجزائريون من فلسطين لم يجدوا بأيديهم بعد فقدان الأرض مالا أو مهنة أو علما يمكن أن يعتاشوا منها، وقد شكلت هذه الحالة إرباكا للوزير محمد المبارك وهو يسعى لتشغيلهم سواء في الوزارات التي شغلها (الأشغال، الزراعة) أو في الوزارات والدوائر الأخرى فلم يجد أمامه سوى تشغيلهم في البلدية بأعمال الطرقات وقد اعتبر ذلك في نظر غيرهم من الفلسطينيين الذين في نفس الحالة امتيازا يحسدون عليهم.

لكن هؤلاء الجزائريين المهجرين من فلسطين سرعان ماانتقموا من الزمان الذي وقف ضدهم نحو تعلم المهن والحرف ابتداءا من مهنة البناء

البسيطة ودفعوا بأطفالهم إلى مدارس وكالة الغوث وحصل عدد لابأس به من هؤلاء الأطفال في وقت لاحق على شهادات جامعية.

ولعل المرء هنا يعجب بقدراتهم المعنوية فإنه إذا كان حسين فرحات قد ساعد بعضهم في السكن برباط المغاربة ومحمد المبارك ساعد بعضهم في الحصول على عمل، فإنهم لم ينسوا أن يقوموا بواجبهم بعد اندلاع الثورة الجزائرية بالتسجيل فيها كمتطوعين أو بتقديم التبرعات. المالية لها عبر دار الجزائر كما لو ينسوا واجبهم في فلسطين وبدء أعمالهم الفدائية.

وما أن جاء عقد الستينات حتى بدأت الهوة بن جزائرى فلسطين وسورية تضيق.. وقد أتيح لعدد من المدرسين في هذه الجالية بشقيها المشاركة في التدريس في الجزائر بعد استقلالها وعلى رأس هولاء المدرسين الدكتور أسعد العربي الدرقاوي وزير الثقافة في سورية والذي درس سنوات في جامعة الجزائر وكذلك اتجه عدد مهم من الجزائريين لمهنة النسيج على الانوال وربما حتى مطلع الخمسينات كانت الانوال لما تزل منصوبة في حي السويقة، وتطورت هذه المهنة إلى تجارة الأقمشة والملابس وحتى الآن لاتزال أسماء الجزائري ملحوظة على محلات في سوق الحميدية وتفر عاته.

كما عمل الجزائريون ولايزال بعضهم حتى الآن في مهنة «التصفير» أي الطرق على النحاس وكثير من النحاسيات الشرقية التي تشتهر بها سورية اليوم هي من صنع هولاء أو ممن تتلمذ على أيديهم.

ولعل من المهن التي أثار اتقانهم لها دهشتي هي صناعة الحلوى، فمن المعروف أن الشوام أكثر شعوب العالم تفننا في فنون المطبخ ومنها الحلوى الشرقية ذات الشهرة الواسعة لقد دخل الجزائريون هذه المهنة وأتقنوها.. وكثير من محلات الحلوى تعود إلى هؤلاء، بل أن بشير شرفاوي يملك اليوم في قرية عالقين مصنعا للبسكويت يصدر منتجاته إلى أوروبا.

غير أن المهنة التي تخلب لب الجزائري إلى جانب مهنة «الطالب» مهنة «العسكرية» فرغم أن تركيا كانت تعفيهم من الخدمة العسكرية سنوات طويلة، ضمن سياستها لابعاد العنصر العربي عن الجيش، ورغم أنها لم توافق عام 1860 على تكوين فرقة عسكرية منهم، إلا أنه برزت منهم كفاءات عسكرية مرموقة في العهد العثماني مثل البكباشي «العقيد» سليم السمعوني الجزائري الذي هو حسب تعريفه بنفسه في مقدمة كتابه في علم المنطق الموسوم «ميزان الحق» مهندس أيضا وقد اخترع كما يقول آلة الفرجار اللطيفة.

وفي عهد الاستقلال السوري ظهر الضابط حسين فرحات ثم بزغ نجم اللواء «الجنرال» عبد الرحمن خليفاوي الذي تسلم رئاسة الوزراء مرتين، وكذلك برز الضابط عدنان العالم عدا عن المراتب العسكرية الأخرى.

ولعل من الملفت للنظر اليوم كثرة أعداد أصحاب المهن الرفيعة منهم جنبا إلى جنب مع أصحاب الحرف، فهناك عدد معتبر من الأطباء والمهندسين والمحامين بجانب عمال البناء والحرف الأخرى.

قائمة ببعض رجالات الجزائريين في الشام

سياسيون	محامون	صحافيون
عبد الرحمن خليفاوي	أنور بوكلي حسن	سعيد الجزائري
هشام المجد	أحمد الحسني	يحيى يخلف
محمد خير جزائري	محمد صهيب الجزائري	سهيل زرقين الخالدي
هشام جزائري	أسامة العربي	محمد أبو عزة
حسن جزائري	بشير جزائرلي	سعيد فرحات
	عمر جزائرلي	أحمد فرحات
	محمد قشطوني	مسلم جزائرلي
	ضرار رباح	صباح جزائري
		سامية جزائري
		تحسين جزائري

أساتذة جامعات	مهندسون	أطباء
مازن المبارك	محمد عبد الله الجزائري	عدنان جابر
هاني المبارك	موفق ساريح	جمال الدين جزائرلي
سعيد العربي	سامر سالم	محروس الهلالي
خالد جزائري	موفق فرحات	سمير سالم
زهير الهاشمي	نزار فرحات	ميهوب الأخضر
فاروق الهاشمي	هاني الهاشمي	زاهر المبارك
سمير سعيد العربي		أحمد خليفاوي
عيد يعقوبي		مولود المغربي
مظهر يعقوبي		هاني صالح
محمود قويدر		

تجار ورجال أعمال	موظفون كبار	وجهاء
صبحي فرحات	ممدوح المبارك	رابح مزيان
بشير شرفاوي	خليل محجوب	محمد سعيد يماش
محمد علي الجزائري	محمد جزائري	شريف جابر
سعيد فرحات	يحيى الهلالي	سعيد جمعة
تيسير شوبان	أحمد سهيل الضيل	سليم يعقوبي
بشير شوبان	مصطفى العالم	سعيد جزائري عماره
	عدنان علام	خليل فليس
	عدنان المبارك	حسن عكور
		الأخضر بن محمد بن يطو
		محمود أرغيس
		محمود كوجيل
		عمر أرغيس

الأحوال المدنية

أ- من الهجرة حتى الحرب الأولى:

دون ريب أن المهجرين الجزائريين وجدوا أنفسهم، خاصة مع تزايدهم، بحاجة إلى من يحل لهم مشكلاتهم ويتولى شؤونهم المدنية، وحل المنازعات بينهم، ولدينا وثيقة تقول أن الأخوين حسين وناصر من عائلة الكبير قد تنازعا فيما بينهما حول مبلغ من المال وتمت تسوية هذا النزاع باتفاق مكتوب وعليه شهود ومصادق عليه من الأمير عبد القادر شخصيا[1]. بل يلاحظ في وقت لاحق حسب الوثائق التي بين أيدينا أن هذه العائلة في التليل كان لها نشاط مشاغب، حيث أن هناك رسالة من

(1) انظر صورة الاتفاق ممهورا بخاتم الأمير من أوراقنا..

الأمير علي بن عبد القادر إلى زعيم هذه العائلة موسى الحاج حسين يوبخه فيها على موقف غير ودي من الدروز[1]. ورسالة أخرى من الأمير جعفر بن طاهر إلى نفس الشخص وشخص آخر يدعى سعيد عمر ينتقدهما فيها على الموقف اللاتضامني الذي يسود المهجرين.

ويبدو أن الأمير عبد القادر تنبه في وقت مبكر إلى ضرورة وجود قاض خاص بالجزائريين فأوكل الافتاء إلى السيد مصطفى التهامي وأوكل مهمة القصاء ثم الافتاء إلى السيد محمد بن عبد الله الخالدي حيث يقول صاحب حلية البشر في ترجمته للخالدي : «..وتصدر للإفتاء وفصل القضايا بين المهاجرين المغاربة بأمر سيدنا المرحوم الأمير عبد القادر الحسني» وقد توفي هذا الشيخ في أواخر جمادى الثانية سنة ألف ومائتين وثلاث وثمانين للهجرة أي حوالي 1882 للميلاد قبل الأمير عبد القادر بحوالي عام، فأمر الأمير بأن يتولى ولده محمد بن محمد بن عبد الله الخالدي هذه المهمة، التي ظل يشغلها الى أن قامت الحكومة التركية بالغاء منصب قاضي المهجرين ونقلت محمد بن محمد بن عبد الله الخالدي إلى معان. حسب جريدة الأمة[2]. وتقع معان جنوب بلاد الشام وليس فيها أي مهاجر جزائري وأوكلت إليه مهمة الافتاء والتدريس معا، وصرف الجعالات الشهرية التي كانت تسمى الصر، إلى القبائل البدوية التي كانت، تتعرض للقطار قبل هذه الجعالات. لكن الحكومة التركية حافظت على منصب الافتاء المالكي في دمشق..

وهكذا منذ مطلع القرن العشرين تقريبا بدأت ترد أسماء الجزائريين في دمشق كمتقاضين أمام المحاكم العثمانية فهناك وثائق عن منازعات دخل الجزائريون طرفا فيها مدونة في سجلات المحاكم الشرعية بدمشق

(1) انظر صورة رسالة من أوراقنا.

(2) يومية الأمة الصادرة في دمشق، عدد 45، بتاريخ 27/ 1/ 1910.

كالسجل رقم 1321 الذى اطلعنا عليه في دار الوثائق التاريخية بدمشق وغيره من السجلات المحفوظة في هذه الدار.

لكن الأمر لم يكن كذلك في القرى الجزائرية سواء في حوران أو الجليل ذلك أن الشيخ محمد بن عبد الله الخالدي ومن بعده ولده محمد اتخذا صفة القاضي الجوال. إذ ينتقل من مقره في دمشق إلى حوران فيقيم فترة في قرية عالقين وأخرى في قرية غباغب واتخذ في فلسطين قرية معذر في الجليل الأدنى وقرية التليل في الجليل الأعلى، فيأتيه الجزا ئريون ليوثق لهم بيوعاتهم وزيجاتهم وكل منازعاتهم وتقول نادية طرشون في ذلك :

« ولم يكن المهاجرون الجزائريون بحاجة للاتصال بالسلطات المدنية أو القضائية فكل معاملاتهم من زواج وطلاق وإرث وشراء وبيع كانت تتم برعاية الأمير عبد القادر وقد عين لهم هذا الأخير الشيخ محمد بن عبد الله الخالدي المالكي الجزائري ليتصدر للافتاء وفصل القضايا بينهم»[1].

وقد ظل أمر الجزائريين في هذه القرى على هذا النحو لايذهبون إلى القاضي العثماني سنوات أخرى بعد الاحتلال الفرنسي لسورية والبريطاني لفلسطين. وهكذا يمكن القول أنه ظلت للجزائريين شخصيتهم المستقلة عن السلطة العثمانية حتى مطلع القرن العشرين، وحافظوا على سلوك رفيع المستوى في التعامل اليومى والعلاقة مع المجتمع الشامي لكن مع تردي الأحوال الاقتصادية في الشام منذ مطلع القرن العشرين وكثرة أعداد المهجرين بدأت تظهر المخالفات الأخلاقية كالاعتداء على الآخرين، ويبدو أن بعض مرتكبيها ممن حملوا الجنسية العثمانية كانوا يدعون أمام الشرطة بأنهم تحت الحماية الفرنسية وأنهم يحملون جنسيتها حيث تورد جريدة المقتبس في باب أخبار الشرطة الخبر التالى:

(1) طرشون، نادية : ص 132.

«قبض على محمد سليمان الجزائري من محلة السويقة لجرحه أحمد بن إبراهيم السيد حوا بيده اليسرى وقد سلم إلى قنصلاتو فرنسا لأنه ادعى الحماية الفرنسوية فما لبث أن أعيد إلى الدائرة لأنه اتضح من البحث أنه عثماني»[1].

ومعروف أن الجزائريين انقسموا في الشام بعد وفاة الأمير من حيث الجنسية إلى قسمين قسم ظل على التابعية العثمانية حاذين حذو الأمراء محمد وعلي ومحي الدين وهو القسم الأعظم وقسم آخر تحوّل إلى التابعية الفرنسية حاذين حذو الأمراء الهاشمي وعبد المالك وغيرهما وهو القسم الأقل وقد أزعج ذلك السلطات العثمانية حتى أن جيشها الرابع كان يهاجم بين فترة وأخرى القرى التي فيها نسبة كبيرة من أصحاب هذه التبعية كقرية هوشة قرب حيفا حيث لدينا وثيقة هي رسالة بعث بها هؤلاء إلى الأمير مصطفى تفيد باقتحام الجيش العثماني والدرك لقريتهم واجبارهم القرية على إطعام العسكر وذبح الذبائح حتى «ضاقت به أحوال الموجودين في قرية هوشة والنسوان كلت وملت من الخبز (..) وما فضل في القرية شيء عند المهاجرين حتئ يقدموه لهم والشعير ذهب عليق إلى الخيالة وما بقى باليد حيلة حتى إذا طال المطال وبقي الأمر على هذه الأموال ترحل عن بكرت (كذا) أبيها» والرسالة مؤرخة حسب التقويم الميلادي الشرقي 18 ايلول (سبتمبر) 1325 وهو يوافق عام 1910 بالتقويم الميلاي الغربي[2].

ب- من الحرب الأولى حتى استقلال الجزائر :

وبعد الحرب الأولى ظهرت المملكة العربية وعاصمتها دمشق عام 1918 لحظة رفع الأمير سعيد الجزائري العلم العربي باسم الملك فيصل

(1) من الواضح أن فرنسا كانت تستغل موضوع «الحماية» في أكثر من موضوع.
(2) انظر صورة رسالة جزائريي هوشة إلى الأمير مصطفى.

بن الحسين وأنزل العلم التركي، وأعلن الحكومة العربية المستقلة، التي سرعان ما اغتالها لورنس وباسم الملك فيصل نفسه.

ولم تكن مشكلة جنسية المواطنين قد أثيرت في ذلك فالكل عرب من جهة، ومن جهة ثانية لم تتمكن هذة المملكة المؤيدة من جميع العرب من تنظيم أمورها ففقد كان الحلفاء جادون في تطبيق اتفاقية سايكس- بيكو وإقامة مجموعة من الدول في بلاد الشام.

ولهذا الغرض دخل الجنرال الفرنسي غورو عام 1920 دمشق محتلا بعد معركة يائسة في ميسلون، وبدأ الاحتلال الفرنسي يمزق سورية فيقيم دولة في الساحل السوري الذي كان قد احتله عام 1918 وأخرى في حلب وثالثة في دمشق.. لكنه فشل في ذلك فشلا ذريعا..

وخلال الثورة السورية 1925 - 1927 بدأ الاحتلال الفرنسي في ضبط الحالة المدنية.. ولم يفكر هذه المرة بجنسية الجزائريين، فقد انتهى أمرها كورقة يلعبها في وجه الأتراك العثمانيين. وقد أصبحت هناك جنسية سورية، كما وجدت جنسية لبنانية ومنذ عام 1924 ظهرت الجنسية الشرق أردنية، وفي عام 1922 بدأت بريطانيا بإبراز الجنسية الفلسطينية وهكذا وجد الجزائريون الذين كانوا عثمانيين حتى عام 1918 تفرض عليهم 4جنسيات جديدة لم يختاروها كما لم يختارها مضيفوهم وإخوانهم العرب الشوام.

لكن الذي يثير السؤال من خلال تفحصنا لسجلات 1926 التي قام بها الاحتلال الفرنسي في دمشق، هو وضع الجزائريين من حملة الجنسية الجزائرية الفرنسية. حيث سجلوا في سجل الأجانب دون أن يشار إلى أن جنسيتهم فرنسية وأما في فلسطين، فنجد حالة أخرى، فقد أقر الانتداب

البريطاني بجزائرية أولئك الذين كانوا عثمانيين، وبفرنسية الذين يحملون الفرنسية منهم..

وهدف البريطانيين والفرنسيين واضح، فهو حجب أية جنسية عن هؤلاء، واعتبارهم أجانب عن هذه البلاد، وصولا إلى مقولة الصهيونية أن فلسطين أرض بلا شعب، وأن معظم السكان من جهات خارج فلسطين، جزائريين، مصريين، لبنانيين.. الخ.

ولأن الخريطة الصهيونية لفلسطين كما ظهرت في المؤتمرات الصهيونية تشكل كل بلا الشام وجزءا من العراق ونجد وسيناء. ولما كان الجزائريون يسكنون وسط بلاد الشام حوران والجليل علينا أن نفهم أبعاد التلاعب الذي تعرضت له جنسيتهم، فالعثمانية انتهت، وفرنسا لا تعترف بجزائريتهم أو فرنسيتهم في سورية ولا تعترف الصهيونية بفلسطينيتهم في فلسطين.

لكن الوقائع أفشلت كل الخطط الاستعمارية في الايقاع بين الجزائريين والشوام، فقد التحموا جميعا كعرب وخاضوا غمار الحرب الضروس التي مازالت مشتعلة حتى الآن، وما أن أطل العقد الرابع حتى حمل الجزائريون في الشام جنسية الدولة التي سكنوها، وأما الجزائريون في فلسطين الذين يحملون الفرنسية، فقد أهمل كثير منهم هذه الجنسية بعدما رأوا أن السفارات الفرنسية تساومهم على أراضيهم في فلسطين، وفي عام 1950 تخلت عائلة الكبير عن جنسيتها وحصلت على الجنسية السورية بمرسوم جمهوري رقم 875 تاريخ 9/ 5/ 1950 ونشر في عدد الجريدة الرسمية رقم 27 تاريخ 18/ 5/ 1957 في الصفحة رقم 18230. وبعد افتتاح مكاتب جبهة التحرير الوطني الجزائري في المشرق العربى قدم الجزائريون أنفسهم إلى هذه المكاتب.

وكنت من بين المترددين مع كبار السن على مكتب الجبهة في عمان «جبل اللويبدة» الذي كان يديره الشيخ عبد الرحمن العقون، وكان يرأس المترددين شخص يدعى علي بوزيد لم يكن لديه أولاد، وفجأة رزق بولد فأسماه صلاح تيمنا باسم أحد أبناء الشيخ عبد الرحمن العقون نفسه. وأما في دمشق مركز ثقل الجزائريين فقد كانت دار الجزائر برئاسة ممدوح المبارك هي امتداد لمكتب جبهة التحرير الوطني الذي كان يديره الأستاذ عبد الحميد مهري كما تحدثنا في بحث آخر.

ويجب أن نذكر هنا بوضوح لا لبس فيه وباعتزاز عروبي وحدوي أصيل، أن سورية، على وجه الخصوص، سواء في عهد الاحتلال الفرنسي ممثلة بأحزابها الوطنية وطبقتها السياسية أو في عهد استقلالها ممثلة بحكوماتها وهيئاتها السياسية في مختلف المراحل لم تنظر إلى هؤلاء الجزائريين نظرة تختلف عن نظرة الشعب السوري نفسه، فقد عاملتهم كسوريين تماما واجبا وحقوقا بل أعطتهم أيضا حق الضيف. فوصلوا إلى أعلى المراتب، فبعضهم شغل أكثر المناصب في الدولة حساسة مثل منصب السكرتير السري لرئيس الجمهورية السورية ومنصب رئاسة الوزارة التي تقلدها لمرتين اللواء السيد عبد الرحمن خليفاوي وشغل قبلها منصب وزارة الداخلية ومحافظ حماه، وقبله شغل جعفر الحسني منصب محافظ السويداء وشغل مختار الجزائري منصب محافظ في شمال سورية وشغل محمد المبارك منصب وزارة الزراعة وكذلك منصب وزير الأشغال وشغل السيد أسعد العربي الدرقاوي منصب وزير التعليم العالي، ناهيك عن المناصب الأقل حساسية.

كما أطلقت أسماؤهم على عدة ثانويات مثل ثانوية جودت الهاشمي وثانوية الشيخ طاهر الجزائري وثانوية عبد القادر المبارك وعلى عدة شوارع مثل شارع عز الدين الجزائري..

كما أن عدة شخصيات منهم تترشح للانتخابات النيابية، فكان محمد المبارك عضوا شبه دائم في البرلمان السوري نائبا عن مدينة دمشق حيث ينتخبه أبناؤها وكان في أكثر الحالات من نواب المعارضة. وفي انتخابات عام 1990 ترشح منهم حوإلى 7 مرشحين عن مدينة دمشق وحدها، فالشعب الذي بايع الأمير عبد القادر ليكون ملكا عليه دون أن يقول أنه جزائري والشامي أولى منه، واصل المسيرة، والجزائري الذي اعتبر الشام جزءا من الجزائر واصل الطريق. فضرب الطرفان مثالا ساطعا وميدانيا على أن الوحدة العربية حقيقة لا تقبل التشكيك وأن الدولة العربية الواحدة من شنقيط حتى حضرموت آتية لاريب فيها، رغم سخافة الموقف الفرانكوفوني بعد استقلال الجزائر، ورغم سياسات أوروبا وأمريكا المعادية للوحدة العربية.

ومع استقلال الجزائر عام 1962 وتحول مكاتب جبهة التحرير الوطني الجزائري إلى سفارات، ورغم سيطرة الفرانكوفون على الإدارة في الوطن الأم، إلا أن الجزائريين في الشام اعتقدوا أن سفينة عودتهم إلى وطنهم الأم تستعد لنشر أشرعتها، أو هكذا فهموا بعض الاشارات، ومنها:

1- إشراكهم في الانتخابات الرئاسية عام 1963 وانتخابهم للسيد أحمد بن بللا الذي كتب ذات يوم إلى أمين سر جمعية دار الجزائر أحمد سهيل الفضيل بأن الثورة الجزائرية فخورة بما قام به الجزائريون في المشرق، كما أن مشاركة عدد من شخصيات الثورة الذين يعرفون جزائريي الشام ودورهم في الثورة، مشاركتهم في السلطة كانت سببا آخر يدعو إلى الشعور بأن سفينة العودة تستعد.

2- قيام السفارات الجزائرية بإحصاء أعداد وممتلكات هؤلاء ضمن وثائق رسمية صادرة عن السفارات في دمشق[1] وعمان وبيروت، وكنت من بين الذين أسهموا في إعداد الكشوفات للسفارة الجزائرية بعمان، رغم أن السفارات لم تقدم توضيحات حاسمة للقصد من هذه الاحصاءات، كما لم توضح من قبل القصد من إشراكهم في الانتخابات.

لكن معظم الناس اعتبروا هاتين الإشارتين كافيتين لحزم حقائبهم.. بل أن بعضهم لم ينتظر الاجراءات الرسمية وعاد إلى الجزائر ووصل إلى «الدشرة»، التي هاجر منها جده.

غير أن النكسة أصابتهم وهم في قمة الأمل ففي عام 1966 تم نقل رفات الأمير عبد القادر في احتفالات مهيبة من دمشق إلى الجزائر وكان وفد الجالية الجزائرية المرافق برئاسة حفيد الأمير عبد القادر الأمير سعيد بن علي بن عبد القادر، ويتكون الوفد في معظمه من أعضاء جمعية دار الجزائر. وقد أجرى الوفد محادثات مع حزب جبهة التحرير الوطني حول موضوع الجنسية ووافق الحزب - حسب تصريحات السيد أحمد سهيل الفضيل لهذا الباحث- على قرار لإعادة الجنسية لجزائريي الشام وأن تنفذه وزارة الداخلية التي وصل مندوب منها الفندق الذي يقيم فيه الوفد.. لكن وقت الزيارة انتهى وعادوا إلى الشام ولم تنفذ الوزارة قرار الحزب، بل ليس من المؤكد إذا ما صدر القرار ونشر عبر الطرق القانونية.

وهكذا تحول الانتظار الجماعي لسفينة العودة إلى عمل فردي باتجاه تحقيق هذا الحلم، وبدأت المحاكم في الجزائر تشهد قضايا مرفوعة من هؤلاء لاستعادة جنسيتهم الأصلية، وبدأ منزل خالي الشيخ أحمد الخالدي في حي عيشة بكار في بيروت يستقبل العديد من الجزائريين للحصول

(1) انظر صورة نموذج الإحصاء الذي قامت به السفارة الجزائرية بدمشق مع مطلع الاستقلال.

منه على تفاصيل وعناوين عائلاتهم في الجزائر باعتبار أن والده وجده كانا على التوالي يشغلان منصب قاضي الجزائريين في المشرق العربي وبالتالي لديه كثير من الوثائق والمعلومات التي يمكن أن تعين هؤلاء في الاتصال بجذورهم، وكانت حالتهم تشبه حالة عبيد أمريكا الذين يبحثون عن جذورهم في إفريقيا كما تحدثت رواية «الجذور» الشهيرة، كما نشطت مراسلات العائلات أصولا وفروعا.

وفي عام 1970صدر قانون الجنسية الجزائرية رقم 70 / 85 تاريخ 15/ 12/ 1970 وتتحدث المادة 32 عن إجراءات استرداد الجنسية الجزائرية الأصلية بالنص الآتي :

«عندما يدعي شخص الجنسية الجزائرية كجنسية أصلية يمكن إثباتها عن طريق النسب لوجود أصلين ذكرين من جهة الأب مولودين في الجزائر ومتمتعين بالشريعة الإسلامية. ويمكن أيضا إثباتها بكل الوسائل وخاصة عن طريق حيازة الحالة الظاهرة.

وتتضمن الحالة الظاهرة للمواطن الجزائري من مجموعة الوقائع العلنية المشهورة المجردة من كل التباس والتي تثبت أن المعني بالأمر وأبويه كانوا يتظاهرون بالصفة الجزائرية وكان يعترف لهم بهذه الصفة لا من طرف السلطات العمومية فحسب بل وحتى من طرف الأفراد.

إن الأحكام السابقة لا تمس الحقوق الناتجة عن اكتساب الجنسية الجزائرية بفضل القانون».

لقد شجعت هذه المادة وخاصة الجزء المتعلق منها بالحالة الظاهرة العديدين للذهاب إلى الجزائر وطرق أبواب القانون.

وقد شهدت المحاكم الجزائرية في العديد من المدن مثل: الجزائر العاصمة، تيزي وزو، البويره، سطيف، وهران، قسنطينة، تلمسان وغيرها دعاوى مرفوعة من أفراد من المهاجرين الجزائريين من سورية وفلسطين ولبنان والأردن لاسترداد جنسيتهم الأصلية، غير أن الغالبية منهم لم تتمكن من ذلك.

وقد لاحظ بعض الذين قابلتهم لفائدة هذا البحث ممن لم يكسبوا قضاياهم الملاحظات التالية:

1- أن التسجيل المدني لم يبدأ في الجزائر إلا في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وهكذا فإن الأمير عبد القادر الجزائري ومن هاجر معه وبعده ليس لديهم سجلات مدنية في الجزائر، فلا يستطيعون إثبات جزائريتهم عبر هذا الطريق، كما لم يستطعه أولئك الذين طالت عروشهم وقبائلهم أنظمة التفتيت الفرنسية.

2- أن أكثر المحاكم في الجزائر لا تأخذ في الحالة الظاهرة التي نصت عليها المادة 32 بل إنها تصر على ضرورة وجود السجل المدني «الدفتر الأصلي».

3- أن تغيرا في الألقاب حصل في العائلة الواحدة فباعد بينها. فالجزائريون في الوطن الأم تعرضوا لضغوط فرنسية أدت إلى تغيير الألقاب، والمهجرون إلى الشرق أضافوا إلى ألقابهم ألقابا تؤكد انتماءهم إلى الجزائر مثل الجزائرلي، الجزائري، المغربي ولم يكن الجزائريون في الوطن الأم بحاجة إلى مثل هذا التأكيد.. لذلك فإن الأخوين حملا لقبين مختلفين.

4- ثم أن الحياة خلال القرن ونصف القرن الماضي كانت في الجزائر وفي بلاد الشام حياة مضطربة مليئة بالحروب والاحتفاظ بالأوراق مسألة لا تبدو مهمة في نظر عامة الناس، كما أن انتشار الأمية، وسوء سمعة

عمليات التسجيل العثماني والفرنسي، وحدوث عدة هجرات داخل بلاد الشام أمور زادت المسألة تعقيدا.

5- أن المستوطنين الأوروبيين الذين طردوا وهجروا الآباء والأجداد وصادروا أراضيهم ونهبوا الوطن كله.. هولاء المستوطنون الأوروبيون الذين غادروا الجزائر لحظة نيلها الحرية عام 1962 وتخلصت من فظاعتهم ووحشيتهم، نجدهم يحاولون العودة إلى الجزائر ويدعون أنها وطن أباءهم وأنهم جزائريون، فهل يحق للمجرم أن يطالب بحقوق الضحية.. هل يحق لهولاء المستوطنين المطالبة بالجنسية الجزائرية والعودة إلى الجزائر ولا يحق للمهجرين الجزائريين؟

ومهما تكن درجة أهمية ملاحظات هؤلاء فإن بعضهم يواصل السعي لاسترداد جنسية الآباء الأصلية.

ويستخرج بعضهم نسخا من الدفتر الأصلى، ويحصلون على شهادات شرفية من قبل أقاربهم من قراهم الأصلية وعلى شهادات من السلطات المحلية في الشام، كما يحتفظ كثير منهم بشجرات نسبهم العائلي التي تذكر من أين هاجروا وإلى أين، كما أنهم كثيرا مايتحدثون حول هذا الموضوع مع الديبلوماسيين الجزائريين ويرفعون العرائض إلى السفارات بهذا الخصوص.

وصرح السيد رابح آمزيان مختار الجالية الجزائرية بمحلة السويقة المعروفة بدمشق لهذا الباحث فقال:

«كثيرا مايراجعني أشخاص من الجالية الجزائرية لإعطائهم شهادات بأنهم من أصول جزائرية وذلك حسب منطوق المادة 32 من قانون الجنسية الجزائرية والذي يتحدث عن الحالة الظاهرة ولما كنت بطبيعة

الحال كجزائري أعرف معظم العائلات الجزائرية ولها سجلات عندي، ولما كنت أحتفظ بسجلات العائلات الجزائرية العثمانية والفرنسية فإني أعتمد على هذه السجلات.

ويضيف السيد آمزيان:

وكثيرا ماحدثت السفراء المتعاقبين وكتبت إلى الجهات المختصة في الجزائر لحل هذه المسألة التي يزيد عمرها عن قرن. وكثيرا ماتستمزج السفارة الجزائرية رأيي في بعض الحالات.. ولكن المسألة لم تزل بحاجة إلى حل جذري».

وقد صرح لهذا الكاتب السيد محمد سعيد بن إبراهيم يمّاش - مختار قرية نوله الواقعة في الغوطة الشرقية بدمشق بقوله:

«منذ عام 1984 تقريبا بدأنا نعاني من مشكلة جديدة فنحن جزائريون وأوراقنا جزائرية، لكن منذ ذلك التاريخ لم تعد السفارة تجدد بطاقاتنا وجوازات سفرنا الجزائرية، مما عقد أمورنا في المعاملات اليومية ومعاملات البيع والشراء التي تحتاج لمثل هذه الأوراق.. ونحن لانعرف سببا لهذا التغيير في موقف السفارة علما بأن عددنا في قرية نوله (25) عائلة جزائرية».

وقد قام هذا الباحث بمراجعة السجلات العثمانية والفرنسية[1] التي تحدث عنها المختار رابح آمزيان وطابقها مع سجلات الجمعيات الجزائرية التي أنشأت في المنطقة، ومع كتب التراجم التي ترجمت للعديد من المهجرين الجزائريين، ومع الصحف التي أصدروها، وغير ذلك من مراجع وسجلات فخرج بانطباع يؤكد أن هذه القيود تشكل سجلا فريدا من نوعه ليس في حفظ أسماء عائلات وأفراد المهجرين فحسب، بل

(1) انظر صور هذين السجلين.

وفي إمداد الباحث بمعلومات قيمة عن سلوكهم الاجتماعى ووضعهم الاقتصادي. إذ بيّن السجل العثماني أماكن سكنهم في دمشق بأحياء مثل العمارة والحيواطية والسويقة وغيرها كما بيّن السجل انتقال بعض الأفراد من دمشق إلى مناطق أخرى مثل الآستانة أو فلسطين وبين رجوع بعضهم إلى الجزائر، وأما السجل الفرنسي فقد بيّن درجة ثقافتهم.. بل أن السجل العثماني بيّن في عدد من الحالات الزوجات والبنات، والخدم من الجزائريين في بيوت الميسورين مثل عائلة الأمير عبد القادر، كما تكررت أسماء بعض هذه العائلات في سجلات الحسابات والرواتب التي كان يوزعها الأمير عبد القادر والموجودة بعضها عند بعض أحفاده في دمشق.

وفي حدود معلوماتي فإن الجالية الجزائرية تعتبر في هذا الإطار هي الأكثر تنظيما من بين الجاليات التي وصلت إلى الشام خلال العهد العثماني حتى من بين الجاليات «المغاربية» الأخرى، وقد شعر كثيرون بالألم وهم يرون إخوانهم التونسيين والليبيين والمغاربة يستردون جنسيتهم، بل أن أول رئيس لوزراء ليبيا بعد ثورة الفاتح من سبتمبر 1969 هو السيد محمود المغربي من مواليد فلسطين ومهاجريها وظل الجزائريون على وضعهم، بينما عادت معظم الـ 174 عائلة ليبية التي كانت بينهم إلى وطنها بعد الاستقلال الليبي عام 1952.

كما آلمهم أن الحكومة الملكية المغربية أضافت إلى تسهيلاتها لإعادة الجنسية المغربية إلى مهاجريها مثل عائلة العلمي في فلسطين والكتاني في سورية أضافت محاولة تجيير نسبة «مغربي»، التي يتكنى بها معظم أهل المغرب العربى الكبير في المشرق لصالحها واعتبار الجميع من رعاياها واستعمال ذلك كورقة سياسية ليس في المشرق وحسب بل وفي المحافل الدولية وبالتالي الاستحواذ على كل التاريخ بما فيه الأمير عبد القادر

الجزائري نفسه الذي كان يوصف أحيانا بـ «المغربي»، وهكذا فإن شمولية «المغربي» تستعمل لأهداف تجزيئية تفتيتية غير وحدوية، وقد أسف هؤلاء الجزائريون لهذا الأسلوب وهم الذين يعتبرون أنفسهم من صناع استقلال المغرب، فعدا عن جمعية تحرير المغرب العربي فإن نضالهم مع علال الفاسي وعبد الكريم غلاب وقيادة حزب الاستقلال ليس أقل من نضالهم مع يوسف رويس والحبيب ثامر وقيادة الحزب الدستوري وكذلك قيادة الحزب الوطني في ليبيا.. والحركة السنوسية قبله، كما بينا في بحث آخر.

ومع كل محاولات الاستقطاب المغربية هذه، ظل جزائريو الشام يصرون على جزائريتهم بينما الإدارة الفرانكوفونية في الجزائر وضعت أصابعها في آذانها لئلا تسمع أصواتهم.. وأكثر ماكان يزعج الطرف الفلسطينى منهم، تلك الاشاعات التي كانت تصلهم من أن الرئيس هواري بومدين رحمه الله، هو الذي أمر باهمالهم حفاظا على القضية الفلسطينية، مع أنهم يعرفون أنه رحمه الله كان أكثر الناس اطلاعا على نضالهم وكفاحهم في فلسطين.

وقد ذكرت الصحف[1]. أن والد الشهيدة الفلسطينية - الجزائرية (من تلمسان) «دلال المغربي» كان طلبه باسترداد جنسيته قد أهمل.. إلى أن اسشهدت ابنته في تلك العملية البطولية الذائعة الصيت، وما أن علم الرئيس بقصة هذه العائلة المقيمة في لبنان حتى أمر بتلبية ذلك الطلب المهمل، وظل أفراد العائلة يقاتلون من أجل فلسطين بما فيهم شقيقتها رشيدة التي تحمل رتبة ضابط فلسطيني وكتب لها أن تعيش بهذه الصفة العسكرية فترة في الجزائر نفسها.. إن التضليل البشع الذي مارسته قوى الفرانكوفونية اضافة إلى الاهمال كان يزيد من عزم هؤلاء للحصول على جنسيتهم التي لم يتنازلوا عنها يوما.

---

(1) أنجزت رواية عن هذه الشهيدة بعنوان «دلال عاشقة البحر والزيتون»، طبعتها في الكويت ونفدت.

جـ- كيف أعيدت لهم الجنسية الجزائرية :

فى عام 1989 عين الصديق الأستاذ عبد القادر حجار سفيرا للجمهورية الجزائرية في دمشق، وفي أحد لقاءاتنا وتحديدا يوم 3/ 10/ 1989 عرضت عليه بعض ما توصلت إليه من البحث في تاريخ وواقع هذه الجالية وأن ما من شخص التقيته إلا وحدثني عن موضوع استعادة الجنسية الجزائرية فأبدى رغبة في الالتقاء بهم عله يجد طريقا لمساعدتهم.

وفي يوم الجمعة 6/ 10/ 1989 تم اللقاء في منزلي بحي التضامن بدمشق، وكان الحضور يمثلون السوريين والفلسطنيين من أصل جزائري، وعرضوا عليه مطلبهم باستعادة الجنسية الجزائرية الاصلية فأمر بتقديم عريضة إليه ليتمكن من رفعها إلى الجهات المختصة[1].

وفي يوم 20/ 10/ 1989 رافقته في زيارة إلى بيت الأمير عبد القادر في حي العمارة[2] وطرحت عليه فكرة أن تستملك الجزائر بيوت الأمير عبد القادر في دمشق وتحوله إلى متحف وأن تقام جمعية إنسانية وثقافية باسم الأمير عبد القادر فرحب بالفكرة أيضا ووعد بالسعي لتحقيق هذه الافكار بالرغم من أن الجزائر كانت تمر منذ اكتوبر 1988 بظروف غير مشجعة. وبالفعل فقد أقيمت الجمعية في مدينة معسكر بالجزائر.

ثم قابلت السيد عبد الرحمن خليفاوي رئيس الوزراء الأسبق في منزله بحي المزة بدمشق وطرحت عليه موضوعي الجنسية والاستملاك فلم يجد فيهما ما هو سلبي وفي 22/ 10/ 1989 قمت بتسليم العريضة[3]. إلى سعادة السفير عبد القادر حجار والمؤرخة في 11/ 10/ 1989

(1) انظر صورة محضر حول ذلك.
(2) تقوم هذه الجمعية بنشاط ثقافي هام أصبح معروفا في عموم التراب الوطني.
(3) صورة العريضة من أوراقنا.

والموقعة من طرف الأشخاص الذين تم اختيارهم لهذا الغرض في لقاء 6/ 10/ 1986.

وفي 11/ 12/ 1989 أبلغني سعادته أن على «الجالية» إرسال وفد لمقابلة رئيس الجمهورية السيد الشاذلي بن جديد والسيد وزير العدل، وأن على هذه الجالية اختيار أعضاء الوفد. وتم يوم الخميس 21/ 12/ 1989 اجتماع في منزل السيد علي بهلول في حارة المغاربة بمخيم اليرموك حضره مايزيد عن 50 رجلا وتم الاتفاق على أن يتكون الوفد من:

- ممدوح المبارك رئيسا- أحمد سهيل الفضيل- رابح آمزيان - سهيل الخالدي - عمر أرغيس.

وقابل الوفد سعادة السفير الذي طلب التريث بعض الوقت بسبب الأوضاع في الجزائر، وأثناء فترة التريث ظهرت سلوكات غير حميدة من بعض معتادي التشويش والذين لم يحالفهم الحظ يوم 21/ 12/ 1989 ليكونوا ضمن الوفد المقترح رغم محاولاتهم القوية للحصول على أصوات، لكن أحدا لم يستجب لمحاولاتهم تلك.

وعدت مجددا لاستكمال بحوثي هذه، وما إن شعرت بأنها صارت مهيئة للإعلان عنها حتى ودعت صديقى الأستاذ حجار وعدت إلى أرض الوطن يوم 1/ 5/ 1991 وبمساعدة فعالة من الأستاذ الصديق محمد الأخضر عبد القادر السائحي ومن الأستاذ الصديق محمد دحو من هيئة اتحاد الكتاب الجزائريين دعيت لإلقاء محاضرة عن الدور الثقافي للمهجرين الجزائريين في المشرق العربي حضره عديد من الشخصيات المهتمة مثل المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم/ والسادة الشيخ عمران ومحمد ملوح وقوبلت بنقاش أثرى معلوماتي، ونشرت جريدة السلام

مقابلة معي أعلنت فيها رغبتي بتدقيق معلومات الكتاب على الواقع في أرض الوطن.

واستدعاني السيد رمضان بودلاع مدير العلاقات الخارجية برئاسة الجمهورية وحدثته عن مشروعي هذا فشجعني على المضي فيه قدما.

وإلى ذلك كنت التقيت بالأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله حسب اتفاق في مراسلات بيننا وسلمته المخطوط لكتابة مقدمة وهو الباحث المعروف بدقته.

وواصلت طرح الموضوع برمته في عدة صحف أولاها جريدة الشعب حيث هاجمت أولئك الذين يسعون لإعادة «الحركة والأقدام السوداء» إلى الجزائر وتناسي الجالية الجزائرية في المشرق، كما دعتني جمعية الجاحظية الثمانية لإلقاء محاضرتين الأولى في قصر الثقافة والثانية في قاعة الموقار. ووصلت إلى الصحراء حيث استدعتني جمعية الأمين العمودي في الواد وألقيت أكثر من موضوع وفي أدرار جنوب غربي الجزائر ألقيت محاضرة وكذلك نشرت بحثا في مجلة الوحدة الصادرة في الرباط بالمغرب.

ومما كتبته في جريدة الشعب الخميس 1/ 8/ 1991 ضد محاولات عودة الأقدام السوداء ومجموعة الخونة (الحركة) وتناسي الجزائريين في المشرق العربي ما يلي :

«وإذا كان هؤلاء قد تحوكوا ووجدوا في الديمقراطية الجزائرية ثغرة ينفذون منها، فالسؤال هنا: لماذا لايتاح ذات المجال لمن هم أحق وأولى.. لأولئك الجزائريين الذين ماتوا واستشهدوا دفاعا عن الجزائر والوطن العربي والأمة الإسلامية.

في اعتقادنا أن جالية الأمير عبد القادر الجزائري في المشرق العربي أحق وأولى، فهي التي وقع عليها العذاب المباشر من قبل المستوطنين الأوروبيين والأقدام السوداء وصودرت أملاكها وأراضيها وتعرضت للتعذيب والتقتيل والنفي كباقي أفراد الشعب الجزائري وهي:

1- رفعت لواء القضية الجزائرية عربيا وإسلاميا وعالميا

2- قادت الكفاح ضد العثمانيين.

3- أقامت الجمعيات لنصرة الجزائر.

4 - أعلنت الكفاح في الجزائر والمغرب وليبيا وتونس.

5- أعلنت الكفاح ضد الفرنسين في سوريا.

6- أعلنت الكفاح ضد البريطانيين والصهاينة في فلسطين.

7- غذت الحركة الوطنية الجزائرية بمجموعات من الأبطال مثل الأمير خالد الهاشمي.

8- أسهمت إسهاما واسعا في الثورة الجزائرية 1954-1962 سياسيا وماليا و تنظيميا واعلاميا ولا تزال الوثائق، وثائق الثورة الجزائرية، تشهد بذلك.

9- أسهمت اسهاما تقافيا واسعا ولا تزال في الفكر العربي والانساني.

10- عاد البعض من أفراد هذه الجالية إلى وطنهم الأم الجزائر ولم يطالبوا بأية امتيازات سياسية رغم ماضيهم وماضي آبائهم المشرف، وبعضهم يعتبر من الإطارات العالمية مثل إدريس الجزائري وممدوح الحسني ومؤيد الدلسي وعشرات غيرهم عاشوا ويعيشون كالمواطنين الجزائريين.

11- أسهموا في توطيد العلاقة بين الجزائر والدول الأخرى عربية وغير عربية من خلال مواقفهم المتميزة كما هو الحال مع السيد عبد الرحمن خليفاوي الذي تبوأ منصب رئاسة الوزراء في سورية مرتين.

مع أن جالية الأمير عبد القادر الجزائري لم تتخل عن جنسيتها الجزائرية الأصلية لا كجمعات ولا كأفراد فالجنسيات التي تحملها الآن (سورية، لبنانية، أردنية، فلسطينية فرضت عليها فرضا بعد اتفاقية سايكس - بيكو فإن هذه الجالية آثرت بكل محبة أن تخضع لقوانين الوطن الجزائري الأم وها هي وزارة العدل وقصر العدل ومختلف المحاكم في مناطق الوطن تغص بملفات العائلات الجزائرية التي تطالب باسترداد الجنسية الجزائرية وتلاقي من العنت والتلاعب والمماطلة والاهمال الشيء الكثير..».

* * *

وهكذا بدأ موضوع الجالية الجزائرية في المشرق يستقطب اهتمام المواطن الجزائري خاصة، وأن السيدة باية الهاشمي أنتجت حصة تلفزيونية حول أوضاع الجالية في دمشق، أعلن الأشخاص الذين تحدّثوا فيها عن تمسكهم الشديد بجذورهم الجزائرية، وذلك في الوقت الذي كانت الأعاصير تعصف بهذا الوطن المجاهد.

ثم اتصل بي المخرج الجزائري عبد الكريم بابا عيسى، الذي كان يعد حلقات تلفزيونية عن جذور الصهيونية، واستطعنا معا أن ننجز عملا جيدا ضمناه دور الجزائريين في مكافحة العنصرية الصهيونية.

لكن الصحف الفرانكوفونية في الجزائر لم يرق لها هذا العمل، وخاصة صحيفة "لوماتان"، فهاجمتني بشدة، وكان الأستاذ الصديق عبد الله ركيبي قد بدأ ينشر أبحاثه حول "الفرانكوفونية"، وهي الأبحاث التي اشتملها

كتابه "الفرانكوفونية مشرقا ومغربا"، وفضح فيه موقف الفرانكوفونية من هذه الجالية وعدم ترحيبها بها كجزء من موقفها تجاه أهل المشرق العربي حتى ولو كانوا جزائريين.

ومما قاله د. ركيبي أن هذه الجالية «لو كان توجهها غربيا فرانكوفونيا لوجدت الامتيازات والترحيب مثلما وجدته الأقدام السوداء، ولكنها جالية عربية عاشت في أرض عربية وقاومت لمحتلين ووقفت مع ثورة نوفمبر بكل ما تملك، وشاركت في النضال العربي وفي النهضة الثقافية للأمة العربية، وهذا هو خطؤها الوحيد الذي لا تنساه لها الفرانكوفونية ولا حماتها في البلد الأصلي أو في الجزائر. فلو كانت جالية تدافع عن الفرانكوفونية والفكر الغربي لوجدت من يهتم بأمرها ويساعدها ماديا ومعنويا، ولكنها كما قلت جالية عروبية ووطنية وتاريخها مشرف للعرب عامة وللجزائريين خاصة»[1].

كما طرح الموضوع إذاعيا وتلفزيونيا في عدة مناسبات ومنها حصة تلفزيونية أعدها الزميل الأستاذ محمد فريد الأطرش بعنوان "أوراق مهربة من الذاكرة"، شاركت فيها إلى جانب سعادة سفير سورية بالجزائر الدكتور عبد الجبار الضحاك والمستشار الاقتصادي عدنان المبارك، وشاركت في هذه الحملة عدة صحف جزائرية، مثل الأمة، الشروق العربي، الإذاعة وغيرها.

لقد أخذ المجتمع الجزائري علما بموضوع الجالية وتبناه بحماس كما تبنته مستويات متنفذة في السلطة الجزائرية، وبدأت تطرح المسألة كإحدى القضايا الوطنية، فهذا الجزائري الذي في الخارج، أليس من الإنصاف أن يكون له مرجعية وطنية، سواء كان في كاليدونيا من سلالة الذين نفتهم فرنسا إثر ثورة المقراني سنة 1871 أو الذين في الشام موضوع بحثنا،

(1) د. عبد الله ركيبي: «الفرانكوفونية مشرقا ومغربا» - بيروت 1992، ط1، ص 208.

أو حتى الذين وصلوا إلى أمريكا وكندا وغيرها بعد الاستقلال.. فلماذا التركيز فقط على الجالية الجزائرية في فرنسا وتناسي غيرها.. وبدأت السلطة السياسية في الجزائر تنظر إلى موضوع الجزائريين في المشرق العربي والعالم بمنظار أوسع.

ويبدو أن ذلك لم يمر بالنسبة لشخصي دون مضايقات من طرف بعض الخلايا الفرانكوفونية، حيث ضويقت كثيرًا في عملي بجريدة "الشعب".. لكن لم يعد ذلك مهما بعد أن ساند قضيتي الشارع والقوى الوطنية الجزائرية برمتها.

وفي أواخر عام 1994 ذهبت في مهمة صحفية إلى الكويت وعين الأستاذ الدكتور عبد الله ركيبي سفيرا للجزائر في العاصمة السورية دمشق، والذي كان قد أشار في كتابه «الفرانكوفونيه مشرقا ومغربا» إلى موقف العداء المجاني الذي وقفه الفرانكوفون في الجزائر من هذه الجالية، ليس من حيث إعادة جنسيتها إليها وحسب بل حتى على صعيد الاستفادة الديبلوماسية من وجودها في قلب المشرق العربي ومن مؤهلاتها الثقافية، وكنا قد قبسنا في مواقع سابقة من هذا البحث فقرات من كتاب الدكتور ركيبي.

وهكذا ما أن عين ركيبي سفيرا حتى طرح الموضوع على السيد اليامين زروال رئيس الدولة آنذاك، وتم فتح الملف بشكل جدي وقام سعادة السفير بزيارة هؤلاء في بيوتهم، سواء في أحياء دمشق وحلب أو في القرى وأدار معهم حوارات واسعة كانت نتيجتها الفورية أن استعادت السفارة الجزائرية حيويتها ونشاطها اللذان كانا يميزان مكتب جبهة التحرير الوطني إبان الثورة المجيدة 1954 - 1962، خاصة وأن السفير فتح أبواب السفارة متجاوزا الأساليب البيروقراطية المعهودة.

وبخصوص الجنسية وموضوعها أمر السفير بتشكيل لجنة إحصاء أعداد الجالية، أشرف عليها مباشرة القنصل أحمد عماره.

وفي 16/ 5/ 1995 انتهى عملي في الكويت وحضرت إلى دمشق، بعد رسالة بالفاكس من سعادة السفير ركيبي واصطحبنى سعادته في 18/ 5/ 1995 إلى لقاء مع هذه الجالية في منزل أحد وجهاءهم بمخيم اليرموك وهو المربى العريق محمود أرغيس وتم في ذلك اللقاء تسليم سعادته السجلات الإحصائية لهذه الجالية وقد زاد عدد المسجلين عن أربعة آلاف شخص. وهنا نذكر أن استجابة الجانب الفلسطيني كانت أكبر من استجابة الجانب السوري.

ورفع السفير هذه السجلات إلى وزارة الخارجية الجزائرية التي كانت قد عقدت في النصف الأول من شهر ماي - أيار 1995 ملتقى للجاليات الوطنية في الخارج حضرها ممثلون عن الجالية الجزائرية في سورية ولبنان ممن يحملون الجنسية الجزائرية فعلا، وطرحوا خلال هذا الملتقى مشكلة إخوانهم الذين لا يحملونها، وأعيد طرح الموضوع على وفد المجلس الوطني الانتقالي الذي زار دمشق في اكتوبر 1995 وكتب عضو الوفد الشاعر عمر برناوي سلسلة من المقالات في جريدة السلام منبها إلى هذه الجالية.

ومع مطلع عام 1996 شكلت حكومة جديدة في الجزائر برئاسة السيد أحمد أو يحيى ظهرت فيها وزارة منتدبة للجاليات الوطنية في الخارج وشكلت لجنة تضم ممثلين عن الجهات المعنية في وزارتي الخارجية والعدل وغيرهما لمتابعة موضوع الجنسية هذا.

وبدأت في دمشق مرحلة ثانية وهى تسجيل الاستمارات وتعبئتها وتنظيمها حسب اقتراحات اللجنة المكلفة على مستوى وزارة الخارجية، وقد أنيطت

هذه المهمة في االبداية بمكتبي في دمشق لتنظيمها في الحاسوب، غير أنه ارتؤي في اللحظات الأخيرة أن تناط بمجموعة من المعنيين أنفسهم.

وقد استغرق إعداد هذه الاستمارات حوالي سبعة أشهر ومجموعة العمل كان حصيلتها حوالي 512 ملفا رفعها السفير د. ركيبي في أواخر شهر أبريل إلى وزارة الخارجية لتنظر في إعادة الجنسية الجزائرية لهاته العائلات.

وكنت خلال ذلك قد قدمت إلى القنصل معلومات مفصلة عن قرى وممتلكات الجزائريين بفلسطين وأنماط معيشتهم في تلك القرى حتى عام 1948 مأخوذة من أفواه كبار السن فيهم ومن وثائقي الخاصة، ومن المراجع الفلسطينية والبريطانية والإسرائيلية، وأشرت إلى الأمكنة التي توجد فيها الوثائق المتعلقة بهؤلاء سواء كانت في الأرشيف التركي أو البريطاني أو الاسرائيلي أو الأمم المتحدة نفسها وذلك حتى تكون الخارجية الجزائرية على إلمام واسع بوضعيتهم، وقد رفع القنصل هذه المعلومات إلى الخارجية الجزائرية كما أخبرني بذلك فعلا.

وأثناء هذه الفترة كان الأستاذ عبد الله ركيبي مهتما بجانب آخر من حياة هذه الجالية وهو جانب تراثها المادي والروحي. فحضرت في النصف الأول من شهر نوفمبر/ تشرين ثاني 1995 لجنة تمثل عدة جهات ثقافية ومالية وعاينت بيت الأمير عبد القادر الجزائري في حي العمارة الذي حمى فيه المسيحيين عام 1860، وقد رأت أن بعضه يشغله سكان اعتياديون وبعضه الآخر تشغله جمعية خيرية يرأسها السيد ممدوح المبارك الذي ترجمنا له في موقع آخر وكذلك عاينت قصره في دمر الذي بويع فيه سرا ملكا على العرب عام 1877، وكان أحد مراكز حركة القومية العربية مطلع هذا القرن حيث كان يشغله الأمير عمر بن الأمير عبد القادر. فقام والي دمشق «جمال

السفاح» بتخريبه وبشنق الأمير عمر بن عبد القادر في مطلع العشرية الثانية من هذا القرن (القرن العشرين)، وهو الآن عبارة عن منتزه سياحي لأحد المستثمرين الخواص، ثم تم استملاكه من طرف الحكومة السورية، وتولى الاتحاد الأوروبي ترميمه وتخصيصه كمركز للتنمية البشرية، وافتتح عام 2008 بحضور رئيس الحكومة الجزائرية أحمد أويحيى.

وقابلت اللجنه عددا من الوارثين والمالكين لهذه البيوت واستمعت إلى وجهة نظر سعادة السفير وأبلغنى رئيسها في مقابلة معه أن الحكومة الجزائرية مهتمة جدا بتوصيات السفير ركيبي لاستملاك هذه البيوت بصفتها تراثا ماديا للجزائر.

وفي جانب التراث الروحى كلفني يوم 9/ 3/ 1996 بتنظيم مكتبة في السفارة من تلك الكتب المهملة في مستودعها والتي علاها الغبار وبدأ يأكلها قمل الكتب، وقد قمت بالمهمة وتم انقاذ مؤلفات كبار كتاب الجزائر مثل أبي القاسم سعد الله، رشيد بوجدره، الطاهر وطار، مولود قاسم، محمد الأخضر عبد القادر السائحى، ولعله من الطريف أن اذكر أن الشخص الذي أمربإنشاء هذه المكتبة لم أجد له فيها سوى كتاب واحد، مما يدل في نظري على أن الدكتور ركيبي وهو صاحب التآليف الكثيرة، كان يفكر في غيره من الكتاب الجزائريين.

كما تم إنقاذ بعض الأطروحات والرسائل العلمية التي تقدم بها طلبة جزائريون في الجامعات السورية مثل جامعة دمشق وجامعة حلب ومنها أطروحات في الطب والكيمياء والجغرافية والتاريخ وكذلك بعض الحوليات.

ولما لم أجد من بين هذه الكتب أي كتاب يعود لمؤلفين جزائريين في دمشق، حيث لم تكن هناك أية نسخة من كتب د. مازن المبارك وهو الذي

له حوالى ثلاثين كتابا في اللغة أو لشقيقه المرحوم د. محمد المبارك الذي زادت كتبه المطبوعة عن العشرين أو لوالدهما عبد القادر أو جدهما محمد المبارك، كذلك لم أجد أي كتاب للشيخ طاهر الجزائري أو للشيخ إبراهيم اليعقوبى أو محمد الهاشمي التلمساني أو حتى للأمير عبد القادر نفسه، ولما كنت أعلم أين توجد كتب هؤلاء ومخطوطاتهم، بل والمخطوطات التي جاء بها أجدادهم من الجزائر نفسها أو تملكوها أو نسخوها هنا في الشام، قدمت اقتراحا لسعادة السفير بمحاولة الحصول على هذا التراث إما بالشراء أو بالتصوير فأنا أعلم مثلا أن مكتبة المرحوم الشيخ إبراهيم اليعقوبى تحتوي على مالا يقل عن مائة مخطوط سواء من تأليفه أو من تأليف غيره. وقد أبلغني سعادة السفير يوم 4/ 5/ 1996 أنه رفع إلى الخارجية الجزائرية توصية قوية لمنحه الاذن بالمضي قدما في جمع التراث الروحى لهذه الجالية.

وهناك جانب ثالث أولاه السفير ركيبى اهتماما كبيرا وهو جانب تنظيم هذه الجالية في المشرق تنظيما داخليا من جهة وتنظيما ينسق علاقتها مع الجزائر فحتى كتابة هذه الصفحات يسعى لتحقيق فكرتين في الجانب التنظيمي:

1- لجنة تضم ممثلين عن الجالية في كل المناطق دمشق، حلب، حمص وغيرها تتولى المسألة الداخلية.

2- رابطة أخوة جزائرية - سورية تهتم بالعلاقات الاقتصادية والثقافية بين القطرين الشقيقين.

ولابد من القول أن السفير د. ركيبى في هذا الجهة قد حقق الكثير في وقت قصير جدا، لكن ذلك لم يمنع بعض المعاناة، فقد ظهر بعض الأشخاص من ذوي التفكير العائلي المحدود والضيق وبعض الذين يسعون إلى المكاسب المادية وأخذوا يشيعون في أوساط الجالية إشاعات

تافهة، مثلا د.ركيبي يطرح موضوع الجنسية كتكتيك كاذب للحصول على أصوات لصالح السيد اليامين زروال في انتخابات16/ 11/ 1995. وللحقيقة أود أن أقول أنني كنت مقررا لمكتب التصويت الانتخابي، وكان السيد رابح آمزيان رئيسا له وكانت لدينا تعليمات واضحة من السفير والقنصل أن لا نسمح لأي خطا أو تدخل، وهكذا كنت كمقرر شديد القسوة في تسجيل الناخبين تدقيقا على السجل القنصلي، وقمت بتصوير كل ناخب تقريبا وهو يدلي بورقته من الصندوق، ولم يكن مطلق الاشاعة من بين المسجلين قنصليا وبالتالي لا صوت له.

وعند فرز الأصوات في ساعة متأخرة من الليل قمت شخصيا ورابح آمزيان نفسه أمام أعداد من الجالية بفتح الصندوق وفرزه ورقة ورقة وأبرقت النتائج فورا إلى المقر المركزي في القاهرة.

ودعانا السفير مع آخرين من الجالية إلى منزله في المزة لمشاهدة لحظة إعلان النتائج على التلفزيون الجزائري، وبعد المشاهدة قمت فورا رغم الإرهاق والقيت كلمة قصيرة لافتا النظر إلى أن ذات النتائج والنسب التي أفرزها الصندوق هنا، هي التي أفرزها الصندوق في الوطن الأم، فقد أعطى الجزائريون هنا أصواتهم بالترتيب إلى زروال، نحناح، بوكروح، د. سعدي. وبذلك ألجمت الحقيقة أولئك النفر من ضيقى الأفق ومطلقي الاشاعات وعلى رأسهم في الشام المدعو سعيد السعدي. وحتى هذه اللحظة التي أدون فيها هذه الواقعة لايعلم السفير ولا القنصل مصدر الاشاعات والمتاعب التي كنا نصدها خدمة للوطن الذي كان يمر بصعوبات حقيقية سببها الفرانكوفون والتخلف وكنا نرى أن الانتخابات الرئاسية وإعادة ربط الجزائري أيا كان بوطنه من أبواب الحلول للتغلب على تلك الصعوبات.

وهكذا شاءت الأقدار أن يضع أحد رموز الفكر العروبى في الجزائر أستاذ الجيل د. ركيبى توقيعه على خاتمة مأساة الجالية الجزائرية في الشام وإن ناله في ذلك بعض العنت والعناء سواء في الجزائر أو الشام وطالني شخصيا رذاذ من تلك المتاعب.

غير أنه في يوم الجمعة 11 /5 /1996 التقى عدد من مثقفي هذه الجالية ضمن سعيهم لاعادة تنظيمها داخليا[1] وقرؤوا بيانا يعلنون فيه اعتزازهم وشكرهم لما أنجره لهم د.ركيبى، أحمد عماره، ممدوح المبارك، أحمد سهيل الفضيل، رابح آمزيان، عمر ارغيس وسهيل الخالدي ويعلنون فيه أن المشوشين لا يمثلون الجالية[2].

ومن ناحيتي أعلن عن سعادتي بأن تكون خاتمة كتابي هذا عن الجزائريين في الشام موقعة عمليا بإمضاء د.عبد الله ركيبي المجاهد والباحث وأستاذ الجيل.. فإن ذلك شرف لم أكن أتوقعه.

لكن الذي يحز في نفسي أن والدتي عائشة بنت محمد الخالدي التي ألفت هذا الكتاب شفويا كما قلت في مقدمتي وتتمنى رؤيته مطبوعا، كانت تلح علي بترتيب لقاء لها مع د. ركيبى وكنت أؤجل ذلك حتى تسترد صحتها وهي التي جاوزت القرن، لكن الله اختارها في تلك الليلة المحفورة في الذاكرة ولاشك أنها ستكون سعيدة في فردوسها بأن الدكتور ركيبى هو صاحب التوقيع العملي لهذه الخاتمة.. فعلى قداسة روحها فاتحة..

دمشق في 1996/5/12

---

(1) ركيبى، د. عبد الله: الفرانكوفونية مشرقا ومغربا - بيروت 1992 ط1 ص 208.
(2) حسب صورة البيان من أوراقنا.

الملاحـــق

1- فهرس القرى الجزائرية في بلاد الشام

2 - فهرس بأسماء المؤلفين الجزائريين في الشام ومؤلفاتهم

3 - فهرس الجزائريين الأعلام في بلاد الشام

1 - فهرس القرى الجزائرية في بلاد الشام

ملاحظة: الدونم يساوي 1.000م^2

القرية : نولة «1» القطر : سورية/ دمشق/ الغوطة الشرقية	
1. المصدر:	الاسم: محمد سعيد إبراهيم يماش - مكان الولادة : قرية نولة- تاريخ الولادة : 1935 - تاريخ المقابلة : 10/ 06/ 1990
2. جغرافية القرية :	**الموقع** : الغوطة الشرقية. **المدينة** : دمشق على بعد 18 كم. **المساحة** : سكن - زراعة. **الأنهر والأودية**: 4أنهر صغيرة: حاروش، السخنة، النحاسية. **الآبار والينابيع** : 140 بئر ارتوازي. **التلال المحيطة**: سهول الغوطة فقط ولايوجد تلال. **القرى المجاورة** : مرج السلطان-دير سلمان - دير العصافير.
3. جغرافية القرية :	**الثروة الزراعية**: الحنطة والشعير والخضار والفواكه والزيتون **الثروة الحيوانية** : الأبقار الحلوب. **الحوانيت والتجارة**: لايوجد. **أهم الملاكين** : العائلات الجزائرية نفسها.
4. السكان :	**عدد سكان القرية**: 1.500 نسمة. **العائلات الجزائرية**: 25 عائلة. **العائلات غير الجزائرية**: 15عائلة. **عدد مساكن القرية**: 40 مسكنا. **وصف مساكن القرية**: من الاسمنت المسلح وبعضها خشب وطين. **التعليم**: فيها مدرسة ابتدائية ومسجد.

5. تاريخ القرية :	بدأت القرية حين سكنها المهاجرون الجزائريون.
6. نضال القرية :	**أهم المعارك:** كان لها مشاركة واسعة في الثورة السورية 1925 - 1927 حيث كانت مخبأ لرجال الثورة والأمير عن الدين الجزائري، وكانت الطائرات الفرنسية تقصفها يوميا.. **أهم المناضلين:** سعيد عمر الجزائري - علي نايت - مولود أحمد - محمد مقران - عمر الأسود وأولاده. **أهم الشهداء:** محمد عكور - عمر الأسود.
7. العلاقة مع الوطن :	**العلاقة مع عائلة الأمير عبد القادر** : كانت العلاقة جيدة مع عائلة الأمير عبد القاد في دمشق. **العلاقة مع الجزائر قبل عام 1962** : كانت علاقتنا مع الجزائر متواصلة عبر الرسائل والمسافرين والحجاج ومن الناحية الرسمية كانت علاقتنا مع السفارة الفرنسية وحين اندلاع الثورة عام 1954 قمنا بواجب الدعم عبر مكتب جبهة التحرير. **العلاقة مع الجزائر بعد عام 1962**: علاقة جيدة، وقد نقلت قيودنا من السفارة الفرنسية إلى السفارة الجزائرية بدمشق، ومازلنا على الجنسية الجزائرية، غير أننا منذ خمس سنوات بدأنا نلاحظ تغيرا في موقف السفارة حيث لا تجدد لنا بطاقات التعريف وجوازات السفر، مما بدأ يعرقل أعمالنا وتنقلاتنا.

القرية : عابدين القطر : سورية/ حوران/ محافظة درعا	
1. المصدر:	الاسم : الأخضر بن أحمد الأخضر- مكان الولادة: شعارة . تاريخ الولادة : 1926 - تاريخ المقابلة : 10/ 05/ 1990
2. جغرافية القرية :	**الموقع** : على ضفة نهر اليرموك. **المدينة** : درعا. **المساحة** : سكن 15 دونم - زراعة 24 دونم. **الأنهر والأودية**: القرية تقع على ضفة نهر اليرموك، وبجانبها وادي الرقاد.. **التلال المحيطة**: سهول. **القرى المجاورة** : معرية، العارضة،وأصبحتا جزءا من عابدين نفسها، وهناك قريتا كوبة، بيت ارا.
3. اقتصاد القرية :	**الثروة الزراعية**: القمح، الشعير،العدس، الفول، الحمص، الذرة والخضروات. **الثروة الحيوانية** : الأبقار وسائر المواشي والدواجن. **الحوانيت والتجارة**: 4 حوانيت، والتجارة مع درعا. **أهم الملاكين** : قبيلة أولاد سيدي عيسى ومنهم : الأخضر محمد، الميهوب، محمد الحاج، حافظ عبد العزيز.
4. السكان :	**عدد سكان القرية**: 300 نسمة. **العائلات الجزائرية**: قبيلة سيدي عيسى بجميع فرقها. **العائلات غير الجزائرية**: المشالحة، الهلالات، المناظرة.. **عدد مساكن القرية**: 220 مسكنا. **وصف مساكن القرية**: حجر وطين وقناطر ،إسمنت.. **التعليم**: فيها مدرستان ابتدائيتان ومتوسطة. **أهم المخاتير والشخصيات**: مختار القرية هو حافظ عزيز عبد القادر عن الجزائريين. **أهم المضافات**: الميهوب بن محمد الأخضر، حافظ عزيز عبدالقادر.

5. تاريخ القرية :	كانت القرية خالية من السكان قبل عام 1926 عبارة عن أراضي زراعية كانت تحرثها عشيرة المناظرة للأمير عبد القادر الجزائري وورثته حسب نظام الخمس، وآخرهم الأمير محمد سعيد، الذي أعطى هذه الأرض لقبيلة أولاد سيدي عيسى وسجلها باسمهم رسميا بدلا عن أرارضيهم في شعارة بفلسطين التي باعها للصهاينة.
6. العلاقة مع الوطن الأم :	**العلاقة مع عائلة الأمير عبد القادر** : كانت العلاقة جيدة مع الأمير وأولاده وأحفاده ولم تزل حتى الآن. **العلاقة مع الجزائر قبل عام 1962** : لم تنقطع علاقتنا بالجزائر وخاصة مع أقاربنا من أولاد عيسى، سواء عبر الرسائل أو عبر المسافرين، كما كان يزورنا أقاربنا من القبيلة الذين كانوا مع الجيش الفرنسي إبان احتلال سورية، وهناك بعض الأشخاص عادوا إلى الجزائربيل عام 1962 مثل الشيخ الطيب حمود، والبشير محمد وسعيد بن يطو. **العلاقة مع الجزائر بعد عام 1962** : عاد بعض الشبان إلى الجزائر واستعادوا جنسيتهم الأصلية وكثير من شباب القبيلة ذهب إلى الجزائر للمساهمة في التعليم، وبعضهم تزوج هناك من نفس القبيلة أو غيرها واستقر نهائيا.
القرية : كفر ناسج «3» **القطر : سورية/ حوران**	
1. المصدر:	**الاسم** : يوسف مناد مناد- **مكان الولادة**: كفر ناسج . **تاريخ الولادة** : 1940 - **تاريخ المقابلة** : 20/ 11/ 1988
2. جغرافية القرية :	**الموقع** : في المنطقة الجنوبية من سورية. **المدينة** : درعا. **المساحة** : سكن 14 دونم - زراعة 1800 دونم **الأنهر والأودية**: وادي كفر ناسج. **الآبار والينابيع**: بئر ارتوازي وينابيع العليق، الغربي، أم جردة. **التلال المحيطة** : تل قرين، تل حمد ، تل قلاعيه. **القرى المجاورة** : دير عدس شرق، سبسبا شمالا، المال غربا، كفر شمس جنوبا.

3 . اقتصاد القرية :	**الثروة الزراعية:** القمح، الشعير، البقول، والخضروات. **الثروة الحيوانية :** المواشي والدواجن. **الحوانيت والتجارة:** 4 حوانيت صغيرة. **أهم الملاكين :** عبد الرحمن وخليل ومحمود وحسين حمدان.
4 . السكان :	**عدد سكان القرية:** 1.500 نسمة. **العائلات الجزائرية:** حمدان، علام، رقيق، فليس. **العائلات غير الجزائرية:** صبح، نصر، قشقوش. **عدد مساكن القرية:** 300 مسكنا. **التعليم:** مدرسة ابتدائية. **أهم المخاتير والشخصيات:** محمود حمدان، سعيد علام.
5 . تاريخ القرية :	سكن الجزائريون القرية عام 1910، بترتيب من السلطات العثمانية لكن بعضهم لم يتآلف مع حياة الاختلاط بين الرجال والنساء السائدة في حوران، فباعوا أراضيهم واشتروا أراض في الغوطة وتحديدا في قرية نولة ومن بين هؤلاء عائلة «فرحات» مثلا.
6 . العلاقة مع الوطن الأم :	**العلاقة مع عائلة الأمير عبد القادر :** كانت العلاقة جيدة مع أولاد وأحفاد الأميرعبد القادر لأن الجزائريين لم يسكنوا هذه القرية في عهد الأمير. **العلاقة مع الجزائر قبل عام 1962 :** عبر رسائل وزيارات متقطعة. **العلاقة مع الجزائر بعد عام 1962 :** صارت الرسائل والزيارات أكثر اتساعا وانتظاما وعاد البعض إلى الجزائر واستقر فيها نهائيا.

القرية : هوشة «4» القطر : فلسطين/ حيفا	
1. المصدر:	**الاسم** : محمود بن علي أرغيس – – **مكان الولادة**: هوشة . **تاريخ الولادة** : 1929 – **تاريخ المقابلة** : 29/ 08/ 1989
2. جغرافية القرية :	**الموقع** : 14 كلم شرق حيفا – 115م عن سطح البحر. **المدينة** : حيفا/ لواء الجليل. **المساحة** : سكن 100 دونم تقريبا – زراعة 50.000 دونم **الأنهر والأودية**: وادي الملك. **الآبار والينابيع**: في وسط القرية صهريج ماء أثري، نبع شعبان شرق القرية. **التلال المحيطة** : جبال شويكة، المضابع، الكزابر. **القرى المجاورة** : خربة الكساير، بلدة شفا عمرو، وعرة سريس، سعسع. **المستوطنات** : «أوشا» المجدل، كفراتا، بنيامين.
3. اقتصاد القرية :	**الثروة الزراعية**: الزيتون، الفواكه، الحبوب. **الثروة الحيوانية** : الخيول العربية الأصيلة، المواشي. **الحوانيت والتجارة**: عدد من الحوانيت والتجارة مع بلدة شفا عمرو. **أهم الملاكين** : الحاج أحمد بن أرغيس، عمر الصالح، يوسف كوجيل، الشيخ أحمد الصديق، الحاج وحش بن حمزة أرغيس، أحمد السلامي.

4. السكان :	**عدد سكان القرية:** 1922 (165 نسمة) 1931(200 نسمة). **العائلات الجزائرية:** 90 عائلة من قبيلة أولاد سيدي رغيس (عرش سلاوة) هاجروا من منطقة أم البواقي في الجزائر عام 1890 وعائلات مثل كوجيل، عبودي، بورويبة، الطاهر علي، النوي العربي، أحمد الصديق، عبد الرحمن لخضر التهامي، بوبكري السلامي، بوعيطة، بن ناصر، الحمادي. **العائلات غير الجزائرية:** عائلتان فقط، العبليني، القباطي. **عدد مساكن القرية:** 35 مسكنا. **وصف مساكن القرية:** حجر كلس أبيض. **التعليم:** كان في القرية كتاتيب فقط والتعليم الرسمي في بلدة شفا عمرو. **أهم المخاتير والشخصيات والمضافات:** المختار الحاج أحمد أرغيس، يوسف كوجيل، حمادي بن أحمد أرغيس، عمر بن الصالح، وغيرهم.
5. تاريخ القرية	ذكرها الرومان باسم «أوشا» وفيها آثار وأعمدة.
6. نضال القرية :	**أهم المعارك:** أذاقت قرية هوشة الصهاينة طعم الهزيمة مرات ومرات، وذلك عبر اتباع التاكتيكات العسكرية للأمير عبد القادر التي توارثها الجزائريون، وفي 15/ 04/ 1948 خاضت القرية معركة استمرت من السادسة صباحا حتى منتصف الليل فقدت فيها 35 شهيدا وطرد الصهاينة إلى أن هجر الأهالي في 15/ 5/ 1948. **أهم المناضلين:** الحاج وحش بن حمزة أرغيس،(قائد فصيل في ثورة 36) يوسف كوجيل، رشيد حسين بن ناصر، الحاج الطيب، عبد الله بوزيد، علي السلامي وغيرهم. أما المناضلون بعد عام 1948 فهم كثير سواء في تكوين العمل الفلسطيني المسلح قبل عام 1965 أو بعد. **أهم الشهداء:** محمد بن أحمد بن الأخضر الملقب حمادي الشيخ (استشهد عام 1938)، أبو زيد بن الطيب (إعدام 1945)، موسى بن عيسى بن ناصر، الحاج أحمد بوغريس وعمره 10 سنوات واستشهدوا جميعا في معركة 15/ 4/ 1948، ويصل مجموع شهداء هذه القرية إلى 30 شهيدا.

7. العلاقة مع الوطن الأم :	**العلاقة مع عائلة الأمير عبد القادر :** لم تكن للقرية علاقة مع الأمير عبد القادر شخصيا لأنها هاجرت سنة (1890) بعد وفاته، لذلك فعلاقتها تحددت مع أولاده. **العلاقة مع الجزائر قبل عام 1962 :** كانت تتم بعض المراسلات بين عائلات القرية التي هاجرت إلى فلسطين والتي بقيت في الجزائر وكانت القرية كلها على صلة بالقنصليات الفرنسية في القدس وفي بيروت أو دمشق حيث يتم تجديد بطاقات التعريف لأفراد القرية وما إلى ذلك من أوراق قنصلية. وبعد الهجرة من فلسطين تم تسجيل أفراد القرية في السفارة الفرنسية بدمشق وظلت علاقتهم بها حتى إعلان الثورة الجزائرية (1954-1962) فتحولوا إلى مكتب جبهة التحرير. **العلاقة مع الجزائر بعد عام 1962 :** صارت الرسائل والزيارات أكثر اتساعا وانتظاما وعاد البعض إلى الجزائر واستقر فيها نهائيا.
8. الوضع بعد عام 1948	دمر الصهاينة القرية تماما عام 1948 وأحاطوا أراضيها السكنية بسياج، بينما ضموا أراضيها الزراعية إلى مستوطنة أوشا التي بنوها عام 1936 ويسكنها يهود بولنديون، هاجر أهالي القرية إلى لبنان ثم إلى دمشق. اتصلت بهم السفارة الفرنسية في بيروت عبر عبد الرزاق بن الأمير سعيد الذي اتصل بالحاج وحش ارغيس في مخيم الميه وميه ببيروت وأوفده إلى دمشق لعرض اقتراح السفارة الفرنسية بتعويضهم تعويضا سخيا ومنحهم أراضي في منطقة البقاع بلبنان مقابل بيعهم أراضيهم في فلسطين. رفض أهالي القرية العرض بشدة واتصلوا بوزير الداخلية السوري ومؤسسة اللاجئين الفلسطينيين «سليم اليافي» موفق الجندي»، وتم تسجيلهم في المؤسسة كمهاجرين فلسطينيين من أصل جزائري، لايتنازلون عن أراضيهم في هوشة ولا عن جنسيتهم الأصلية الجزائرية.

المساهمة في الثورة الفلسطينية : يعتبر أهالي هوشة والمهاجرون الجزائريون من فلسطين هم المؤسسون الأوائل للكفاح الفلسطيني المسلح ضد الصهاينة فقد اتصل السيد حمادي ارغيس بواسطة السيد فوزي القطب بالسيد برهان بولص من وزارة الدفاع السورية وتم تشكيل أول نواة للعمل الفدائي الفلسطيني في الخمسينات سمي «فرع العمليات الخارجية» وكان التشكيل في معظمه من أبناء القرى الجزائرية في فلسطين مثل محمد أحمد ارغيس، عمر أبو زيد، «هوشة» عمر العريضي «ديشوم» عبد الله الأخضر «كفرسبت»وغيرهم كثير وتدربوا تدريبا فنيا وقاموا بمهمات عسكرية وتنظيمية داخل الكيان الاسرائيلي واعتقل حمادي ارغيس على يد القوات الصهيونية داخل أحد البيوت الفلسطينية في قرية نمره وسجن لمدة عام ونصف. وظل هذا حالهم وحال المهاجرين الجزائريين من فلسطين حتى تم الاتفاق مع السيد أحمد جبريل «الضابط الفلسطيني في الجيش السوري» عام 1962 على تأسيس جبهة التحرير الفلسطينية التي أعلنت عام 1964 وكان من المشاركين في التأسيس عمر ارغيس محمود الأخضر، سعيد بن الوحش بن حمزة، محمود كوجيل، وغيرهم كثير، حيث كان يتم التدريب في منازل الجزائريين المهاجرين الكائنة في مخيم اليرموك، وحدثت تطورات كثيرة لجبهة تحرير فلسطين، ويعرف جزء منها الآن باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة.	
العلاقة مع الجزائر بعد 1962 : تم نقل قيودهم من السفارة الفرنسية في دمشق إلى السفارة الجزائرية. وتم الاتفاق مع الملحق الثقافي «محمد سعيد الشريف» وأرسل عددا من شبان القرية الخريجين للمساهمة في حركة التعريب بالجزائر وزارهم السفير «الوزير فيما بعد» عبد الكريم بن محمود في مخيم اليرموك وحضر الاجتماع وجهاء وشبان من القرى الجزائرية بفلسطين دار الحديث فيه حول أوضاعهم من مختلف النواحي.. وهم حتى الآن على صلة بالجزائر وأقاربهم في رسائل وزيارات متبادلة، حيث أن معظم قبيلة سيدي ارغيس هي من منطقة واحدة في الجزائر بلدية عين الزيتون في ولاية أم البواقي.	

مراجع أخرى :

- الموسوعة الفلسطينية م4، ص 550.
- بلدانية فلسطين المحتلة، ص 40
- حرب فلسطين 1947-1948
- معجم بلدان فلسطين، ص 799.
- بلادنا فلسطين.

القرية : ديشوم «5» القطر : فلسطين/ حيفا	
1. المصدر:	الاسم : أحمد محمد الصالح - مكان الولادة: ديشوم . تاريخ الولادة : 1911 - تاريخ المقابلة : 2/ 09/ 1989
2. جغرافية القرية :	الموقع: 600م عن سطح البحر شمال صفد/ قرب الحدود اللبنانية. المدينة : صفد. المساحة : سكن 20 دونم. زراعة : 23.044 دونم. الأنهر والأودية: وادي الحنداج. الآبار والينابيع: نبع ديشوم، نبع تعويشت، نبع الملاحة. التلال المحيطة : جبال رأس الخريبة، جبال الكرسي. القرى المجاورة : علما، المالكية، قدس، الملاحة (عيترون لبنانية). المستوطنات الصهيونية : الزبيد ، الهراوي.
3. اقتصاد القرية :	الثروة الزراعية: الزيتون، الفواكه، الحبوب، الخضار، الأشجار الحرجة. الثروة الحيوانية : اهتمام خاص ومشهور بالخيول العربية، المواشي. الحوانيت والتجارة: بعض البقاليات، والتجارة مع بنت جبيل في جنوب لبنان أهم الملاكين : عبد الرحمن المزاري، محمد الصالح، محمد علي البشير وغيرهم.

4. السكان :	**عدد سكان القرية:** 1922 (376 نسمة) 1931(438 نسمة) 1945(540 نسمة).. **العائلات الجزائرية:** أيت يحيى، الطيب، مزيان، الربيع زرود،واضي، الصالح، القاضي، حقون، وناس الحداد، سليمان، الوحيد، سعد، قاسي، خليفاوي، عرب، بوجمعة، أيت أحمد، موح المنور، الدريدي، أوقاسم، بوحيير، بوودو، زروق، المزاري، ومعظمهم تعود أصولهم إلى منطقة تيزي وزو . **العائلات غير الجزائرية:** لا توجد. **عدد مساكن القرية:** 130 مسكنا. **وصف مساكن القرية:** آجر، تراب وحجارة متراصة. **التعليم:** ألغت بريطانيا المدرسة الابتدائية الرسمية فحولها السكان إلى أهلية. **أهم المخاتير والشخصيات:** أحمد مزاري، عبد الرحمن مزاري، عيسى واضي، أحمد مزيان، محمد الصالح.
5. نضال القرية	**أهم المعارك:** معارك كثيرة منها معركة وادي عروس ومعركة راس المرج وغيرها. **أهم المناضلين:** سعيد الصالح، محمد الصالح. **أهم الشهداء :** موح جمعة، الهادي مزيان، سعيد العريفي
6. العلاقة مع الوطن الأم :	**العلاقة مع عائلة الأمير عبد القادر :** كانت علاقة بالأمراء سعيد، حسن، صلاح، خالد.. **العلاقة مع الجزائر قبل عام 1948 :** كانت الرسائل مع أهلنا في عدة نواحي من الجزائر لا تنقطع، ولازالت لدينا رسائل تعود إلى عام 1935.. انقطعت المراسلات بسبب ظروفنا في فلسطين ثم ظروفهم في الجزائر، حتى عادت في عام 1962.

7. الوضع بعد عام 1948	دمر الصهاينة القرية تماما وأقاموا مكانها مستوطنة ديشون وقد هاجرنا إلى لبنان ثم سورية ولازال قسم منا في مخيم نهر البارد.. وكنا على اتصال بمكتب جبهة التحرير الجزائرية بدمشق وزارنا الكولونيل أعمران والشيخ الغسيري، والسيد عبد الحميد مهري، وكان يتردد علينا الطالبان محمد شريف خروبي وأحمد الغزالي (الوزيران فيما بعد) وسجل منا متطوعون للثورة الجزائرية، وبعضنا كان يشترك في بواكير العمل الفدائي الفلسطيني قبل إعلان الثورة 1965. **العلاقة مع الجزائر بعد عام 1962 :** بعد استقلال الجزائر مباشرة لم نكن نعرف من بقي على قيد الحياة من أهلنا فأرسلنا رسالة إلى إمام القرية، وسلمها فعلا إلى أقاربنا وجرى تدقيق الأسماء وأعيدت المراسلة بيننا، وذهب بعض الشبان إلى الجزائر واستعاد البعض جنسياتهم. **المساهمة في الثورة الفلسطينية المعاصرة :** يشارك شبان القرية في الثورة الفلسطينية في فصائل عديدة مثل فتح والقيادة العامة، وقدموا العديد من الشهداء.

مراجع أخرى :

- الموسوعة الفلسطينية ج2، ص 436.
- معجم بلدان فلسطين، ص 398.
- بلادنا فلسطين. ج1، ق2، ص221

قريتا : العموقة وماروس «6 و 7» القطر : فلسطين/ صفد	
1. المصدر:	**الاسم** : خالد عبد القادر صالح - **مكان الولادة**: عموقة . **تاريخ الولادة** : 1923 - **تاريخ المقابلة** : 7/ 11/ 1989
2. جغرافية القرية :	**الموقع**:شمال شرقي مدينة صفد على بعد 6 كلم. **المدينة** : صفد. **المساحة** : سكن 25 دونم للمعوقة- زراعة 2.049 دونم للمعوقة 8 دونمات سكن ماروس - 3.183 زراعة لماروس. **الأنهر والأودية**: وادي الوعر ووادي الصغير، ووادي بربرة، ووادي الشبابيك. **الآبار والينابيع**: نبع عين قصيبة، نبع عصقول، نبع عين الفوقا، نبع عين البلد، نبع عين البقر، نبع عين الغنم، نبع عين التينة. **التلال المحيطة** : جبل الأسود، جبل النطاح،وشقيقلح. **القرى المجاورة** : القباعة، بيرية، وفرعم، وطيطبا، ودلتا.
3. اقتصاد القرية :	**الثروة الزراعية**: الزيتون (66 دونم في العموقة)، (3 دونم في ماروس)، والحبوب والخضار والفواكه في القريتين. **الثروة الحيوانية** : الغنم والبقر والدواجن. **الحوانيت والتجارة**: لا توجد. **أهم الملاكين** : أولاد محمد صالح بن نعمان وهم الحاج علي، والحاج شريف، والحاج صالح، والحاج عبد الرحمن وأولادهم في العموقة: سعيد عمر وعائلة عمر في ماروس.

4. السكان :	**عدد سكان القرية:** ف 1945 بلغ عدد سكان العموقة 140 نسمة، وبلغ عدد سكان ماروس 80 نسمة. **العائلات الجزائرية:** نفس العائلات المالكة والتي تعود أصولها إلى منطقة دلس وتيزي وزو. **العائلات غير الجزائرية:** لا توجد. **عدد مساكن القرية:** 17 مسكنا عام 1948 للعموقة. 12 بيتا لماروس في نفس العام. **وصف مساكن القرية:** عبارة عن مساكن مبنية من الحجر والإسمنت وتحوي على دور للسكن وللضيافة وللعمال وكذلك للمواشي.. **التعليم:** كان في القرية مدرسة ابتدائية في العموقةولا توجد مدرسة في ماروس. **أهم المخاتير والشخصيات:** المختار سليم صالح، وطالب أحمد شريف وكامل عبد الرحمن وأحمد الحاج علي ومحمود الحاج شريف وسعيد عمر.. **أهم المضافات :** مضافة سعيد صالح، ومضافة الحاج شريف.
5. تاريخ القرية	يبدو أن العموقة كانت معروفة في عهود قديمة فاسمها الحالى تحريف لاسمها السريانى «عميقا» أي العميق، كما أن بقربها خرائب أثرية من العهد الرومانى والعهد الوسيط، أما ماروس فيبدو أنها ظهرت مع قدوم الجزائريين إليها.
6. نضال القرية	**أهم المعارك:** في عام 1917 هجوم على مستعمرة «عين البرانية» وفي عام 1929 هجوم على مستعمرة كعوش وفي عام 1936 جرت عدة معارك منها (وادي الطواحين - وادي عروس معركة حرفيش، معركة جب يوسف وشارك مناضلوها في معركة طبرية، ومعركة دخول حارة اليهود) وفي عام 1948 جرت عدة معارك منها: معركة العموقة وماروس وشارك مناضلو القريتين في عدة معارك في أنحاء مختلفة من فلسطين مثل معركة النبى يوشع، الهراوي، كفركما، وفي معركة الشجرة التي استشهد فيها محمود سليم صالح ابن القرية. **أهم المناضلين:** سعيد الصالح، محمد الصالح.

	أهم المناضلين : سليم صالح، محمد سليم صالح، محمود سليم صالح، طالب أحمد شريف، صبحي أمين شريف، وغيرهم. **أهم الشهداء** : حسن عبد الرحمن، حسني عبد الرحمن،محمود سليم صالح، (أبو عاطف).
7. العلاقة مع الوطن الأم :	أحفاد الأمير مثل الأمير سعيد والأمير صلاح والأمير كاظم والأمير جعفر وكانت القريتان على علاقة وطيدة مع جميع المهاجرين الجزائريين من خلال المجاهد أبو عاطف - محمود سليم الصالح. **العلاقة مع الجزائر بعد 1962** : تجددت المراسلات وعاد بعض شبان القرية إلى الجزائر للتعليم والعمل وبعضهم استعاد جنسية آبائه واستقر نهائيا في الجزائر
8. العلاقة مع الوطن الأم :	هجرت معظم العائلات الجزائرية مرة ثانية من فلسطين إلى لبنان ثم إلى سورية وقسم ذهب إلى الأردن وبقوا على هذا الحال حتى يومنا هذا ولكن بعض الجرائريين لم يغادر فلسطين وبقوا فيها حتى الآن. وذكرت الموسوعة الفلسطينية أن الصهاينة دمروا القريتين في عام 1948.

مراجع أخرى :

- بلادنا فلسطين. ج6، ق2، 195
- الموسوعة الفلسطينية ، ص 341.
- معجم بلدان فلسطين، ص 548.

ملحوظة: اعتبرت هاتين القريتين قرية واحدة كما هو الحال مع قريتي التليل والحسينية.

قـريتا : التليل والحسينية «8 و 9» القطر : فلسطين- صفد- كواد الخيط	
1. المصدر:	**الاسم :** نصوح موسى الحاج حسين، - **مكان الولادة:** التليل . **تاريخ الولادة :** 1915 - **تاريخ المقابلة :** عدة مرات في تواريخ مختلفة من عام 1988.
2. جغرافية القرية :	**الموقع:**15 كلم شمالا شرق صفد، 145م على سطح البحر. **المدينة :** صفد. **المساحة :** سكن 48 دونم زراعة 5.324 دونم . **الآبار والينابيع:** عين عدس، بير الحسينية. **التلال المحيطة:** تقع البلدتان على تلة تبعد أمتارا عن بحيرة الحولة. **القرى المجاورة :** مستوطنة الزبيد، كعوش..
3. اقتصاد القرية :	**الثروة الزراعية:** الحبوب والخضار. **الثروة الحيوانية :** السمك، الجواميس. **الحوانيت والتجارة:** مع صفد في فلسطين والقنيطرة في سورية. **أهم الملاكين :** موسى الحاج حسين، أحمد العباس بوسكين، الحاج طاهر الزاير، حسين عمار، وتظهر سندات التمليك فى التليل اسم محمد الخالدي.

4. السكان :	**عدد سكان القرية:** 340 نسمة عام 1945 في القريتين. **العائلات الجزائرية:** الحاج طاهر، حقون، الكبير، عمار، الزاير ومعظمهم تعود أصولهم إلى منطقة البليدة في الجزائر. **العائلات غير الجزائرية:** عشيرة الهيب وبدو أكراد الخيط وكلهم يعيشون في الخيام **عدد مساكن القرية:** 64 مسكنا في القريتين. **وصف مساكن القرية:** حجر وطين. **التعليم:** أغلق الانتداب البريطانى المدرسة في التليل وكان قد أسسها مع المسجد محمد بن عبد الله الخالدي في أواخر عهد الأمير عبد القادر. **أهم المخاتير والشخصيات:** موسى الحاج حسين، ناصر الحاج حسن. **أهم المضافات:** أحمد بوسكين، عثمان الزاير حسن عمار.
6. نضال القرية	**أهم المعارك:** كانت القريتان هما الشريان المغذي للثورات الفلسطينية 36، 39، 47/ 48 بالأسلحة المهربة من دمشق وبيروت.
	أهم المناضلين : موسى الحاج حسين»، وولداه محمد نصوح ومحمد لطفي، وناصر الحاج حسين وولده منصور.
7. العلاقة مع الوطن الأم :	**العلاقة مع عائلة الأمير عبد القادر** : كانت علافة القرية وثيقة بعائلة الأمير عبد القادر عبر موسى الحاج حسين. **العلاقة الجزائر قبل عام 1948** : لم تنقطع المراسلات مع الأهل في الجزائر وحمل آل الكبير الجنسية الفرنسية الجزائرية وظلوا كذلك حتى سنة 1951 حين منحوا الجنسية السورية في مرسوم جمهوري وتنازلوا عن جنسيتهم الأصلية. **العلاقة مع الجزائر بعد 1962** : تجددت العلاقات مع الأهل وتبادل الرسائل.

مراجع أخرى : - بلادنا فلسطين. - الموسوعة الفلسطينية. - معجم بلدان فلسطين.

ملحوظة: هاتان القريتان الصغيرتان اعتبرتا دائما كقرية واحدة مثلهما مثل العموقة وماروس بفعل التلاصق الشديد بينهما سواء من ناحية الأراضي أو من ناحية القربى بين العائلات الجزائرية.

قـريـة : كفر سبت «10» القطر : فلسطين- طبرية الشفا	
1. المصدر:	**الاسم** : أحمد بن محمد بن عيسى - **مكان الولادة**: كفر سبت . **تاريخ الولادة** : 1908 - **تاريخ المقابلة** : 28/ 11/ 1989
2. جغرافية القرية :	**الموقع**:21 كلم جنوب قرب طبرية، ترتفع 225موعن سطح البحر. **المدينة** : طبرية. **المساحة** : سكن 30 دونم زراعة 9.850 دونم . **الأنهر والأودية**: واد دامية. **الآبار والينابيع**: عين كفر سبت السفلى، عين البعيدة، بير عين البعيدة. **القرى والمستوطنات المجاورة** : الشجرة غربا، لوبيا شمالا، كفر كما جنوبا، سارونة جنوب شرق.
3. اقتصاد القرية :	**الثروة الزراعية**: حبوب خضار. **الثروة الحيوانية** : المواشي والخيول. **الحوانيت والتجارة**: الحوانيت والتجارة: كان هناك 3-4 حوانيت والتجارة معظمها مع الناصرة وطبرية.
4. السكان :	في عام 1922م 247 نسمة، وفي عام 1931 بلغوا 340، 199ذ و 171ث، وفي عام 1945 قدروا بـ 480. **أهم الملاكين**: من قبيلة أولاد سيدي عمر(العميرات)، الطيب الحاج رابح، الصنديد، لخضر بوشيخة، ومن قبيلة أولاد سيدي عيسى : الطيب السعدي، عبد الرزاق السعداوي، مصطفى بن عيسى، صالح عبد القادر السعيد. **العائلات الجزائرية**: أولاد سيدي عيسى ، وأولاد سيدي عمر (العميرات)، بمختلف عائلاتهم وانتقل بعضهم في العشرينيات إلى حوران بسورية.

السكان (تابع):	**العائلات غير الجزائرية:** سعيد الحامد، حسن المحاحي، عبد الرحمن السرساوي. أما عرب المشارقة وغيرهم من البدو فكانوا يضربون خيامهم خارج القرية. **عدد مساكن القرية ووصفها :** 71 مسكنا من حجر وطين، وقناطر والسقف من القصب. **وصف مساكن القرية:** حجر وطين. **أهم المخاتير والشخصيات والمضافات :** الطيب الحاج رابح، محمد عيسى السعدي عبد القادر العيسى، صالح عبد القادر. **التعليم:** لم يكن في القرية مدرسة وكان الأطفال يذهبون إلى كفر كما.
5. تاريخ القرية	يبدو أن القرية ذات تاريخ عريق يستدل على ذلك من كثرة الخرائب والآثار التي حولها من جهة»، ومن ورود ذكرها في أكثر من كتاب مثل كتاب المقدسي أحسن التقاسيم والحموي معجم البلدان وقد عرفت أيام الرومان باسم كفر سيباي.
6. نضال القرية	**أهم المعارك:** تعتبر قرية كفرسبت من احدى أهم القرى المناضلة في فلسطين قاومت عبد الرزاق ابن الأمير سعيد من جهة وكافحت الصهاينة الذين أحاطوها بالمستوطنات لذلك كان الصدام يوميا مع اليهود منذ العشرينات كما كان قائد الفصيل الجزائري في المنطقة محمد بن عيسى (والد هذا المصدر) يقوم بنسف البترول وتدمير طرق المواصلات خلال ثورة 1936.. يمكن القول أن قرية كفرسبت لم تهدأ منذ عام 1920 حتى عام 1948 وظلت الدوريات البريطانية تداهمها طيلة الفترة. وللأسف فإن بعض عائلاتهم باعت جزءا من أراضيها للصهاينة. **أهم المناضلين :** سعيد الحاج رابح، أحمد عيسى قويدر، محمد عيسى السعدي، محمود صالح عبد القادر. **أهم الشهداء :** محمد بن عيسى (راجع بحثنا حول دور الجزائريين في الكفاح ضد الإنتداب البريطاني والصهيونية).

7. العلاقة مع الوطن الأم :	كانت توتوت العلاقة توترا ملحوظا مع الأمير السعيد بعد بيعه بعض أراضي القرية للصهاينة وانتقال جزء من أهالي القرية إلى حوران في سورية. **العلاقة مع الجزائر بعد 1962** : نشطت بعض المراسلات والزيارات وعاد بعض الشبان للتدريس في الجزائر واستقروا فيها.
8. الوضع بعد عام 1948:	دمر الصهاينة كفر سبت تماما والتجأ أهالى القرية إلى أقاربهم في حوران وبعضهم يعيش الآن في مخيم اليرموك بدمشق وفي الأردن.
9. المساهمة في الثورة الفلسطينية المعاصرة	ساهم بعض رجال القرية بتأسيس الكفاح الفلسطيني المسلح قبل عام 1965 وكثير من الشبان الآن ينخرطون مع فصائل الثورة الفلسطينية وقدموا عددا من الشهداء مثل عدنان حسين مناد»، عبد الله عبد القادر السعدي.

مراجع أخرى:

- الموسوعة الفلسطينية ج 3 ص 650.
- بلادنا فلسطين ج 6، ق 2 ص 407.
- معجم بلدان فلسطين ص 623.
- دعاوى نزع الملكية.

القـريـة : عولـم «11» القطر : فلسطين- طبرية - الشفا	
1. المصدر:	الاسم : شاكر بنو ميهوب - مكان الولادة: عولم . تاريخ الولادة : 1908 - تاريخ المقابلة : 16/ 01/ 1988
2. جغرافية القرية :	الموقع: 26 كلم جنوب غرب طبرية، ترتفع 240م عن سطح البحر. المدينة : طبرية. المساحة : سكن 28 دونم زراعة 18.546 دونم . الأنهر والأودية: أودية العين، البيرة التفاح، الشومر، المويلح، الداسي، غزال، أبو عامود. الآباروالينابيع: عولم،الرمان،الجدي،التينة،البيضة،حسونة،ضحوة. التلال المحيطة : سهول القرى المجاورة : سيرين، حدثة، الطيرة، العبيدية والمستوطنات الصهيونية، يماء بقعة.
3. اقتصاد القرية :	الثروة الزراعية: الزيتون (410 دونم) الخضار والفواكه والبساتين. الثروة الحيوانية : المواشي والخيول والدواجن. الحوانيت والتجارة: بعض الحوانيت والتجارة مع طبرية. أهم المالكين: مناد العزيز، إبراهيم أبو الخير، علي الحاج، بن حميدة.
4. السكان :	أهم الملاكين: من قبيلة أولاد سيدي عمر(العميرات)، الطيب الحاج رابح، الصنديد، لخضر بوشيخة، ومن قبيلة أولاد سيدي عيسى : الطيب السعدي، عبد الرزاق السعداوي، مصطفى بن عيسى، صالح عبد القادر السعيد.

العائلات الجزائرية: أولاد سيدي عيسى ، وأولاد سيدي عمر (العميرات)، بمختلف عائلاتهم وانتقل بعضهم في العشرينيات إلى حوران بسورية. عدد سكان القرية 1922 (496 نسمة)1931 (555 نسمة) 1945(720 نسمة) **العائلات الجزائرية**: عائلات من قبائل: بني يونس، أولاد عريب، أولاد إدريس، أولاد نايل، بنى مهنا، أولاد عيسى، ومعهم عائلات تعود بأصولها إلى منطقة سور الغزلان، وقسنطينة وسيدي عيسى في الجزائر. **العائلات غير الجزائرية**: بدو المويلحات. **عدد مساكن القرية ووصفها** : 139 بيتا. **وصف مساكن القرية**: حجر وطين. **أهم المخاتير والشخصيات والمضافات** : الطيب الحاج رابح، محمد عيسى السعدي عبد القادر العيسى، صالح عبد القادر. **التعليم**: أغلق الانتداب البريطاني مدرسة القرية، ففتح الأهالي كتابا في المسجد ويرسلون أولادهم إلى القرى المجاورة «سيرين». **أهم المخاتير والشخصيات والمضافات** : علي الحاج، مناد العزيز، محمد بن حميده، إبراهيم النايلى، سليمان العربى، كانون بن قدور.	**السكان** (تابع):
ذكرها الرومان باسم «اولاما» وباسم «هيولم» وفيها جدران عمارات مهدمة قديمة منقوشة ومستعملة ثانية وفيها أعمدة ومسنات وصهاريج ماء.	**5. تاريخ القرية**
أهم المعارك: كانت قرية عولم من القرى النشطة في النضال الفلسطيني عبر فتراته، وتشارك بفعالية في فصيل الجزائريين بقيادة محمد بن عيسى، الذي استشهد فيها بعد مهاجمة الطيران الانكليزي للقرية، وقد وقعت فيها معركة عولم الشهيرة، وشارك أهلها في سائر معارك المنطقة، مثل معركة طبرية والعربية والصبيح والشجرة وغيرها.	**6. نضال القرية**
أهم المناضلين : الطيب المناد، شحادة الادريسى»، مصطفى العريبى»، علي بوزيد. وللأسف فإن عائلة الأمير وبعض العائلات الأخرى باعت جزءا من أراضيها إلى الصهاينة.	**نضال القرية (تابع)**

7. العلاقة مع الوطن الأم :	**العلاقة مع عائلة الأمير عبد القادر** : كانت القرية تخضع إلى الأمير عبد القادر ثم لولده علي. **العلاقة مع الجزائربيل عام 1948** : كانت العلاقة بسيطة والمراسلات والزيارات نادرة. **العلاقة مع الجزائر بعد 1962** : تجددت العلاقة وذهب شبان من القرية إلى الجزائر والتقوا بأصولهم العائلية. وكان أهالى القرية ومعظمهم موجود في الأردن قد أقاموا صلات مع مكتب جبهة التحرير الجزائرية الذي كان يديره المناضل عبد الرحمن العقون وقدموا مساندتهم للثورة الجزائرية. وبعد الاستقلال كان يزورهم ديبلوماسيو الجزائر في الأردن مثل إبراهيم كابويا، الطاهر قن، وسجلوا أسماءهم كجالية جزائرية وهم وكثير من الجزائريين الفلسطينيين في الأردن في مدن اربد، الزرقاء، وعمان وغيرها.
8. الوضع بعد عام 1948:	هاجر معظم أهالى القرية إلى شرقي الأردن، وتمكنوا بواسطة وزير أردني من أصل مغربى يدعى «خلوصيي الخيري» من تسليم بطاقات الاعاشة التي منحتهم إياما هيئة الأمم المتحدة وكالة الغوث وأخذوا بدلا منها بعض الأراضى في قرية جسر المجامع بغور الأردن الشمالى وواصلوا العمل الزراعى حتى عام 1967 حين هاجمتهم اسرائيل فنزحوا مرة ثالثة إلى أربد.
9. المساهمة في الثورة الفلسطينية المعاصرة	كانت قرية جسر المجامع المحاذية لنهر الأردن هي ممر الفدائيين الفلسطنيين قبل عام 1965 وينسقون مع اخوانهم الجزائريين في جبهة التحرير الفلسطينية التي مقرها دمشق، وكان سكان القرية يأوونهم عن أعن الجيش والمخابرات في الأردن وظل هذا حالهم حتى عام 1967 وقد انضم كثير منهم إلى الفصائل الفلسطينية التي انضم إليها الجزائريون ولازال الحال كذلك.

مراجع أخرى:

- معجم بلدان فلسطين ص 623.
- بلادنا فلسطين ج 416.
- عرب فلسطين 1947-1948.
- الوقائع الفلسطينية، 1619.
- الموسوعة الفلسطينية ج 3 ص 363.
- دعاوى نزع الملكية.

القــريــة : معذر «12» القطر : فلسطين- طبرية - الشفا	
1. المصدر:	**الاسم** : عبد الله محمد أبو خروبة - **مكان الولادة**: معذر . **تاريخ الولادة** : 1924 - **تاريخ المقابلة** : 13/ 01/ 1988
2. جغرافية القرية :	**الموقع**:22 كلم جنوب غرب طبرية، ترتفع 185م عن سطح البحر. **المدينة** : طبرية/ الجليل. **المساحة** : سكن 63 دونم زراعة 11.616 دونم . **الأنهر والأودية**: وادي الشومر، المغرة، شعارة، الشرار، زريق غزال، أبو عامود. **الآبار والينابيع**: عين جوابي، عين زمورة، عين لافي، عين المغرة، وبير وسط القرية. **القرى المجاورة** : حدثة، كفركما، ميرة، مسحه ومن المستوطنات الصهيونية كيشيت» شعاريت.
3. اقتصاد القرية :	**الثروة الزراعية**: الزيتون (30 دونم) الحبوب والخضار والفواكه بأنوعاها. **الثروة الحيوانية** : المواشي بأنواعها والخيول، الدواجن والنحل. **الحوانيت والتجارة**: يوجد بعض الحوانيت. والتجارة مع سمخ وطبرية. **أهم المالكين**: محمد الشريف، علي بوتركة، عمر قويدر القاطن في سمخ، محمد المقاري، عيسى الحاج أحمد، على محاد.
4. السكان :	عدد سكان القرية 1922 (437 نسمة)1931(359 نسمة) 1945 (480نسمة). **العائلات الجزائرية**: قبيلة أولاد سيدي خالد من منطقة سور الغزلان والبويره بفرقها وعائلاتها وعددها 70 عائلة، وعائلات مثل محمد العربى، السعيد عمر الحاج، البهلول، سحنون، بوليعيش.

السكان (تابع):	**العائلات غير الجزائرية:** أسرة الجبالى، البورينى، الناقوري، الفلاح. **عدد مساكن القرية :** 200 مسكن. **وصف مساكن القرية:** قناطر وعقود من الحجر وبعض البيوت من الإسمنت وكل بيت له «بحيرة» خضار تسمى في فلسطين «حاكورة». **التعليم:** ألغى الانتداب البريطاني المدرسة ففتح أهالي القرية 4 كتاتيب. **أهم المخاتير والشخصيات والمضافات :** محمد الشريف، ابراهيم الحاج أحمد الرقايقى، علي بوتركة المدني، محمد العربى، عيسى الحاج أحمد، عبد القادر الوشاحى، محمد دحمان، سعيد الطيب، الشيخ أحمد الخالدي، علي محاد.
5. تاريخ القرية	ذكرها الفرنج باسم «كفارماتر» وفيها أثار كنائس وأبواب عالية وبقربها خربة سارة التي تحتوي على معاصر وصهاريج وجدران متهدمة ومدافن منقورة في الصخر وبقايا أعمدة من حجر بركانى، وبقايا أسوار.
6. نضال القرية	**أهم المعارك:** معركة عولم، معركة الصبيح، معركة طبرية، معركة لوبية، معركة الشجرة. **أهم المناضلين :** إبراهيم الحاج أحمد الرقايقى «سجن 7 سنوات»، رزق بوتركة المدني «سجن 7 سنوات» عبد الله رابح، عمر الحاج، أحمد الشيخ، محمود أبو خروبة. وللأسف فإن بعض أهالى القرية باعوا أراضيهم لليهود عن طريق إبراهيم الطيب (أبو ريحة) الذي تمت تصفيته لذلك.
	أهم الشهداء : محمد بن اعراب في مداهمة للقرية 1938، سعيد محاد عام 1968.

7. العلاقة مع الوطن الأم :	**العلاقة مع عائلة الأمير عبد القادر** : كانت العلاقة ممتازة مع الأمير عبد القادر شخصيا فكاتبه وخليفته في منطقة سطيف بالجزائر ومدرس أولاده وقاضيه ومفتي المالكية ببلاد الشام كان الشيخ محمد بن عبد الله الخالدي زعيم قبيلة سيدي خالد، واستمرت العلاقة جيدة مع ولده الأمير على باشا وولده الأمير محمد سعيد حتى ظهرت تصرفات عبد الرزاق بن سعيد حين باع الأراضي فتوترت العلاقة. **العلاقة مع الجزائر قبل عام 1948** : معظم عائلات القرية كانت على مراسلة دائمة مع أصولها في الجزائر وكانت تتم بعض الزيارات المتبادلة ومنها محمد بن محمد الخالدي ومكوثه مدة طويلة في الجزائر. **العلاقة مع الجزائر بعد 1962** : نشطت المراسلات والزيارات وحدثت زيجات، وعاد بعض الشبان المتعلمين واستقروا في الجزائر أو عملوا سنوات طويلة وعادوا.
8. الوضع بعد عام 1948:	لقد هاجرت القرية من فسطين بعد أن قابل مختارها «عليي محاد» ووفد من القرية الملك الأردني عبد الله بن الحسين في بيسان فنصح الملك بالهجرة، وتم ذلك عن طريق بيسان فشرقي الأردن ثم إلى منطقة الحمة الفلسطينية تحت الإدارة السورية وانتشر بعض من أهالي القرية إلى الأردن «الشونة الشمالية» ودمشق وفي عام 1967 نزح الذين في منطقة الحمة إلى مخيم اليرموك، وهناك من بقي في منطقة الناصرة بفلسطين ومن هاجر إلى لبنان. وقد دمر الصهاينة قرية معذر عن بكرة أبيها.

9. المساهمة في الثورة الفلسطينية المعاصرة	كانت قرية جسر المجامع المحاذية لنهر الأردن هي ممر الفدائيين الفلسطنيين قبل عام 1965 وينسقون مع اخوانهم الجزائريين في جبهة التحرير الفلسطينية التي مقرها دمشق، وكان سكان القرية يأوونهم عن أعن الجيش والمخابرات في الأردن وظل هذا حالهم حتى عام 1967 وقد انضم كثير منهم إلى الفصائل الفلسطينية التي انضم إليها الجزائريون ولازال الحال كذلك.

مراجع أخرى:

- الوقائع الفلسطينية 1632-1554.
- الموسوعة الفسطينية: ج 2، ص(239-240.
- معجم بلدان فلسطين ص 681.
- بلادنا فسطين: ج 1 ق 2 ص 414
- حرب فسطين 1947 - 1948
- دعاوى نزع الملكية.

2 - فهارس الجزائريين الأعلام في بلاد الشام

1- إبراهيم الجزائري

اللقب : الجزائري **الاسم** : إبراهيم **الأب** : مجاهد **الجد** : محمد خالد

مكان الوفاة : حلب **تاريخ الوفاة** : 1968

التعليم : تعلم في مدرسة دار الشقفة بإستانبول

الوظائف والمناصب التي شغلها : معاون قاض، رئيس محكمة بداية دير الزور، ثم في حماكم حلب، محامي في حلب.

الآثار العلمية التي تركها «المطبوعة» :

- على ضفاف السراب مطبعة الضاد
- ثورة حياة مطبعة الضاد

مصادر ترجمته :

من هو

معجم المؤلفين السوريين ، ص 98.

2- هاني بن أحمد جودت ينيوى الهاشمي

اللقب : ينيوى الهاشمي **الاسم** : هاني **الأب** : أحمد جودت

الجد : محمد الينيوى

مكان الولادة : دمشق **تاريخ الولادة** : 14 كانون الأول 1924

التعليم : المدرسة العربية العليا (الترجمة عربي افرنسي) عام 1941

- البكالوريا السورية فرع علمي عام 1941
- البكالوريا السورية فرع رياضيات عام 1942
- الهندسة المدنية من جامعة القاهرة (فؤاد الأول) عام 1947

النشاط : عضوية النادي العربي بدمشق- عضو نقابة المهندسين السوريين- عضو في جمعية المقاصد الخيرية بدمشق- عضو في جمعية تحرير المغرب العربي.

الآثار : تصميم أو الإشراف على تنفيذ مشاريع هندسية في سورية أهمها :

- بناء العباسية ، وفندق سمير أميس لصالح الخط الحديدي الحجازي بدمشق.
- بناء مديرية الجمارك العامة والمخافر الجمركية على حدود سوريا ولبنان.
- تجفيف سهل الغاب وعمل المصرف الرئيس فيه لصالح مؤسسة المشاريع الكبرى .
- بناء معمل النايلون ومعمل شركة الشرق للألبسة بدمشق.

وغير ذلك من المشاريع العمرانية العائدة للأهالي.

- تعهد إنشاء خزانات مدينة دمشق الجديدة (المزة) لصالح مؤسسة الفيجة.
- تعهد تغذية وتمديد قساطل إلى خزانات المزة ومنطقة شمال شرق دمشق لحساب الفيجة وغيرها.

مصادر ترجمته :

كتب لنا هذه الترجمة بيده.

3- أحمد جودت ينيوي الهاشمي

اللقب : ينيوى الهاشمي　　**الاسم :** أحمد جودت

مكان الولادة : دمشق　　**تاريخ الولادة :** 1877

تاريخ الوفاة : 5/ 2/ 1955　　**مكان الوفاة :** دمشق

التعليم : الابتدائية بدمشق والثانوية باستانبول والجامعية بفرنسا.

وظائفه ومناصبه : مدرس في بيروت والقدس ودمشق ثم مدير مكتب عنبر ومدير التجهيز الأولى بدمشق «سميت باسمه بعد وفاته، ثانوية جودت الهاشمي» ثم أمينا عاما لوزارة المعارف السورية، عرضت عليه الوزارة عدة مرات فرفضها.

نشاطه ومواقفه :

- يعتبر أحمد جودت الهاشمي حاملا للواء نشر التعليم وتأسيس المدارس مواصلا رسالة الشيخ طاهر الجزائري من قبله.
- تحدى الاستعمار الفرنسي وقام بتعريب الرياضيات وقضى عمره في تأليف كتب الرياضيات المدرسية.
- وضع إمكانياته في خدمة الثورة السورية 1925-1927 ومنع السلطات الفرنسية من اقتحام المدارس.
- حصل على وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى عام 1950.
- من مؤسسي جمعية المقاصد الخيرية المغربية بدمشق 1929 ورئيسا لمجلس إدارتها.
- عرف بنزاهته الشديدة واصطدامه مع رؤساءالدول في سورية.

مصادر ترجمته :

1- ترجمة وافانا بها ولده المهندس هاني
2- أعلام دمش، ص 8.
3- معجم المؤلفين السوريين، ج1، ص 185.
4- الصحف السورية لشهر شباط فبراير 1955 حيث نعته وكتبت عنه المطولات.
5- مكتب عنبر عدة صفحات من الكتاب.

4- جواد المرابط

اللقب : المرابط **الاسم :** جواد

الأب : عبد الرحمن **الجد :** يوسف **دولة الولادة :** سورية

مكان الولادة : دمشق **تاريخ الولادة :** 1905

بلدته الأصلية في الجزائر : الجزائر العاصمة

التعليم : ليسانس في الحقوق

الوظائف والمناصب التي شغلها : مترجم في حاكمية دمشق الإدارية، أمين عام حاكمية دمشق الإدارية، مدير الغرفة الخاصة، مفتش إداري، محافظ الفرات 1939، محافظ حوران، رئيس بعثة الحج 1945، محافظ دمشق 1948، وزير مفوض بالسعودية والباكستان، أحيل إلى التقاعد عام 1957.

الآثار العلمية التي تركها «المطبوعة» :

1- التصوف والأمير عبد القادر الحسني الجزائري.

2- المختار من أحاديث سيد الأبرار.

3- من أحاديث الرسول.

4- الثائر المجهول.

5- فتوى العندلاوي

6- عبر وعبرات من دمشق الأندلس

7- وصية العام الجديد.

8- صلاة ركعتين.

9- مكتب عنبر نار ونور.

5- محمد الهاشمي التلمساني

اللقب : الهاشمي التلمساني الاسم : محمد

الأب : أحمد الجد : عبد الرحمن بوجمعة

مكان الولادة : سبدو/ تلمسان تاريخ الولادة : 1298هـ/ 1881م

مكان الوفاة : دمشق تاريخ الوفاة : 1381هـ/ 19/ 12/ 1961

معلومات أخرى : هاجر من الجزائر مع أستاذه الشيخ محمد بن يلس في 20 رمضان 1329 هـ الموافق 14 سبتمبر 1911 بالباخرة عن طريق طنجة ومرسيليا.

التعليم : تلقى تعليمه في الجزائر على الشيخ محمد بن يلس شيخ الطريقة الدرقاوية، عبد القادر الدكالي، وفي دمشق على المحدث بدر الدين الحسني، محمد جعفر الكتاني أمين سويد وغيرهم وأجازوه.

وظائفه ومناصبه: اشتغل بالتدريس والتأليف الديني.

آثاره العلمية المطبوعة :

- معراج التشوف إلى حقائق التصوف.
- الحل السديد لما استشكله المريد.
- شرح نظم عقيدة أهل السنة.
- مفتاح أهل الجنة في شرح عقيدة أهل السنة.
- شرح شطرنج العارفين للشيخ محي الدين العربي.
- البحث الجامع والبرق اللامع والغيث الجامع فيما يتعلق بالصنعة والضائع.
- سبيل السعادة في معنى كلميتي الشهادة.
- الدرة البهية.
- القول الفصل القويم في بيان المراد من وصية الحكيم.
- الأجوبة العشرة.

نشاطاته ومواقفه :

يعتقده أهالي دمشق ويعظمونه تعظيما بالغا وكان يوم وفاته يوم حزن عميق، يزورون قبره ويتبركون به حتى اليوم ويضعون أغصان شجر الآس على قبره كعادتهم.

شارك في التدرب على حمل السلاح وفي المقاومة الشعبية فسن بذلك سنة بين علماء دمشق.

نفته السلطات العثمانية من دمشق إلى أضنة مدة عامين.

سافر لأداء فريضة الحج سنة 1350هـ.

مصادر ترجمته وتصنيفه وتوصيفه لدى مترجميه :

- حقائق عن التصوف
- معجم المؤلفين السوريين
- تاريخ علماء دمشق
- أعلام دمشق.

6- محمد أبو الهدى اليعقوبي

اللقب : اليعقوبي **الاسم :** محمد أبو الهدى

الأب : إبراهيم **الجد :** إسماعيل

دولة الولادة : دمشق **تاريخ الولادة :** 1962

بلدته الأصلية في الجزائر : آيت سعادة.

التعليم : تعلم في مدارس دمشق وتلقى علومه الشرعية واللغوية على والده. أجازه كثير من العلماء مثل والده والشيخ المكي الكتاني، والشيخ البودليمي، والقصاب، والخطيب، وعيون السود، وعبد الرحمن الكتاني وغيرهم. يجيد اللغات الفرنسية والانكليزية والألمانية ويحضر للدكتوره في جامعات السويد.

الوظائف: خطيب مسجد الظاووسية في دمشق ومدرس في إدارة الإفتاء العام وفي المعاهد الشرعية.

آثاره العلمية المطبوعة :

- اللغة الماردينية في شرح الياسمينة، تحقيق ودراسة.
- التسعير في الفقه الإسلامي- دراسة مقارنة.
- القضاء بالعلم- دراسة فقهية.
- سبط المارديني حياته ومؤلفاته.
- الأمثال العامية الدمشقية وأصولها اللغوية.
- الأعين الرواني إلى حديث تخمير الأواني- رسالة.
- شعر عقيل بن علقمة المري- تحقيق.
- ديوان شعري.
- عدة مقالات منشورة.

مصادر ترجمته: كتب لنا هذه الترجمة بخط يده.

7- إبراهيم اليعقوبي

اللقب : اليعقوبي — **الاسم :** إبراهيم

الأب : إسماعيل — **الجد :** محمد الصديق

دولة الولادة : سورية — **مكان الولادة :** دمشق

تاريخ الولادة : 1342هـ/ 1924م — **دولة الوفاة :** سورية

تاريخ الوفاة : 1406هـ/ 1985م

بلدته الأصلية في الجزائر : آيت سعادة.

التعليم : تعلم على يد والده، وعمه الشيخ شريف اليعقوبي وخاله الشيخ محمد العربي اليعقوبي، وعلى يد الشيخ محمد الهاشمي، أحمد بن يلس، محمد المكي الكتاني، هاشم الخطيب، محمد العربي العزوزي.

وله إجازات عالية من معظم شيوخه.

الوظائف والمناصب:

- إمام المالكية والحنفية في المسجد الأموي.
- مدرس في مديرية الأوقاف.
- مدرس في إدارة الإفتاء.
- خطيب جامع الطاووسية.

الآثار العلمية:

للمترجم آثار كثيرة منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط، وقد عكف ولده محمد على نشر بعض مخطوطاته.

ومن آثاره المطبوعة:

العقيدة الإسلامية، الفرائد الحسان في عقائد الإيمان، الحكم العطائية «تحقيق»، قواعد التصوف لأحمد زروق «تحقيق»، الفتح الرحماني في فتاوى السيد ثابت أبي المعاني «تحقيق»، صلة الموصول بحديث الرسول «تحقيق»، الذكر والذاكرون «مراجعة وتقديم»، الأنوار في شمائل المختار «تحقيق وتخريج»، شفاء التاريح والأدواء في حكم التشريح ونقل الأعضاء.

ومن آثاره المخطوطة:

- الكوكب الوضاء في عقيدة أهل السنة الغراء.
- معيار الأفكار وميزان العقول والأنظار.
- التذكرة
- ديوان شعر
- ردود ومناقشات
- المنتخب الحسامي لحسام الدين السفناقي في أصول الفقه «تحقيق».
- البديع في أصول الفقه لابن الساعاتي الحنفي «تحقيق».
- المعنى في أصول الفقه لجلال الدين الجنادي.
- مذكرات عن الهجرة الجزائرية إلى دمشق.

مصادر ترجمته وتوصيفه لدى مترجميه:

أعلام دمشق، صفحات مشرقات، مقدمة كتابة الأنوار، مخطوط بقلم ولده محمد.

8- محمد بن يلس

اللقب : بن يلس «التلمساني» **الاسم** : محمد

الأب : يلس **الجد** : بن شاوش

دولة الولادة : الجزائر **مكان الولادة** : تلمسان

تاريخ الولادة : 1264هـ/ 1847م **مكان الوفاة** : دمشق

تاريخ الوفاة : 1927م

معلومات أخرى :

هاجر إلى دمشق سنة 1329هـ/ 1911م وتعرف عائلته بالجزائر باسم الشاويش، حيث كان يحاول تنظيم ثورة ضد فرنسا بسبب تجنيدها للجزائريين، فعملت على مضايقته.

التعليم : في الجزائر على يد محمد البوزيدي، محمد الهبري، أحمد بن مصطفى عليوه

الآثار العلمية التي تركها «المطبوعة» : له ديوان شعر مطبوع ولم نعثر عليه.

نشاطاته ومواقفه :

يبدو أنه أفتى بالهجرة حين بدأت فرنسا بتجنيد الجزائريين لخوض حروبها الاستعمارية، وهاجر مع عائلته وتلاميذه من تلمسان إلى طنجة فدمشق عام 1911 وواصل مقارعته في دمشق فسجنوه في القلعة فهاجت دمشق حتى أطلق سراحه.

أهم تلاميذه ومريده :

الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الهاشمي، الشيخ أحمد القصيباتي، أحمد الشميساني ، وأعطته السلطات العثمانية زاوية الصمادية المهجورة في دمشق فأعاد إليهانشاطها العلمي الديني فانتفع به جيل كامل.

مصادر ترجمته: أعلام دمشق، علماء دمشق، تاريخ الجزائر الثقافي وغيرها.

9- هاني المبارك

اللقب : مبارك	**الاسم** : هاني
الأب : عبد القادر	**الجد** : محمد
دولة الولادة : سورية	**مكان الولادة** : دمشق
تاريخ الولادة : 1929م	**بلدته الأصلية في الجزائر** : دلس
تاريخ الوفاة : 2007 م	**مكان الوفاة** : دمشق

التعليم : إجازة جامعية في التاريخ من جامعة دمشق، وإجازة من المعهد العالي للمعلمين ودبلوم في التربية.

الوظائف والمناصب : مدرس في ثانويات ودور المعلمين في دمشق، ومدرس للتاريخ الإسلامي في الجامعة الليبية وجامعة الرياض.

المواقف والنشاطات : من المؤسسين لجمعية أصدقاء دمشق وأحد أعضاء لجنتها الثقافية.

مصادر ترجمته : كتب لنا هذه الترجمة بخط يده.

10- مازن المبارك

اللقب : المبارك	**الاسم** : مازن
الأب : عبد القادر	**الجد** : محمد
دولة الولادة : سورية	**مكان الولادة** : دمشق
تاريخ الولادة : 1930م	**بلدته الأصلية في الجزائر** : دلس

التعليم : تلقى التعليم الديني على يد والده ثم أخيه محمد وتعليمه النظامي في مدارس دمشق وجامعتها حتى حصل على دبلوم في التربية والتعليم بعد حصوله على شهادة الليسانس. ثم حصل من جامعة القاهرة على شهادة الماجستير ثم الدكتورة في اللغة العربية.

ومن أساتذته في دمشق : شفيق جبري أمجد الطرابلسي، سعيد الأفغاني.

وفي القاهرة : محمود شاكر، طه حسين، شوقي ضيف، مصطفى السقا، وعبد الحليم النجار.

الوظائف والمناصب التي شغلها : درس في جامعة دمشق، وجامعة الرياض والجامعة اللبنانية وجامعة قطر وكلية الدعوة الإسلامية في طرابلس ولا يزال مدرسا في جامعة دمشق وقطر ودبي.

آثاره العلمية :

- الزجاجي : حياته وآثاره ومذهبه من خلال كتابه «الإيضاح».
- النصوص اللغوية من كتابي الخصائص لابن جني، والزهر في علوم اللغة للسيوطي.
- النحو العربي، العلة النحوية.
- الموجز في تاريخ البلاغة.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين بن هشام الأنصاري.
- الإيضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجاجي.
- الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه.
- نحو وعي لغوي.
- كتاب السلامات للزجاجي.
- مجتمع الهمذاني.
- اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي.
- المباحث المرضية لابن هشام.
- المقتضب لابن جني.
- رسالتان لابن جني الألفاظ المهموزة وعقود الهمز.

مصادر ترجمته : معجم المؤلفين السوريين، وقد كتب لنا هذه الترجمة بخط يده.

11- عبد القادر المبارك

اللقب : المبارك　　　　الاسم : عبد القادر

الأب : محمد　　　　الجد : محمد المبارك

مكان الولادة : دمشق　　　　بتاريخ : 1259هـ/ 1876م

مكان الوفاة : دمشق　　　　بتاريخ : 1364هـ/ 1945م

بلدته الأصلية في الجزائر : دلس

التعليم : تلقى تعليمه على يد والده الشيخ محمد المبارك ثم الشيخ أمين سويد، والمحدث الشيخ بدر الدين الحسني، والشيخ عطا الكسم. درس بعض الوقت في المدرسة الرشدية العسكرية ثم عاد إلى التعليم الديني . أتقن اللغة العربية والتركية وألمّ بالإنجليزية.

وظائفه ومناصبه : افتتح في عام 1905 (1323هـ) مدرسة خاصة في زقاق نقيب حي العمارة أرقى أحياء مدينة دمشق القديمة ثم درس في ثانويات دمشق وفي المدرسة السلطانية الأولى 1910 وفي المدرسة الحربية مدرسا للغة العربية. عضو المجمع العلمي العربي بدمشق منذ تأسيسه عام 1919 عضو لجنة التعريب في عهد حكومة فيصل الأول التي عربت المصطلحات العلمية والإدارية. مدرس اللغة العربية في مدرسة الآداب العليا (نواة جامعة دمشق) 1930-1940 وبعد تقاعده عهد إليه بتدريس اللغة العربية والدين في دار المعلمين 1942.

آثاره العلمية المطبوعة :

- فرائد الأبيات العربية.
- المعلومات المدنية (مترجم).
- إحدى العبر بين البشر.
- بكر الشرق.

المخطوطة : - شرح المقصورة للدريدية.

نشاطه ومواقفه : بالإضافة إلى نشاطه التربوي واللغوي العلني حيث عرف بالقاموس السيار لأنه كان يحفظ قاموس المحيط وغيره عن ظهر قلب، كان للشيخ عبد القادر المبارك نشاط سري عظيم ذلك أنه:

1- ارتبط بعلاقات مع الجزائريين المجندين بالجيش الفرنسي الذي احتل سورية، فكان يحصل منهم على السلاح والمعلومات ويساعد بعضهم على الهرب لفائدة الثورة السورية الكبرى 1925-1927 بقيادة صديقيه المجاهدين محمد الأشمر وسلطان باشا الأطرش.

2- ارتبط مع الجزائريين المناضلين في فلسطين خاصة خلال ثورة 1936 وقدم مع صديقه المجاهد الأشمر كثيرا من المساعدات لهذه الثورة الفلسطينية.

3- كان ذا منزلة شعبية كبيرة يؤمه الناس لقضاء حوائجهم عند ذوي الشأن.

مصادر ترجمته : أعلام دمشق، أعلام «الزركلي»، مجلة المجمع العلمي العربي، معجم المؤلفين السوريين، الأعلام الشرقية، مكتب عنبر، معجم المؤلفين، علماء دمشق، رجالات في أمة، مفكرون عرفتهم وغيرها.

12- محمد المبارك

اللقب : المبارك الاسم : محمد

الأب : محمد المبارك الجد : محمد بن محمد الصالح

مكان الولادة : بيروت بتاريخ : 1263هـ/ 1847م

دولة الوفاة : سورية العثمانية مكان الوفاة : دمشق

بتاريخ : 1330هـ/ 1912م مقبرته : الصالحية/ سفح جبل قاسيون.

بلدته الأصلية في الجزائر : دلس

التعليم : تعلم على يد الشيخ محمد المهدي السكلاوي : (انظر ترجمته في هذا الفهرس)، وعلى يد والده الشيخ محمد المبارك، وعلى يد الشيخ طاهر الجزائري ومحمد الطنطاوي.

وظائفه ومناصبه : درس في زاوية الخيضرية ودرس في قرية داعل بحوران. نال رتبة قاضي أزمير، أسس مدرسة أسماها العلمية نهارية- ليلية عام 1324هـ وهي من أوائل المدارس المنتظمة بدمشق وكانت من جملة مدارس أسسها كالحيواطية والريحانية..

آثاره العلمية المطبوعة :

- غريب الأنباء في مناظرة الأرض والسماء.
- لوعة الضمائر في رثاء الأمير عبد القادر.
- غناء الهزار في محاورة الليل والنهار

آثاره العلمية المخطوطة :

- معارج الارتقاء إلى سماء الإنشاء.
- بهجة الرائح والغادي في أحسن محاسن الوادي.
- المقامة اللغزية والمقالة الأدبية.
- المقامات العشر لطلبة العصر.
- أبهى مقامه في المفاخرة بين الغربة

مصادر ترجمته :

حلية البشر، علماء دمشق، معجم المؤلفين، أعيان دمشق، المعاصرون، تعطير الشام، أعلام الفكر الإسلامي، معجم المطبوعات، معجم الشيوخ، أعلام الزركلي، منتخبات التواريخ.

13- عز الدين الجزائري

اللقب: الجزائري **الاسم:** عن الدين

الأب: محى الدين **الجد:** المصطفى

مكان الولادة: دمشق بتاريخ : 1316هـ/ 1898م وفي مصادر أخرى 1901م

مكان الوفاة: غوطة دمشق بتاريخ 27 / 5 / 1927

التعليم: تلقى تعليمه في مدرسة اللائيك في بيروت

نشاطه ومواقفه:

الأمير عز الدين هو سبط الأمير عبد القادر حيث أنه ابن ابنته زينب، وأما جده المصطفى فهو شقيق الأمير عبد القادر. التحق بالثورة السورية في مطلعها حيث كان يزود الثوار بالمعلومات السرية عن تحركات الجيش الفرنسي، إلى أن تم اعتقاله. وبعد الإفراج عنه التحق بالمقاتلين وقاد فصائلهم في غوطة دمشق ومناطق السويداء وحوران وظل يقود الثوار في منطقة غوطة دمشق حتى قتل على يد ضابط شركسي من مرتزقة جيش الاحتلال الفرنسي، وكانت الطلقة الأخيرة هي التي أفرغها في صدر قاتله الشركسي فقتله، وكانت آخر طلقة في الثورة السورية الكبرى.

اعترف الجنرالات الفرنسيون بشجاعته ومهارة تكتيكاته وأدوا له التحية العسكرية عند إحضار جثمانه.

مصادر ترجمته وتوصيفه لدى مترجميه:

معالم وأعلام

- ذكريات خالدة - الأمير عز الدين الجزائري

- تاريخ الثورات السورية

- كل الكتب التي تناولت تاريخ سورية في فترة الاحتلال.

14- جعفر الجزائري الحسني

اللقب: الجزائري الحسني **الاسم:** جعفر

الأب: طاهر **الجد :** أحمد عبد القادر الأمير

دولة الولادة: سورية

تاريخ الولادة: 14/ 5/ 1895م (20 ذي القعدة 1312هـ).

مكان الوفاة: دمشق **بتاريخ:** 7/ 7/ 1970

التعليم:

في مدرسة الاباء العازاريين بدمشق والمدرسة العلمانية بيروت.

ومدرسة الآثار القديمة بباريس اللوفر واختصاص في الآثار.

الوظائف والمناصب التي شغلها:

أمين المتحف العربي، مدير عام الآثار، محافظ السويداء، عضو المجمع العلمي ثم أمين سره ثم نائب رئيسه فرئيسه.

الآثار العلمية التي تركها «المطبوعة»:

- دليل مقتنيات دار الآثار الوطنية بدمشق

- الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي

- المعجم الجغرافي التاريخي للجمهورية العربية السورية (مخطوط).

له عدة دراسات ومقالات ورسائل في كثير من الصحف العالمية ألمتخصصة عسى أن يقوم أحد المهتمين بجمعها.

نشاطاته ومواقفه:

أبعدته السلطات العثمانية من دمشق إلى باريس

اكتشف خرائب في تدمر وبصرى

له رسائل بالفرنسية عن الآثار السورية والنقود الإسلامية.

مصادر ترجمته:

أعلام الزركلى، مجلة المجمع العلمي، من هم في سورية، معالم واعلام، معجم المؤلفين السوريين، اعلام دمشق، تعريف مكتوب بخط يد نجله طاهر.

15- طاهر الجزائري

اللقب: الجزائري　　**الاسم**: طاهر

الأب: أحمد　　**الجد** : عبد القادر

تاريخ الولادة: 1872م　　**مكان الولادة**: دمشق

تاريخ الوفاة: 1936م　　**مكان الوفاة**: دمشق

الوظائف والمناصب:

اهتم بإدارة أملاكه الزراعية، وبالعمل السياسي السري، عضو مجلس الشورى في حكومة فيصل.

أهم النشاطات والمواقف:

كان من مخططي الحركة القومية العربية، اعتقله الأتراك، وحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤقتة وفي المرة الثانية حكم بالسجن المؤبد، بعد أن وشى به شيخ عشيرة الرولة نوري الشعلان، وكان مختبئا عنده، كان عضو مجلس الشورى في حكومة فيصل، كان من مخططي الثورة السورية 1925-1927، حمى المسيحيين أثناء القصف الفرنسي لدمشق.

مصادر ترجمته: شهداء الحرب العالمية

معالم وأعلام

16- خالد الجزائري

اللقب: الجزائري **الاسم:** خالد

الأب: الهاشمي **الجد:** عبد القادر

مكان الولادة : دمشق **بتاريخ:** 14 المحرم 1292هـ/ 20 شباط 1875م

مكان الوفاة: دمشق. **بتاريخ :** 1355هـ/ كانون الثاني 1936م

معلومات أخرى :

توفي والده الأمير الهاشمي بن الأمير عبد القادر في مدينة «بوسعادة في الجزائر».

التعليم :

درس في دمشق ثم في ثانوية لوى لوجران بباريس وفي كلية سان سير العسكرية فيها.

وظائفه ومناصبه:

نال رتبة قبطان في الجيش الافرنسي في ماي/ أيار سنة 1908/ ربيع الثاني 1326هـ.

وهو في الغرب الأقصى وساند ثورة عمه عبد المالك هناك ضد فرنسا.

رحلاته وأسفاره ونشاطاته ومواقفه:

خدم في الجيش الفرنسي

عاد إلى الجزائر محرضا على الثورة ضد فرنسا وأصدر في الجزائر سنة 1920 جريدة الإقدام حتى سنة 1923 حيث نفته السلطات إلى فرنسا ذاتها في باريس من ذلك العام. وأسس حزب نجمة شمال افريقيا، نسق مع سلطان الأطرش في سورية للقيام بثورة مشتركة ضد فرنسا، نفته فرنسا مجددا إلى مصر حيث حوكم أمام المحكمة القنصلية الفرنسية بتهمة حمل جواز سفر مزور بنية الهروب إلى أوروبة - عاد إلى دمشق، كان مؤيدا للحركة القومية العربية في الشام للحصول على الاستقلال الذاتي - اللامركزية - للعرب.

مصادر ترجمته وتصنيفه وتوصيفه لدى مترجميه:

تاريخ الصحافة العربية، تاريخ الجزائر العام، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، الحركة الوطنية الجزائرية وغيرها كثير.

17- عبد القادر الجزائري

اللقب: الجزائري	الاسم: عبد القادر (الشهير بعبدو)
الأب: علي	الجد: عبد القادر الأمير
دولة الولادة: سورية	مكان الولادة: دمشق
مكان الوفاة: دمشق	بتاريخ: 17/ 12/ 1918 اغتيالا

نشاطاته ومواقفه: نفي إلى بورسه في الأناضول، وفر منها والتحق بفيصل بن الحسين في الثورة العربية الكبرى، اختلف مع ضابط الاستخبارات البريطاني لورنس المهيمن على فيصل. كان أحد الذين اقنعوا الدروز بالانضمام إلى فيصل، ورفع العلم العربى فوق جبل الدروز، أعلن وشقيقه الأمير محمد سعيد الحكومة العربية المستقلة في دمشق، لكن ذلك لم يرق للورنس فأقال الحكومة، ثم دبر مؤامرة اغتياله على يد الشرطي العميل مصباح المصري، فهاج المهاجرون الجزائريون ومعهم أهالي دمشق وكادت تسقط الحكومة الفيصلية اللورنسية، فأطلقت إشاعة أن قاتله غير معروف، في الوقت الذي سجنت فيه شقيقه سعيد قبل تنفيذ جريمتها بساعتين. وكانت هذه الحادثة بداية نهاية العهد الفيصلي الذي لم يعمر في سوريا. كان لورنس يرتعد خوفا منه ومن شقيقه الأمير سعيد. كان محبوبا لدى الدمشقيين والجزائريين على حد سواء وينادونه «عبدو» تحببا.

مصادر ترجمته:

يقظة العرب، الحكومة العربية في دمشق، تاريخ سورية، شهداء الحرب العالمية الأولى.

18- كاظم الجزائري

اللقب: الجزائري **الاسم:** كاظم

الأب: محمد **الجد:** الأمير عبد القادر

تاريخ الولادة: 1894

التعليم: في استانبول وفي المدرسة الزراعية بتونس والجامعة السورية

وظائفه ومناصبه:

مفتش في وزارة المالية السورية

السكرتير السري لرئيس الدولة السورية

رئيس ديوان وزارة الأشغال

رئيس ديوان رئاسة الدولة

مدير وزارة الخارجية

رئيس مجلس إدارة البنك التجاري

ممثل خطوط أنابيب الشرق الأوسط

وزير مفوض

نشاطاته: حصل على عدة أوسمة منها:

ميدالية حرب 1914-1918 العثمانية

وسام جوقة الشرف الفرنسي من رتبة فارس

الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى

الاستحقاق اللبناني الفضي ذو السعف.

19- عبد المالك الجزائري

اللقب: الجزائري الاسم: عبد الملك

الأب: عبد القادر الجد: محي الدين

مكان الولادة: دمشق تاريخ الولادة: 1285هـ

مكان الوفاة: المغرب

مناصبه ووظائفه:

بكباشي «عقيد» في الجيش العثماني

قائد الشرطة الشريفية في طنجة بالمغرب

مواقفه ونشاطاته:

قاد الثورة في المغرب ضد فرنسا، وأعلن الاستقلال واتخذ فاس مقرا لامارته.

مصادر ترجمته وتوصيفه لدى مترجميه:

تاريخ المغرب

معجم أعلام الجزائر

الحركة الوطنية الجزائرية

تاريخ الثورات السورية

20- علي الجزائري

اللقب: الجزائري **الاسم:** علي

الأب : عبد القادر **الجد :** محي الدين

مكان الوفاة: تركيا 1918.

وظائفه ومناصبه:

نائب في مجلس المبعوثان التر كي

قائد المجاهدين في طرابلس الغرب ضد الاحتلال الايطالي

مصادر ترجمته وتصنيفه لدى مترجميه:

1. تاريخ حياة طيب الذكر الأمير علي
2. أعلام دمشق
3. حوران الدامية
4. جريدة المهاجر
5. جريدة المقتبس

21- عمر الجزائري

اللقب: الجزائري **الاسم:** عمر

الأب : عبد القادر **الجد:** محى الدين

دولة الولادة: سورية العثمانية **مكان الولادة:** دمشق

بتاريخ: 1871م **مكان الوفاة:** دمشق

تاريخ الوفاة: 6/ 5/ 1915 باعدامه.

معلومات أخرى: نقيت أسرته إلى الأناضول، وكان الأمير عمر عضوا في جمعية العربية الفتاة.

وظائفه ومناصبه:

نائب دمشق في مجلس «المبعوثان»، بالأستانة.

مصادر ترجمته:

يقظة العرب، معالم وأعلام، تاريخ سورية، شهداء الحرب العالمية الأولى.

22- سليم السمعوني الجزائري

اللقب: السمعوني الجزائري **الاسم:** سليم
الأب : محمد **الجد:** صالح
الولادة: دمشق **تاريخ الولادة:** 1296هـ/ 1879
مكان الوفاة: أعدم في دمشق بتاريخ: 6/ 5/ 1915 لمشاركته في الثورة العربية الكبرى.

التعليم: تتلمذ على يد عمه الشيخ طاهر السمعوني الجزائري الذي رباه وفي المدارس الدمشقية ثم في المدرسة الحربية في الأستانة. أتقن العربية والتركية والفارسية والانكليزية والألمانية والفرنسية وتخرج في الهندسة البرية.

الوظائف والمناصب التي شغلها:

قائمقام «عقيد» في الجيش العثماني، خاض حرب البلقان، وحرب اليمن، قاد الجيش العثماني.

الآثار العلمية التي تركها «المطبوعة»:

ميزان الحق «منطق».

نشاطاته ومواقفه:

كان مناهضا قويا لسياسة التتريك وهو أحد مؤسسي الجمعيات العربية الداعية لاستقلال الوطن العربي عن تركيا، حكم عليه الأتراك بالإعدام شنقا هو ومجموعة من رفاقه ونفذ الحكم، وتحتفل سورية بذكرى استشهادهم بعيد الشهداء 6 أيار/ مايو من كل عام، اخترع فرجارا هندسيا.

مصادر ترجمته:

معجم المؤلفين، الأعلام للزركلي، معالم وأعلام، الموسوعة العربية الميسرة، أعلام دمشق، شهداء الحرب العالمية الأولى، يقظة العرب، الثورة العربية، تاريخ سورية، شهداء أيار، وكافة المراجع التي تناولت الحرب العالمية الأولى والثورة العربية.

23- محي الدين الجزائري

اللقب: الجزائري الاسم: محي الدين

الأب: عبد القادر الجد: محي الدين

دولة الولادة: الجزائر مكان الولادة: القيطنة

تاريخ الولادة: 1259هـ/ 1843.

التعليم:

تلقى تعليمه في دمشق وشيوخه محمد بن عبد الله الخالدي، محمد الجوخدار، محمد الطنطاوي اضافة إلى والده الأمير عبد القادر.

وظائفه ومناصبه: عضو مجلس التفتيش العسكري العثماني، منح لقب باشا.

رحلاته وأسفاره ونشاطاته ومواقفه:

سافر إلى اسطنبول 1281هـ فأكرمه السلطان عبد العزيز

وسافر إلى الاستانة سنة 1305هـ وايطاليا وسويسرا وفرنسا حيث استقبله نابليون الثالث ومصر وعاد إلى الجزائر متخفيا وأعلن الثورة على فرنسا عام 1289هـ معاضدا ثورة المقراني في الجزائر.

أعطاه السلطان عبد الحميد رتبة في السلك العسكري وأغدق عليه الهدايا تقربا إليه لابعاده عن السلطات الفرنسية ومنحه عدة نياشين وأوسمة منها رتبة ازمير، وميرميران، وروملي بيكلر، كما منحه نابليون الثالث وساما. له شعر لم يجمع في ديوان.

مصادر ترجمته وتصنيف وتوصيفه لدى مترجميه:

حلية البشر وهي ترجمة مطولة، اعلام الجزائر، أعلام دمشق، علماء دمشق، الاعلام الشرقية، الأعلام للزركلي.

24- محمد الجزائري

اللقب: الجزائري **الاسم:** محمد

الأب: عبد القادر **الجد:** محي الدين

مكان الولادة : القيطنة، وهران **تاريخ الولادة:**1840م/ 1256هـ

مكان الوفاة: الاستانة 1913م/ 1331هـ

الوظف والمناصب التي شغلها:

فريق في الجيش العثماني.

الآثار العلمية التي تركها «المطبوعة»:

تحفة الزائر في تاريخ الجزائر ومآثر الأمير عبد القادر، عقد الأجياد الصافنات، نخبة عقد الاجياد، مجموع فيه ثلاث رسائل الأولى: ذكرى ذوي، الفضل في مطابقة أركان الاسلام للعقل، الثانية: كشف النقاب عن أسرار الاحتجاب، الثالثة: الفاروق والترياق في تعدد الزوجات والطلاق.

مصادر ترجمته :

علماء دمشق، الأعلام «الزركلى»، الأعلام الشرقية ، معالم وأعلام.

25- أحمد الجزائري الحسني

اللقب: الجزائري الحسني **الاسم:** أحمد (أخو الأمير)

الأب: محي الدين **الجد:** مصطفى

مكان الولادة: القطينة (وهران)، **تاريخ الولادة:** شعبان 1249هـ

مكان الوفاة: دمشق **تاريخ الوفاة:** 17 ربيع الثاني 1320هـ

التعليم:

تعلم في الجزائر ثم في دمشق على يد اخوته محمد السعيد والأمير عبد القادر وتفقه بالفقه المالكي على يد الشيخ محمد بن عبد الله الخالدي

وأخذ في دمشق عن محمد الطنطاوي وعلي الكيلاني وقاسم الحلاق وأجازوه جميعا.

الوظائف والمناصب التي شغلها:

مدرس في جامع العنابة بدمشق.

الآثار العلمية التي تركها «المطبوعة»:

نشر الدر وبسطه في بيان كون العلم.

ماتسر به النواظر وأبهج مايسطر في الدفاتر في بيان سبب تولية الأمير عبد القادر في إقليم الجزائر.

رسالة الجني المستطاب والزبرجد

شرح على الأبيات التي أولها فأتيت في مستنقع الموت.

نشاطاته ومواقفه:

نفته فرنسا إلى عنابة شرقي الجزائر مدة خمس سنوات، ثم انتقل إلى دمشق سنة 1283هـ.

مصادر ترجمته:

علماء دشق، ذيل روض البشر، منتجات التواريخ، أعلام الزركلي، أعلام دمشق، الاعلام الشرقية، حلية البشر، أعلام الجزائر، تعريف الخلف، معجم المؤلفين، أعيان دمشق.

26 - أحمد سهيل الفضيل

اللقب: الفضيل   **الاسم:** أحمد سهيل

الأب: قاسم   **الجد:** الصغير

مكان الولادة: دمشق   **تاريخ الولادة:** 1921م

بلدته الأصلية في الجزائر: يوسف واعلي

معلومات أخرى:

هاجر والده من الجزائر سنة 1904 من قرية واعلي منطقة عين الحمام تيزي وزو وكان إماما في جامع الشهداء بدمشق من حفظة القرآن.

التعليم:

تلقى تعليمه في دمشق على حساب جمعية المقاصد الخيرية المغربية حتى حصل على شهادة الثانوية العامة.

الوظائف والمناصب التي شغلها:

توظف سنة 1941 في وزارة الاعاشة والتموين فترة الحرب العالمية الثانية، ثم انتقل في بداية 1946 إلى وزارة الدفاغ وظل فيها حتى سن التقاعد سنة 1980.

رحلاته وأسفاوه:

سافر إلى الجزائر عدة مرات ومصر وروسيا وألمانيا وانجلترا، اليونان، بلغاريا، الكويت، فلسطين، الأردن، تركيا.

نشاطاته ومواقفه: تجلى نشاطه منذ عام 1938في تأسيس وإدارة الجمعيات الجزائرية والمغاربية مثل دار الجزائر، النادي الأدبي، جمعية تحرير المغرب العربي، جمعية المقاصد الخيرية المغربية، جمعية الدفاع عن افريقية العربية، وكان يشغل منصب أمين السر في هذه الجمعات وكان عضوا في الوفد المرافق لوفاة الأمير عبد القادر حين نقل إلى الجزائر.

27- محمد سعيد العربي

اللقب : العربي **الاسم :** محمد سعيد

الأب : حسن **الجد:** أحمد

دولة الولادة : سورية **مكان الولادة :** دمشق

تاريخ الولادة: 1915

التعليم : ليسانس في الحقوق من جامعة دمشق

ماجستير في التجارة والمصارف: جامعة نيويورك

دكتوراه في التجارة والمصارف: جامعة نيويورك أيضا.

الوظائف والمناصب: أستاذ الاقتصاد في جامعة الرياض.
النشاطات والمواقف:
- عضو جمعية تحرير المغرب العربي
- عضو جمعية دار الجزائر
- عضو جمعية المقاصد الخيرية المغربية
- عضو جمعية إغاثة الفقير
- عضو لجان دعم الجزائر والمغرب العربي

الآثار العلمية: مجموعة من لكتب الجامعية مثل:
الاقتصاد التطبيقى، الاقتصاد الزراعى، الاقتصاد الإسلامي، تطور الفكر الاقتصادي، الاقتصاد الاجتماعى.
مصادر ترجمته: زودنا الدكتور محمد سعيد العربي بترجمته بنفسه.

28- محمد المهدي السكلاوي

اللقب : السكلاوي — **الاسم** : محمد المهدي
مكان الولادة :جرجرة — **تاريخ الولادة** : 1200هـ
مكان الوفاة: دمشق — **تاريخ الوفاة**: 1278هـ
معلومات أخرى:
أفتى وقاد هجرة العلماء الجزائريين إلى بلاد الشام عام 1847م / 1263هـ بامر من الأمير عبد القادر واستقبله الناس هو والمهاجرين استقبالا كبيرا، أثار تحفظ السلطات العثمانية وكان بصحبته عياله وولده الشيخ محمد الصالح.
مصادر ترجمته:
حلية البشر، أعيان دمشق و غيرها.

29- أحمد زروق

اللقب: زروق **الاسم:** أحمد
الأب: علي **الجد:** محمد
مكان الولادة: دمشق (1291هـ/ 1874م) **مكان الوفاة:** دمشق.
التعليم : درس على خاله الشيخ محمد المبارك ودرس في مساجد دمشق.
الوظائف والمناصب التي شغلها:
- استاذ الموسيقى والتواشيح في مكتب عنبر مدة 22 سنة.
أستاذ في مدرسة الصلاحية بالقدس في فلسطن لمدة 3 سنوات.
- مدرس مرة أخرى في مكتب عنبر.
نشاطاته ومواقفه:
يعتبر من رواد الحركة الفنية في سوريا خاصة بما يعرف بالموسيقى الدينية كما أنه من رجالات التصوف.
مصادر ترجمته:
أعلام دمشق، أعلام الادب والفن.

30 - أسعد درقاوي

اللقب : درقاوي **الاسم :** أسعد
اسم الأب : عربي **دولة الولادة :** سورية
مكان الولادة : حلب تاريخ الولادة : 1929م
التعليم: دكتوراه في الفلسفة.
النشاط والوظائف:
- أستاذ الفلسفة في جامعة دمشق
- وزير الثقافة في سورية.
- محاضر في أكثر من جامعة.
- أستاذ في جامعة الجزائر

مؤلفاته:

له عدة مؤلفات بالعربية والفرنسية وعدة ترجمات منها ترجمته لكتاب برجسون المادة والمذاكرة ومراجعته لترجمة الفكر الألماني ودراسة في المعطى المحض في فلسفة برجسون.

مصادر ترجمته:

معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين.

31- عبد الرحمن خليفاوي

اللقب : خليفاوي	**الاسم** : عبد الرحمن.

اسم الأب : أحمد	**مكان الولادة**: دمشق

تاريخ الولادة: 1930م	**تاريخ الوفاة** : ؟

التعليم:

تخرج في الكلية العسكرية بحمص في سورية

دورة ضباط في الاتحاد السوفياتي

دورة ضباط في فرنسا

الوظائف والمناصب:

لواء في الجيش السوري، محافظ درعا، محافظ حماة، عضو المكتب العسكري لحزب البعث العربي الاشتراكي، ممثل سورية في القيادة العربية المشتركة في القاهرة(64-67) رئيس المكتب العسكري 67-1968، وزير(1968-1970)، وزير الداخلية.1970-1971، رئيس الوزراء 1971-1972 رئيس الوزراء 1976-1975.

مصادر ترجمته وتوصيفه لدى مترجميه:

Who's Who of the Arab Warld- Landon

الموسوعة السياسية

32. محمد الخالدي

اللقب: الخالدي	**الاسم :** محمد
الأب : محمد	**الجد :** عبد الله
مكان الولادة : دوار سيدي خالد	**تاريخ الولادة :** 1836 تقريبا
مكان الوفاة : دمشق	**تاريخ الوفاة :** 1926

بلدته الأصلية في الجزائر : دوار سيدي خالد بلدية الهاشمية وادي البردي ولاية البويرة.

التعليم :

تلقى تعليمه على يد والده محمد بن عبد الله الخالدي قاضي المهجرين االجزائريين ثم رافقه إلى المدينة المنورة فدمشق، حيث أخذ عن الأمير عبد القادر الطريقة الخلوتية والشاذلية ولازم الشيخ محمد المبارك، وأمضى في الأزهر سبع سنوات.

وظائفه ومناصبه :

ولاه الأمير عبد القادر قضاء المهجرين الجزائريين بعد والده محمد بن عبد الله الخالدي.

وبعد إلغاء هذا المنصب من طرف الحكومة العثمانية تولى مناصب الإفتاء والتدريس في معان وقطنا وصفد.

وبعد رحيل العثمانيين تولى منصب افتاء المالكية والتدريس في جامع السنانية بدمشق إلى أن توفى.

مصادر ترجمته:

بالإضافة إلى المصادر التي ترجمت لوالده، هناك عدة صحف سورية مثل المقتبس وأوراقنا الخاصة وحديث والدتنا عائشة حيث أنه والدها.

33- محمد بن عبد الله الخالدي

اللقب : الخالدي الاسم : محمد
الأب : عبد الله الجد : عبد الملك
دولة الولادة : الجزائر مكان الولادة : جبل هلاله
تاريخ الولادة : 1218هـ دولة الوفاة: سورية
مكان الوفاة: دمشق تاريخ الوفاة: 1283هـ
بلدته الأصلية في الجزائر: دوار سيدي خالد/ وادي البردي/ البويرة.

التعليم:

درس على يد والده القاضي عبد الله الخالدي، ثم في مازونة غربي الجزائر ثم في قسنطينة ثم في الأزهر الشريف، أخذ عن كبار علماء الإسلام في عصره مثل محمد المبارك، علي بن عيسى، محمد السنوسي، الباجوري، عليش، السقا، المبلط، وأخذ الطرق الصوفية عن الأمير عبد القادر.

وظائفه ومناصبه:

خليفة الأمير عبد القادر في سطيف، قاضي المهجرين الجزائريين في بلاد الشام، مفتي المالكية بدمشق، مدرس في دار الحديث العصرونية في دمشق، مدرس أولاد الأمير عبد القادر في الفقه المالكي، محرر مؤلفات الأمير.

نشاطه ومواقفه:

كان أحد رجالات الأمير عبد القادر أثناء المقاومة المسلحة، مبعوثه السري إلى السنوسيين في عسير وقبيلة حرب في نجد وإلى منطقة صور الغزلان بعد هجرته إلى دمشق وساعده في اخماد فتنة 1860م في دمشق.

آثــاره :

كان الأمير عبد القادر يملي عليه كتبه إذ عرف بحسن الخط ومن هذه «المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الاسلام بالباطل والإلحاد».

مصادر ترجمته:

ثبت الأمير، حلية البشر، معجم اعلام الجزائر، روض البشر، أعيان دمشق الهجرة الجزائرية إلى المشرق العربي.

ملاحظة: وجدت في فهارس مخطوطات الظاهرية عدة مخطوطات فيها كتب عليها تملك باسمه، بعضها في الشعر والأدب والفقه، وقد أخبرتني والدتي أن كثيرا من كتبه «حيث أنه جدها»، قد بقي في فلسطين.

35- ممدوح الحسيني الجزائري

الاسم: محمد ممدوح　　**اللقب :** الحسيني الجزائري
الجد : محمد الشريف　　**الأب :** محمد علي
تاريخ الولادة : 1930.　　**مكان الولادة :** دمشق
التعليم : اجازة في العلوم الحيوية1949 من دمشق
دكتوراة فلسفة في العلوم الزراعية اختصاص حشرات من كاليفورنيا1963.
الوظائف والمناصب :
رئيس قسم أبحاث الحشرات في سورية 1953-1963.
أستاذ وكيل كلية الزراعة جامعة حلب 1963-1967.
أستاذ في جامعة الرياض 1967-1968.
رئيس قسم كلية البنات في جامعة دمشق 1965-1970.
مدير مشروع اقليمي لدى منظمة الأغذية والزراعة الدولية في بماكو جمهورية مالي 1970-1974.
مدير مشروع ومستشار رئيسي لدى وزارة الزراعة في الجزائر 1974-1982.
عضو مجلس العلوم الأعلى ومسنشار هيئة الطاقة الذرية 1982
المؤلفات :
- الآفات الزراعية وطرق مكافحتها 1962
- الحشرات الاقتصادية في سورية 1966.
مبادئ علم الحشرات 1975.
المعدات المستعملة 1987 .

3 - فهارس المؤلفين والمؤلفات

اسم المؤلف	عنوان الكتاب	مكان الطبع	تاريخ الطبع	ملاحظات
إبراهيم مجاهد الجزائري	على ضفاف السراب	حلب	1955م	
	ثورة حياة	حلب	1958م	
إبراهيم إسماعيل اليعقوبي	قواعد التصوف	دمشق	1968م	ضبط وتحقيق
	شفاء التباريح	دمشق	1986م	حكم الشريعة
	الأنوار في شمائل النبي المختار	بيروت	1989م	في الطب الجراحي
	الفرائد الحسان في عقائد الإيمان	بيروت	بلا	تحقيق
أحمد جودت الهاشمي	الجبر الابتدائي	حلب	1934م	كتاب مدرسي مع آخرين
	الحساب والجبر	دمشق	1930م	كتاب مدرسي مع آخرين
	المسائل الرياضية	دمشق	1933م	كتاب مدرسي مع آخرين
	الهندسة	دمشق	1344هـ	كتاب مدرسي مع آخرين
أحمد بن محي الدين المصطفى شقيق الأمير عبد القادر	نشر الدرويسطة في بيان كون العلم نقطة	بيروت	1924م	
أحمد التلمساني	الحدائق الندية	دمشق	1355هـ	
إيناس محمد بشير جزائرلي	أهم اضطرابات سن اليأس ومعالجته	دمشق	1984م	دكتوراه في الطب
الأمير جعفر بن الأمير طاهر الجزائري	دليل مختصر لمقتنيات دار الآثار الوطنية بدمشق	دمشق	1930م	
	خطابان في مجمع اللغة العربية بدمشق	دمشق	1962م	
	الدارس في تاريخ المدارس	دمشق	1948م	تحقيق

جواد المرابط	من أحاديث الرسول البرعي اليمني الشاعر والفقيه التصوف والأمير عبد القادر المختار من أحاديث سيد الأبرار عبر وعبرات من دمشق الأندلس وصية العالم الجديد 1391هـ-1971م السرى السقط فتوى الفندلاوي وقصتها	بلا بيروت دمشق دمشق بيروت دمشق بيروت بيروت	1954م 1978م 1966م 1968م 1969م 1970م 1978م 1966م	
الأمير سعيد بن الأمير علي	تاريخ حياة طيب الذكر بيان لجنة الدفاع عن الخط الحديدي الحجازي في العالم الاسلامي مذكراتي عن القضايا العربية والعالم الاسلامي	دمشق دمشق بيروت	1918م 1921م 1968م	
سعيد بن قاسم	المخابرات والعالم الماسونية مالها وماعليها أحجار على رقعة الشطرنج (ترجمة) ملف الماثونات عن حرب الحضارات (ترجمة)	دمشق دمشق بيروت دمشق	1978م 1986م 1986م 1988م	
سعيد بن محي الدين «شقيق الأمير»	اتقان الصنع في شرح رسالة الوضع	بيروت	بلا	
سعيد بن شريف أبو يعلى الزواوي	تاريخ الزواوه	دمشق	1340هـ	
سليم بن محمد سعيد الجزائري	ميزان الحق في المنطق	دمشق	1920م	
سهيل الخالدي	الثورة الزراعية في	بيروت	بلا	

	الجزائر	الكويت	1979م	
	دلال عاشقة البحر والزيتون	الكويت	1980م	
	الرقص من أول السطر	الكويت	بلا	
	الرواية العربية في الجزائر 1971-1981			
	الأرض			
الجزائري، طاهر بن صالح	إرشاد الألبا	بيروت	1321هـ	
	أشهر الأمثال	مصر	1919م	
	بديع التلخيص	دمشق	1296هـ	
	التبيان	مصر	1334هـ	
	تدريب اللسان على تجويد القرآن	بيروت	1321هـ	
		مصر	1919م	
	التقريب لأصول التعريب	مصر	1920م	
	تلخيص أدب الكاتب	بيروت	بلا	
	التمرين على البيان والتشبيب	ولاية سورية	1304هـ	
	تمهيد العروض في فن العروض	مصر	1328هـ	
		دمشق	1298هـ	
		دمشق	1298هـ	
	توجيه النظر في أصول الأثر	بيروت	بلا	
		القدس	1320هـ	
	الجواهر الكلامية	دمشق	1301هـ	
	حديقة الأذهان	شام	1299هـ	
	ديوان خطب ابن نباته	دمشق		
	مبتدأ الخبر في مبادئ علم الأثر			
	مد الراحة لأخذ المساحة			
	مدخل الطلاب إلى فن الحساب			
	منية الأذكياء في قصص الأنبياء			
محمد نور الدين	الهمزية والبردة المحمدية	دمشق	1990م	تحقيق

عرفان الجزائري	تأليف البوصيري والله الأسماء الحسنى	ودبي المدينة المنورة	1980م	
محمد غسان الجزائري	الأصول المؤكدة في قلع الأسنان المؤقتة	دمشق	1984م	رسالة دكتوراه في طب الأسنان
محمد بشير الجزائري	الصناعات الكيماوية	دمشق	1962م	
مطيع المرابط	التذكرة الهروية في الحيل الحربية	دمشق	1972م	
مسعود مجاهد الجزائري	انهيار خطط الاستعمار الفرنسي بالجزائر تاريخ الجزائر	دمشق القدس	بلا	
نبيه الجزائري	الابتزاز/قصة العلاقة المصرية بين أمريكا وإسرائيل (ترجمة) التوازن العسكري في الشرق الأوسط (ترجمة)	بلا عمان	1986م 1984م	
نعيم المرابط	الهندسة التكميلية موجز علم المثلثات علم المثلثات التحليل الرياضي الجبر	دمشق دمشق دمشق دمشق دمشق	1954م 1953م 1953م 1953م 1953م	كتاب مدرسي كتاب مدرسي كتاب مدرسي كتاب مدرسي كتاب مدرسي
مازن عبد القادر المبارك	الإيضاح في علل النحو الموجز في تاريخ البلاغة مجتمع الهمذاني من خلال مقاماته	دمشق بيروت دمشق بيروت	1959م 1968م 1968م 1971م	

	العلة النحوية نشأتها	دمشق	1972م	
	وتطورها	بيروت	1973م	
	مغني اللبيب عن كتب			
	الأعاريب	بيروت	1974م	
	اللغة العربية في التعليم			
	العالي والبحث العلمي	بيروت	1979م	
	الرماني: النحو والصرف	دمشق	1981م	
	في ضوء شرحه لكتاب	دمشق	1984م	
	سيبويه			
	نحو وعي لغوي	دمشق	1985م	
	النصوص اللغوية	دمشق	1987م	
	الزجاجي: حياته وآثاره			
	ومذهبه النحوي من خلال	بيروت	1988م	
	كتابه الإيضاح			
	اللامات للزجاجي	دمشق	1953م	
	المباحث المرضية المتعلقة	دمشق	1988م	
	بـ من الشرطية			
	الألفاظ المهموزة، عقود			
	الهمز لابن جني			
	قواعد اللغة العربية			
	المقتضب في اسم المفعول			
	من الثلاثي			
محمد بن محمد المبارك	غريب الأنباء في مناظرة الأرض والسماء	دمشق	1884م	
	نضرة الأزهار في محاورة الليل والنهار	بيروت	1893م	
محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري	ذكرى ذوي الفضل في	مصر	1327هـ	
	مطابقة أركان الإسلام للعقل	مصر	1327هـ	
	الفاروق والترياق في تعداد الزوجات والطلاق	بيروت	1336هـ	
	نخبة عقد الأجياد في	استانبول	1323هـ	

	الصافنات الجياد عقود الدرر في تلخيص سيرة سيد البشر تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر سوق عكاظ فيما تكلموا فيه من اللغات والألفاظ	الاسكندرية الكويت	1903م 1976م	المخطوط الأصلي موجود في مكتبة الأسد 1-3-412
محمد بن الهاشمي بن عبد الرحمن التلمساني	الحل السديد لما استشكله المريد شرح شطرنج العارفين عقيدة أهل السنة	بلا دمشق دمشق	1382هـ 1938م 1929م	له عدة كتب أخرى لم نذكرها
محمد خيري الحسني الجزائري	شرح القانون الاجرائي	دمشق	1931م	
محمد بن عبد الله الخالدي «محرر»	المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الاسلام بالباطل والالحاد	بيروت	بلا	الكتاب من تأليف الأمير عبد القادر الجزائري
محمد عبد الله الجزائري	موسوعة المعارف العلمية للأطفال	دمشق ودبي	1990م	
محمد بن محمد المبارك	بهجة الرائع والغادي في أحسن محاسن الوادي التربيع والتدوير/عمرو بن الجاحظ	بيروت القاهرة	1890م 1906م	
محمد بن عبد القادر المبارك	الجاحظ وفن القصص نظرة الاسلام العامة الى الوجود الأمة العربية في معركة تحقيق الذات من منهل الأدب الخالد	دمشق دمشق دمشق بلا القاهرة	1940م 1958م 1959م 1960م 1960م	

	خصائص العربية ومنهجها	دمشق	1960م	
	الأصيل في التجديد والتوليد	دمشق	1958م	
	فقه اللغة			
	أثر الوحدة في الحضارة	دمشق	1961م	
	العربية الحديثة	دمشق	1970م	
	نحو انسانية سعيدة			
	آراء ابن تيمية في الدولة	دمشق	بلا	
	ومدى تدخلها في المجال	بيروت	1962م	
	الاقتصادي	بيروت	1978م	
	الأمة والعوامل المكونة لها	بلا	بلا	
	ذاتية الاسلام أمام المذاهب	دمشق	بلا	
	والعقائد	بيروت	1970م	
	الاسلام والفكر العلمي			
	عبقرية اللغة العربية			
	الدولة ونظام الحسبة عند			
	ابن تيمية			
	الفكر الاسلامي الحديث في			
	مواجهة الأفكار الغربية			
الأمير عبد القادر الجزائري	ذكرى العاقل وتنبيه الغافل	بلا	1271هـ	هناك عدة طبعات من هذا الكتاب في مكتبتي الأسد والظاهرية
	المواقف في الوعظ والإرشاد	مصر	1328هـ	
		مصر	1328هـ	
	نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر	دمشق	1328هـ	باشراف ولده
	وشاح الكتائب وزينة الجيش الغالب	دمشق	بلا	باشراف
		بيروت	بلا	حفيده سعيد
	ديوان الأمير عبد القادر الجزائري			

	المقراض الحاد في قطع لسان منتقص دين الاسلام بالباطل والالحاد			
عبد القادر بن محمد المبارك	احدى العبر بين البشر فرائد الأدبيات العربية بكر الشرق	دمشق دمشق دمشق	1924م 1950م بلا	
عبد القادر بن الكبير الجزائري	هدية الشرق الى الغرب	دمشق	1930م	يتحدث عن اكتشاف المسك
الأمير علي بن الأمير المختار الجزائري	تاريخ سورية الاقتصادي	دمشق	1342هـ	
غسان ماهر الجزائري	عالم واسع فسيح الأرجاء	دمشق	1980م	مسرحية
وجيهة بنت عبد القادر المبارك	ديوان مسكين الدارمي	دمشق	1959م	تحقيق
يحيى بن حسن يخلف	نجران تحت الصفر نشيد الحياة نورما ورجل الثلج المهرة تفاح المجانين	بيروت بيروت بيروت بغداد بيروت	1975م	

الفهرس

الـمـلاحق